النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغْرِي بَرْدي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه

محمد حسين شمس الدين

الجزء الأوّل

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته وسلم

الحمد لله الذي أيَّد الإسلام بمبعث سيد الأنام، وجعل مَدده شاملاً لكل خليفة وإمام؛ فهم ظل الله في أرضه يَأوِي إليه كل ملهوف، والزعماءُ القائمون بنَهْيِ كلِّ منكَر وأمر كل معروف؛ قلَّبهم في أطوارها دُوَلاً، وخالف بينهم آعتقاداً وقولاً وعملاً؛ وجعل قَصَصهم عبرة لأولي الألباب، وتذكرة في كل خبر وكتاب؛ فمن عدل منهم كان أوّل السبعة(١)، ومن ظلم كان في أخباره شُنعة.

أحمده حمداً كثيراً على أن عرَّفنا من صلح منهم ومن فسد، ومن هو في الوغى مدد، وبين الأنام عدد؛ ونشكره على أن أخَّرنا عن كل الأمم، وهذا لَعَمْري من أعظم الإحسان وأسبغ النعم، لنُعاين ممن تقدّم آثارهم، ونشاهد منازلهم وديارهم، ونسمع ــ كما وقعت وجرت ــ أخبارَهم؛ أعْظِم بها من مِنَّة جليلة، وكرامة وفضيلة؛ إذ أُخبرنا عنهم ما لم يُخبَروه عنا، ورأينا منهم ما لم يرَوْه منا؛ فلنقابل هذه المنة بالإنصاف، في كل مُتَرْجَم ومَن إليه آنضاف؛ فنخبر بذلك من تأخر عصره من الأقوام، بأفواه المحابر وألسن الأقلام؛ ليقتديَ كل ملك يأتي بعدهم بجميل الخصال، ويتجنَّب ما صدر من [اقتراف](٢) المظالم وقبيح الفعال.

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف: «سبعة يظلُّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجلٌ كان قلبه معلقاً بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابَّا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».
(انظر الحديث في صحيح البخاري: أذان /٢٦، والرقاق /٢٤، وزكاة /١٦؛ والترمذي: الزهد /٥٣).

(٢) في الأصول: «اقتراح». ولعله «اجتراح» أو ما أثبتناه.

ولم أقل كمقالة الغير إنني مستدعًى إلى ذلك من أمير أو سلطان، ولا مطَّلَب به من الأصدقاء والإخوان؛ بل ألّفته لنفسي(١)، وأينعته بباسقات غرسي؛ ليكون لي في الوحدة جليساً، وبين الجلساء مسامراً وأنيساً؛ ولا أنزّهه من خلل وإن حوى أحسن الخلال، ولا من زلل وإن طاب مورده الزلال؛ وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة لا ينقص قدر إيمانها بعد تأكُّده، ولا يخفض مجد إتقانها بعد تشيُّده؛ وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي كان لقول الحق أهلاً، ومن جعل بتشريعه طرق الفلاح لسالك سَنَنِهِ سهلاً؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيته وأتباعه.

أما بعد فلما كان لمصر ميزة على كل بلد بخدمة الحرمين الشريفين، أحببت أن أجعل تاريخاً لملوكها مستوعباً من غير مَيْن؛ فحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه، وقمت بتصنيفه وأعبائه؛ وآستفتحته بفتح مصر وما وقع لهم في المسالك، ومن حضرها من الصحابة ومن كان المتولّيَ لذلك؛ وعلى أيّ وجه فُتحت: صلحٍ أم عَنْوة من أصحابها، وأجمع في ذلك أقوال من آختلف من المؤرّخين وأهل الأخبار وأربابها؛ وذلك بعد آتصال سندي إلى من لي عنه منهم روايةٌ، ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية؛ وأطلق عِنان القلم فيما جاء في فضلها وذكرها من الكتاب العزيز، وما ورد في حقها من الأحاديث وما آختصت به من المحاسن فصار لها على غيرها بذلك التمييز؛ ثم أذكر مَن وليها من يوم

---

(١) هذه عبارة تقليدية ينزّه بها المؤلف نفسه عن شبهة التمسّح بالحكام، الأمر الذي كان سائداً في العصر الذي عاش فيه ابن تغري بردي. والصحيح أنه ألّف كتابه من أجل صديقه وصاحبه الأمير محمد ابن السلطان جقمق؛ وكان هذا الأمير مرشحاً للسلطنة بعد أبيه، غير أن القدر لم يمهله فأدركته الوفاة سنة ٨٤٧هـ. وكان بين أبي المحاسن والأمير محمد صحبة قديمة توطّدت بعد زواج الأمير محمد من ابنة أخت أبي المحاسن ـ وهي ابنة أخته الصغرى «شقراء» من الأمير آقبغا التمرازي ـ وهذا الدافع لتأليف الكتاب يشير إليه المؤلف فيما بعد بقوله: «غير أني قصدت بترتيب هذا الكتاب من ذكر ملك بعد ملك أنه إذا تسلطن (أي الأمير محمد) أختم هذا الكتاب بذكره، بعد أن استوعب أحواله وأموره على طريق السيرة؛ ولوّحت له بذلك فكاد يطير فرحاً. وبينما نحن في ذلك انتقل إلى رحمة الله». (انظر النجوم: ج ١٥: حوادث سنة ٨٤٧هـ والمؤرخ ابن تغري بردي ـ مجموعة أبحاث عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية: ص ٦٣).

فُتحت وما وقع في دولته من العجب، واحداً بعد واحد لا أقدّم أحداً منهم على أحد بآسم ولا كنية ولا لقب؛ ثم أذكر أيضاً في كل ترجمة ما أحدث صاحبها في أيام ولايته من الأمور، وما جدّده من القواعد والوظائف والولايات في مَدَى الدهور؛ ولا أقتصر على ذلك بل أستطرد إلى ذكر ما بُني فيها من المباني الزاهرة، كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة القاهرة؛ أوّلاً بأوّل أذكره في يوم مبناه وفي زمان سلطانه، مستوعباً لهذا المعنى ضابطاً لشأنه؛ على أنني أذكر من توفي من الأعيان في دولة كل خليفة وسلطان بآقتصار، بعد فراغ ترجمة المقصود من الملوك مع ذكر بعض الحوادث في مدّة ولاية المذكور في أيما قطر من الأقطار؛ وأبدأ فيه بعد التعريف بأحوال مصر بولاية عمرو بن العاص في المملكة الإسلامية، ثم مَلِكٍ بعد ملِك كل واحد على حدته وما وقع في أيامه إلى الدولة الأشرفية الإينالية(١)؛ وسمّيته:

«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»

والله الموفّق والمنّان، وبالله المستعان.

---

(١) نسبة إلى الملك الأشرف إنيال (أو أينال ـــ بفتح أوله، كما يؤكد الزركلي في الأعلام) أبي النصر، سيف الدين العلائي الظاهري المتوفى سنة ٨٦٥هـ. والواقع أن ابن تغري بردي يستمر في تأريخه حتى أثناء سنة ٨٧٢هـ /١٣٦٧م وهي سنة وفاة أبي سعيد تمربغا الظاهري، وابتداء سلطنة الملك الأشرف قايتباي المحمودي الظاهري.

ذكر فتح مصر

لابن عبد الحكم(1) وغيره

قال المؤلف: أخبرنا حافظ العصر، قاضي القضاة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العسقلانيّ(2) الشافعي، مشافهة عن أبي هريرة بن الذهبيّ قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي(3): روى خليفة(4) عن غير واحد: «أن في سنة عشرين كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر، فسار وبعث عُمرُ الزبيرَ بن العوّام مُردفاً له ومعه بُسْر بن أَرْطاة(5)

---

(1) هو أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. ولد سنة ١٨٧هـ وتوفي سنة ٢٥٧هـ. والمصدر الذي يأخذ عنه أبو المحاسن هنا هو كتاب ابن عبد الحكم: «فتوح مصر وأخبارها». وهذا الكتاب يعتبر حجر الزاوية في كل ما كتبه المؤرخون اللاحقون عن فتح مصر وأخبارها الأول، منذ الكندي وابن زولاق إلى المقريزي وابن تغري بردي. ويشتمل الكتاب على سبعة أبواب: الأول عن فضائل مصر؛ والثاني عن فتح مصر؛ والثالث عن خطط مصر الأولى؛ والرابع عن ولاية عمرو بن العاص لمصر؛ والخامس عن فتح إفريقية والمغرب والأندلس حتى سنة ١٢٧هـ؛ والسادس عن قضاة مصر؛ والسابع في الأحاديث والرواية. (انظر دراسات عن ابن عبد الحكم: أسرة بني عبد الحكم ومكانتهم العلمية لمحمد عبد الله عنان ص ٣٩ ــ ٤٤؛ وكشف الظنون: ٢/١٢٤٠).

(2) حافظ الإسلام في عصره. توفي سنة ٨٥٢هـ. له مصنفات كثيرة جليلة منها: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، وتقريب التهذيب، والإصابة في تمييز الصحابة وغيرها. (انظر ترجمته في الضوء اللامع: ٢/٣٦؛ وبدائع الزهور: ٢/٣٢؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ١/٢٥٠؛ وترجمته لنفسه في كتابه: رفع الإصر: ١/٨٥. هذا بالإضافة إلى ترجمته في هذا الكتاب. ج ١٥ وفيات سنة ٨٥٢هـ).

(3) هو محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، أبو عبد الله المتوفى سنة ٧٤٨هـ: حافظ مؤرخ علامة محقق. تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: تاريخ الإسلام الكبير، والمشتبه في الأسماء والأنساب وغيرها. (ترجمته في فوات الوفيات: ٣/٣١٥؛ وشذرات الذهب: ٦/١٥٣؛ والدرر الكامنة: ٣/٣٣٦؛ والنجوم الزاهرة: ج ١٠).

(4) هو خليفة بن خياط، المعروف بـ«شباب»، المتوفى سنة ٢٤٠هـ. ويعتبر تاريخه أقدم تاريخ حولي وصل إلينا. (انظر: تاريخ خليفة، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ــ دار طيبة، الرياض ــ المقدمة).

(5) كذا في أصول النجوم الزاهرة. والمصادر ترويه على وجهين: بسر بن أرطأة وبسر بن أبي أرطأة.

وعُمَير بن وَهْب الجُمَحِيّ وخَارِجَة بن حُذَافة العَدَوِيّ حتى أتى بَابِلْيُون[١]، فحصَّنوا[٢]، فآفتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن؛ وكان الزبير أوّل من آرتقى سور المدينة ثم تبعه الناس، فكلَّم الزبير عَمراً أن يقسمها بين من آفتتحها، فكتب عمرو إلى عمر بذلك[٣]، ثم رَقِيَ إلى المنبر وقال: «لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قِبْط مصر عليَّ عهد ولا عقد: إن شئتُ قتلتُ، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست»[٤]. انتهى كلام الذهبيّ.

وقال عُلَيّ ـ وعليّ مصغر ـ بن رَبَاح: «المغرب[٥] كله عنوة»، فتدخل مصر فيها.

وقال آبن عمر: افتتحت مصر بغير عهد. وقال يزيد بن أبي حبيب: «مصر كلها صلح إلا الإسكندرية».

---

(١) في الأصول «باب اللوق». والتصحيح من فتوح مصر لابن عبد الحكم. وبابليون حصن قديم يشتمل على قلعة عظيمة، على الحدود بين مصر العليا ومصر السفلى. ولا تزال بقايا هذا الحصن موجودة على عمق حوالى ستة أمتار من مستوى الشارع الرئيسي بمصر القديمة. وقد سمّاه العرب قصر الشمع. وكان بابليون بالقرب من المكان الذي سمي الفسطاط؛ ومع الزمن زال التمييز بينهما. واتسع مدلول اسم بابليون حتى أطلقوه على جميع المدن الممتدة من قصر الشمع إلى الفسطاط فالقاهرة فالمطرية بعين شمس. وقد استعمله الغربيون للإشارة إلى مصر كلها: فقد سمّى Mandeville و Boccaccio صلاح الدين باسم سلطان بابليون Soldano di Babilonia. وإلى هذا المعنى العام أشار ياقوت في معجم البلدان بقوله: «وهو اسم عام لديار مصر بلغة القدماء». وقد ذكره ياقوت باسم «باب أليون» معتبراً أن «أليون» اسم القرية التي وقعت فيها المواجهة أيام فتح مصر، و«باب» مضاف إليه. وذكره البلاذري في فتوح البلدان باسم «أليونة». قال: «فقاتله أهل أليونة ففتحها قهراً».
(انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥٥٣/٥؛ ومعجم البلدان: ٢٤٨/١، ٣١١؛ وفتوح البلدان: ٢١٦؛ ودراسات عن ابن عبد الحكم: ٧٧؛ وحول تسميته بقصر الشمع انظر خطط المقريزي: ٢٨٧/١).

(٢) في تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٢ «فامتنعوا».

(٣) زاد خليفة: «فكتب عمر: أكلة وأكلات خيرٌ من إفرازها». وفي تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩/٢: «أكلة وأكلات خيرٌ من أكلة أقروها».

(٤) زاد خليفة: «إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى به» ـ وأنطابلس هي برقة الآن.

(٥) في الأصول «العرب» وهو تحريف. وفي فتوح البلدان: «حدثني القاسم بن سلام عن عبد الله بن صالح عن موسى بن عُلَيّ بن رباح اللخمي عن أبيه.. الخ».

وأمّا فتوح مصر لابن عبد الحكم فقد أخبرنا به حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حَجَر العسقلانيّ الشافعيّ مشافهة قال: قرأت على أبـي المعالي عبد الله بن عمر بن عليّ أخبرنا، إجازة إن لم يكن سماعاً، عن زُهْرة بنت عمر، أخبرنا الكمال أبو الحسن عليّ بن شُجَاع، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عليّ البُوصِيريّ، أخبرنا أبو صادق مُرْشِد بن يحيى المَدِينيّ، أخبرنا أبو الحسن علي بن مُنِير الخَلَّال وأبو بكر محمد بن أحمد بن الفَرَج الأنصاري، أخبرنا أبو القاسم علي بن الحَسَن بن خَلَف بن قُدَيد الأَزْدِي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال:

لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية(١) قام إليه عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ فخلا به وقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أسير إلى مصر؛ وحرَّضه عليها وقال: إنك(٢) إن فتحتها كانت قوّة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجز[ها](٣) عن القتال والحرب؛ فتخوَّف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظِّم أمرها عنده ويخبره بحالها ويهوّن عليه فتحها، حتى ركن إليه عمر وعقد له على أربعة آلاف رجل [كلهم من عَكّ](٣)، ويقال: [بل](٣) ثلاثة آلاف وخمسمائة، وقال له عمر: «سِر وأنا مستخير الله في مسيرك، وسيأتيك كتابـي سريعاً إن شاء الله تعالى؛ فإن أدركك كتابـي آمرك فيه

---

(١) قرية من نواحي الجولان على مسيرة يوم إلى الجنوب الشرقي من دمشق.

(٢) عبارة «إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين. .» جعلها ابن إياس في «بدائع الزهور» على لسان عمر بن الخطاب. وابن إياس في ذلك ينقل عن ابن عبد الحكم!! وهو لا شك واهم في ذلك؛ فجميع المصادر تذكر ذلك على لسان عمرو بن العاص. (بدائع الزهور: الجزء الأول ـ القسم الأول ص ٩٤).

(٣) الزيادة من «فتوح مصر» لابن عبد الحكم والخطط للمقريزي. و«عك» بطن من بطون العرب أصلهم من مدن اليمن التهامية. وقد اختلف في نسبهم: فأرجعهم البعض إلى العدنانية، والبعض الآخر إلى القحطانية. وكانوا ممن ارتدَّ بعد وفاة النبي ﷺ فما كان من أبي بكر الصدّيق إلا أن أرسل إليهم الطاهر بن أبي هالة فواقعهم وقتلهم شرّ قتلة. وذكر الكندي أن عمرو بن العاص قدم إلى مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة، ثلثهم من قبيلة غافق ـ وهي من الأزد ـ ولم يذكر قبيلة عك. (انظر ولاة مصر: ٣١ ـ ٣٢؛ ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٨١٢).

بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فآنصرف، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فآمضِ لوجهك وآستعن بالله وآستنصره».

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس؛ فآستخار عمر[١] وكاتبه ــ يتخوّف على المسلمين ــ بالرجوع، فأدرك الكتاب عَمراً وهو برَفَح؛ فتخوّف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول، ودافعه، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رَفَح والعريش، فسأل [عنها][٢] فقيل: إنها من أرض مصر، فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين؛ فقال عمرو لمن معه: ألستم تعلمون أنّ هذه القرية من أرض مصر؟ قالوا: بلى، قال: فإن أمير المؤمنين عهد إليَّ وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا وآمضوا على بركة الله. وقيل غير ذلك: وهو أن عمر أمره بالرجوع وخشّن عليه في القول[٣].

وروي نحو مما ذكرنا من وجه آخر، من ذلك: أن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ دخل على عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ فقال عمر له: كتبت إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر من الشأم، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، إنّ عَمراً لمجرَّأ وفيه إقدام وحب للإمارة، فأخشىٰ أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرّض المسلمين للهلكة رجاءَ فرصة لا يُدرىٰ تكون أم لا؛ فندم عمر على كتابه

(١) عبارة ابن عبد الحكم والمقريزي: «واستخار عمر الله؛ فكأنه تخوّف على المسلمين في وجههم ذلك؛ فكتب إلى عمرو بن العاص يأمره أن ينصرف بمن معه من المسلمين، فأدرك... الخ» (فتوح مصر وأخبارها: ص ٥٦؛ وخطط المقريزي: ١/٢٨٨).

(٢) الزيادة من فتوح مصر والمقريزي.

(٣) من ذلك رواية البلاذري في فتوح البلدان. قال: «قالوا: وكان عمرو بن العاص حاصر قيسارية بعد انصراف الناس من حرب اليرموك، ثم استخلف عليها ابنه، ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه في ثلاثة آلاف وخمسمائة؛ فغضب عمر لذلك، وكتب إليه يوبّخه ويعنّفه على افتتانه عليه برأيه، وأمره بالرجوع إلى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر؛ فورد الكتاب عليه وهو بالعريش». ويذكر الكندي رواية مشابهة. (فتوح البلدان: ١/٢٤٩؛ ولاة مصر: ٣١).

إلى عمرو إشفاقاً على(١) المسلمين، ثم قال عثمان: فاكتب إليه: «إن أدركك كتابي هذا قبل أن تدخل مصر فآرجع إلى موضعك، وإن كنت دخلت فآمضِ لوجهك».

فلما بلغ المُقَوْقِسَ قدومُ عمرو بن العاص إلى مصر، توجَّه إلى موضع الفُسْطاط، فكان يجهز على عمرو الجيوش؛ وكان على القصر (يعني قصر الشمع الذي بمصر القديمة) رجل من الروم يقال له الأُعَيْرِج(٢) والياً عليه، وكان تحت يد المقوقس، وآسمه: جُرَيج(٣) بن مِينَا.

وأقبل عمرو حتى إذا كان بالعريش(٤)، فكان أوّل موضع قُوتل فيه الفَرَمَا(٥): قاتلته الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر، ثم فتح الله على يديه؛ وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ خروجه من قَيْسارِيَّة إلى أن فرغ من حربه.

ثم مضى عمرو نحو مصر؛ وكان بالإسكندرية أُسْقُف للقِبْط يقال له:

---

(١) في ابن عبد الحكم: «إشفاقاً مما قال عثمان، فكتب إليه..».

(٢) في بدائع الزهور: «الأعرج». وفي ولاة مصر للكندي: «المندقور الذي يقال له الأعرج».

(٣) المقوقس رجل روماني الأصل عيّنه هرقل حاكماً على مصر. وقد سماه العرب بأسماء مختلفة: فابن عبد الحكم يسمّيه «جريج بن مينا بن قرقب» وسماه ابن الوردي في كتابه عن تاريخ مصر «جورج بن منى»، وسماه الكندي: «المقوقس بن قرقب اليوناني». ويظهر من ذلك أن الاسم الأول للمقوقس كان «جورج». ويرى بعض الدارسين أن كلمة «مقوقس» هي تحريف للقب اليوناني «ميج ــ أو ــ كيس» الذي معناه حرفياً: عظيم الفخامة. والظاهر أن كلمة «مقوقس» منحوتة من هذه الكلمة اليونانية. ويرى «بتلر» (في كتابه: فتح العرب لمصر) أن اسم المقوقس هو: «سيرس». وبتلر هو أول مؤرخ في العصر الحديث ناقش موضوع سيرس وقارنه باسم المقوقس. (انظر دراسات عن ابن عبد الحكم: ص ٧٩؛ وولاة مصر: ٣١).

(٤) السياق الذي يذكره ابن عبد الحكم والمقريزي هو التالي: «وأقبل عمرو، حتى إذا كان بجبل الحَلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم. فتوجه عمرو، حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر، فضحى عن أصحابه يومئذ بكبش، وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه الفَرَما».

(٥) الفَرَما مدينة قديمة آثارها اليوم باقية في الجنوب الشرقي من بورسعيد بمصر. ويقال لها أيضاً «الفرماء». وكانت هذه المدينة قائمة على جانب بحيرة «تنيس» مما يلي الشرق.

(معجم البلدان: ٤/٢٥٤؛ والنجوم الزاهرة (طبعة المؤسسة المصرية العامة): ١/٧، حاشية مأخوذة عن عقد الجمان للعيني؛ وفتوح البلدان: ٣/٧٥٧).

أبو ميامين[١]؛ فلما بلغه قدوم عمرو إلى مصر كتب إلى قِبط مصر يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة، وأن ملكهم قد آنقطع؛ وأَمرهم بتلقي عمرو.

ويقال: إن القبط الذين كانوا بالفَرَما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً.

ثم توجه عمرو لا يدافَع إلا بالأمر الأخف حتى نزل القواصر[٢]، فسمع رجل من لَخْم نفراً من القبط يقول بعضهم لبعض: ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس! فأجابه رجل منهم فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا أَخيرَهم[٣].

ثم تقدّم عمرو أيضاً لا يدافـع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بِلْبَيْس[٤]، فقاتل نحواً من شهر حتى فتـح الله عليه[٥].

---

(١) اللفظ محرّف عن «بنيامين». وهو الأنبا بنيامين الذي كان بابا وبطريركاً على جميع أقباط مصر؛ وترتيبه في تعداد بابوات الكنيسة القبطية الثامن والثلاثون. وكان الامبراطور هيراكليوس (هرقل) قد عزله لرفضه وأقباط مصر مذهب الطبيعتين الذي أرادت الدولة البيزنطية أن تفرضه على أقباط مصر القائلين بمذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزية). وأمر هرقل بقتله، فاعتكف بنيامين في أحد الأديرة البعيدة وبقي هناك حتى دخول العرب مصر. ولما يئس هرقل من معرفة مكان الأنبا بنيامين قبض على أخيه «مينا» وقام بتعذيبه حتى يـذكر مكان وجود أخيه، فلما رفض ذلك أغرقه في النيل. وقد مات بنيامين بعد موت عمرو بن العاص بأيام قلائل.
(دراسات عن ابن عبد الحكم: ص ٧٨ ــ ٨٢).

(٢) بين الفرما والفسطاط (معجم البلدان: ٤/٤١١).

(٣) في فتوح مصر: «خيرهم».

(٤) كذا ضبطها في صبح الأعشى وفي تقويم البلدان. قال القلقشندي: «والجاري على الألسنة ضمّ الباء في أولها». وضبطها ياقوت في معجم البلدان بكسر البائين وسكون اللام. وفي معجم ما استعجم للبكري: بفتح أوله وإسكان ثانيه. وفي القاموس: بضم الباء، كغُرنيق. وقد كانت «بلبيس» مقر ولاية عمل الشرقية بمصـر. (صبح الأعشى: ٣/٤٥٩؛ معجم البلدان: ١/٤٧٩؛ معجم مـا استعجم: ١/٢٧٢).

(٥) لما وصل عمرو إلى بلبيس وجد بها «الأرطبون»، وكان قد فرّ إلى مصر قبل تسليم بيت المقدس لعمر بن الخطاب، فهزمه عمرو واستولى على المدينة بعد شهر لم ينقطـع فيه القتال. ويقال إن ابنة المقوقس كانت بها حين فتحها المسلمون، فأرسلها عمرو إلى أبيها معززة مكرمة، مما أكسب المسلمين محبة القبط، فحسن رأيهم فيهم وفي حكمهم.
(تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن: ١/٢٣٦).

ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أمَّ دُنَين[١]، فقاتلوا من بها قتالاً شديداً. وأبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ يستمدّه، فأمدَّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف مع عمرو، فوصلوا إليه أرْسالاً يتبع بعضهم بعضاً؛ ثم أحاط المسلمون بالحصن، وأميره يومئذ المَنْدَقُور الذي يقال له «الأعيرج» من قبل المقوقِس: وهو ابن قُرْقُب اليونانيّ. وكان المقوقِس ينزل بالإسكندرية وهو في سلطان هِرَقْل، غير أنه كان حاضراً الحصن حين حاصره المسلمون، فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن، وجاء رجل إلى عمرو وقال: اندب معي خيلاً حتى آتيَ من ورائهم عند القتال، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حُذَافة، في قول، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغار بني وائل قبل الصبح؛ وكانت الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له أبواباً وبَثُّوا في أفنيتها حَسَك الحديد[٢]، فالتقاهم القوم حين أصبحوا، وخرج خارجة من ورائهم، فانهزموا حتى دخلوا الحصن، وقاتلهم قتالاً شديداً بصبحهم وعشيهم؛ فلما أبطأ الفتح على عمرو كتب إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ يستمدّه ويعلمه بذلك، فأمدّه بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزُّبَير بن العَوّام، والمِقْداد بن الأسود[٣]، وعُبَادة بن الصَّامِت، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد ـ في قول ـ وقيل: خَارِجة بن حُذَافة الرابعُ، لا يعدّون مسلمة[٤]. وقال عمر له: اعلم أن معك آثني عشر ألفاً ولن تُغلب اثنا عشر ألفاً من قِلّة[٥].

---

(١) هي «تندونياس» قديماً؛ وسمّاها العرب فيما بعد «أم دنين»، ثم سميت «المقس». وكانت على النيل، وموقعها الآن جامع أولاد عنان وشارع كامل وحديقة الأزبكية.
(تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن: ١/٢٣٦؛ وطبعة المؤسسة المصرية: ١/٨ ـ حاشية، والخطط التوفيقية الجديدة: ١/٣٢).

(٢) هي المعروفة اليوم بالأسلاك الشائكة.

(٣) في ابن عبد الحكم والمقريزي: «المقداد بن عمرو». والاسمان لواحد. وقد سمّي «المقداد بن الأسود» نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري الذي تبنّاه لما ضرب المقداد رجل ابن شمر بن حجر الكندي بالسيف وهرب إلى مكة. ولما نزلت الآية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ عاد فتسمى باسمه الأصلي «المقداد بن عمرو». توفي سنة ٣٣هـ. (الأعلام: ٧/٢٨٢؛ والإصابة: ترجمة ٨١٧٩).

(٤) في فتوح البلدان: «فيهم خارجة بن حذافة العدوي وعمير بن وهب الجمحي».

(٥) لما وصل هذا المدد إلى عين شمس سار عمرو لملاقاته. وتقدم «تيودور» قائد الروم في عشرين ألفاً، =

وقيل غير ذلك؛ وهو أنّ الزبير ـ رضي الله عنه ـ قدم إلى عمرو في اثني عشر ألفاً، وأنّ عمراً لما قدم من الشأم كان في عدّة قليلة، فكان يفرّق أصحابه ليرى العدوّ أنهم أكثر مما هم؛ فلما آنتهى إلى الخندق بادره رجل(١) بأن قال: قد رأينا ما صنعت، وإنما معك من أصحابك كذا وكذا، فلم يخطئوا برجل واحد؛ فأقام عمرو على ذلك أياماً يغدو في السحر فيصفّ أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح؛ فبينما هم على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوّام في آثني عشر ألفاً فتلقاه عمرو، ثم أقبلا فلم يلبث الزبير أن ركب وطاف بالخندق، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وألح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق.

ودخل عمرو إلى صاحب الحصن فتناظرا في شيء مما هم فيه، فقال عمرو: أخرج وأستشير أصحابي؛ وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مرّ به عمرو أن يلقيَ عليه صخرة فيقتله، فمرّ عمرو، وهو يريد الخروج، برجل من العرب فقال له: «قد دخلت فآنظر كيف تخرج»، فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له: إني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، فقال العِلْج في نفسه: قتل جماعة أحب إليّ من قتل واحد؛ فأرسل إلى الذي كان أمره بما أمره من أمر عمرو ألا يتعرّض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم، فخرج عمرو(٢).

= فوضع له عمرو كميناً في الجبل الأحمر شرقي العباسية، وآخر على النيل قريباً من أم دنين، ولاقاه ببقية الجيش. ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي كان في الجبل الأحمر وانقضّ على الروم، فاختلّ نظامهم وعرجوا على أم دنين، فقاتلهم الكمين الذي كان في أم دنين فأصبحوا بين جيوش العرب الثلاثة وحلت بهم الهزيمة، ولم يبق منهم إلا عدد قليل سار بعضهم في النيل، وفر البعض الآخر إلى حصن بابليون. واتخذ عمرو عين شمس مركزاً لقيادته العسكرية. (تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن: ١/٢٣٦).

(١) في المقريزي: «نادوه».

(٢) أوردابن إياس في بدائع الزهور: ج ١ ـ ق ٩٥/١ هذه الرواية ببعض اختلاف، قال: «وكان في الحصن علج من علوج الروم يقال له الأعرج، فقال لمن حوله: إذا مرّ عليكم عمرو، أمير القوم، فألقوا عليه صخرة فتقتله. فمر عليهم عمرو، فحالوا بينه وبين أصحابه، فقال لهم عمرو: أنا أصغر من في القوم، ولا يضرّهم قتلي إن قتلتموني. فقال الأعرج في نفسه: «وإيش يفيد من قتل واحد من جماعة كثيرة؟» فأمر بإطلاقه، فخرج إلى أصحابه سالماً، ولم يعلم الأعرج أنه أمير القوم. وكانت هذه الحيلة التي دبّرها عمرو أول المكائد منه».

وبينما عبادة بن الصامت في ناحية يصلي، وفرسه عنده، رآه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبِزّة، فلما دنوا منه سلم من الصلاة ووثب على فرسه ثم حمل عليهم؛ فلما رأوه ولّوا هاربين وتبعهم، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم، فصار لا يلتفت إليه حتى دخلوا إلى الحصن؛ ورُمِي عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع ولم يتعرّض لشيء مما طرحوه من متاعهم، حتى رجع إلى موضعه الذي كان فيه فاستقبل الصلاة؛ وخرج الروم إلى متاعهم وجمعوه.

فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير: إني أهب نفسي لله تعالى، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين؛ فوضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحَمَّام، ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره يجيبونه[١] جميعاً؛ فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبّر ومعه السيف؛ وتحامل الناس على السلَّم حتى نهاهم عمرو خوفاً أن ينكسر السلم؛ وكبّر الزبير تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج، فلم يشك أهل الحصن أنّ العرب قد آقتحموا جميعاً الحصن، فهربوا وعمد الزبير بأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن. فلما خاف المقوقِس على نفسه ومن معه سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم، فأجابه عمرو إلى ذلك.

وكان مَكْثُهم على القتال[٢] حتى فتح الله عليهم سبعة أشهر. انتهى[٣] كلام ابن عبد الحكم باختصار.

وقال غيره[٤] في الفتح وجهاً آخر. قال[٤]: لما حصر المسلمون «بابليون»،

(١) في ابن عبد الحكم والمقريزي «أن يجيبوه جميعاً».

(٢) في ابن عبد الحكم والمقريزي: «فكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر».

(٣) الواقع أن كلام ابن عبد الحكم لم ينته بعد. وما سينقله أبو المحاسن ــ فيما يأتي ــ هو عن فتوح مصر: ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) أيضاً النقل هنا عن ابن عبد الحكم. وعبارة ابن عبد الحكم: «وقد سمعت في فتح القصر وجهاً آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب أليون. . . إلخ».

وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقِس، فقاتلوهم شهراً؛ فلما رأى القوم الجدَّ من العرب على فتحه والحرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحّى المقوقِس وجماعة من أكابر الأقباط وخرجوا من باب القصر القبليّ، وتركوا به جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة[١] (موضع الصناعة اليوم) وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل. ويقال: إنّ الأعيرج تخلّف بالحصن بعد المقوقِس؛ [وقيل خرج معهم؛ فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة][٢] فأرسل المقوقِس إلى عمرو:

«إنكم قد ولجتم في بلادنا وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا؛ وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدّة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل؛ وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتيَ الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه. ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطلبكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء».

فلما أتت عَمراً رسل المقوقِس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقِس فقال لأصحابه: «أترون أنهم يقتلون الرسل ويستحلّون ذلك في دينهم!» وإنما أراد عمرو بذلك أنهم يرون[٣] حال المسلمين.

---

(١) أي جزيرة الروضة. قال المقريزي (خطط: ٢/١٧٧): والروضة تطلق في زماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة. وعرفت في أول الإسلام «بالجزيرة» و«بجزيرة مصر» ثم قيل لها «جزيرة الحصن» وعرفت إلى اليوم بالروضة. وبها كانت الصناعة، يعني صناعة السفن الحربية، أي كانت بها «دار الصناعة». وسماها القضاعي «جزيرة فسطاط مصر»، وكذلك الكندي (ولاة مصر: ٢٤٤). ونقل المقريزي عن الكندي قوله: «بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة أربع وخمسين (أي ٢٥٤هـ) وحصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حرمه وماله...».

(٢) الزيادة من ابن عبد الحكم والمقريزي.

(٣) في المقريزي: «أن يروا».

فردّ عليهم عمرو مع رسلهم: «إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال:

إمّا أن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا. وإن أبيتم فأعطيتم[١] الجزية عن يد وأنتم صاغرون. وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين». فلما جاءت رسل المقوقِس إليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا:

«رأينا قوماً الموت أحبُّ إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة؛ ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهَمة؛ وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على رُكَبهم، وأميرهم كواحد منهم؛ ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيِّد من العبد؛ وإذا حضرت الصلاة لم يتخلّف عنها منهم أحد؛ يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقِس: «والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها؛ وما يقوى على قتال هؤلاء أحد! ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم».

فردّ إليهم المقوقس رسله يقول لهم: «ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم».

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عُبَادة بن الصامت، وكان طوله عشرة أشبار؛ وأمره عمرو أن يكون متكلِّم القوم، وألّا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال، فإنّ أمير المؤمنين قد تقدّم إليَّ[٢] في ذلك وأمرني ألا أقبل شيئاً إلا خصلة من هذه الثلاث الخصال؛ وكان عبادة أسود، فلما ركبوا

---

(١) كذا أيضاً في ابن عبد الحكم والمقريزي. ولعل الفاء هنا زائدة من قلم الناسخ، أو لعل أصل الجملة «وإما أن أبيتم فأعطيتم...».

(٢) الضمير هنا عائد إلى عمرو بن العاص.

السفن إلى المقوقِس ودخلوا عليه، تقدّم عبادة، فهابه المقوقِس لسواده وقال: «نَحُّوا عنِّي هذا الأسود وقدّموا غيره يكلمني»؛ فقالوا جميعاً: «إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيّدنا وخيِّرنا والمقدَّم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله».

فقال: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم؟ قالوا: كلا! إنه وإن كان أسودًاكما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً؛ وليس يُنكر السواد فينا؛ فقال المقوقِس لعبادة: تقدَّم يا أسود وكلمني برفق فإنني أهاب سوادك؛ وإن آشتدّ كلامك عليَّ آزددت لك هيبة؛ فتقدّم إليه عبادة فقال:

قد سمعت مقالتك، وإنّ فيمن خَلَّفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشدّ سواداً مني وأفظع منظراً؛ ولو رأيتهم لكنتَ أهيب لهم مني؛ وأنا قد ولَّيت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوّي لو آستقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي؛ وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله وآتّباع رضوانه، وليس غزونا عدوّاً ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها، إلا أن الله عز وجل قد أحلَّ ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسدّ بها جوعته ليلته ونهاره، وشملة يلتحفها؛ وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى، واقتصر على هذه[1] بيده، ويبلغه ما كان في الدنيا لأنّ نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء؛ إنما النعيم والرخاء في الآخرة؛ بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألاّ تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوّه.

فلما سمع المقوقِس ذلك منه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا

(١) في ابن عبد الحكم والمقريزي «هذا الذي بيده».

الرجل قط! لقد هِبْتُ منظره، وإنّ قوله لأهيب عندي من منظره؛ إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عُبَادة بن الصامت فقال:

أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك؛ ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها؛ وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدّة ممن لا يبالي أحدهم مَن لقي ولا مَن قاتل؛ وإنّا لنعلم أنكم لن تقوَوا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم؛ وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم، ونحن نرقّ عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين، ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوّة لكم به.

فقال عبادة: يا هذا، لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابَك. أمّا ما تخوّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنّا لا نقوى عليهم، فلَعَمْري ما هذا بالذي تخوّفنا به ولا بالذي يَكْسِرنا عما نحن فيه؛ إن كان ما قلتم حقاً فذلك، والله، أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم، لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قَدِمنا عليه إن قُتِلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقرّ لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وإنّا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين: إمّا أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظَفِرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا؛ وإنها لأحبّ الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١) وما منا رجل إلا وهو يدعو ربّه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يردّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

لأحد منا همّ فيما خَلَّفه، وقد استودع كل واحد منا ربَّه أهلَه وولده، وإنما همُّنا [ما][١] أمامنا.

وأما قولك: إنا في ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة: لو كانت الدنيا كلّها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه؛ فانظر الذي تريد فبيِّنه لنا، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيتها شئت، ولا تُطمع نفسك في الباطل؛ بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أميرُ المؤمنين، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَله إلينا:

إما إجابتكم[٢] إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته ــ صلوات الله عليهم ــ أمرنا الله تعالى أن نقاتل مَن خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه؛ فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أخانا في دين الإسلام؛ فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحلّ أذاكم ولا التعرّض لكم؛ وإن أبيتم إلا الجزية فأدّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون: نعاملكم على شيء نرضاه نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم مَن ناوأكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمّتنا وكان لكم به عهد علينا؛ وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره؛ فانظروا لأنفسكم.

فقال المقوقِس: هذا لا يكون أبداً! ما تريدون إلا أن تتَّخذونا عبيداً ما كانت الدنيا. فقال عبادة: هو ذلك فاختر ما شئت. فقال المقوقِس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث الخصال؟ فرفع عبادة يديه وقال: لا وربِّ هذه السماء وربِّ هذه الأرض وربِّ كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فآختاروا لأنفسكم.

---

(١) الزيادة عن ابن عبد الحكم والمقريزي.

(٢) في ابن عبد الحكم «إمّا أجبتم».

فالتفت المقوقِس عند ذلك لأصحابه وقال: قد فرغ القوم فما ترون؟ فقالوا: أَوَ يرضى أحد بهذا الذل! أمّا ما أرادوا من دخولنا إلى دينهم فهذا ما لا يكون أبداً، نترك دين المسيح ابن مريم وندخل في دين لا نعرفه؟! وأمّا ما أرادوا من أن يَسْبُونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك؛ لو رضوا منا أن نُضَعِّف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا.

قال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم فما ترى؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم في مرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون. فقام عبادة وأصحابه[١].

فقال المقوقِس لأصحابه: أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث؛ فوالله ما لكم بهم طاقة! ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنّهم إلى ما هو أعظم كارهين. فقالوا: وأيّ خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذاً أخبركم. أمّا دخولكم في غير دينكم فلا آمُرُكم به؛ وأمّا قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم؛ ولا بدّ من الثالثة؛ قالوا: فنكون لهم عبيداً أبداً؟ قال: نعم، تكونون عبيداً مسلَّطين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم [خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيداً تُباعوا وتمزّقوا في البلاد مستعبَدين أبداً أنتم وأهلكم وذراريكم][٢]. قالوا: فالموت أهون علينا. وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط، وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم [جمع] كثير.

فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على مَن بالقصر حتى ظفروا بهم، وأمكن الله منهم، فقُتِل منهم خلق كثير وأُسر من أُسر منهم؛ وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة، وصار المسلمون [يراقبونهم و][٣] قد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن يتقدّموا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى، والمقوقس يقول لأصحابه: ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم! ما تنتظرون! فوالله

---

(١) في المقريزي: «فقال عبادة وأصحابه: لا».
(٢) الزيادة من ابن عبد الحكم والمقريزي.
(٣) الزيادة من المقريزي. وهي ضرورية إذ بدونها يكون المسلمون هم المحصورين.

لتجيبنّهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبنّهم إلى ما هو أعظم من ذلك كرهاً؛ فأطيعوني من قبل أن تندموا. فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال، أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه.

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: إني لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إليّ بها، فأبى عليَّ مَن حَضَرني من الروم والقبط، فلم يكن لي أن أفتات عليهم في أموالهم. وقد عرفوا نُصحي لهم وحُبِّي صلاحهم ورجعوا إلى قولي؛ فأعطني أماناً أجتمع أنا وأنت، [أنا](١) في نفر من أصحابي وأنت في نفر من أصحابك؛ فإن آستقام الأمر بيننا تمّ [لنا](٢) ذلك جميعاً، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنّا عليه.

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك، فقالوا: لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا [وتصير الأرض كلها لنا فيئاً وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه](١) فقال: قد علمتم ما عهد إليَّ أمير المؤمنين في عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إليّ فيها أجبتُهم إليها وقبلتُ منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم.

فآجتمعوا على عهد بينهم وآصطلحوا على أن يُفرض على جميع مَن بمصر، أعلاها وأسفلها، من القبط ديناران ديناران(٣) على كل نفسٍ، شريفهم ووضيعهم، ممن بلغ منهم الحُلُم، ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء؛ وعلى أن للمسلمين عليهم النُّزْل بجماعتهم حيث نزلوا؛ ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يُتعرّض لهم في شيء منها.

فشُرِط ذلك كله على القبط خاصة. وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة مَن بلغ

---

(١) الزيادة من ابن عبد الحكم والمقريزي.

(٢) الزيادة من ابن عبد الحكم.

(٣) في الأصل: «دينارين دينارين». وما أثبتناه عن فتوح مصر.

منهم الجزية وفُرِض عليهم الديناران؛ رفع ذلك عرفاؤهم بالأَيمان المؤكدة، فكان جميع مَن أحصي يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكُتبوا أكثر من ستة آلاف(١) نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف(١) دينار في كل سنة؛ وقيل غير ذلك.

وقال عبد الله بن لَهِيعة عن يحيى بن ميمون الحضرميّ: لما فتح عمرو مصر، صالح أهلها عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبيّ، فأُحصوا بذلك على دينارين دينارين، فبلغت عدّتهم ثمانية آلاف ألف(١). قال: وشرط المقوقِس للروم أن

(١) كذا في أصول النجوم الزاهرة. وفي ابن عبد الحكم والمقريزي «ستة آلاف ألف... اثني عشر ألف ألف». ولعل لفظ «ألف» في الرقمين الأول والثاني ساقط من قلم الناسخ. وفي جميع الأحوال فإن هذه الأرقام: ستة آلاف نفس، أو ستة ملايين نفس، أو الرقم الذي ينقله عن عبد الله بن لهيعة فيما يأتي وهو ثمانية ملايين نفس، جميعها بعيدة عن الصواب: إذ لا يعقل أن يكون عدد سكان مصر بمجموعهم ٢٤ ألف نسمة، أو ٢٤ مليون نسمة أو ٣٢ مليون نسمة (إذا اعتبرنا أن عدد البالغين من الرجال ممن تتوجّب عليهم الجزية يقارب ربع عدد السكان عادة). ولعل الأرقام التي أوردها البلاذري في فتوح البلدان، عن يزيد بن حبيب، أقرب إلى الصواب. قال: «جبى عمرو بن العاص خراج مصر وجزيتها ألفي ألف دينار، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ــ في خلافة عثمان ــ أربعة آلاف ألف. فقال عثمان لعمرو: إن اللقاح بمصر بعدك قد درّت ألبانها، قال: ذلك لأنكم أعجفتموها» (فتوح البلدان: ٢٥٣). وبهذا يكون عدد سكان مصر بمجموعهم حسب رواية البلاذري يتراوح بين ثمانية ملايين وستة عشر مليوناً؛ والرواية نفسها ترجّح الرقم الأول ــ أي ثمانية ملايين ــ إذ اعتبر عمرو بن العاص أن الزيادة التي طرأت على متحصل الجزية والخراج إنما هي نتيجة المبالغة في جمع الجزية وتحيّف أهلها ــ وليس نتيجة زيادة في عدد السكان ــ وذلك بقوله: ذلك لأنكم أعجفتموها.

ويرى الدارسون الحديثون أن عدد سكان مصر في تلك الفترة كان حوالى ستة ملايين نسمة (بما فيهم النساء والشيوخ وغير الحالمين). فلو قسمنا هذا الرقم على أربعة لنحصل على عدد من تتوجب عليهم الجزية، ثم نضاعفه باعتبار الدينارين على كل فرد لحصلنا على الرقم ثلاثة ملايين دينار، وهو الرقم الوسط بين الرقمين اللذين أوردهما البلاذري. ويستند الدارسون المحدثون على بعض الأرقام التي وصلتنا عن سكان مصر من العصرين اليوناني والروماني. فبالنسبة للفترة الأخيرة من الدولة البطلمية يذكر ديودور الصقلي «أن مجموع السكان من قديم كان نحواً من سبعة ملايين، وأنه لم يقلّ عن ذلك حتى عصرنا هذا». وفي النصف الثاني من القرن الأول الميلادي يذكر يوسيفوس «أن مجموع سكان مصر ــ باستثناء الإسكندرية ــ بلغ سبعة ملايين ونصف مليون، كما يستدلّ من سجلّات ضريبة الرأس». ويتضح من هذه العبارة الأخيرة أنه كان للإسكندرية إحصاء خاص لم يدخل ضمن الإحصاء العام

يخيّروا: فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماً له مُفترَضاً عليه ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج؛ وعلى أن المقوقِس له الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى مَلِك الروم يعلمه بما فعل؛ فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم، وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه.

قلت(١): وقد آختُلف بعد ذلك في فتح مصر: هل فُتحت صلحاً أم عَنْوة؛ فمن قال: إن مصر فتحت بصلح، احتجَّ بما ذكرناه ونحوه بمثل ما ذكره القضاعيّ وغيره، وقالوا: إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقِس؛ وعلى ذلك أكثر علماء أهل مصر، منهم عُقبة بن عامر، ويزيد بن أبي حبيب والليث بن سعد وغيرهم.

= لسائر سكان مصر؛ وذلك لما تمتعت به الإسكندرية من مركز خاص وصفة استقلالية معينة في العصرين اليوناني والروماني. وحتى بعد أن سقطت عنها هذه الصفة في العصر البيزنطي لا يبعد أن استمر العمل بالاحتفاظ بإحصاء خاص لها، لأن الدولة في العصر البيزنطي كانت توزع على سكان الإسكندرية عطاء سنوياً من الغلال.

ويقبل أكثر العلماء الحديثين صحة الأرقام التي أوردها كل من تيودور الصقلي ويوسيفوس، على أساس أن سبعة ملايين تمثل عدد سكان مصر في فترة ضعف الدولة البطلمية، وسبعة ملايين ونصف تمثل الزيادة التي حدثت في فترة الاستقرار خلال القرنين الأولين من العصر الروماني. وإذا تتبعنا الأحداث التي تلاحقت على مصر بعد ذلك ابتداء من القرن الثالث الميلادي، من حروب أهلية واضطهادات دينية ثم إرهاق اقتصادي من قبل الدولة، ثم الطاعون الذي اجتاح مصر عام ٥٤٢م، كل ذلك أدى إلى نقصان عدد السكان بصفة عامة. وعلى ذلك ليس مستغرباً أن يكون عدد السكان في مصر قد تناقص من سبعة ملايين ونصف في القرن الأول ـ حسب رواية يوسيفوس ـ إلى ستة ملايين. (انظر دراسات عن ابن عبد الحكم: مصر عند الفتح العربي للدكتور مصطفى العبادي ص ٩٨ ـ ١٠٠). أما قوله: «فكان جميع من أحصي بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط» فإنه يوحي بأن الصلح قد تمّ مباشرة بعد فتح حصن بابليون. والذي تؤكده روايات ابن عبد الحكم والمقريزي والطبري وابن خلدون أن الصلح مع المقوقس قد تمّ بعد فتح الإسكندرية.

(١) كان جديراً بابن تغري بردي أن ينقل عن ابن عبد الحكم أو المقريزي بعض التفاصيل الهامة المتعلقة برفض ملك الروم لما اتفق عليه المقوقس وعمرو بن العاص، والرسالة التي بعث بها ملك الروم إلى المقوقس يقبح فيها رأيه ويحط من شأن العرب، ثم جواب المقوقس على تلك الرسالة وتمسكه بما صالح عليه وبالتالي انحيازه إلى جانب العرب. (انظر خطط المقريزي: ١/٢٩٣).

وذهب الذي قال إنها فتحت عنوة إلى أن الحصن فتح عنوة وكان حُكم جميع الأرض كذلك؛ وهم عبيد الله بن المغيرة الشيباني، ومالك بن أنس، وعبد الله بن وهب وغيرهم.

وذهب قوم إلى أن بعضها فتح عنوة، وبعضها فتح صلحاً؛ منهم عبد الله بن لهيعة[(١)]، وابن شهاب الزهريّ وغيرهما.

قال عبيد الله[(٢)] بن أبي جعفر: حدّثني رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال: للقبط عهد عند فلان، وعهد عند فلان؛ فسمى ثلاثة نفر. وفي رواية: إن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم.

قال: وسألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر؛ قلت له: فإنَّ ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد؛ فقال: ما يبالي ألّا يصلّي مَن قال إنه ليس لهم عهد؛ فقلت: فهل كان لهم كتاب؟ فقال: نعم، كُتُب ثلاثة: كتاب عند طَلْمَا صاحب إخْنَا، وكتاب عند قزمان صاحب رشيد، وكتاب عند يُحَنَّس صاحب البَرَلُّس؛ قلت: كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية، وأرزاق المسلمين؛ قلت: أفتعلم ما كان من الشروط؟ قال: نعم، ستة شروط: لا يُخْرَجون من ديارهم، ولا تُنزَع نساؤهم، ولا أولادهم، ولا كنوزهم، ولا أراضيهم، ولا يزاد عليهم.

وكان فتح مصر يوم الجمعة مستهل المحرّم سنة عشرين من الهجرة.

وقال ابن كثير في تاريخه[(٣)]: قال محمد بن إسحاق: فيها (يعني سنة عشرين من الهجرة) كان فتح مصر. وكذا قال الواقديّ: إنها فتحت هي والإسكندرية في هذه السنة. وقال أبو معشر: فتحت مصر سنة عشرين والإسكندرية في سنة خمس

(١) يروي المقريزي أن ابن لهيعة كان يرى فتحها عنوة. وقد أنكر هو ومالك بن أنس على الليث بن سعد شراءَه لشيء من أرض مصر لأنه كان يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب أن مصر صلح. (خطط: ١/٢٩٥).

(٢) في المقريزي «عبد الله».

(٣) البداية والنهاية: ٧/٩٩.

وعشرين. وقال سيف: فتحت مصر والإسكندرية في ربيع الأوّل سنة ست عشرة. ورجّح ذلك أبو الحسن بن الأثير في الكامل[١] لقصة بَعْث عمرو المِيرَة من مصر عام الرمادة. وهو معذور فيما رجحه. انتهى كلام ابن كثير.

وقال أيضاً في قول آخر: فتحت الإسكندرية في سنة خمس وعشرين[٢] بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة، وقيل: صلحاً على اثني عشر ألف دينار؛ وشهد فتحها جماعة كثيرة من الصحابة ــ رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن عبد الحكم: وكان مَن حُفِظ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة، وذكرهم جملة واحدة، فقال: الزبير بن العوّام؛ وسعد بن أبي وقّاص؛ وعمرو بن العاص، وكان أمير القوم؛ وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ وخارجة بن حُذافة العدويّ؛ وعبد الله بن عمر بن الخطاب؛ وقيس بن أبي العاص السهميّ؛ والمِقداد بن الأسود؛ وعبد الله بن سعد[٣] بن أبي سرح العامريّ؛ ونافع بن عبد قيس الفِهْريّ [ويقال بل هو عُقبة بن نافع؛ وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهريّ][٤]؛ وأبو رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وآبن عبدة؛ وعبد الرحمن وربيعة آبنا شُرَحْبيل بن حَسَنة؛ وَوَرْدان، مولى عمرو بن العاص، وكان حامل لواء عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهم. وقد آختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل: إنما دخلها بعد الفتح.

وشهد الفتح من الأنصار عُبادة بن الصامت، وقد شهد بدراً وبيعة العقبة؛ ومحمد بن مَسْلمة الأنصاريّ، وقد شهد بدراً، وهو الذي أرسله عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله، وهو أحد من كان صعد

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٤٠٥.

(٢) كل المصادر تجمع ــ ومنها ابن كثير وابن الأثير ــ على أن فتحها في هذه السنة كان للمرة الثانية بعد أن نقض الروم الصلح، وأرسل ملك الروم قوة بحرية لاستعادتها من يد المسلمين.

(٣) في المقريزي «بن أبي سعد» وهو خطأ.

(٤) الزيادة عن خطط المقريزي: ١/٢٩٥.

الحصن مع الزبير بن العوّام؛ ومَسْلمة بن مُخَلَّد الأنصاريّ، يقال: له صحبة؛ وأبو أيوب خالد بن زيد[١] الأنصاريّ؛ وأبو الدرداء عُوَيمر بن عامر، وقيل: عويمر بن زيد.

ومن أحياء القبائل: أبو بَصْرة[٢] حُمَيل بن بصرة الغِفاريّ؛ وأبو ذرّ جُندُب بن جُنَادة الغِفاريّ.

وشهد الفتح مع عمرو بن العاص هُبَيب بن مُغْفِل[٣]، وإليه ينسب وادي هُبيب[٤] الذي بالمغرب؛ وعبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيديّ؛ وكعب بن ضِنّة[٥] العبسيّ، ويقال: كعب بن يسار بن ضنّة؛ وعُقبة بن عامر الجُهَنيّ، وهو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه [يأمره][٦] أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر؛ وأبو زَمَعة[٧] البَلَوِيّ؛ وبِرْح[٨] بن عُسْكُل ويقال: بِرْح بن

(١) في الأصول «يزيد». وما أثبتناه من المقريزي والطبري.

(٢) في بعض النسخ «أبو نضرة جميل بن نضرة» وفي المقريزي «أبو نصرة جميل بن نصرة». وكلاهما تحريف. وما أثبتناه من حسن المحاضرة للسيوطي. قال السيوطي: «يقال: جميل (بالجيم) وهو وهم. وقال علي بن المديني: سألت شيخاً من بني غفار فقلت له: هل يعرف فيكم جميل بن بصرة؟ قلته بفتح الجيم، فقال: صحّفت يا شيخ، والله إنه حُميل بالتصغير والمهملة، وهو جدّ هذا الغلام، وأشار إلى غلام معه». (انظر الإصابة: ترجمة: ١٣٦، وحسن المحاضرة: ١١٣/١).

(٣) في المقريزي «معقل» بالقاف المثناة؛ وهو خطأ. ـ انظر الإصابة: ترجمة رقم ٨٩٣٥، ومعجم البلدان: ٣٤٦/٥، وحسن المحاضرة: ١٣٦/١.

(٤) معجم البلدان: ٣٤٦/٥.

(٥) كذا في المشتبه للذهبي وحسن المحاضرة للسيوطي. وفي أسد الغابة والمقريزي: «ضبّة». وفي الأصول «صنّة» ـ انظر النجوم الزاهرة: طبعة المؤسسة المصرية ٢١/١ ـ حاشية، والإصابة: ترجمة ٧٤٠٩، ٧٤٢٩، ٧٤٣٠.

(٦) الزيادة عن المقريزي وابن عبد الحكم.

(٧) في الأصول: «أبو ربيعة» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقريزي وحسن المحاضرة والإصابة. قال: سمّاه البلوي عبيداً بن أرقم؛ وعند أبي موسى بغير تصغير ولا اسم أب، وقال بعضهم إن اسمه عبيد بن آدم (الإصابة: ت ٤٤٧).

(٨) في الأصول: «مرج بن حسكل» وهو تحريف. وما أثبتناه من حسن المحاضرة للسيوطي مضبوطاً. قال ابن عبد الحكم: «يقال: ابن حسكل، والصواب: عسكل». وفي المقريزي: «برح بن حسكل، ويقال: برح بن عسكر». والتسمية الأخيرة ذكرها أيضاً ابن حجر في الإصابة: ت ٦٢٢.

عُسْكُر، شهد فتح مصر وآختط بها؛ وجُنادة بن أبي أميّة الأزديّ؛ وسفيان بن وهب الخَوْلاني، وله صحبة؛ ومعاوية بن حُدَيج[١] الكِنديّ، وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية، وقد آختلف فيه، فقال قوم: له صحبة، وقال آخرون: ليست له صحبة[٢]؛ وعامر، مولى حمل[٣]، الذي يقال له: عامر حمل، شهد الفتح وهو مملوك؛ وعمار بن ياسر، ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان، وجهه إليها في بعض أموره. انتهى كلام ابن عبد الحكم باختصار.

وقال ابن كثير في فتح مصر وجهاً آخر[٤]، على ما أخبرنا به شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينيّ الشافعيّ مشافهة بإجازته من الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير مجموعاً من كلام ابن إسحاق وغيره، قالوا:

لما آستكمل المسلمون فتح الشأم، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى مصر. وزعم سيف: أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس، وأردفه بالزبير بن العوّام وفي صحبته بُسْر بن أبي[٥] أرطاة وخارجة بن حُذافة وعُمَير[٦] بن وهب الجُمَحِيّ، فاجتمعوا على باب مصر، فلقيهم أبو مريم جاثليق[٧] مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات[٨]، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم.

---

(١) في المقريزي «خديج» بالمعجمة. وضبطه في الإصابة بالمهملة كما أثبتناه أعلاه.
(٢) قال الأشرم عن أحمد: ليست له صحبة. وذكره يعقوب بن سفيان وابن حبّان في التابعين، لكن ابن حبّان عاد وذكره في الصحابة أيضاً. قال البخاري: مات قبل أبي عمرو. (الإصابة: ت ٨٠٥٧).
(٣) في الإصابة: «مولى عبد الله بن يزيد الحملي، فقيل له: عامر حمل» ــ ترجمة ٦٢٨٤.
(٤) في طبعة دار الكتب: «وقال ابن كثير: في فتح مصر وجه آخر» وهو خطأ. إذ إن ابن تغري بردي يروي هنا عن البلقيني.
(انظر: البداية والنهاية: ٧/١٠٠).
(٥) كذا في الأصول. وفي البداية والنهاية «بشر بن أرطاة».
(٦) في الأصول «عمرو» والتصحيح من البداية والنهاية.
(٧) الجاثليق هو مقدّم الأساقفة عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية، ومنهم الأقباط.
(٨) في طبعة دار الكتب «البنيّات». وفي الطبري: «النيّات». وما أثبتناه من البداية والنهاية لابن كثير.

فلما تصافّوا[١] قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذِر إليكم؛ ليبرُز إليَّ أبو مريم وأبو مِريام راهبا هذه البلاد [فبرزا إليه، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلاد][٢] فاسمعا: إنّ الله بعث محمداً بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد، وأدّى إلينا كل الذي أُمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة؛ وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا [إليه][٢] فمِثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة. وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرَحِمنا منكم، وأنّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذمّة إلى ذمّة؛ ومما عهد إلينا أميرنا: «استوصوا بالقبطيين خيراً» فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم ذمّة ورحِماً.

فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها[٣] إلا الأنبياء، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك منهم[٤]، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم وأغربوا[٥]، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام. مرحباً به وأهلاً. أمّنا حتى نرجع إليك.

فقال عمرو: إنّ مثلي لا يُخدع، ولكني أؤجلكما ثلاثاً، لتنظرا ولتناظرا قومكما، وإلا ناجزتكم؛ قالا: زدنا، فزادهم يوماً؛ فقالا: زدنا، فزادهم يوماً؛ فرجعا إلى المقوقِس[٦]، فأبى أَرْطَبون[٧] أن يجيبهما، وأمر بمناهدتهم، وقال[٨] لأهل مصر: أما نحن فنجتهد أن ندفع عنكم، لا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة

(١) كذا في ابن كثير. وفي الطبري: «فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم... إلخ».
(٢) الزيادة من ابن كثير.
(٣) كذا في ابن كثير والطبري وابن الأثير. وفي الأصول: «لا يصل إليها مثلها».
(٤) في ابن كثير: «والملك فيهم».
(٥) في ابن كثير: «واعتربوا».
(٦) في الطبري: «فرجعا إلى المقوقس فهمَّ».
(٧) كان الأرطبون قائداً على جيوش الروم في بيت المقدس. ولما فتحها عمر بن الخطاب فرَّ إلى مصر.
(٨) في ابن كثير: «فقالا». وعبارة الطبري أوضح: «فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم، ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام، فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان».

أيام؛ وأشار عليهم بأن يُبَيِّتوا للمسلمين؛ فقال الملأ منهم: ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم! فألحّ الأرطبون في أن يُبَيِّتوا للمسلمين؛ ففعلوا فلم يظفروا بشيء، بل قُتِل منهم طائفة، منهم الأرطبون. وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع، وآرتقى الزبير عليهم سور البلد.

فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه؛ وآخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو. فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومِلَّتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبهم وبرّهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقض ولا تساكنهم النُّوبة[(١)]. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا آجتمعوا على هذا الصلح وآنتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جَنَى لُصُوتُهم[(٢)]؛ فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزية[(٣)] بقدرهم؛ وذمّتنا ممن أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك؛ ومن دخل في صلحهم من الروم والنُّوبة[(٤)] فله مثل[(٥)] ما لهم وعليه مثل[(٥)] ما عليهم؛ ومن أبى وآختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا؛ عليهم ما عليهم أثلاثاً [في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم][(٦)].

(١) في الطبري «ولا يساكنهم النوب».
(٢) كذا أيضاً في الطبري. وفي صبح الأعشى: «وعليه ممن جنى نصرتهم». واللُّصُوت: اللصوص؛ يقال: لِصت ولِصّ. واللفظ معرّب من اليونانية.
(٣) في الطبري: «الجزاء». وفي الصبح: «الجزى».
(٤) في الطبري: «النوب».
(٥) ساقطة من صبح الأعشى.
(٦) الزيادة عن الطبري وابن خلدون والقلقشندي.

على ما في هذا الكتاب، عهد الله وذمّة(١) رسوله وذمّة الخليفة أمير المؤمنين وذِمَم المؤمنين.

وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على ألاّ يُغْزَوْا ولا يُمْنَعوا من تجارة(٢) صادرة ولا واردة».

وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد آبناه، وكتب وَرْدان وحَضَر.

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح وآجتمعت الخيول بمصر وعَمَرُوا(٣) الفسطاط. وظهر أبو مَرْيم وأبو مِرْيام فكَلَّما عمراً في السبايا التي أُصيبت بعد المعركة؛ فأبى عمرو أن يردّها عليهما وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه(٤). فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه، أمر أن كل سَبْي أُخذ في الخمسة الأيام التي آمنهم فيها أن يردّ عليهم، وكل شيء أُخذ ممن لم يقاتل فكذلك، ومَن قاتل فلا تردّ عليه سباياه.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عتّاب، حدثنا عبد الله، أخبرني عبد الله بن عُقْبة ــ وهو عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة ــ حدّثني يزيد بن أبي حبيب عمّن سمع عبد الله بن المُغِيرة بن أبي بُرْدة يقول: سمعت سفيان بن وَهب الخَوْلاني يقول: لما آفتتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوّام فقال: يا عمرَو بن العاص، آقْسِمْها، فقال عمرو: لا أقسُمها؛ فقال الزبير: والله لتقسمنَّها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْبر؛ فقال عمرو: والله لا أقسُمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، وكتب إلى عمر؛ فكتب إليه عمر: أقِرّها حتى يغزوَ منها حَبَلُ الحَبَلة(٥). تفرّد به أحمد،

(١) في الطبري: «عهد الله وذمته وذمة رسوله».
(٢) في الأصول: «عادة». وما أثبتناه من الطبري وابن خلدون والقلقشندي.
(٣) في الطبري: «واجتمعت الخيول فمصّر عمرو الفسطاط ونزله المسلمون».
(٤) زاد الطبري: «فرجعا وهما يقولان: كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع ففي ذمة منكم».
(٥) يريد: حتى يغزو منها أولاد الأولاد ويكون عاماً في الناس والدواب، أي يكثر المسلمون فيها بالتوالد، فإذا قسمت لم يكن قد انفرد بها الآباء دون الأولاد. (انظر لسان العرب: حبل). أو لعله: «أقرَّها حتى يغزو منها ما حبل الحبلة» أي ما دامت النساء يكن حاملات، أي إلى الأبد.
(انظر محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٥٠٤ و٥٩٣).

وفي إسناده ضعف من جهة ابن لهيعة لكنه عليم بأمور مصر ومن جهة المبهم الذي لم يسمَّ، فلو صحَّ لدل على فتحها عنوة ولدلّ على أن الإمام يخيِّر في الأراضي العنوة، إن شاء قَسَمها، وإن شاء أبقاها.

قلت: قد رواه الطحاويّ بسند صحيح.

وذكر سيف: أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من لمسلمين يفرّ من الزحف، فجعل عمرو يُذَمِّرهم ويحثّهم على الثبات؛ فقال له رجل من أهل اليمن: إنّا لم نُخلَق من حجارة ولا حديد! فقال له عمرو: اسكت، فإنما أنت كلب؛ فقال له الرجل: فأنت إذاً أمير الكلاب! فأعرض عنه عمرو، ونادى بطلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما اجتمع إليه مَن هناك مِن الصحابة، قال لهم عمرو: تقدّموا فبِكم ينصر الله المسلمين؛ [فَنَهدوا][(١)] إلى القوم ففتح الله عليهم وظَفِروا أتمّ الظفر. انتهى كلام ابن كثير وغيره.

وقد سقنا ما ذكره ابن كثير هنا لزيادة فيما ذكره، ولكونه حافظاً محدّثاً، فيصير بذلك ما ذكرناه من فتح مصر من طرق عديدة لتكثر في هذا الكتاب الفائدة إن شاء الله تعالى[(٢)].

---

(١) في طبعة دار الكتب: «فهدوا». وما أثبتناه من البداية والنهاية. وفي الطبري: «فتقدموا وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ففتح . . . إلخ».

(٢) ولقد شغل موضوع: «هل فتحت مصر صلحاً أم عَنوة» معظم الباحثين في أحوال مصر الإسلامية طوال القرنين الأول والثاني للهجرة، لأنه كان يتوقف على إقرار هذا الوضع ـ في فلسفة التشريع الإسلامي ـ أسس التنظيم الإداري والمالي للبلد المفتوح، وأسلوب معاملة أهله كذلك. أما من الناحية التشريعية والعملية، فقد حسم عمر بن الخطاب ذلك فوراً بأن أجراها جميعاً مجرى الصلح. وبهذا الصدد يقول ابن عبد الحكم: «كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب جميعاً ذمة، وحملهم على ذلك، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم». وروى الطبري. . . عن القاسم بن قزمان: «. . . ومن زعم أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد فقد ـ والله ـ كذب. وإنما هاجَ هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر: إن مصر إنما دخلت عنوة؛ وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا، ونضع ما شئنا». وكانت تلك المعاملة التي طبقها عمر بن الخطاب على مصر تسير في نطاق التطبيق التشريعي الذي حرص هذا الخليفة على اتباعه في سائر البلاد المفتوحة، ذلك أنه قد أثير قبل إتمام فتح مصر مشكلة الأراضي المفتوحة في العراق =

. . . .

= والشام، واقتضى الأمر وضع تنظيم للبلاد المفتوحة يتفق مع مقررات التشريع الإسلامي، إذ ثار خلاف حول هذا التنظيم من حيث وضعية تلك البلاد: بمعنى هل تدخل ضمن «الغنائم» كما طالب الجند فتقسم بين المحاربين طبقاً للآية التي وردت في سورة «الأنفال» أم تدخل ضمن «الفيء» كما قرر عمر بن الخطاب، وتنظم بالتالي طبقاً لما ورد في سورة «الحشر». وكان هناك تغاير في التعبيرين بين الغنائم والفيء. وجاء اشتداد الجدل حول هذين المفهومين دلالة على أن أمرهما لم يكن واضحاً بالنسبة للأراضي المفتوحة، وأنه لا بد للأمة أن تجتهد فيه بما يعود عليها بالمصلحة العامة. وانتهى الأمر إلى تقرير بقاء البلاد المفتوحة بيد أصحابها؛ وصار مدلول «الفيء» يشمل البلاد التي فتحت صلحاً وعنوة كذلك. وامتد تطبيق هذا القرار على مصر بعد فتحها مباشرة ـ انظر إبراهيم أحمد العدوي: وصف ابن عبد الحكم للتنظيم الإداري والمالي في مصر (دراسات عن ابن عبد الحكم ص ١٢٧ وما بعدها).

وأما من الناحية التاريخية، فالذي يستخلص من مجموع الروايات أن غالبية البلاد المصرية فتحت صلحاً دون قتال يذكر، وأن بعض الأماكن القليلة ـ مثل الإسكندرية والفرما ـ فتحت عنوة بقتال. وذلك القتال لم يكن بين العرب والمسلمين وبين أهل مصر، إنما كان بين المسلمين والحاميات الرومية الأجنبية.

وهذا الأمر لم يحدث اتفاقاً وصدفة، إنما كان له أسبابه التاريخية التي وجهت سير الأحداث في الاتجاه المعلوم: ذلك أن غالبية أهل مصر (وهم الأقباط) استقبلوا الفتح العربي الإسلامي بالترحاب ووجدوا فيه مخلصاً لهم من الاضطهاد البيزنطي على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والدينية. ولعل رسالة بابا الأقباط بنيامين إلى أهل مصر ـ يدعوهم فيها إلى التعاون مع المسلمين والتبشير بقرب زوال السيطرة البيزنطية ـ خير دليل على ذلك. وفي هذا الصدد يقول سير توماس أرنولد: «يرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي، لما عرف به من الإدارة الظالمة وما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت، فإن اليعاقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط، الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم» ـ (انظر توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٣؛ وكمال الصليبي: الموارنة ـ صورة تاريخية، ص ٦ ملف جريدة النهار البيروتية ـ يناير ١٩٧٠).

ويقول المؤرخ المصري طارق البشري، صاحب كتاب «الأقباط والمسلمون»: إن جميع شهداء الكنيسة القبطية ينتمون إلى الفترة البيزنطية، ولم يستشهد مسيحي واحد في مصر في العهد الإسلامي (انظر فيكتور سحّاب: العرب وتاريخ المسألة المسيحية، ص ٧٧). ولابن العبري (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦م) المؤرخ العربي المسيحي اليعقوبي رأي واضح في هذا الأمر إذ يقول: «أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب فعظمت نعمته علينا أن أخرجنا من ظلم الروم وخلصنا من كراهتهم الشديدة وعداوتهم المرّة».

وإذا كان واضحاً أن الصراعات المذهبية الدينية في الكنيسة المسيحية قد ساهمت في انحياز الأقباط إلى العرب المسلمين ضد البيزنطيين المسيحيين، فإن بعض الدارسين والمؤرخين يذهبون إلى أبعد من ذلك وهو اعتبار أن حقيقة ذلك الصراع هي المواجهة بين الشرق والغرب: الشرق الذي كانت تمثله المذاهب المسيحية المشرقية ـ ثم جاء الإسلام ليعبّر عنه بجدارة ـ وبين الغرب الذي كانت تمثله روما وبيزنطية اللتان طوّعتا المسيحية الحقيقية (وهي ذات روح مشرقية) بما يتناسب مع سلطانهما وطموحاتهما =

. . . .

= الامبراطورية الاستعمارية.
(انظر فيكتور سحّاب ـ المصدر السابق). ويرى المؤرخ الدكتور أدمون رباط أن نهوض سوريا اليعقوبية في وجه بيزنطية كان قومية دينية (L'Orient chrétien, p. 58).
إلى ذلك نضيف أنه كان لموقف حاكم مصر الروماني (المقوقس) أثر مهم على سير أحداث فتوح مصر؛ فقد تراوح موقفه عملياً بين المفاوضات والانحياز إلى جانب العرب، بعدما رفض الامبراطور البيزنطي الصلح الذي تفاوض عليه المقوقس مع عمرو بن العاص. أما المقوقس فلم يعبأ بهرقل بل أعلم ابن العاص أنه لم يخرج عما عاقده عليه وأن القبط موفون له ما صالحهم عليه. وتحدثنا المصادر أن عمراً طلب من المقوقس أن يضمن له الجسور ويقيم للمسلمين الأنزال والضيافة بين الفسطاط والإسكندرية، وصار القبط والمقوقس أعواناً للمسلمين. هذا وقد عدَّ مؤرخو الفرنجة موقف المقوقس خيانة. (انظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢٣٨/١؛ وابن عبد الحكم: ٦٥ ــ ٦٧؛ وخطط المقريزي: ٢٩٣/١؛ ودراسات عن ابن عبد الحكم: المقوقس ودوره في فتح مصر لباهور لبيب ص ٧٧ وما بعدها). وبهذا فإن المقاومة التي لقيها المسلمون كانت من العساكر الرومانية، وإن الإسكندرية عندما ثارت على العرب بعد فتحها إنما كان ذلك نتيجة مجيء جيش الروم بحراً. ولم يساعد الروم هذه المرة سوى ثلاث قرى مصرية هي سلطيس ومصيل وبلهيت. (المقريزي: ٢٩٤/١ والبلاذري ــ فتوح البلدان: ٢٥٩).
ويلخص ألفرد بتلر في كتابه: «فتح العرب لمصر» ميزان القوى الحقيقي بقوله إن تعداد أنصار خلقيدونية المتجمعين في الإسكندرية على الخصوص كان نحواً من مائتي ألف، بينما كان تعداد اليعاقبة الأقباط بلغ ستة ملايين.

ذكر ما ورد في فضل مصر

من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية

قال الكِنْدي(١) وغيره من المؤرّخين: فمن فضائل مصر أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين(٢) موضعاً؛ منها ما هو بصريح اللفظ، ومنها ما دلّت عليه القرائن والتفاسير.

(١) لا يقصح ابن تغري بردي عن المقصود بالكندي، هل هو محمد بن يوسف الكندي المؤرخ المشهور صاحب كتاب «الولاة والقضاة» أم ابنه عمر بن محمد بن يوسف الكندي صاحب كتاب «فضائل مصر».
وكذلك فعل القلقشندي في صبح الأعشى: ٢٧٨/٣، والنويري في نهاية الأرب: ٣٤٤/١، وابن ظهيرة في الفضائل الباهرة: ٦٢، وابن سعيد في المغرب. وهؤلاء جميعاً نقلوا نصوصاً في فضائل مصر ونسبوها إلى الكندي، هكذا دون تحديد. ولعلهم وقعوا جميعاً في خطأ السيوطي الذي نسب كتاب «فضائل مصر» صراحة إلى الكندي الأب؛ فهو يقول: «قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب فضائل مصر...» ــ حسن المحاضرة: ٥٢/١. ثم جاء من حسم هذه المسألة وهو شيخ المؤرخين المصريين تقي الدين المقريزي في خططه. فقد نقل كثيراً من كتاب «الفضائل» ونسبها إلى عمر الابن؛ فإذا نقل عن غير كتاب الفضائل فرّق بين ما هو للكندي الأب وما هو للابن. ويشير المقريزي دائماً إلى الابن بكلمة «ابن الكندي» ويحدّده بأنه عمر بن أبي عمر. ومما يؤكد دقة المقريزي التوثيقية أن ما نقله عن الكندي الأب لا نجده في كتاب الفضائل ــ الخطط المقريزية: ١٢٤/١، ١٥٨، ١٧٥، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٢، ٢٤٩ ــ وكما أخطأ أكثر القدامى في نسبة كتاب «الفضائل» كذلك أخطأ عدد من المؤرخين والمترجمين المحدثين، إذ نسبوا الكتاب إلى أبي عمر الكندي: مثل الزركلي في الأعلام، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين، وإسماعيل باشا البغدادي في إيضاح المكنون وهدية العارفين.
(انظر كتاب «فضائل مصر» لعمر بن محمد بن يوسف الكندي: تحقيق إبراهيم أحمد العدوي وعلي محمد عمر ــ المقدمة، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ٥٨٠/١).

(٢) في حسن المحاضرة للسيوطي: ٣/١ أنها ذكرت في أكثر من ثلاثين موضعاً. والمواضع التي ذكرت فيها زيادة على ما سيأتي هي: ﴿وقال الذي اشتراه من مِصْرَ ــ يوسف: ٢١﴾؛ ﴿وقال نِسْوةٌ في المدينة ــ يوسف: ٣٠﴾؛ ﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ــ القصص: ١٥﴾؛ ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب ــ القصص: ٢١﴾؛ ﴿إن الأرضَ لله يورثُها لمن يشاء من عباده ــ الأعراف: ١٢٨﴾؛ «يريد أن يُخرجكم من أرضكم ــ الأعراف: ١١٠﴾، ﴿إنَّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة ــ الأعراف: ١٢٣﴾؛ =

فأما صريح اللفظ فمنه قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ـ البقرة: ٦١﴾، وقوله تعالى يخبر عن فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ـ الزخرف: ٥١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ـ يونس: ٨٧﴾ ومنه قوله عز وجل مخبراً عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ ـ يوسف: ٩٩﴾.

وأما ما دلت عليه القرائن فمنه قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ـ يونس: ٩٣﴾. وقوله عز وجل: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ـ المؤمنون: ٥٠﴾. قال ابن عباس وسعيد بن المسيَّب ووهب بن مُنَبِّه وغيرهم: هي مصر[1]. وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ـ الشعراء: ٥٨﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ـ الأعراف: ١٣٧﴾. يعني مصر، وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ـ الدخان: ٢٥، ٢٦، ٢٧﴾. يعني قوم فرعون، وأن بني إسرائيل أُورثوا مصر. وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ـ القصص: ٥، ٦﴾. وقوله عزَّ وجل مخبراً عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ـ المائدة: ٢١﴾ وقوله عز وجل مخبراً عن فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ـ غافر: ٢٩﴾. وقوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا

﴿كَمَثَل جنَّةٍ بربوة ـ البقرة: ٢٦٥﴾؛ ﴿أولم يروا أنَّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز ـ السجدة: ٢٧﴾؛ ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ـ يوسف: ١٠٠﴾.

(١) ورد في كتاب فضائل مصر لعمر بن محمد بن يوسف الكندي (ص ٢٤): «وقال بعض علماء مصر: هي البهنسا؛ وقبط مصر مجمعون على أن المسيح ابن مريم وأمه عليهما السلام كانا بالبهنسا وانتقلا عنها إلى القدس. وقال بعض المفسرين: الربوة دمشق».

صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ـ الأعراف: ١٣٧﴾. وقوله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ـ الأعراف: ١٢٧﴾، يعني أرض مصر. قوله تعالى مخبراً عن نبيِّه يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ـ يوسف: ٥٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ـ يوسف: ٢١﴾ وقوله تعالى مخبراً عن بني إسرائيل: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ يونس: ٨٨﴾ وقوله تعالى مخبراً عن نبيِّه موسى عليه السلام: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ـ الأعراف: ١٢٩﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ الْفَسَادَ ـ غافر: ٢٦﴾. يعني أرض مصر. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَى ـ القصص: ٢٠﴾. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ـ القصص: ٤﴾. وقوله تعالى مخبراً عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ـ يوسف: ٨٠﴾. يعني مصر. وقوله تعالى: ﴿إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي ٱلْأَرْضِ ـ القصص: ١٩﴾.

وأما ما ورد في حقها من الأحاديث النبوية فقد رويَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ستُفتح عليكم بعدي مِصْرُ فَٱسْتَوْصُوا بِقِبْطها خيراً فإنّ لهم[1] ذِمة ورحِماً» قال ابن كثير رحمه الله: والمراد بالرحِم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام، أمه هَاجَر[2] القبطية، وهو الذبيح على الصحيح، وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبيّ صلى الله عليه وسلم،

(١) رواية الكندي في فضائل مصر: ص ٢٦ «... فإن لكم منهم صهراً وذمة» ورواية المقريزي: ١/ ٢٤ «... فإن لهم منكم صهراً وذمة». وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً» ـ رواه مسلم مع زيادة في اللفظ صحيح مسلم ٤/ ١٩٧٠.

(٢) وفي فضائل مصر للكندي: «فأما الرحم، فإن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، من القبط، من قرية نحو الفرما يقال لها: أم العرب».

وأخوال إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه مارِيَة القبطية من سنى[١] كُورة أَنْصِنا، وقد وضـع عنهم معاوية الجزية إكراماً لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى كلام ابن كثير.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا فَتَـح الله عليكم مصر فاتَّخِذُوا فيها جُنْداً كَثيفاً فذلك الجندُ خَيْر أجناد الأرض» فقال له أبو بكـر رضي الله عنه: ولم [ذلـك][٢] يا رسـول الله؟ فقال: «لأنهم [وأزواجَهُم][٣] في رِبـاط إلى يوم القيامة».

وعنه صلى الله عليه وسلم، وذكر مصر: «ما كادَهُمْ أَحَدٌ إلا كفاهم الله مَـؤُونته».

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أهلُ مصر أكرم الأعاجم كلِّها[٤]، وأسمحُهم يداً، وأفضَلُهم عُنْصراً، وأقربُهم رَحِماً بالعرب عامة، وبقريش خاصة.

وقال أيضاً: لما خلق الله آدم، مثَّل له الدنيا: شرقَها وغَرْبها وسَهْلَها وجبلها وأنهارها وبحارها وعامِرها[٥] وخرابها، ومَن يسكنها من الأمم، ومَن يملكها من الملوك؛ فلما رأى مصر، رآها[٦] أرضاً سهلة ذات نهر جارٍ، مادّته من الجنة تنحدر

---

(١) في فضائل مصر ص ٢٦: «وأما الذمة فإن النبـي صلى الله عليه وسلم تسرّى من القبط مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي من قرية نحو الصعيد يقال لها: حفن (بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء) من كورة أنصنا». وكذلك أورد ياقوت في معجم البلدان: ٢٧٦/٢ أن مارية القبطية من قرية حفن من رستاق أنصنا. وفي القاموس الجغرافي: ق ٢٢٩/١ أن هذه القرية قد اندثرت ولا يزال توجد آثارها بحوض الكوم الأخضر رقم ١٩ بأراضي ناحية المطاهرة البحرية بمركز المنيا. ومكان مدينة أنصنا اليوم الأطلال الواقعة شرقي النيل بمركز ملوى بمحافظة المنيا ــ المصدر السابق: ص ١٣٢.

(٢) الزيادة من فضائل مصر ص ٢٧ والمقريزي: ٢٤/١.

(٣) ساقطة من فضائل مصر والمقريزي. وهي مثبتة في طبعة دار الكتب المصرية عن إحدى المخطوطات.

(٤) كذا أيضاً في حسن المحاضرة: ١٠/١. وفي فضائل مصر ص ٣١: «أكرم الأعاجم محتداً».

(٥) في المقريزي والسيوطي «وبناءها».

(٦) ساقطة من المقريزي.

فيه البركة، ورأى جبلاً من جبالها مكسوّاً نوراً لا يخلو من نظر الرب عز وجل إليه بالرحمة، في سَفْحه أشجار مثمرة، فروعها في الجنة تُسقَى بماء الرحمة، فدعا آدمُ في النيل بالبركة، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبرّ والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات؛ قال: «يا أيها الجبل المرحوم، سَفْحُك جنة، وتُربتك مسكة، تدفن فيها عرائس[١] الجنة، أرض حافظة مطبقة[٢] رحيمة، لا خَلَتْكِ يا مصر بركة، ولا زال بك حَفَظة[٣]، ولا زال منكِ مُلْكُ[٤] وعِزٌّ، يا أرض مصر، فيك الخبايا والكنوز، ولكِ البرّ والثروة، سال نهرك عَسَلاً، كثَّر الله رزقك[٥]، ودرَّ ضَرعك، وزكا نباتك، وعظُمت بركتك وخَصِبت، ولا زال فيك يا مصر خيرٌ ما لم تتجبَّري وتتكبَّري أو تخوني؛ فإذا فعلت ذلك، عراك[٦] شرّ ثم يغور خيرك».

فكان عليه السلام أوّل من دعا لها بالرحمة والخِصْب والرأفة والبركة.

وقال عبد الله بن عباس: دعا نوح عليه السلام لابنه بَيْصر[٧] بن حام ــ وهو أبو مصر الذي سُمِّيت مصر على آسمه ــ فقال: اللهم إنه قد أجاب دَعْوتي، فبارِكْ فيه وفي ذرّيته، وأسكِنْه الأرضَ الطيّبةَ المباركَةَ التي هي أم[٨] البلاد [وغوث العباد، ونهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخّر له ولولده الأرض، وذلّلها لهم، وقوّهم عليها].[٩]

---

(١) في المقريزي: «يدفن فيها غراس الجنّة».
(٢) كذا في طبعة دار الكتب. وفي المقريزي: «مطيعة» وهي أوضح.
(٣) في المقريزي «حفظ».
(٤) في الأصول «ملكك وعزّ». وما أثبتناه من المقريزي: ٢٧/١ ونهاية الأرب للنويري: ٣٤٧/١.
(٥) في المقريزي: «زرعك».
(٦) في طبعة دار الكتب «عداك». والتصحيح من حسن المحاضرة: ١١/١.
(٧) في المقريزي: «دعا لمصر بن بيصر بن حام فقال. . .» وفي فضائل مصر: «دعا نوح عليه السلام ربه، لولده وولد ولده، مصر بن بيصر بن حام بن نوح. . .» ــ وفي معجم البلدان: مصر بن مصرايم بن حام بن نوح.
(٨) كذا أيضاً في المقريزي. وفي فضائل مصر: «أمن».
(٩) الزيادة من المقريزي: ٢٧/١؛ ومحاسن مصر والقاهرة لابن ظهيرة: ٧٨؛ وصبح الأعشى: ٣١٣/٣؛ ونهاية الأرب: ٣٤٧/١.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لما قَسَّم نوح عليه السلام الأرضَ بين ولده، جعل لحامٍ مصر وسواحلَها والغربَ وشاطىءَ النيل، فلما قدم بيصر بن حام وبلغ العريش، قال: «اللهم إن كانت هذه الأرض التي وعدتَنا على لسان نبيك نوح وجعلتها لنا منزلاً، فاَصرف عنا وباها[1]، وطَيِّب لنا ثَرَاها، وآجمع ماها[1]، وأنبِت كلاها[1]، وبارك لنا فيها، وتمم لنا وعدك؛ إنك على كل شيء قدير، وإنك لا تخلف الميعاد» وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها به. يأتي ذكر ذلك عند ذكر من ملك مصر قبل الإسلام في هذا المحل إن شاء الله تعالى.

والقبط ولد مصر بن بَيْصَر بن حام بن نوح عليه السلام.

وقال كعب الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنتُ إلا مصر، فقيل له: ولم؟ قال: لأنها معافاةٌ من الفتن، ومن أراد بها سوءاً كَبَّه[2] الله على وجهه، وهو بلد مبارَكٌ لأهله فيه.

وروى آبن يونس عنه قال: من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى مصر إذا زخرفت[3]، وفي رواية: إذا أزهرت.

وروى ابن يونس بإسناده إلى أبـي بَصْرة الغِفاريّ قال: سلطان مصر سلطان الأرض كلِّها.

قلت: ولهذا الخبر الصحيح جعلنا في آخر تراجم ملوك مصر حوادث سائر الأقطار كلها.

وقال: في التوراة مكتوب: مصرُ خزائنُ الأرض كلها، فمن أراد بها سوءاً قصمه الله.

---

(١) كذا في الأصول. وقد حذفت الهمزة لمراعاة السجع.

(٢) في المقريزي: «من أرادها بسوء أكبّه الله...» وفي فضائل مصر: ص ٤٦ «كان كعب الأحبار يقول: لولا رغبتي في الشام لسكنت مصر... إلـخ».
انظر أيضاً: حسن المحاضرة: ١٢/١؛ ونهاية الأرب للنويري: ٣٤٨/١.

(٣) كذا أيضاً في فتوح مصر. وفي حسن المحاضرة: ١٠/١ «أخرفت».

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وِلايةُ مصرَ جامعةً[١] تعدِل الخلافة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خُلقت الدنيا على خمس صُوَر: على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذَنَبه؛ فالرأس مكة والمدينة واليمن، والصدر الشأم ومصر، والجنَاح الأيمن العراق، وخَلْفَ العراق أمة يقال لها: واق واق[٢] وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا الله، والجناح الأيسر السند والهند[٣]، وخلف الهند أمة يقال لها: باسك[٤]، وخلف باسك[٤] أمة يقال لها: مَنْسَك، وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا الله، والذَّنَب من ذات الحُمَام[٥] إلى مغرب الشمس؛ وشرّ ما في الطير الذنب.

وقال ابن عبد الحكم حدّثنا أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة قالا حدثنا مالك [بن أنس][٦] عن ابن شهاب عن كعب بن مالـك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا آفتتحتم مصر فآسْتَوْصُوا بالقِبْط خيراً فإنّ لهم ذِمَّةً ورَحِماً» ثم ساق ابن عبد الحكم عدّة أحاديث أُخر بأسانيد مختلفة في حقّ مصر ونيلها في هذا المعنى.

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي العراق: سألت أحمد بن المُدَبِّر عن مصر، فقال: كشفتُها فوجدتُ غامرها أضعاف عامرها، ولو عَمَرَها السلطان لوفَتْ له بخراج الدنيا[٧].

وقال بعض المؤرّخين: إنه لمّا استقرَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه على

(١) يعني إذا جمع لواليها الخراج والإمارة؛ أو خراجها وصلاتها.

(٢) في فتوح مصر: ص ١ والمقريزي: ١/ ٢٥: «وخلف العراق أمة يقال لها واق، وخلف واق أمة يقال لها واق واق».

(٣) في ابن عبد الحكم والمقريزي: «والجناح الأيسر السند، وخلف السند الهند».

(٤) كذا في طبعة دار الكتب. وفي ابن عبد الحكم والمقريزي: «ناسك» بالنون الموحدة فوق.

(٥) كذا ضبطها في فتوح مصر ـ طبعة ليدن ١٩٢٠. وفي الحاشية أنها «الحمَّام» في بعض النسخ.

(٦) الزيادة من ابن عبد الحكم.

(٧) رواه المقريزي ببعض اختلاف: خطط ١/ ٢٧ ـ انظر أيضاً معجم البلدان: ٥/ ١٣٨.

ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن صـف لي مصر[١]؛ فكتب إليه:

«[٢]وَرَدَ كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر: اعلم يا أمير المؤمنين أنّ مصر قَرْية غبراء، وشجرة خضراء؛ طولها شهر، وعرضها عشر[٣]؛ يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر؛ يَخُطّ وَسَطَها نِيلٌ مبارك الغَدَوَات، ميمون الرَّوْحَات؛ تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر؛ له أوانٌ يدرّ حِلابه، ويكثُر فيه دُبَابُه، تمدُّه عيون الأرض وينابيعها حتى إذا ما اصْلَخَمَّ[٤] عَجاجُه، وتعظَّمت أمواجه، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلّص من القُرَى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخِفاف القوارب، وزوارق كأنهنّ في المخايل وُرْقُ الأصائل[٥]؛ فإذا تكامل في زيادته، نكص على عَقِبَيْه كأوّل ما بدأ في جِرْيَتِه، وطما في دِرَّته[٦]؛ فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة، وذمة مخفورة[٧]، يحرُثون بطونَ الأرض ويبذُرون بها الحبَّ، يرجون بذلك النَّماء من الربّ؛ لغيرهم ما سَعَوْا من كدّهم[٧]، فناله منهم بغير جِدّهم؛ فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى وغذّاه من

(١) نص كتاب عمر بن الخطّاب: «أما بعد يا عمرو، إذا أتاك كتابي فابعث إليّ جوابه تصف لي مصر ونيلها وأوضاعها وما هي عليه حتى كأنني حاضرها» ـ الوثائق السياسية لمحمد حميد الله: ص ٤٩٧. ورواه الكندي في فضائل مصر باختلاف غير يسير: الفضائل ص ٦٠ ـ ٦١.

(٢) قارن محمد حميد الله في الوثائق السياسية بين هذا النص الذي أورده الكتّاني في كتابه «التراتيب الإدارية» وقد أخذه عن نسخة للنجوم الزاهرة وبين نصّ أورده محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» والنصّان مختلفان اختلافاً غير يسير ـ قارن أيضاً بالنص الذي أورده الكندي في فضائل مصر: ص ٦١ ببعض الاختلاف.

(٣) المراد عشرة أيام. فإذا حذف المعدود جاز تذكير العدد وتأنيثه كحديث: «وأتبعه ستاً من شوّال».

(٤) اصلخمَّ: اشتدَّ. ونهر عجاج: أي كثير الماء تسمع لمائه المتدفق عجيجاً أي صوتاً.

(٥) المخايل: جمع مخيلة كمعيشة. وخال الشيء مخيلة: ظنّه. والأصائل: جمع أصيل وهو العشيّ. والوُرْق: جمع ورقاء وهي الحمامة.

(٦) الـدِّرة بالكسر: اسم من الدَّر بالفتح وهو اللبن. والمعنى: في زيادته وفيضه.

(٧) يريد أن الروم كانوا يحقرونهم ويمتهنونهم ولا يرعون لهم عهداً ولا ذمة. وكذلك قوله: «لغيرهم ما سعوا من كدهم» أي إنهم كانوا يكدّون في حرث الأرض وزرعها ثم يستحوذ الروم على محصولها. وقد ذكر المؤرخون أن أهل مصر في آخر الحكم الروماني كانوا بمثابة آلات لإنبات القمح، وأن مصر كانت بمثابة مزرعة تصدّره إلى رومة.

تحته الثرى؛ فبينما مصرُ يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عَنبرة سوداء، فإذا هي زُمُرُّدَةُ خضراء، فإذا هي دِيباجةَ رَقْشَاء[١]، فتبارك الله الخالق لما يشاء. والذي يُصلح هذه البلاد ويُنَمِّيها ويُقِرّ قاطنيها فيها، ألاّ يُقبَل قولُ خسِيسها في رئيسها، وألاّ يُسْتَأْدَى خراجُ ثمرة إلاّ في أوانها، وأن يُصرف ثُلُث ارتفاعها، في عمل جسورها وتُرَعها؛ فإذا تقرّر الحال مع العمّال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال[٢]؛ والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل».

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لله درّك يابن العاص! لقد وصفتَ لي خبراً كأني أشاهدُه.

وقال المسعودي في تاريخه: قال النبـي صلى الله عليه وسلم: «اِستوصُوا بأهل مصر خَيْراً فإنّ لهم نَسَباً وصِهْراً» أراد بالنسب: هَاجَر زوجةَ إبراهيم الخليل عليه السلام وأم ولده إسماعيل. وأراد بالصهر: مَارِيَة القبطية أم ولد النبـي صلى الله عليه وسلم التي أهداها له المُقَوْقِس.

(١) الديباجة: الخدّ. والرقشاء: المنقطة بسواد وبياض. يصف بذلك طريقة إرواء الحياض التي كانت مستعملة في ذلك العهد ــ وما زالت حتى اليوم في أعالي الصعيد ــ إذ تطلق المياه في الحياض فتغمر الأرض فتبين كأنها لؤلؤة بيضاء، ثم تصفى منها وقد رسب على وجهها ما حملته المياه من الغرين الأسود فتبدو كأنها عنبرة سوداء، ثم ينبت فيها الزرع الأخضر فكأنها زمردة خضراء، ثم يتلوّن بألوانه المختلفة فتظهر كأنها صفحة رقشاء. وسيأتي بعد قليل وصف مشابه لمصر على اختلاف شهور السنة، ينقله ابن تغري بردي بقوله: «وقال بعض الحكماء: مصر ثلاثة أشهر. . . إلـخ». انظر أيضاً: المقريزي ١/٢٦ ومروج الذهب للمسعودي: ١/٣٣٩.

(٢) لعلّ عمرو بن العاص أخذ بعض هذه المعاني الأخيرة من نصيحة بنيامين أسقف مصر الذي قال له: «تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة: أن يستخرج خراجها في إبّان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويرفـع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم، وتحفر في كل سنة خلجها وتسدّ ترعها، ولا يقبل مطل أهلها، فإذا فعل هذا فيها عمرت، وإن عمل فيها بخلافه خربت». ومثل هذا الكلام منسوب إلى المقوقس. انظر فضائل مصر: ٥٧؛ ودراسات عن ابن عبد الحكم: ص ١٣١.

ذكر ما ورد في نيل مصر

روى يزيد بن أبي حَبيب[١]: أن معاوية بن أبي سُفيان رضي الله عنه سأل كعب الأحبار: هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبراً؟ قال: إي والذي فَلَق البحر لموسى عليه السلام! إني لأجد في كتاب الله عز وجل أنّ الله يُوحي إليه في كل عام مرّتين: يوحي إليه عند جَرْيه: إن الله يأمرك أن تجري، فيجري ما كتب الله [له][٢]، ثم يوحي إليه بعد ذلك: يا نيلُ عُدْ حميداً[٣].

وروى ابن يونس من طريق حَفْص بن عاصم عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النيلُ وسَيْحانُ وجَيْحانُ والفُراتُ من أنهار الجنة».

وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عز وجل في الدنيا، فالنيل نهرُ العسل في الجنة، والفراتُ نهر الخمر في الجنة، وسَيْحان نهر الماء في الجنة، وجَيْحان نهر اللبن في الجنة.

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار، وسخّر الله له كل نهر من المشرق إلى المغرب، فإذا أراد الله تعالى أن يُجرِيَ نيلَ مصر أمر الله كل نهر أن يُمِدّه فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيوناً، فإذا آنتهت جِرْيَتُه إلى ما أراد الله عز وجل أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره. وقد ورد أن مصر كنانةُ الله في أرضه.

وعن أبي جُنَادة الكنانيّ[٤]: أنه سمع كعباً[٤] يقول: النيلُ في الآخرة عسل

(١) انظر فتوح مصر: ١٤٩، وفضائل مصر: ٥٩.

(٢) الزيادة من ابن عبد الحكم.

(٣) في فضائل مصر: «ثم يوحي إليه عند انتهائه: إن الله يأمرك أن ترجع، فارجع راشداً». ولا يخفى أن هذه الرواية وما بعدها روايات غير صحيحة في متنها وأسانيدها.

(٤) في الأصل «عن أبي جنادة الضبيّ أنه سمع علياً يقول». والتصحيح من فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٥٠.

أغزَر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل؛ ودِجْلة (يعني جَيْحان) في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله عزّ وجل؛ والفراتُ خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عزّ وجل؛ وسَيْحانُ ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله عزّ وجل.

وقال بعض الحكماء: مصر ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، فإنّ في شهر أبيب (وهو تموز) ومسرى (وهو آب) وتوت (وهو أيلول) يركبها الماء فيها فترى الدنيا بيضاء وضِياعها على رواب وتلال مثل الكواكب، وقد أحاطت بها المياه من كل وجه [فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا في الزوارق](١)؛ وثلاثة أشهر مسكة سوداء، فإنّ في شهر بَابَه (وهو تشرين الأوّل) وهاتور (وهو تشرين الثاني) وكَيْهَك (وهو كانون الأول) ينكشف الماء عنها فتصير أرضها سوداء وفيها تقع الزراعات؛ وثلاثة أشهر زمردة خضراء، فإن في شهر طُوْبَة (وهو كانون الثاني) وأَمشير (وهو شباط) وبَرْمَهات (وهو آذار) تلمع ويكثر حشيشها ونباتها، فتصير مصر خضراء كالزمردة؛ وثلاثة أشهر سبيكة حمراء وهو وقت إدراك الزرع وهو شهر برمودة (وهو نيسان) وبشنس (وهو أيار) وبَؤونة (وهو حَزيران)، ففي هذه الشهور تبيضّ الزروع ويتورَّد العُشب فهو مثل السبيكة الذهب(٢).

وقيل: إنه لما ولي عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر أتاه أهلها حين دخل بؤونةُ من أشهر القبط(٣) المذكورة فقالوا له: أيها الأمير، إنّ لنيلنا عادةً أو سُنّةً لا يجري إلا بها؛ فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان في اثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر (يعني بَؤونة) عَمَدنا إلى جارية بكر من عند أبويها وأرضَيْنا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحليّ والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل فيجري؛ فقال لهم عمرو بن العاص: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بَؤونة وأَبِيبَ ومِسْرَى لا يجري النيل قليلاً ولا كثيراً حتى

---

(١) الزيادة عن المقريزي: ١/٢٦.

(٢) ورد هذا الوصف في المقريزي ببعض اختلاف. قارن أيضاً بمروج الذهب للمسعودي: ١/٣٣٩.

(٣) في ابن عبد الحكم: «من أشهر العجم».

هَمُّوا بالجلاء؛ فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر بن الخطّاب: قد أصبتَ، إن الإسلام يهدم ما قبله، وقد أرسلنا إليك ببطاقة ترميها في داخل النيل إذا أتاك كتابي.

فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص رضي الله عنه فتح البطاقة فإذا فيها:
«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل [أهل][1] مصر.

أمّا بعد، فإن كنتَ تجري من قِبَلك فلا تجرِ، وإن كان الله الواحد القهار الذي يُجْرِيك، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجريَك».

فعرّفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين وبالبطاقة، ثم ألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم عيد الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقيم بمصالحهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم عيد الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع تلك السنّة القبيحة عن أهل مصر ببركة سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه.

ونظير ذلك أمر قرافة مصر ودَفْن المسلمين بها. فقد روينا بإسناد عن ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن صالح حدّثنا الليث بن سعد: سأل المقوقسُ عَمْرو بن العاص أن يبيعه سَفْح المُقَطَّم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك وقال: أَكتبُ في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عُمَر، فكتب إليه عمرُ: سَلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك، وهي لا تُزرع[2] ولا يُستنبط بها ماء ولا يُنتفع بها! فسأله، فقال: إنّا لنجد صفتها في الكتب أنّ فيها غراس الجنة؛ فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إنّا لا نعلم غراس الجنة إلاّ للمؤمنين، فَأقبرْ فيها مَنْ مات قِبَلك من المسلمين ولا تبعه بشيء. فكان أوّلَ مَنْ قُبر فيها رجلٌ من المَعَافر يقال له: عامر [فقيل: عُمِرَت][3].

(١) الزيادة عن ابن عبد الحكم.
(٢) في ابن عبد الحكم «تزدرع».
(٣) الزيادة من ابن عبد الحكم: ١٥٧؛ وحسن المحاضرة: ٨٢؛ والمقريزي: ١/١٢٤. قارن أيضاً بفضائل مصر للكندي: ص ٦٤ ــ ٦٥.

قلت: والقرافة سُميت بطائفة من المعافر يقال لهم القرافة، نزلوا هناك[١].

وقال بعض علماء الهيئة: إن مصر واقعة من المعمورة في قسم الإقليم الثاني والإقليم الثالث، ومعظمها في الثالث.

وقال أبو الصلت[٢]: هي مسافة أربعين يوماً طولاً في ثلاثين يوماً عرضاً.

وقال غيره: هي مسافة شهر طولاً في شهر عرضاً. وطولها من الشجرتين اللتين ما بين رَفَح والعريش إلى مدينة أسوان من صعيد مصر الأعلى؛ وعرضها من أَيْلَةَ إلى بَرْقَة، ويكتنفها جبلان متقاربان من مدينة أسوان المذكورة إلى أن ينتهيا إلى الفُسطاط (يعني إلى مصر)، ثم يتسع بعد ذلك ما بينهما ويتفرج قليلاً، ويأخذ الجبل المقطّم منهما مشرِّقاً والآخر مغرِّباً على وِرَاب متّسع من مصر إلى ساحل البحر الرومي، وهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أَوْغلها في الجنوب وأَوْغلها في الشمال[٣].

(١) وقال في معجم البلدان: ٣١٧/٤ «والقرافة خطة بالفسطاط من مصر كانت لبني غُصن بن سيف بن وائل من المعافر؛ وقرافة بطن من المعافر».

(٢) هو أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني المتوفى سنة ٥٢٩هـ. (الأعلام: ٢٣/٢). وما ينقله ابن تغري بردي عن بعض علماء الهيئة، وما يأتي بعد هذا مأخوذ عن المقريزي. انظر الخطط: ١٥/١ ــ ١٦.

(٣) قال القلقشندي: صبح الأعشى ٣٤٧/٣ «وقد اضطربت عبارات المصنفين في المسالك والممالك في تحديد مصر. والذي عليه الجمهور أن حدّها الشمالي، وهو المعبر عنه عند المصريين بالبحري، يبتدىء مما بين الزعقة ورفح عند حدّها من الشام ويمتد غرباً على ساحل البحر حيث الشجرتان إلى رفح ثم إلى العريش آخذاً على الجفار إلى الفرما إلى الطينة إلى دمياط إلى ساحل رشيد إلى الإسكندرية، وهي آخر العمارة بهذا الحدّ؛ ثم يأخذ على اللينونة، على العميدين إلى برقة إلى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية. وحدّها الغربي يبتدىء من ساحل البحر الرومي حيث العقبة ويمتد جنوباً، وأرض إفريقية غربيه، على ظاهر الفيّوم والواحات حتى يقع على صحراء الحبشة ثمان مراحل من أسوان. وحدها الجنوبي ــ وهو القبلي ــ يبتدىء من صحراء الحبشة ويمتد شرقاً حتى يأتي إلى أسوان، ثم يمتد من أسوان شرقاً حتى ينتهي إلى بحر القلزم على خمس عشرة مرحلة من أسوان. وحدها الشرقي يبتدىء من آخر هذا الحدّ ويمتد شمالاً إلى عيذاب إلى القصير إلى القلزم إلى السويس، ثم يأخذ شرقاً عن بركة الغرندل إلى تيه بني إسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام حتى ينحط على ما بين الزعقة ورفح حيث وقعت البداءة» وعلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة في كتابه «تقويم البلدان» وابن فضل الله العمري في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف». وخالف في ذلك القضاعي. قارن أيضاً بخطط المقريزي: ١٥/١ ــ ١٦؛ ومعجم البلدان: ١٣٧/٥.

وقال بعض الحكماء: ليس في الدنيا نهر يَصُبّ في بحر الروم والصين والهند غير النيل. وليس في الدنيا نهر يصبّ من الجنوب إلى الشمال غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد في أشدّ ما يكون من الحرّ غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد وينقص على ترتيبٍ فيهما غير النيل. وليس في الدنيا نهر يزيد إذا نَقَص مياه الدنيا غير النيل.

وبهذا النيل أشياء لم تكن في غيره من الأنهار، من ذلك: السمكة الرّعّادة التي إذا وضع الشخص يده عليها اضطرب جسمه جميعه حتى يرفع يده عنها، ومنها التِّمساح ولم يكن في غيره من المياه؛ وفي مصر أعاجيب كثيرة.

وقال الكِنْديّ[1] في حقّ مصر وأعمالها: جبلها مقدّس، ونيلها مبارك، وبها الطور حيث كلّم الله تعالى نبيّه موسى، وبها الوادي المقدّس، وبها ألقَى موسى عصاه وبها فَلَق الله البحر لموسى، وبها ولد موسى وهارون عليهما السلام ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى[2] ابن مريم، ولدته أمه بأَهناس[3]، وبها النخلة التي ذكرها الله تعالى لمريم؛ ولما سار عيسى إلى الشأم وأخذ على سفح المقطم ماشياً، عليه جُبّة صوف مربوط الوسط بشريط وأمّه تمشي خلفه، فالتفت إليها وقال: يا أمّاه، هذه مقبرة أمّة محمد؛ وكان بمصر إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر سِبْطاً.

ومن فضائلها: أنها فُرْضة[4] الدنيا يُحمل من خيرها إلى سواحلها؛ وبها مُلْك يوسف عليه السلام؛ وبها مساجد إبراهيم ويعقوب وموسى ويوسف عليهم السلام؛

---

(١) فضائل مصر: ص ٦٥. وما نقله قبل هذا هو عن الكندي بتصرّف.

(٢) ينقل ابن تغري بردي عن الكندي دون تدقيق ونظر. إذ الثابت تاريخياً ودينياً أن المسيح ولد في بيت لحم من فلسطين. وإلى هذا الوهم أشار المقريزي في خططه: ٢٧/١، أما السيوطي في حسن المحاضرة: ٣٢/١ فإنه ينفي خبر ولادته في مصر، ولكنه يقول إنه ولد في بيت المقدس بدلاً من بيت لحم.

(٣) في فضائل مصر: «بسدمنت من كورة أهناس».

(٤) الفرضة من البحر هي محطّ السفن.

وبها البَرَابِـي[١] العجيبة والهرَمان، وليس على وجه الأرض بناءٌ باليد حجراً على حجر أطولُ منهما.

وقال أبو الصَّلْت: طول كل عمود منهما ثلاثمائة وسبعة عشر ذراعاً، ولكل أربعة أسطحة مَلَسَاتٌ متساويات الأضلاع، طول كل ضلـع أربعمائـة وسبعون ذراعاً؛ واختلف فيمن بناهما، فقيل: شدّاد بن عاد[٢]، وقيل: سويرد، وقيل: سويد، بناهما في ستة أشهر وغَشّاهما بالديباج الملوّن، وأودعهما الأموال والذخائر والعلوم خوفاً من طوفان يأتي.

وقال الأستاذ إبراهيم بن وَصِيف شاه[٣] الكاتب: بناهما سويرد بن سلهوق بن سرياق بن ترميل دون بن قدرشان بن هوصال[٤]، أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون مدينة الأُشْمُونَيْن[٥]. والقبط تنكر أن تكون العاديَّة دخلت بلادهم لقوة سحرهم. وهذا يؤيد قول من قال بعدم بناء شدّاد بن عاد لهما. قال: وسبب بناء الهرمين العظيمين اللذين بمصر أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سويرد في منامه كأنّ الأرض قد انقلبت بأهلها، وكأنّ الناس قد هربوا على وجوههم، وكأنّ

---

(١) جمع بَرْباة أو بَرْبا: وهو اسم أطلقه المصريون على جميع المعابد والآثار القديمة. وهذا القول الذي قال به ابن جبير يؤيده ياقوت إذ يقول: «بربا كلمة قبطية، وهي اسم للبناء المحكم القديم الذي كان يقام في الأيام الوثنية، وكان يستعمل موضعاً للسحر». ويستعمل سفروس الأشمونين المؤرخ النصراني لبطاركة الإسكندرية كلمة «بربا» بمعنى محدد وهو المعبد الوثني تمييزاً له من العمائر المقامة للعبادة المسيحية. والكلمة العربية «بربا» هي رواية في رسم الكلمة القبطية «بربيه» أي المعبد، واستعمالها أكسبها صيغة الجمع الفصيح «برابي». (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥٦٤/٦)

(٢) الذي ثبت بعد فك رموز الكتابة الهيروغليفية أن بناة أهرامات الجيزة الثلاثة المعروفة هم خوفو وخفرع ومنقرع.
وقد شكك المقريزي في أكثر الروايات التي أوردها المؤرخون حول وقت بناء الأهرامات ومن بناها ـ خطط ١١١/١ وكذلك فعل ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٤٣.

(٣) مؤرخ له كتاب «عجائب الدنيا» وكتاب «جواهر البحور ووقائع الدهور في أخبار الديار المصرية». توفي سنة ٥٩٦هـ. (الأعلام: ٧٨/١).

(٤) في المقريزي: «سوريد بن سهلوق بن سرياق بن تـوميدون بن بـدرسان بن هـوصال». وفي حسن المحاضرة: «سوريد بن سهلوق بن شرياق ملك مصر وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة».

(٥) في المقريزي «أمسوس».

الكواكب تتساقط ويصدِم(١) بعضُها بعضاً بأصوات هائلة، فأغمّه ذلك ولم يذكره لأحد، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم؛ ثم رأى بعد مدّة مناماً آخر أزعجه أكثر من الأول، فدخل إلى هيكل الشمس وتضرَّع ومَرَّغ وجهه على التراب وبكى، فلما أصبح جمع رؤساء الكَهَنة من جميع أهل مصر، وكانوا مائة وثلاثين كاهناً، فخلا بهم وذكر لهم ما رآه أوّلاً وآخراً، فأوّلوه بأمر عظيم يحدث في العالَم؛ ثم حكى بعض الكهنة(٢) أيضاً: أنه رأى مناماً أعظم من هذا المنام في معناه؛ ثم أخذوا الارتفاع [للكواكب](٣) وأخبروه بالطوفان وبعده بالنار التي تخرج من بُرْج الأسد؛ فقال: انظروا، هل تلحق هذه الآفةُ بلادَنا؟ فقالوا: نعم، فأمر ببناء الأهرام وجعل في داخله الطِّلّسْمات والأموال وأجساد ملوكهم، وأمر الكهنة أن يَزْبُروا عليها جميع ما قالته الحكماء، فَزَبروا فيها وفي سقوفها وحيطانها جميعَ العلوم الماضية، وصوّروا فيها صُوَر الكواكب وعليها الطِّلّسْمات، وجعل طول كل هرم مائة(٤) ذراع، بالذراع الملكي (وهو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن). ولما فرغت كساها الديباج الملوّن وعمل لهم عيداً حضره أهل ملتهم؛ ثم عمل في الهرم الغربيّ [ثلاثين مخزناً من](٥) حجارة صَوّان ملوّنة ملئت بالأموال الجمّة، والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة، وآلات الحديد الفاخرة، والسلاح الذي لا يَصدأ، والزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر، وأصناف العقاقير [المفردة والمؤلفة](٥) والسموم القاتلة؛ ثم عمِل في الهرم الشرقيّ أصناف القِباب الفَلَكيّة والكواكب، وما عمله أجداده من أشياء يطول شرحها.

---

(١) في الأصول «وقصدت». وما أثبتناه عن المقريزي.

(٢) في المقريزي: «فقال عظيم الكهان ويقال له أقليمون إن أحلام الملوك لا تجري على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها...». والمقريزي ينقل رواية ابن وصيف شاه أكثر تفصيلاً. قارن بالخطط: ١١٢/١.

(٣) الزيادة عن المقريزي.

(٤) في المقريزي «وجعل ارتفاع كل واحد من الأهرامات في الهواء مائة ذراع ... وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع». وفي حسن المحاضرة: «مائتي ذراع بالملكي».

(٥) الزيادة عن المقريزي.

ويقال: إنّ هِرمِس المثلث [الموصوف][(١)] بالحكمة وهو الذي تسمّيه العِبرانيون خَنُوخ[(٢)] وهو إدريس عليه السلام آستدلّ من أحوال الكواكب على كَوْن الطوفان، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يخاف عليه الذهاب والدُّثور؛ وكل هرم منها آرتفاعه ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعاً، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضِلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعاً، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها. ويقال: إنه كان عليه حجر شبه المكبّة فرمته الرياح العواصف، وطول الحجر منها خمسة أذرع في سُمْك ذراعين. ويقال: إن لهما أبواباً مَقْبيّة[(٣)] في الأرض، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يُعلم أنه باب، يُدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال حديد؛ وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوّف إحدى يديه على فيه، وفي جَبْهته كتابة بالمُسْنَد إذا قُرئت انفتح فُوه، فيوجد فيه مفاتيح ذلك القُفْل فيفتح بها. والقِبْط يزعمون أنهما والهرمَ الصغير قبور ملوكهم وأكابرهم.

ولما ولي المأمون[(٤)] الخلافة وورد مصر أمر بفتح واحد منها ففُتح بعد [عناء][(٥)] طويل، واتفق لسعادته أنه وقع النَّقْب على مكان يُسْلَكُ منه إلى الغرض المطلوب وهو زَلّاقة ضيّقة من الحجر الصوّان المانع الذي لا يعمل فيه الحديد بين حاجزين ملتصقين بالحائط، قد نُقر في الزلّاقة حُفَر يتمسّك السالك بتلك الحفر ويستعين بها على المشي في الزلّاقة لئلا يَزْلَق، وأسفل الزلّاقة بئر عظيمة بعيدة القعر، ويقال: إن أسفل البئر أبواب يُدْخل منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب، وانتهت بهم الزلّاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر

(١) الزيادة عن حسن المحاضرة: ٤٤/١.

(٢) في حسن المحاضرة «أخنوخ».

(٣) عبارة السيوطي في حسن المحاضرة: «ويقال إن بانيهما جعل لهما أبواباً على أدراج مبنية بالحجارة في الأرض طول كل حجر منها عشرون ذراعاً وكل باب. . . الخ».

(٤) قارن برواية المقريزي: خطط ١١٣/١.

(٥) الزيادة يقتضيها السياق.

مُغَطّى، فلما كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمّة بالية، فأمر المأمون بالكفّ عما سواه. وهذا الموضـع يدخله الناس إلى وقتنا هذا. ويقال: إن المأمون أنفق على النقب جملة آختلف المؤرّخون في كَمّيتها. فلما انتهى به النقب إلى الموضـع المربـع المذكور وجد فيه جاماً من زُمُرّد مغطّى، فكُشِف فوجد فيه ذلك المقدارُ الذي أنفقه من غير زيادة على ذلك ــ واستمر ذلك الجام في ذخائر الخلفاء إلى وقعة هُولاكو ببغداد ــ فقال: الحمد لله الذي ردّ علينا ما أنفقناه.

وقيل: إن الأمير أحمد بن طولون[١] سأل بعض علماء الأقباط المعمّرين ــ ممن رأى الرابـع عشر من ولد ولده ــ عن الأهرام؛ فقال: إنها قبور الملوك، كان الملك منهم إذا مات وُضـع في حَوض حجارة يسمّى الجرون[٢]، ثم يُبنى عليه الهرم، ثم يُقنطر عليه البنيان والقباب، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يجعل له طريق في الأرض بعقد أَزَجّ، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت؛ فقيل له: كيف بُنيت هذه الأهرام المملّسة، وعلى أيّ شيء كانوا يصعدون ويبنون، وعلى أيّ شيء كانوا يضعون الآلات ويحملون الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحرّكوا الحجر الواحد إلا بجُهد؟ فقال: كان القوم يَبنون الهرم مدرجاً فإذا فَرَغوا منه نحتوه من فَوْقُ إلى أسفل، (قلت: وهذا أصعب من الأوّل)[٣] قال: فكانت هذه حيلَتهم، وكانوا مـع هذا لهم قدرة وصبر وطاعة لملوكهم ديانة؛ فقيل له: ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبَرابِي لا تُقرأ؟ قال: ذهب الحكماء الذين كان هذا قلمهم[٤]، وتَداوَل أرضَ مصر الأممُ، فغلب على أهلها القلم الروميّ كأشكال أحرف القبط والروم؛ فالقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه وخَلْطها لأحـرف الروم بأحرفها على حسب

(١) قارن برواية المسعودي في مروج الذهب: ٣٤٧/١ وما بعدها.

(٢) كذا في الأصل. وفي مروج الذهب «يسمى بمصر والشام الجرن» وهو أوضـح.

(٣) هذه عبارة معترضة لابن تغري بردي.

(٤) توصل علماء الآثار أثناء الحملة الفرنسية على مصر إلى معرفة هذا القلم، وهو الخط الهيروغليفي، بواسطة حجر رشيد الذي كان له الفضل في المساعدة على جلاء كثير من جوانب تاريخ مصر القديم.

ما وَلّدوا من الكتابة بين الروميّ والقِبْطيّ الأوّل، فذهب عنهم كتابة آبائهم السالفة وصاروا لا يعرفونها، وهي هذه الكتابة التي على الأهرام وغيرها. انتهى أمر الهرم.

وقد نظم عَمارة اليَمَنيّ(١) فيهما فقال: [الطويل]

خَليليّ ما تحتَ السماءِ بَنِيَّةٌ ... تُماثِلُ في إتقانها هَرَمَيْ مِصْرِ
بِناءٌ يخافُ الدهرُ منه وكلُّ ما ... على ظاهر الدنيا يَخافُ من الدهرِ
تنَزّه طَرْفي في بديع بنائها ... ولم يَتَنَزّه في المراد بها فكري

وقال سعد(٢) الدين بن جُبارة في المعنى: [الكامل]

لله أيّ غريبةٍ وعجيبةٍ ... في صَنْعة الأهرام للألبابِ
أخفت عن الأسماع قِصّةَ أهلها ... ونَضَتْ عن الإبداع كلَّ نِقابِ
فكأنّما هي كالخيام مُقامةٌ ... من غير ما عَمَدٍ ولا أطنابِ

وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان تسميه العامة «أبا الهول» لعظمه، والقبط يزعمون أنه طِلّسْمٌ للرمل الذي هناك لئلا يغلب على أرض الجيزة.

وأما السحرة(٣) الذين كانوا بمصر في زمان فرعون فكانوا، كما ذكر يزيد بن أبي حبيب، اثني عشر ساحراً رؤساء، وتحت يد كل ساحر منهم عشرون عَريفاً، تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة؛ فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين ألفاً ومائتين وآثنين وخمسين إنساناً بالرؤساء والعرفاء.

وعن محمد بن المنكدر: كان السحرة ثمانين ألفاً، فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أنَّ ذلك من السماء وأنّ السحر لا يقوم بأمر(٤) الله، فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند

---

(١) هو عمارة بن علي بن زيدان الحكمي اليمني: مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب. قدم إلى مصر برسالة من أمير مكة إلى الفائز الفاطمي. أكرمه الفاطميون ووالاهم. قتله صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ. (الأعلام: ٣٧/٥؛ وصبح الأعشى: ٦٠٦/٣؛ ووفيات الأعيان: ٤٣١/٣).

(٢) في المقريزي: ١٢١/١ «سيف الدين بن جبارة» ولعلّ المراد به: علي بن إسماعيل بن ابراهيم بن جبارة الكندي السخاوي المتوفى سنة ٦٣٢هـ. (انظر الأعلام: ٢٦٤/٤).

(٣) مأخوذ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص ٥.

(٤) في ابن عبد الحكم «لأمر الله».

ذلك سجّداً، فاتّبعهم العرفاء واتّبـع العرفاء من بقي؛ قالوا: آمنا بربّ العالمين ربّ موسَى وهارونَ، وكانوا من أصحاب موسى ولم يفتتن أحد منهم مـع من افتتن من بني إسرائيل في عبادة العجل.

وأما ما بمصر من الأعاجيب والمباني

فبها عمود[1] مدينة عين شمس الذي تسمّيه العامّة «مسلة فرعون»[1]. وبها «صدع أبـي قير»[2]، وهو موضع في الجبل يجتمع إليه في يوم مخصوص في السنة جميـع جِنس الطير، وبالجبل طاقة يدخل فيها كل طير يأتي إليه ثم يخرج من وقته حتى ينتهي إلى آخر الطير فتَقْبِض عليه ويموت فيها. وبها «مجمـع البحرين» وهو البرزخ[3]، وهما بحر الروم والصين، والحاجز[3] بينهما مسيرة ليلة واحدة ما بين القُلْزُم والفَرَمَا. وبها ما ليس في غيرها، وهو حيوان السَّقَنْقُور[4] والنِّمْس

---

(١) في المقريزي وصبح الأعشى: «مسلتان بعين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صوّان أحمر محدّدتا الرأس». والمسلّة ترجمة عربية للمصطلح الإغريقي «أوبليسك» الذي أطلق على نوع من العمود المصري، مقدود من الصخر الصلب، هرمي القمة، قد يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً، ووزنه ثلاثمائة طن؛ وكان لدى الفراعنة من شعائر الشمس. وكانت قمة المسلة تغطى بصفائح من مخلوط الذهب والفضة فإذا ما أصابها نور الشمس انعكس منها يتلألأ سناء، وهي منارة تستمد نورها من الشمس. ومنذ أيام الأسرة الثانية عشرة أخذ الفراعنة يقيمون المسلات على أبواب المعابد تعبيراً عن شكرهم لنعمة الله عليهم. وإحدى مسلتي عين شمس ما زالت قائمة إلى اليوم. ونقل كثير من المسلات الفرعونية إلى مختلف عواصم العالم. (انظر الموسوعة العربية الميسرة: ١٧٠١).

(٢) سمّاه في صبح الأعشى «جبل الطير، شرقي النيل مقابل منية أبـي خصيب» وفي المقريزي «شعب البوقيرات بناحية أشمون من أرض الصعيـد». وسمّـي بـذلك لأن صنفاً من الطير أبيض يقال له «بوقير» ـ ويُعرف أيضاً بالبحّ ـ يجيء في كل عام في وقت معلوم فيعكف على هذا الجبل وفي سفحه كوة يدخل كل طير رأسه فيها ثم يخرجه ويلقي نفسه في النيل. (انظر المقريزي: ٣١/١؛ وصبح الأعشى: ٣١٣/٣؛ ومعجم البلدان: ١٠٢/٢).

(٣) قال في فضائل مصر: ٦٧ «وهو البرزخ الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿مَرَجَ البحرين يلتقيان بينهما بَرْزَخٌ لا يبغيان﴾ وقال تعالى: ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾.

(٤) السقنقور: نوع من السحالي ينتشر بشمالي إفريقية برتقالي اللون مخطط بالبنيّ الداكن. يدفن نفسه بالرمال بسرعة، ويتغذى بالحشرات.

ولولاه أكلت الثعابين أهلها؛ وهو كقنافِذ سِجِسْتان لأهلها. وبها «دُهْن البَلَسَان»[١]، وليس ينبت عرقه إلا بمصر خاصة. وبها «مَعْدن الذهب والزمرُّد»[٢]، وليس في الدنيا معدن زمرد سواه. وبها «معدن النِّفط والشَّبّ[٣] والبِرَام والرخام». وبها «الأفيون»، وهو عصارة الخَشْخاش؛ وقيل: بها سائر المعادن؛ وبها «الأبنوس». وبها «حجر السُّنْبَاذَج» الذي يُقطع به سائر الأحجار؛ وأشياء غير ذلك سكتنا عنها خوف الإطالة.

* * *

وأما مصر تلك الأيام فكانت مبانيها وأماكنها في غير مصر الآن. وموضع مصر قديماً هي البقعة الآن الخراب عند حُذْرة ابن قميحة والكيمان التي عند قبر القاضي بكّار إلى المشهد النِّفيسي[٤].

وأما قطائع ابن طُولون فيأتي ذكرها في ترجمته وبيان أماكنها. قال الشريف

(١) قال القلقشندي في صبح الأعشى: ٣١١/٣: وتسميه العامة البلسم، وينبت عرقه ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة على القرب من عين شمس. قال ابن الأثير في «عجائب المخلوقات»: وشأنه أن يفصد في شهر كيهك من شهور القبط ويجمع ما يسيل من دهنه ويصفى ويطبخ ويُحمل إلى خزانة السلطان، ثم ينقل منه إلى الشام والبيمارستان ليستعمل في بعض الأدوية. وملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج يستهدونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه. قال العمري في مسالك الأبصار: «والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد وترى أنه لا يتمّ تنصّر نصراني حتى يوضع شيء من هذا الدهن في ماء المعمودية، لاعتقادهم أن هذا النبات يسقى من بئر اغتسل بها المسيح حين قدمت به أمه إلى مصر».

(٢) الزمرّد: ضرب من معدن «البريل» أخضر اللون يوجد في صخور الرخام والشست الميكائي، وأشهر مناجمه في جنوب مصر. وقد اكتشف المصريون القدماء هذه المناجم واستغلوها استغلالاً كبيراً، ولكنها اختفت بعد ذلك آجالاً طويلة حتى أعيد كشفها في القرن الحالي. (الموسوعة العربية الميسرة: ٩٤٦).

(٣) معدن الشبّ على القرب من أسوان، ومعدن النفط على ساحل بحر القلزم. (صبح الأعشى: ٣١٣/٣). قال القلقشندي: والنفط يسيل دهنه من أعلى جبل قليلاً قليلاً وينزل إلى أسفله فيتحصّل في دبار قد وضعها له الأولون، وتأتي العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية.

(٤) قال ابن سعيد المغربي: «وكان مكانها قبل العمارة بستاناً لبني طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع» ـ انظر صبح الأعشى: ٣٩٣/٣. وقال ابن دقماق في الانتصار: ٣٥/٢ «لما دخل القائد جوهر مصر في سابع عشر شعبان من سنة ٣٥٨هـ، نزل عند بستان الإخشيد وهو موضع القاهرة». ولبيان محل القاهرة قبل دخول جوهر انظر الخطط التوفيقية الجديدة لعلي مبارك: ٣١/١ ـ ٣٢.

النسّابة الثقة محمد بن أسعد الجوّانيّ(١) في كتابه المسمى بـ «النُّقَط لمعجم(٢) ما أشكل من الخطَط»: سمعت الأمير تأييد الـدولة تميم بن محمـد المعروف بالصمصام يقول: في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة حدّثني القاضي أبو الحسن عليّ بن الحسين الخِلَعِي(٣) عن القاضي القُضَاعي(٤) أبـي عبد الله أنه قال: كان في مصر من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع مسلوك، وألف ومائة وسبعون حماماً(٥)؛ وأنّ أبا الحسن بـن حمزة الحسنيّ ذكر أنه عرض له دخول حَمّام سالم الذي عند درب سالم في أوّل القرافة، يعني حَمّام جُنَادة بن عيسى المَعَافِرِي الذي عند مصبغة الحفّارين المعروفة بفسقيّة ابن طولون ـ قلتُ: وفسقيّة ابن طولون هي عند المقبرة الكبيرة على يَسْرة المتوجّه إلى القرافة بالقرب من قبر القاضي بكّار(٦) ـ قال: وإنه ما وصل إليه إلا بعد عناء من الزحام، وإنه كانت قَبَالة الحمّام في كل يوم جمعة خمسمائة درهم. قلت: وكانت الخمسمائة درهم يوم ذاك نحو اثنين وأربعين ديناراً إلا ثلثاً، لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثني عشر درهماً. انتهى كلام الشريف.

قلت: وذهبت تلك الأماكن بأجمعها عند خراب قطائع ابن طولون لمّا

---

(١) نسبة إلى «الجَوَّانية» قرية قرب المدينة. (معجم البلدان: ٢/١٧٥). توفي سنة ٥٨٨هـ بمصر (الأعلام: ٦/٣١).

(٢) في كشف الظنون لحاجي خليفة: «ما أشكل عليه..». وفي المقريزي «النقط بعجم....».

(٣) نسبة إلى بيع الخلع، لأنه كان يبيعها لملوك مصر. توفي سنة ٤٩٢هـ. وهو من الفقهاء الشافعية. ولي قضاء الديار المصرية يوماً واحداً. (حسن المحاضرة: ١/٢٢٧).

(٤) هو القاضي الشافعي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي. توفي سنة ٤٥٤هـ بمصر. وكتابه في الخطط يسمى «المختار في ذكر الخطط والآثار» (انظر خطط المقريزي: ١/٥، والخطط التوفيقية: ٥/١١٦، وحسن المحاضرة: ١/٢٢٧ ووفيات الأعيان: ٣/٢١٢).

(٥) وقد تناقص عدد هذه الحمامات فذكر ابن المتوّج (توفي سنة ٧٣٠هـ) أن عدة حمامات مصر في زمنه بضـع وسبعون حماماً، وذكر ابن عبد الظاهر أنها إلى آخر سنة ٦٨٥هـ تقرب من ثمانين حـماماً. (المقريزي: ٢/٨٠) ـ قارن أيضاً بالانتصار لابن دقماق: ١/٩٢.

(٦) هو بكّار بن قتيبة بن أسد. ولي القضاء بمصر للمتوكل العباسي سنة ٢٤٦هـ. ولما صار الأمر إلى أحمد بن طولون بمصر أمره بخلـع الموفـق من ولاية العهد، فامتنـع بكار فاعتقله فأقام في السجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويفتيهم إلى أن توفي في سجنه سنة ٢٧٠هـ. (وفيات الأعيان: ١/٢٧٩).

أخربها محمد بن سليمان الكاتب، لا سيما لمّا بنيت القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، على ما يأتي ذكر ذلك في ترجمة جوهر القائد.

وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الأربـع فقد تجدّد ذلك كله في الدولة التركية، ومعظمه في دولة ابن قلاوون محمد، على ما يأتي بيان ذلك في ترجمته، لأننا نذكر كل مكان تجدّد في أيام سلطانه كما شرطناه في أوّل هذا الكتاب.

[ذكر محاسن مصر]

وأما محاسن مصر فكثيرة: من ذلك ما قاله الشيخ الإمام الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زُولاق[١]: إنّ من محاسن مصر اعتدال هوائها في حرّها وبردها؛ وإنّ مزاج هوائها لا يقطع أحداً عن التصرّف كما يقطع حرّ بغداد أهلها عن التصرف في معايشهم، ويخلو أكثر الطرقات بها نهاراً، وكذلك بردها، وإنّ برد مصر ربيع وحرّها قيظ. وقدم رجلٌ من بغداد إلى مصر فقيل له: ما أقدمك؟ فقال: فررت من كثرة الصياح في كل ليلة: «يا غافلين! الصلاة» لاختفائهم من الحرّ والبرد، فإنّ حرّ بغداد وبردها يقطعان أهلها عن التصرّف حتى إنهم يكْمُنون في بطن الأرض[٢] من شدّة الحرّ في الصيف، وتطوف الحرّاس في بعض المواضع نهاراً لاختفاء الناس في بطون الأرض من شدّة الحرّ. انتهى كلام ابن زولاق.

قلتُ: وأما برد الشمال والروم فلا حاجة لذكره لعظَم البرد وكثرة الثلوج والأمطار وغير ذلك.

قال ابن زُولاق أيضاً: ومن ذلك الأقوات والمِيرَة التي لا قِوَام لأحد في بلد إلا بها، فإنّ مصر تَمِير أهلها والساكنين بها وبأعمالها، وتمير الحرمين الشريفين والوافدين إليها من الأقطار، وما تجد بلداً إلا وتصل إليها مِيرة مصر؛ وبغداد لا تمير أهلها فضلاً عن غيرهم لأن طعامها وأقوات ساكنيها من المَوْصل وأعماله والفُرات وأعماله وديار مضر وربيعة.

وأما بغداد فإنها تَمِير نفسها أربعة أشهر، وتميرها الموصلُ أربعة أشهر،

---

(١) صنّف كتاباً في فضائل مصر، وذيلاً على قضاة مصر للكندي. مات سنة ٣٨٧هـ عن إحدى وثمانين سنة (حسن المحاضرة: ١/٣١٩ وابن خلكان: ٢/٩١).

(٢) ما زالت طريقة بناء السراديب في بغداد متبعة حتى اليوم، وهي طريقة مناسبة لاتقاء الحرّ.

وتميرها واسط أربعة أشهر؛ وكذلك البصرة أيضاً لا تمير نفسها، وإنما تميرها واسط والأهواز؛ ولما حلّ الغلاء ببغداد نَزَح عنها أهلها وأثّر فيها إلى اليوم. وكان بمصر غلاء في سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وغلاء في سنة أربع عشرة وثلاثمائة، وغلاء في سنة عشرين وثلاثمائة، وغلاء في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وغلاء في سنة ست وسبع وثمان وخمسين وثلاثمائة، فما أثّر ذلك فيها.

قلت: هذا، وما وصل القائل إلى غلاء سني المستنصر بالديار المصرية من سنة ست وخمسين إلى سنة خمس وستين وخمسمائة التي شُبِّهت بأيام يوسف عليه السلام، ولم يقع بمصر غلاء مثله قبله ولا بعده، وبعد ذلك تراجع أمر مصر في مدّة يسيرة وعادت إلى ما كانت عليه أوّلاً. يأتي ذكر هذا الغلاء وغيره في ترجمة الخليفة المعزّ العُبَيدي في هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

قلت: وهذا القياس الذي ذكرناه بين مصر وبغداد إنما كان تلك الأيام التي كان بها يومئذ عظماء خلفاء بني العباس، وكانت مصر تلك الأيام يليها عامل من قِبَل أمير من أمراء الخلفاء؛ وأما يومنا هذا فلا تقاس مصرُ بالعراق جميعِه بل تزيد محاسنها على جميع أقطار الأرض، ولولا خشية الإطالة لبيّنّا ذلك، ولكن فيما ذكرناه من محاسن مصر وما اشتملت عليه من الطرائف كفاية عن الإطناب فيها.

وأما خراج مصر قديماً فقيل: إن كيقاوس(١) أحد ملوك القبط الأول جبى خراجها فجاء مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار، وجباه عَزيز(٢) مصر مائة ألف ألف دينار، وجباه عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ في الإسلام اثني عشر ألف ألف دينار، ثم رَذُل(٣) إلى أن جباه أحمد بن طولون في سنة ستين ومائتين أربعة آلاف

(١) في المقريزي: ١/٧٥ «منقاوس».

(٢) في المقريزي: وهو الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه السلام.

(٣) المراد: ثم انحط مقدار الخراج. وعبارة المقريزي في خططه والكندي في فضائل مصر: «وانحط خراج مصر لنموّ الفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الأرض ووقوع الحروب فلم يجبها بنو أمية وخلفاء بني العباس إلا دون الثلاثة آلاف ألف، ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فإنها جباها ابن الحبحاب أربعة آلاف ألف،؛ وفي ولاية بني طولون..).

ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار مع ما يضاف إليه من ضِياع الأمراء[١]، ثم جباه جوهر القائد خادم المعزّ العُبَيدي ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار في سنة ستين وثلاثمائة.

وسبب نزول خراج مصر أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان يُنفَق في حفر تُرَعها وإتقان جسورها، وإزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالقَصَب والحَلْفاء والقِضاب وغير ذلك[٢].

وحكى عبد الله بن لهِيعة: أن المرتبين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل: سبعون ألفاً بصعيد مصر، وخمسون ألفاً بالوجه البحري.

وحكى ابن زُولاق: أن أحمد بن المُدَبِّر لمّا وَلِيَ خَرَاج مصر كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال: والله لو عَمَرها السلطان لوفتْ له بخراج الدنيا.

وقيل: إنها مُسِحت في أيام هِشَام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء الغامر والعامر مائة ألف ألف فدان، والفدان أربعمائة قصبة، والقصبة عشرة أذرع.

وقيل: إن أحمد بن المدبّر المذكور اعتبر ما يصلح للزراعة بمصر فوجده أربعة وعشرين ألف ألف[٣] فدان، والباقي مستبحر وتَلِفَ من قلّة الزراعة، واعتبر أيضاً مدّة الحَرْث فوجدها ستين يوماً؛ والحَرّاث يحرُث خمسين[٤] فداناً، فكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف وثمانين ألف حَرّاث.

قلت: هذا خلاف ما رئي من الجزائر في الإسلام مثل جزيرة بني نصر

(١) ثم جباها خمارويه بن أحمد بن طولون أربعة آلاف ألف دينار. (المصدر السابق).

(٢) قارن بما جاء في المقريزي: ١/١٠٠ حول سبب نزول خراج مصر، والشروط اللازمة للمحافظة على عمارة أرضها. انظر أيضاً حسن المحاضرة: ١/٨٦ ـ ٩٠.

(٣) في المقريزي أن مساحتها مائة ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان، كان يزرع منها في مباشرة ابن المدبر أربعة وعشرون ألف ألف فدان.

(٤) في الأصول «عشرين» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب ونهاية الأرب للنويري: ١/٢٦٦، وهو المناسب للأرقام المذكورة في هذه الفقرة.

وجزيرة الذهب وغيرهما قبلي وبحري؛ وأيضاً خلاف إقليم البحيرة، والبحيرة كان أصلها كَرْماً لامرأة المُقَوْقِس، وكانت تأخذ خراجها الخمر بفريضة عليهم، فكثر الخمر عليها فقالت: لا حاجة لي بالخمر، أعطوني دنانير، فلم تجدها معهم، فأرسلت على الكَرْم الماءَ فغرَّقتها، فصارت بُحَيرة يُصاد بها السمكُ حتى استخرجها بنو العباس، فسدّوا جسورها وزرعوها ونمتْ وآستمرت في زيادة إلى يومنا هذا، وبقي ذلك اسماً عليها لا تعرف إلا بالبُحَيرة.

ذكر ما قيل في سبب تسمية مصر بمصر

قيل: إنه كان آسمها في الدهر الأوّل زجلة[١] من المزاجلة، وقال قوم: سُمِّيت بمصريم بن مركائيل[٢] بن دوابيل بن غرياب بن آدم، وهذا هو مصر الأوّل؛ وقيل: بل سُمِّيت بمصر الثاني، وهو مصرام بن نقراوش الجبّار بن مصريم الأوّل المقدّم ذكره؛ وقيل: سُمِّيت بعد الطوفان بمصر الثالث، وهو مصر بن بيصر بن حام بن نوح، وهو اسم أعجميّ لا ينصرف؛ وقيل: هو اسم عربيّ مشتقّ[٣]، ولكل

(١) في المقريزي: ١٨/١ «جزلة».

(٢) في المقريزي: «مصر بن مركابيل» وفي صبح الأعشى: «مصريم بن براجيل بن رزائيل». والمصادر لا تتفق على رسم هذه الأسماء.

(٣) إذ المصر في لغة العرب اسم للحدّ بين الأرضين، كما قاله القضاعي. ومنه قول أهل هجر: «اشتريت الدار بمصورها» أي بحدودها. (انظر صبح الأعشى: ٣٥١/٣؛ واللسان: مصر). والواقع أن المصريين الأوائل قد سموا بلادهم: «دوشريت ــ كمت» قبل أن يعرفوا اسم مصر. فالأرض الحمراء أو المغراء (دوشريت أو دوشرى) هي الصحارى الواقعة إلى الشرق والغرب من وادي النيل. أما السوداء ــ أو الخضراء المائلة إلى السواد ــ فهي البقاع الخصبة العامرة التي ازدهرت على ضفاف النيل. وقد أطلق الساميون لفظ «مصر» للدلالة بادىء الأمر على عدد من الأرضين في آسيا وإفريقيا. وعندما ظهر اسم «مصر» في النقوش الأشورية لأول مرة لم تقتصر دلالته على أرض في إفريقية، وإنما دل على مواضع عديدة منها: موضع شمالي الشام يقع جنوب طوروس، والثاني في الشمال الغربي من جزيرة العرب متاخم لـ «إدوم» شرقاً وأرض الجفار وشبه جزيرة سيناء غرباً؛ والثالث يأخذ من جزيرة سيناء وأرض الجفار إلى الفرع الشرقي للدلتا. وقد ورد الاسم في النقوش الأشورية وفي رسائل تل العمارنة في صيغ مختلفة: مِصرى، مُصرى، مُصُر، مِصِر، مصارى، مشرى... إلخ. والراجح عند العلماء أن أصل الاسم سامي وهو بمعنى الحدّ الفاصل بين أرضين. إلا أن العلماء لم ينتبهوا على ما يبدو إلى معنى آخر لمادة (م ص ر) في اللغات السامية، وهذا المعنى احتفظت به العربية وقلما رأيناه عند أخواتها الساميات، وهو في قولهم: المصر الطين الأحمر. ويقال: ثوب ممصّر أي مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة. وتكاد تتشابه المواد: مصر، مغر، مكر، في هذا المعنى. ولعل هذا المعنى هو الأقرب في تفسير الاسم الوارد في النقوش، ولا سيما إذا عرفنا أن المواضع الثلاثة المذكورة كانت تقع في أرض أكثر صخورها حمراء. (انظر حول هذا الرأي بالتفصيل: لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده ــ عبد المجيد عابدين)

قائل دليل؛ وقيل غير ذلك أقوال كثيرة يأتي ذكر بعضها.

قال المسعودي في تاريخه(١): إن بني آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب نقراوش الجبار ابن مصريم المقدّم ذكره في نَيِّف وسبعين راكباً من بني غرياب بن آدم، جبابرة كلهم يطلبون موضعاً من الأرض ليقطُنوا فيه، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المشي عليه، فلما رأوا سَعَةَ هذا البلد أعجبهم، وقالوا: هذا بلد زَرْع وعمارة، فأقاموا فيه وآستوطنوه وبنَوْا فيه الأبنية المحكمة والمصانع العجيبة، وبنى نقراوش بن مصريم [مصر وسماها باسم أبيه مصريم](٢) ثم لمّا ملك قال لبنيه: إني أريد أن أصنع مدينة، ثم أمرهم ببنيان مدينة في موضع خيمته، فقطعوا الصخور من الجبال، وأثاروا معادن الرصاص، وبنوا دوراً وزرعوا وعَمَروا الأرض، ثم أمرهم ببناء المدائن والقُرَى وأسكن كل ناحية من الأرض مَنْ رأى، ثم حفروا النيل حتى أخرجوا(٣) ماءه إليهم، ولم يكن قبل ذلك معتدلَ الجري، وإنما كان ينبطح ويتفرّق في الأرض، فهندسوه وشقّوا منه أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها، وشقّوا منه نهراً إلى مدينتهم أمسوس يجري في وسطها، ثم سُمِّيت مصر بعد الطوفان بمصر بن بيصر بن حام بن نوح على ما نذكره هنا أيضاً. ويقال: إنّ مصر هذا غَرَس الأشجار بيده فجاءت ثمارُها عظيمةً بحيث إنه كان يشقّ الأُتْرُجّة نصفين لنوح يحمل البعير نصفها، وكان القثّاء يومئذ في طول أربعة عشر شبراً؛ ويقال: إنه أوّل من وضع السفن وإنّ سفينته كانت ثلاثمائة ذراع في عرض مائة ذراع. ويقال: إنّ مصرايم نكح امرأة من بنات الكهنة فولدت ولداً يقال له قبطيم، ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر: قفطريم، وأشمون، وأتريب، وصا؛ فكثروا وعَمروا الأرض وبُورك لهم فيها. وقيل: إنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلاً فبَنَوْا مدينة

---

(١) وهو كتاب «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان» لأبي الحسن المسعودي صاحب «مروج الذهب» المتوفى سنة ٣٤٦هـ. (كشف الظنون: ١/٢٧ والمقريزي: ١/١٨).

(٢) الزيادة عن المقريزي: ١/١٩.

(٣) في المقريزي «أجروا» وهي أوضح.

سموها «مافة» [ومعنى مافة ثلاثون بلغتهم][١] وهي مدينة مَنْف التي تسمّى الآن: «منوف العليا»، وكشف لهم أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم والطلّسمات والمعادن، ووصفوا لهم عَمَل الصَّنْعة[٢] وبنوا على عِبْر البحر مدناً: منها رقودة[٣] مكان الإسكندرية؛ ولمّا حضرت مصرايم الوفاة عهد إلى ولده قبطيم، وكان قد قَسّم أرض مصر بين بنيه، فجعل لقفطريم[٤] من قِفْط إلى أُسوان، ولأشمون من أشمون إلى مَنْف، ولأتريب الحوْف كله، ولِصَا من ناحية صَا البحيرة إلى قُرب بَرْقة؛ وقال لأخيه فارق: لك من برقة إلى المغرب، فهو صاحب إفريقية وأولاده الأفارق؛ وأمر كل واحد من بنيه أن يبنيَ لنفسه مدينة في موضعه، وأمرهم عند موته أن يحفروا له في الأرض سَرَباً وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده، ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر، ويزبُروا[٥] عليه أسماء الله المانعة من أخذه، فحفروا له سَرَباً طوله مائة وخمسون ذراعاً، وجعلوا في وسطه مجلساً مصفّحاً بصفائح الذهب، وجعلوا له أربعة أبواب على كل باب منها تمثال من ذهب، عليه تاج[٦] مرصّع بالجوهر، وهو جالس على كرسيّ من ذهب، قوائمه من زمرّد[٧]، وزَبَروا في صدر كل تمثال آيات مانعة، وجعلوا جسده في جُرْن مرمر مصفّح بالذهب، وكانت وفاة مصرايم المذكور بعد الطوفان بسبعمائة سنة، ومات ولم يعبد الأصنام، وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزَّبَرْجَد المخروط، وألفَ تمثال من الجوهر النفيس، وألف بَرْنِيّة مملوءة من الدرّ الفاخر

(١) في طبعة دار الكتب «ومعين، ومافة ثلاثون بلغتهم». وفي المقريزي: «نافة». وجاء في مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٧/١ «وكان عددهم ثلاثين فسميت (ثلاثين) بهم، كما سميت مدينة (ثمانين) من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان». ونقل القلقشندي عن الحميري في الروض المعطار ــ وهو ما لم نجده في النسخة التي بين أيدينا من كتاب الحميري ــ أن «مافة» سريانية، ومعناها بالعربية ثلاثون.

(٢) أي الكيمياء.

(٣) في الأصول «وقورة». وما أثبتناه من خطط المقريزي.

(٤) لعل الصواب «لقبطيم» كما في المقريزي. وهو يناسب ما ورد قبله.

(٥) أي يكتبوا. وفي الأصول «وقرؤوا» وما أثبتناه من المقريزي.

(٦) في طبعة دار الكتب «مانع». وما أثبتناه من المقريزي.

(٧) كذا في طبعة دار الكتب. وفي المقريزي «زبرجد».

والعقاقير والطِّلَّسْمات العجيبة وسبائك الذهب، وسقّفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمالَ بين جبلين، وولي ابنه قبطيم المُلْك.

من دخل مصر من الصحابة

ودخل مصر من الصحابة ممن تقدّم ذكرهم في فتح مصر وغيرهم جماعة: الزبير بن العوّام، والمِقْداد بن الأسود، وعُبادة بن الصّامت، وأبو الدرداء، وفَضالة بن عُبيد، وعمرو بن العاص، وعمرو بن علقمة، وشُرَحبيل بن حَسَنة، وسعد ابن أبي وقّاص، وعبد الله بن عمرو، وخارجة بن حُذافة، ومحمد بن مَسْلَمة، وأبو رافع، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد، وأبو أيوب، ونافع بن مالك[١]، ومعاوية بن حُدَيج، وعَمّار بن ياسر، وخالد بن الوليد، وغيرهم[٢] ـ رضوان الله عليهم أجمعين.

ودخلها من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين: يعقوب وأولاده، وهم: يوسف، ويهوذا، وروبيل، ولاوي، وزبالون، وشمعون، ويشحر[٣]، ودنيا، ودانا[٤]، وديفتابيل[٥]، وجاد، وبنيامين. ودخلها موسى وهارون؛ وبها وُلد[٦] عيسى آبن مريم[٧].

---

(١) في المقريزي: «نافع بن عبد قيس الفهري، ويقال: بل هو عقبة بن نافع».

(٢) قال السيوطي في حسن المحاضرة: وقد ألف الإمام محمد بن الربيع الجيزي في ذلك كتاباً في مجلد ذكر فيه مائة ونيفاً وأربعين صحابياً، وقد فاته مثل ما ذكر أو أكثر. وقد ألفت في ذلك تأليفاً لطيفاً استوعبت فيه ما ذكره وزدت عليه ما فاته من تاريخ ابن عبد الحكم وتاريخ ابن يونس وطبقات ابن سعد وتجريد الذهبي.

(٣) في الأصول «يسجرة». وما أثبتناه من الكامل لابن الأثير: ١/٩٦ والطبري: ١/١٩٠. وفي الطبري أنه يقال له: يسحر ويشحر.

(٤) كذا في طبعة دار الكتب. وفي الطبري وابن الأثير: «دان وأشر».

(٥) في الطبري: «نفثالي». وفي الكامل لابن الأثير: «تفتالي».

(٦) هذا وهم من الكاتب لا يليق بمثله الوقوع فيه.

(٧) وزاد السيوطي أنه قد دخلها أيضاً من الأنبياء: إدريس وهو هرمس، وإبراهيم الخليل، وإسماعيل، ولوط، وهارون، ويوشع بن نون، ودانيال، وإرميا. (حسن المحاضرة: ١/٣١).

وقد روي عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه أنه سأل كعب الأحبار عن طبائـع البلدان وأخلاق سكانها، فقال: إنّ الله عز وجل لما خلق الأشياء جعل كل شيء لِشيء؛ فقال العقل: أنا لاحق بالشأم، فقالت الفتنة: وأنا معك؛ فقال الخِصْب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك؛ وقال الشقاء: أنـا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك؛ وقال البخل: أنا لاحق بالمغرب، فقال سوء الخُلُق: وأنا معك.

ويقال: لمّا خَلَق الله الخَلْق خَلَقَ معهم عشرة أخلاق: الإيمان، والحياء، والنجدة، والفتنة، والكِبْر، والنِّفاق، والغنى، والفقر، والذلّ، والشقـاء؛ فقال الإيمان: أنا لاحق باليمن، فقال الحياء: وأنا معك؛ وقالت النجدة: وأنا لاحقة بالشأم، فقالت الفتنة: وأنا معك، وقال الكِبْر: أنا لاحق بالعراق، فقال النفاق: وأنا معك؛ وقال الغنى: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك؛ وقال الفقر: أنا لاحق بالبادية، فقال الشقاء: وأنا معك.

وقد رُوي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: المكر عشرة أجزاء: تسعة منها في القبط، وواحد في سائر الناس[١].

ما ورد من الأشعار في وصف مصر

ووصف ابن القِرِّيَّة[٢] مصر فقال: عَبِيد لمن غَلَب، أكيس الناس صغاراً وأجهلهم[٣] كباراً. وقال المسعوديّ في تاريخه: قال بعض الشعراء يصف مصر: [السريـع]

مِصْـرُ ومِصْـرُ شـأنهـا عَجِيبُ   ونِيلُهـا يجـري بـه الجَنُـوبُ

(١) قارن بما جاء في خطط المقريزي: ١/٤٢ ــ عن أخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم.

(٢) هو أيوب بن زيد بن قيس الهلالي: أحد بلغاء الدهر. خطيب يضرب به المثل، يقال: «أبلغ من ابن القِرِّيّة». والقِرِّيّة أمه. قتله الحجاج سنة ٨٤هـ. (الأعلام: ٢/٣٧).

(٣) في طبعة دار الكتب «وأجلّهم». والتصحيح من المقريزي: ١/٥٠.

قلت: وقد قيل في مصر عدّة قصائد ومُقَطّعات ذكرنا منها نبذة في تاريخنا «حوادث الدهور» عند وفاء النيل في كل سنة. منها ما قاله الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبك الصَّفَدِيّ[(١)]: [المجتثّ]

لِـمْ لا أَهِـيـمُ بـمـصـرٍ وأرتَـضِـيـهـا وأعْـشَـقْ
ومـا تـرى الـعـينُ أحلَى مـن مـائـهـا إن تَـمَـلَّقْ

وفي المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردي[(٢)] ـ رضي الله عنه: [البسيط]

ديارُ مِصْرَ هي الدنيا وساكنُها هُمُ الأنـامُ فقـابلْهـا بتقبيـلِ
يا مَن يُبَاهِي ببغـدادٍ ودَجْلَتها مِصْـرُ مقدَّمـةٌ والشرح للنِّيـلِ

وأبدعُ منه ما قيل في المعنى أيضاً لابن سَلّار: [الطويل]

لَعَمركَ مـا مِصر بمصرٍ وإنمـا هي الجنَّـة العُلْيا لمن يتـذكَّـرُ
وأولادُهـا الوِلْـدانُ من نسْـل آدم ورَوْضتُهـا الفِرْدوسُ والنِّيـل كَوْثَـرُ

وللقاضي شهاب الدين أحمد بن فَضْل الله العُمَريّ[(٣)] في هـذا المعنى: [الكامل]

مـا مِثلُ مِصْـرٍ في زمـان ربيعهـا لصفـاء مـاءٍ وآعتـدالِ نِسيـمِ
أقسمتُ ما تحوي البلاد نظيـرَها لمّـا نظرتُ إلى جمـال وَسِيـمِ[(٤)]

---

(١) هو الأديب المؤرخ المشهور، صاحب «الوافي بالوفيات» توفي سنة ٧٦٤هـ. (انظر ترجمته في الدرر الكامنة).

(٢) هو عمر بن مظفر بن عمر، ابن الوردي المعرّي الكندي: شاعر أديب مؤرخ. ولد بمعرّة النعمان بسورية، وتوفي بحلب سنة ٧٤٩هـ. وإليه تنسب اللامية المشهورة التي أولها: «اعتزل ذكر الأغاني والغزل». (انظر فوات الوفيات: ١٥٧/٣؛ والأعلام: ٦٧/٥؛ والنجوم الزاهرة: طبعة دار الكتب: ٢٤٠/١٠ حاشية).

(٣) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المؤرخ المشهـور صاحب «مسالك الأبصار» «والتعريف بالمصطلح الشريف». عمل في ديوان الإنشاء بالديار المصرية فترة طويلة وتوفي بدمشق سنة ٧٤٩هـ. (انظر ترجمته في الجزء العاشر من هذا الكتاب: وفيات سنة ٧٤٩هـ).

(٤) وسيم: على الضفة الغربية من النيل، على ميل من الفسطاط.

وله أيضاً ــرضي الله عنهــ وأبدع: [مجزوء الرجز]

لِمِصْرَ فضلٌ باهرٌ لعيشها الرَّغْدِ النَّضِرْ
في كلِّ سَفْحٍ يلتقي ماءُ الحياةِ والخَضِرْ

وللصَّفِيِّ الحِلِّي[1] في القاهرة: [الكامل]

لله قاهرةُ المعزِّ فإنها بلدٌ تَخَصَّصَ بالمَسَرَّةِ والهنا
أَوَما ترى في كلِّ قُطْرٍ مُنْيَةً من جانبيْها فهي مجتمع المنى

ولأبي الحسن عليّ بن بهاء الدين الموصليّ الحنبليّ في المعنى: [الطويل]

بها ما تَلَذُّ العَيْنُ من حُسْنِ مَنْظَرٍ وما تَرْتَضِيهِ النَّفْسُ من شهواتها
وتُربتها تِبْرٌ يلوحُ وعَنْبَرٌ يَفُوحُ وتَلْقَى بَعْدَ بُعْدٍ حياتِها
زُمُرُّدَةٌ خَضْرَاءُ قد زِينَ قُرْطُها بلؤلؤة بيضاءَ من زَهَراتِها

ولابن الصائغ الحنفيّ[2] في المعنى، وأجاد: [مخلّع البسيط]

اِرضَ بمصر فتلك أرضٌ من كلِّ فنٍّ بها فُنونُ
ونيلُها العَذْبُ ذاك بحرٌ ما نظرَتْ مثله العيونُ

وللشيخ برهان الدين القيراطيّ[3]: [المنسرح]

رَوَتْ لنا مصرُ عن فواكهها أخبارَ صِدقٍ صحيحةَ الخُبْرِ
وكلُّ ما صحَّ من محاسنها أَرْوِيهِ من خَوخها عن الزُّهْري

وله أيضاً: [الطويل]

حَلا نِيلُ مِصْرٍ وهو شَهْدٌ ومَن يَذُق حلاوته يوماً من الناس يَشْهَدِ

---

(١) هو عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائي، صفي الدين الحلّي، نسبة إلى الحلّة بين الكوفة وبغداد. كان شاعر عصره. ارتحل إلى الشام ومصر وتوفي ببغداد سنة ٧٤٩هـ. (انظر فوات الوفيات: ٢/٣٣٥؛ والجزء العاشر من هذا الكتاب: وفيات سنة ٧٤٩هـ).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفي الزمردي، ابن الصائغ: أديب مصري، من العلماء. توفي سنة ٧٧٦هـ. (الأعلام: ٦/١٩٢).

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي: شاعر من أعيان القاهرة. اشتغل بالفقه والأدب وجاور بمكة فتوفي فيها سنة ٧٨١هـ. (الدرر الكامنة: ١/٣١، وشذرات الذهب: ٦/٢٦٩).

أَيا بَرَدَى بالشأم إن ذُبْتَ حسرةً وغيظاً فلا تَهْلِكْ أسًى وتَجَلَّدِ(١)

وقال غيره(٢) في المعنى: [مجزوء الكامل]

النِّيل قال وقولُه إذ قال ملءُ مَسامِعِي
في غيظ مَن طلَب الغَلا عَمَّ البلادَ منافعِي
وعيونُهم بعد الوَفا(٣) قلَّعتُها بأصابعي

وللشريف العَقيليّ(٤) في المعنى ـ رضي الله عنه: [الطويل]

أحِنّ إلى الفُسطاط شوقاً وإنّني لأدعو لها ألاّ يَحلّ بها القَطْرُ
وهل في الحيا(٥) مِن حاجةٍ لجنابها وفي كلّ قُطْرٍ من جوانبها نهرُ
تَبدّت عَروساً والمقطَّمُ تاجُها ومِن نِيلِها عِقْدٌ. كما انتظَم الدّرُّ

فائدة: إذا أردتَ أَنْ تعلم كم تكون زيادة النيل في السنة فاَحسُب يوم عيد ميكائيل، وهو ثاني عشر بؤونة، كم يكون في الشهر العربيّ من يوم، وزد فوقه تسعين يوماً وخذ سدس الجميع، تكون عدّة أذرع النيل في تلك السنة(٦).

---

(١) البيتان في الأصول:

حلا نيل مصر وهو شاهدة ومن يذوق حلاوته من الناس يشهد
أيا برد ما الشام إن ذبت حسرة وغيظاً فلا تهلك أسىً وتجلّد

والتحريف فيهما واضح. وما اثبتناه من طبعة دار الكتب، صححه المحققون بما يناسب المقام.

(٢) هو النصير المناوي، كما في «حوادث الدهور» للمؤلف. (حاشية ص ٥٣ من طبعة دار الكتب).

(٣) أي وفاء النيل، وهو بلوغ مستوى مائه الحدّ الضروري المطلوب لرّي أرض مصر.

(٤) هو علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي، من سلالة عقيل بن أبي طالب: شاعر من سكان الفسطاط. اشتهر بإجادته التشبيه وإكثاره من الاستعارات البيانية. وهو القائل:

ولما أقلعت سفن المطايا بريح الوجد في لجج السراب
جرى نظري وراءهم إلى أن تكسّر بين أمواج الهضاب

(انظر فوات الوفيات: ١٨/٣).

(٥) أي المطر.

(٦) وذكر المقريزي عدة طرق حسابية لمعرفة مقدار زيادة النيل، ومنها ما اختبرها بنفسه وتأكدت لديه صحتها. قال: «وقالت القبط: ينظر أول يوم من شهر برمودة (نيسان) ما الذي يوافقه من الشهر العربي، فما كان من الأيام فزد عليه خمسة وثمانين، فما بلغ فخذ سدسه فإنه يكون عدد مبلغ النيل من الأذرع من تلك السنة. قال: قالوا: ومن المعتبر أيضاً في أمر النيل أن تنظر اليوم الذي تفطر فيه النصارى اليعاقبة =

ولولا خشية الإطالة لذكرنا من هذا نُبَذاً كثيرة؛ ومن أراد الإكثار من ذلك فليراجـع تاريخنا «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» فإنني ذكرتُ من ذلك عدّة مقطّعات عند وفاء النيل في كل سنة.

ونعود الآن إلى كلام المسعودي، قال[١]: وهي مصر، وآسمها كمعناها، وعلى آسمها سمِّيت الأمصار، ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين.

ثم ذكر المسعوديّ زيادة النيل ونقصانه نحواً مما ذكرناه[٢]، إلى أن قال: فإذا انتهت الزيادة إلى ست عشرة ذراعاً ففيه تمام الخراج [وخصب الأرض ورَيْـعٌ للبلد عام، وهو ضارّ للبهائم لعدم المرعى والكلأ][٣]، وفي سبـع عشرة ذراعاً كفايتها وريّ جميـع أرضها، وإذا زاد على السبـع عشرة وبلـغ الثمان عشرة ذراعاً وأغلقها استبحر من أرض مصر الربـع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرناه من وجه الاستبحار وغير ذلك، وإذا كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعاً كانت العاقبة في آنصرافه حدوث وباء بمصر، وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعاً، وقد كان النيل بلـغ في زيادته تسـع عشرة ذراعاً سنة تسـع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز[٤].

قلتُ: وكلام المسعوديّ بهذا القول في عصر الأربعمائة من الهجرة قبل أن تعلو الأراضي ويحتاج إلى بلوغه إحدى وعشرين ذراعاً وأكثر؛ ولو رأى عصرنا هذا لكان يرجـع فيه عن مقالته وطلب الزيادة.

قال: ومساحة الذراع إلى أن يبلـغ آثني عشر ذراعاً ثمان وعشرون أصبعاً،

= بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليها أربعاً وثلاثين، فما بلـغ أسقطه اثني عشر فإن بقي بعد ذلك الإسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الأذرع في تلك السنة مع الاثني عشر. قال: ومن المعتبر الذي جرّبته هو أن ينظر أول يوم من مسري (آب) كم مبلـغ النيل فزد عليه ثمانية أذرع فما بلـغ فهو زيادة النيل في تلك السنة». (انظر خطط المقريزي: ٦٨/١).

(١) انظر مروج الذهب: ٣٤٢/١.

(٢) قال المسعودي: ويبتدىء نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤونة (وهو حزيران) وأبيب (وهو تموز) ومسري (وهو آب) فإذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله (وهو أيلول) إلى انقضائه.

(٣) الزيادة من مروج الذهب للمسعودي.

(٤) قارن أيضاً بالمقريزي: ٥٧/١ ــ ٦١. وفيه أنه «بلـغ في خلافة عمر بن عبد العزيز اثني عشر ذراعاً».

ومن اثني عشر ذراعاً إلى ما فوق يصير الذراع أربعاً وعشرين أصبعاً. قال: وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاث أذرع، وفي مثل[١] تلك السنة يكون الماء قليلاً.

قال: والأذرع التي يستسقى عليها [بمصر] هي ذراعان، تسمّيان بمنكر ونكير، وهي [الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر][٢]، فإذا آنصرف الماء في[٣] هذين الذراعين (أعني ثلاثة عشر وأربعة عشر) وزيادة نصف ذراع من الخمسة عشر، استسقى الناس بمصر، وكان الضرر شاملاً لكل البلدان، وإذا تمّ خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعاً كان فيه صلاح لبعض البلاد[٤] ولا يستسقى فيه، وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان.

قلتُ: ونذكر أيضاً من أخبار نيل مصر وما كان بها من المقاييس في الجاهلية والإسلام عندما نذكر بناء المتوكل لمقياس مصر المعهود الآن في ترجمة يزيد بن عبد الله التركي لما ولي إمرة مصر في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين هجرية بأوسع من هذا، فلينظر هناك.

قال: والتُّرع التي بغَيْضة مصر أربعٌ أمهات، أسماؤها: ترعة ذَنَب التِّمساح، وتُرعة بُلْقينة، وخليج سَرْدُوس، وخليج ذات الساحل؛ وتُفتح هذه التُّرع إذا كان الماء زائداً في عيد الصليب، وهو لأربع عشرة تخلو من توت، وهو أوّل[٥] أيلول.

قال: وكان بمصر سبع خلجانات: فمنها خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دِمياط، وخليج مَنْف، وخليج الفيّوم، وخليج سَرْدُوس، وخليج المَنْهَى، وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جِنَاناً، وذلك أن جنانها

(١) في طبعة دار الكتب «نيل». والتصحيح عن المسعودي.

(٢) في الأصول: «وهي ذراع ثلاثة عشر ذراعاً وذراع أربعة عشر ذراعاً» والتصحيح من المسعودي والمقريزي.

(٣) في المسعودي والمقريزي: «عن هاتين الذراعين».

(٤) في المسعودي والمقريزي: «لبعض الناس».

(٥) لعلّ هذا اللفظ زائد. وهو ساقط من المسعودي.

كانت متصلة بحافَتي النيل من أوّله إلى آخره من حدّ أسوان إلى رشيد، وكان الماء إذا بلـغ في زيادته تسـع أذرع دخل خليـج المنهى وخليـج الفيوم وخليـج سردوس وخليـج سخا. وكان الذي وَلِيَ حَفْر خليـج سردوس لفرعون عدوّ الله هامان، فلما ابتدأ في حفره أتاه أهل القُرَى يسألونه أن يُجريَ الخليـجَ تحت قُراهم ويُعطونه على ذلك ما أراد من المال، فكان يعمَل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة، فحمل تلك الأموال إلى فرعون، فسأله فرعون عنها، فأخبره الخبر، فقال فرعون: إنه ينبغي للسيّد أن يعطف على عبيده ويُفيضَ عليهم معروفَه ولا يرغَب فيما في أيديهم، ونحن أحقّ بمن يفعل هذا بعبيده، فارْدُدْ على أهل كل قرية ما أخذته منهم، ففعل هامان ذلك. وليس في خُلجان مصر أكثرَ عطوفاً وعزاقيل من خليـج سردوس. وأما خليـج الفيوم وخليـج المنهى فإن الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم.

قلتُ: والآن نأتي بما وعدنا بذكره مِنْ أخبار مَن ملك مصر قبل الإسلام، على أنه ليس في شرطنا من هذا الكتاب، وإنما نذكره على سبيل الاختصار لتُعلم بذلك أحوال مصر قديماً وحديثاً كما ذكرنا؛ هذا كله ليَعلم الناظرُ فيه أمورَها على سبيل الاستطراد إلى أن نذكر ما صُنِّف هذا الكتاب بسببه وهم ملوك مصر، وأوّل من نذكر منهم عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه، ثم نسوق التاريـخ من حينئذ على منواله دُوَلاً دُوَلاً، لا نخرج منه إلى غيره إلاّ ما مسّت الحاجة إلى ذكره استطراداً، والله الموفّق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

ذكر مَن ملك مصر قبل الإسلام

فأمّا من ملك مصر بعد مَن تقدّم ذكره من أولادهم وغيرهم فقال المسعودي: وكان بيصر بن حام بن نوح قد كَبِرَت سنّه فأوصى إلى الأكبر من ولده وهو مصر وأجمع الناس على أنه ملك من حدّ رَفَح من أرض فلسطين من بلاد الشأم، وقيل: من العريش، وقيل: من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر، والفرق[1] بينها وبين الشأم، وهو الموضع المشهور بين العريش ورَفَح إلى بلاد أُسوان من بلاد الصعيد طولاً، ومن أيلة وهي تُخُوم الحجاز إلى بَرْقة عرضاً. وكان لمصر أولاد أربعة وهم: قبط[2]، وأُشمون، وأتريب، وصا. وقد تقدّم ذكر ذلك، غير أننا نذكره في سياق كلام المسعوديّ أيضاً، إذ لا يتم المراد إلّا بذكره، ليتناسق الأسلوب.

قال: وقَسّم مصرُ بين ولده الأربعة الأرضَ أرباعاً، وعهد إلى الأكبر من ولده وهو قِبْط ــ وأقباط مصر يضافون في النسب إلى أبيهم قبط بن مصر، وأضيفت المواضع إلى سكانها وعُرفت بأسمائهم[3]، وآختلطت الأنساب وكثر ولد قبط وهم الأقباط، فغلبوا على سائر الأرض، ودخل غيرهم في أنسابهم. ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أُشمون بن مصر؛ ثم ملك بعده صا بن مصر؛ ثم ملك بعده أتْرِيب بن مصر؛ ثم ملك بعده ماليق بن دارس؛ ثم ملك بعده حرايا بن ماليق؛ ثم ملك بعده كلكي بن حرايا، وأقام في المُلْك نحواً من مائة سنة؛ ثم ملك بعده أخ

---

(١) في الاصل «والقدر». وما أثبتناه من مروج الذهب للمسعودي.

(٢) تقدّم باسم «قفطريم». وفي بعض النسخ «قبطيم».

(٣) وزاد في مروج الذهب: «فمنها أشمون وقبط وصا وأتريب». ويقال في أشمون: الأشمونين، وهي قصبة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. وأتريب: اسم كورة في شرقي مصر وقصبتها عين شمس. وصا: من كورة الحوف الغربي. وقفط أو قبط: بالصعيد الأعلى. (انظر معجم البلدان).

له يقال له: ماليا بن حرايا؛ ثم ملك بعده لُوطس بن ماليا نحواً من سبعين سنة؛ ثم ملكت بعده ابنة له يقال لها: حوريا بنت لوطس بن ماليا نحواً من ثلاثين سنة؛ ثم ملكت بعدها آمرأة أخرى يقال لها: ماموم. ثم كثر ولد بيصر بن حام بن نوح بأرض مصر وتشعّبوا وملّكوا النساء، فطَمِعت فيهم ملوك الأرض، فسار إليهم من الشأم ملك من العماليق يقال له: الوليد بن دومع[١] فكانت له بها حروب حتى غلب على المُلْك وآنقادوا إليه وآستقام له الأمر حتى هلك؛ ثم ملك بعده الريّان بن الوليد العملاقيّ، وهو فرعون يوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده دارم بن الريّان العملاقي؛ ثم ملك بعده كامس بن معدان العملاقيّ؛ ثم ملك بعده الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام، وقد اختلف فيه، فمن الناس من يقول: إنه من العماليق، ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشأم، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر، وكان يُعرف بظلما؛ وهلك فرعون غَرَقاً حين خرج في طلب بني إسرائيل، ولمّا غرق فرعون ومَن كان معه من الجنود خَشِيَ من بَقِيَ بأرض مصر من الذراري والنساء والصبيان والعبيد أن يغزوَهم ملوك الشأم والمغرب، فملّكوا عليهم آمرأة ذات رأي وحزم يقال لها: دَلُوكة، فبنت على ديار مصر حائطاً يُحيط بجميع أرضها والبلاد، وجعلت عليه المحارس والأجراس[٢] والرجال متّصلة أصواتُهم بقرب بعضهم من بعض، وأَثَرُ هذا الحائط باقٍ إلى هذا اليوم [وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة][٣]، وهو يعرف بحائط العجوز؛ وقيل: إنما بنته خوفاً على ولدها، فإنه كان كثيرَ الصيد فخافت عليه سباع البر والبحر وآغتيالَ مَنْ جاوز[٤] أرضهم من الملوك، فحوّطت الحائط من التماسيح وغيرها، وقد قيل في ذلك غير هذا أيضاً. فملكتهم دَلُوكةُ المذكورة ثلاثين سنة وآتخذت بمصر البرابي والصُّوَر، وأحكمت آلات السحر، وجعلت في البرابي صُوَرَ مَن يَرِدُ من كل ناحية ودوابّهم إبلاً كانت أم خيلاً، وصوّرت فيها أيضاً مَن يرد في البحر من

---

(١) كذا في المقريزي والمسعودي. وفي بعض النسخ «درمع».

(٢) في بعض نسخ مروج الذهب «والأحراس» بالمهملة.

(٣) الزيادة من المسعودي، وهي ضرورية.

(٤) في المسعودي «من جاور أرضهم من الملوك والبوادي».

المراكب من بحر المغرب والشأم، وجمعت في هذه البرابـي العظيمة المشيَّدة البنيان أسرار الطبيعة وخَوَاصّ الأحجار والنبات والحيوان، وجعلت ذلك في أوقات حركات فَلَكية وآتصالها بالمؤثّرات العُلْويّة، فكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الحجاز أو اليمن عُوِّرت تلك الصُّوَرُ التي في البرابـي من الإبل وغيرها، فيتعوّر ما في ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه؛ وإذا كان الجيش من نحو الشأم فعلت بتلك الصور أيضاً ما فعلت كما وصفنا، وكذلك من أتاهم في المراكب[(١)]؛ فهابتهم الأمم والملوك ومنعوا ناحيتهم من عدوّهم، فاتصل مُلْكهم بتدبير هذه العجوز إلى عدّة أقطار؛ ثم عَرَفَتْ بمجيء الطوفان ثانية، فخافتْ على هذه الصور والعلوم أن تذهب فبنت عدّة براب، وجعلت فيها علومها من الصُّوَر والتماثيل والكتابة، وجعلت بنيانها نوعين: طِيناً وحجراً، وفرزَت ما يُبنى بالطين مما يُبنى بالحجر، وقالت: إن كان هذا الطوفان ناراً آستحجر ما بنينا بالطين وبقيت هذه العلوم، وإن كان الطوفان الوارد ماءً ذهب ما بنينا بالطين وبقي ما بنينا بالحجارة، وإن كان الطوفان سيفاً بقِيَ كلا النوعين. ولما ماتت دلوكة العجوز المذكورة ملك مصر بعدها دركوس بن بلطيوس[(٢)]؛ ثم ملك بعده بورس بن دركوس؛ ثم ملك بعده لعس بن نورس[(٣)] نحواً من خمسين سنة؛ ثم ملك بعده دنيا بن نورس[(٤)] نحواً من عشرين سنة؛ ثم ملك بعده[(٥)] نلوطس عشر سنين؛ ثم ملك بعده مماكيل بن بلوطس، ثم ملك بعده يلونة بن مماكيل وكانت له حروب ومسير في الأرض،

---

(١) عبارة المسعودي: «وإذا كان الجيش من نحو الشام فُعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا قبلها فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة، وكذلك ما ورد من جيوش الغرب، وما ورد في البحر من رومية والشام، وغير ذلك من الممالك، فهابتهم... إلخ».

(٢) في المسعودي: «بلوطس».

(٣) في المسعودي: «فغامس بن بورس».

(٤) في المسعودي: «بورس».

(٥) في المسعودي: «ثم ملك بعده تماريس بن مرنيا عشرين سنة، ثم ملك بعده بلوطس بن مناكيل أربعين سنة، ثم ملك بعده مالوس بن بلوطس عشرين سنة، ثم ملك بعده بلوطس بن مناكيل بن بلوطس، ثم ملك بعده بلونا بن مناكيل وكانت له حروب...».

وهو فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وخرّب بيت المقدس؛ ثم ملك بعده مرينوس وكانت له أيضاً حروب بالمغرب، ثم ملك بعده نقاس بن مرينوس ثمانين سنة؛ ثم ملك بعده قويس[١] بن نقاس عشر سنين؛ ثم ملك بعده كاميل[٢]، وكانت له أيضاً حروب مع ملوك المغرب وغزاه البُخْتُ نَصّر مَرْزُبان المغرب من قِبَل ملك فارس[٣]، فخرّب أرضه وقتل رجاله وسار البخت نصّر إلى نحو المغرب. ولما زال أمر البخت نصر ومن كان معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها، فتنصَّر أهلها، فلم يزالوا على ذلك إلى أن ملك كسرى أنو شِرْوان، فغلبت جيوشه على الشأم وسارت نحو مصر فملكوها، وغلبوا على أهلها نحواً من عشرين[٤] سنة، فكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة، وكان أهل مصر يؤدّون خراجين عن بلادهم: خراجاً لفارس، وخراجاً للروم؛ ثم آنجلت فارس عن مصر والشأم [لأمر حَدَث في دار مملكتهم فغَلَبت الروم على مصر والشأم][٥] وأشهروا النصرانية فشَمِل ذلك مَنْ في الشأم ومصر إلى أن أتى الله بالإسلام، وكان من أمر المقوقس صاحب مصر مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص بمَنْ كان معه من الصحابة في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، حسبما ذكرناه في أوّل ذلك الكتاب.

وكان المقوقس ملك مصر وصاحب القبط نَزِيل الإسكندرية في بعض فصول السنة، وفي بعضها مدينة مَنْف، وفي بعضها قصر الشمع، وقصر الشمع في وسط مدينة الفسطاط. والمقصود من ذكر ذلك أنّ الذين ملكوا مصر باتفاق كثير من أهل التاريخ على آختلاف بينهم، من الفراعنة وغيرهم: آثنان وثلاثون فرعوناً؛ ومن ملوك بابل ممن ملك مصر: خمسة؛ ومن العماليق وهم الذين قدموا إليها من

---

(١) في المسعودي: «قوميس».
(٢) في المسعودي: «كابيل».
(٣) في المسعودي: «البخت ناصر... من قبل ملوك فارس». والتواريخ التي بين أيدينا تذكر الأسماء أعلاه بصور مختلفة. قارن بصبح الأعشى: ٣/٤٧٠ ـ ٤٧٥.
(٤) في بعض نسخ مروج الذهب: «نحواً من عشر سنين».
(٥) الزيادة من مروج الذهب: ١/٣٦٥.

الشأم: أربعة؛ ومن الروم: سبعة؛ ومن اليونانيين: عشرة؛ وذلك قبل ظهور المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وملكها أناس من ملوك الفُرْس من الأكاسرة[١]، فكانت مدّة مَنْ ملك مصر من بني نوح والفراعنة والعماليق والروم واليونانيين ألف سنة وثلاثمائة سنة.

قلت: وهذا الذي ذكرناه على سبيل الاستطراد؛ وشرطُ كتابنا هذا ألّا نذكر فيه إلا مَن ملك مصر في الإسلام؛ ومن ذكرناه من هؤلاء زيادة ليست بمنكرة لتحصيل الفائدة.

قال المسعودي: وسألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من أهل الخِبْرة عن تفسير اسم فرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصّل لي في لغتهم، فيمكن ـ والله أعلم ـ أن هذا الاسم كان سِمَةً لملوك تلك الأعصار[٢]، وأنّ تلك اللغة تغيّرت كتغيّر الفَهْلَوِيّة، وهي الفارسية الأولى إلى الفارسية الثانية، وكاليونانية إلى الرومية، وتغيّر الحِمْيَرِيّة وغير ذلك من اللغات. انتهى كلام المسعودي.

قلت: وليس بمستبعد هذه المقالة لأن لسان العرب وهو أشرف الألسن وبه نزل القرآن الكريم قد تغير الآن غالبه، وصارت العامَّةُ وغيرُها تتكلم بكلام لو سمعه بعض أعراب ذلك الزمان لما فهموه لتغيُّر ألفاظه، وكذلك اللغة التركية، فإن لسان المُغْل الآن لا يعرفه جند زماننا هذا ولا يتحدّثون به، ولو سمعوه لَمَا فَهموه، وأشياء كثيرة من هذا.

ونشرع الآن بذكر ما نحن بصدده، ومن لأجله صُنّف هذا الكتاب، وهم ملوك مصر والقاهرة؛ ونبدأ بترجمة عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه، لأنها فُتحت على يديه، وهو أوّل من وليها من المسلمين.

---

(١) عبارة المسعودي: «وملكها أناس من الفرس من قبل الأكاسرة».

(٢) في بعض نسخ مروج الذهب: «الأمصار». وفرعون: كلمة منحوتة من اللفظين المصريين: «بر ـ عو» أي «البيت الأعظم». كانت نعتاً للقصر الملكي منذ أيام الدولة القديمة، ثم أصبحت علماً على ملوك مصر منذ الألف الأولى قبل الميلاد، مثلها في ذلك كمثل إطلاق «الباب العالي» على السلطان من آل عثمان. (الموسوعة العربية الميسّرة: ١٢٩٠).

ذكر ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر[١]

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشِم بن سُعَيد[٢] بن سَهْم بن عمرو بن حُصَيْص بن كعب بن لُؤَي بن غالب[٣]، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد القُرَشيّ السَّهْميّ الصحابيّ؛ أسلم يوم الهُدْنة وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة «ذات السلاسل»[٤]، وفيه أبو بكر وعمر، لخِبرته بمكيدة الحرب. ثم وَلِيَ الإمرة في غزوة الشأم لأبي بكر وعمر، ثم افتتح مصر حسبما تقدّم ذكره ووليها لعمر أوّلاً، ثم وليها لمعاوية بن أبي سفيان ثانياً على ما يأتي ذكره.

وحكى ابن سعد في كتاب الطبقات: أنه أسلم بعد الحُديبية هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة.

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبيّ في تاريخ الإسلام: وله عدّة أحاديث، روى عنه آبناه عبد الله ومحمد، وأبو عثمان النهدي، وقَبِيصة بن ذُؤَيْب، وعلي بن رباح، وعبد الرحمن بن شُمَاسة، وآخرون[٥]؛ وقدم دمشق رسولاً من أبي بكر إلى هِرَقْل، وله بدمشق دار عند سَقيفة كُرْدُوس، ودار عند باب الجابية تعرف ببني حجيجة، ودار عند عين الحمار[٦]؛ وأمه عَنَزِيّة، وكان قصيراً يَخضِب بالسواد.

---

(١) ولاة مصر: ٢٩، وخطط المقريزي: ١/٢٩٩، وحسن المحاضرة: ١/٦٣ و٢/٢ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) سُعَيْد، بالتصغير كما في الإصابة لابن حجر والولاة للكندي وتهذيب الأسماء واللغات للنووي.

(٣) غالب بن فهر بن مالك. وأمه النابغة بنت خزيمة، من عَنَزة. (المصدر السابق).

(٤) نسبة إلى ماء من أرض جذام يقال له «السُّلْسَل». وبه سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل. (سيرة ابن هشام: ٤/٦٢٣، ومعجم البلدان: ٣/٢٣٦).

(٥) قارن بالإصابة: ٥/٢ وتهذيب الأسماء واللغات: ٢/٣٠.

(٦) كذا بالأصل. وفي تاريخ الإسلام للذهبي «عين الحمى».

حدّثنا ابن لَهيعة عن مِشْرَح عن عُقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلم الناسُ وآمنَ عمرو بن العاص[١]» رواه الترمذيّ. وقال ابن أبي مُلَيكة، قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عمرو بن العاص مِن صالحي قُرَيش» أخرجه الترمذيّ وفيه آنقطاع[٢]. وقال حمّاد بن سَلَمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلَمة عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «آبنا العاص مؤمنان هِشَام وعمرو». وقال ابن لَهِيعة عن يزيد بن أبي حبيب أخبرني سويد بن قيس عن قيس بن سُمَيّ[٣]: أنّ عمرو بن العاص قال: يا رسول الله، أُبايعك على أن يُغفرَ لي ما تقدّم من ذنبي؟ قال: «إن الإسلام والهجرة يَجُبّان ما كان قبلهما» قال: فوالله ما ملأتُ عيني منه ولا راجعته بما أريد حتى لَحِق بالله، حياءً منه.

وقال الحسن البصريّ: قال رجل لعمرو بن العاص: أرأيت رجلاً مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحبّه، أليس رجلاً صالحاً؟ قال: بلى، قال: قد مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحبّك، وقد آستعملك؛ قال: بلى، فوالله ما أدري أحُبّاً كان لي منه أو آستعانةً بي، ولكن سأحدّثك برجلين مات وهو يُحبّهما: عبد الله بن مسعود، وعمّار بن ياسر؛ فقال الرجل: ذاك قَتِيلكم يوم صِفِّين، قال: قد والله فعلنا.

وروي أنَّ عَمراً لما توفي النبيُّ صلى الله عليه وسلم كان على عُمَان، فأتاه كتاب أبي بكر بذلك. قال ضَمْرة عن الليث بن سعد: إنّ عُمر ـ رضي الله عنه ـ نظر إلى عمرو بن العاص يمشي، فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشيَ على الأرض إلا أميراً.

---

(١) قال النووي: هذا الحديث ضعيف. رواه الترمذي من رواية ابن لهيعة وقال: لا يعرف إلا من حديث ابن لهيعة، وإسناده ليس بالقويّ. (تهذيب الأسماء واللغات: ٢/٣١).

(٢) قال ابن حجر في الإصابة: «ورجال سند هذا الحديث ثقات، إلا أن فيه انقطاعاً بين ابن أبي مليكة وطلحة.

(٣) في طبعة دار الكتب: «شُفَيّ». والتصحيح من ابن عبد الحكم ٢٥٢ والإصابة: ترجمة ٧٢٩٢.

قال الذهبيّ بعد كلام ساقه: ثم إنّ عَمراً قال لمعاوية ـ يعني في أيام وقعة صِفّين: يا معاوية، أحرقتَ كَبِدِي بقَصَصك. أترى أنّا خالفنا عليّاً لفَضلٍ منا عليه! لا والله، إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها، وآيْمُ الله لتَقْطعنّ لي قطعة من دُنياك، أو لأنابِذنَّك. قال: فأعطاه مصر، يُعْطِي أهلها عطاءَهم وما بقي فله.

ويروى أنّ علياً كتب إلى عمرو يتألّفه، فلما أتاه الكتاب أقرأه معاويةَ، وقال: قد ترى، فإمّا أن تُرضيني، وإمّا أن ألحق به! قال: فما تريد؟ قال: مصر، فجعلها له.

وعن يزيد بن أبي حبيب وغيره، أنّ الأمر لمّا صار لمعاوية استكثر طعمة مصر لعمرو، ورأى عمرو أنّ الأمر كلّه قد صلَح به وبتدبيره وعَنائه، وظن أنّ معاوية سيزيده الشأم مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكّر له عمرو فاختلفا وتغالظا، فدخل بينهما معاويةُ بن حُدَيج فأصلح بينهما، وكتب بينهما كتاباً: «إن لعمرو ولايةَ مصر سبع سنين» وأشهد عليهما شهوداً، ثم مضى عمرو إليها سنة تسع[١] وثلاثين (أعني في ولايته الثانية)، فما مكث نحو ثلاث[١] سنين حتى مات.

قال: وكان عمرو من أفراد الدهر دهاء وجلادة وحزماً ورأياً وفصاحة. ذكر محمد بن سلّام الجمحيّ أنّ عُمر بن الخطاب كان إذا رأى رجلاً يتلجلج في كلامه يقول: خالقُ هذا وخالق عمرو بن العاص واحد.

وقال مُجالد عن الشعبيّ عن قَبِيصة عن جابر قال: صَحِبتُ عمرَ بن الخطاب فما رأيتُ أقرأَ لكتاب الله منه، ولا أفقهَ في دين الله منه، ولا أحسنَ مداراةً منه؛ وصحِبتُ طلحة بن عبيد الله فما رأيتُ رجلاً أعطى للجزيل منه من غير مَسْألة؛ وصحبت معاوية فما رأيت رجلاً أحلم منه؛ وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبينَ، أو قال أنصعَ[٢]، ظَرْفاً منه، ولا أكرم جليساً، ولا أشبه سريرة بعلانيةٍ

---

(١) في ولاة مصر للكندي وفي الإصابة: «سنة ثمان وثلاثين». وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين، فتكون مدة ولايته الثانية نحواً من خمس سنين.

(٢) النَّصاعة: خلوص الظرف وظهوره. (انظر اللسان: نصع).

منه؛ وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يُخرَج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها. وقال موسى بن عليّ بن رَباح: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو قيس مولى عمرو بن العاص أنّ عَمراً كان يسرُد[1] الصومَ، وقلّما كان يصيب من العشاء أوّلَ الليل، أكثرُ ما كان يأكل في السَّحَر. وقال عمرو بن دينار: وقع بين المغيرة بن شُعبة وبين عمرو بن العاص كلام فسبَّه المغيرة، فقال عمرو: يا آل هُصَيْص[2]، أَيَسبّني ابن شعبة! فقال عبد الله ابنه: إنّا لله! دعوتَ بدعوى القبائل وقد نُهِيَ عنها! فأعتق عمرو ثلاثين رقبة. انتهى كلام الذهبيّ باختصار.

قلتُ: ولما وَلِيَ عمرو بن العاص مصر ودخلها سكن الفُسطاط. ولسبب تسمية مصر بالفُسطاط أقوال كثيرة، منها: أن عَمراً لما أراد التوجّه لفتح الإسكندرية أمر بنزع فُسطاطه (أعني خيمته) فإذا فيه يمامة قد فَرَخت، فقال عمرو: لقد تحرّم منا بمتحرَّم، فأمر به فأُقِرَّ كما هو، وأوصى به صاحبَ القصر، فلما قفَل المسلمون من الإسكندرية قالوا: أين ننزل؟ قالوا: الفُسطاط ــ يعنون فسطاط عمرو الذي خلّفه بمصر مضروباً لأجل اليمامة فَغَلب عليه ذلك ــ وكان موضع الفُسطاط المذكور موضع الدار الذي تعرف اليوم بدار [الحصار][3] عند دار عمرو الصغيرة بمصر.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوّانيّ: كان فُسطاط عمرو عند درب حمّام[4] شمول بخط الجامع، ولما رجع عمرو من الإسكندرية في سنة إحدى وعشرين أو غيرها نزل موضع فُسطاطه[5] وتنافست القبائل بعضها مع بعض في

---

(١) سَرَد الصوم: أي والاه وتابعه.

(٢) هم آل عمرو بن العاص.

(٣) في الأصل «الحصا». وما أثبتناه من المقريزي: ١/٢٩٦.

(٤) في الأصل «درب جامع شمول». والتصحيح من المقريزي.

(٥) يعتمد المؤرخون العرب جميعاً على قصة اليمامة وخيمة عمرو بن العاص في تسمية الفسطاط واختيار مكان إقامتها. وهم بذلك يسلّمون دون مناقشة بأن التسمية جاءت من «الفسطاط». بمعنى الخيمة. أما مؤرخو الفرنجة فتقول غالبيتهم بأن كلمة الفسطاط قد أخذت عن الكلمة الإغريقية Fossatum أي المدينة وأن العرب نقلوها عن اليونان عند اتصالهم بهم في حروب الشام. وهناك رأي ثالث ــ ولعله الصواب ــ يقول بأن كلمة «فسطاط» عربية خالصة ومعناها المدينة. ففي القاموس المحيط للفيروزآبادي

المواضـع، فولّى عمرُو بن العاص معاويةَ بن حُدَيج التُّجِيبِيّ، وشَريك بن سُمَيّ الغُطَيفيّ، وعمرو بن قَحْزَم[1] الخَولاني، وحَيْوِيل بن نـاشِرة[2] المَعَـافِرِيّ على الخطط[3]، وكانوا هم الذين نَزّلوا الناس وفَصَلوا بين القبائل، وذلك في سنة إحدى وعشرين من الهجرة؛ وآستمرّ عمرو على عمله بمصر، وشرع في بناء جامعه بمصر إلى أن عَزَله عثمان عن ولاية مصر في سنة خمس وعشرين بعبد الله بن سعد بن أبـي سَرْح بعد أن آنتُقِض صُلـح أهل الإسكندرية وغزاه عمرو في السنة المذكورة.

وسبب ذلك أنّ ملك الروم بعث إليهم منويل الخصيّ في مراكب من البحر،

= أن الفسطاط ــ بالضم ــ مجتمـع أهل الكورة، والكورة هي الصقـع أو المدينة، وبذلك تكون الفسطاط مجتمـع أهل المدينة. ويقول ابن قتيبة: «والفسطاط المدينة. وكل مدينة فسطاط». وقد نقل كل من المقريزي والقلقشندي وابن دقماق أقوالاً تؤيد هذا الاتجاه في التعليل. أما سبب اختيار هذا المكان لإقامة مدينة الفسطاط فيه فلا يرجـع إلى محض الصدفة العشوائية كما يفهم من كلام أكثر المؤرخين، أو إلى «وجود فضاء ومزارع ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمـع» كما يقول المقريزي، ولكن لأنه مكان استراتيجي كانت تشغله منذ أيام الفراعنة مدينة كبيرة ذات شأن اتخذها البابليون مكاناً لاستقرارهم، ثم اتخذها الرومان مقراً لدفاعهم يصلون به الوجهين البحرين والقبلي. وهذا ما يؤيد الرأي القائل إنه كان في مصر وقت الفتـح مدينتان هامتان: إحداهما الإسكندرية وتعتبر العاصمة الأولى وذلك لقربها من الدولة الرومانية الشرقية صاحبة السيادة وقتذاك، وبابليون أو «مصر» ــ وهي الفسطاط فيما بعد ثم القاهرة ــ وتعتبر العاصمة الثانية وذلك لموضعها من رأس الدلتا بحيث تشرف على الوجهين القبلي والبحري، ولتوسطها بين النيل غرباً وبين جبل المقطم شرقاً. ولهذا نلاحظ أن المصريين منذ القدم كانوا يختارون هذا المكان مقراً لحكمهم للأسباب المتقدم ذكرها، فاتخذوا «منف» عاصمة لهم مدة طويلة، وكانت هليوبوليس (عين شمس) كذلك حاضرة لمصر، وبابليون تقـع بين هاتين المدينتين. هذا وقد بنيت العواصم المصرية الأخرى شمال هذا المكان: العسكر سنة ١٣٣هـ، والقطائـع سنة ٢٥٦هـ، والقاهرة سنة ٣٥٨هـ. (انظر في هذا الموضوع: جمال الدين الشيال: دراسات في التاريـخ الإسلامي، ص ٢١ وما بعدها ــ منشورات دار الثقافة ــ بيروت) وبتلر: فتـح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد ص ٢٤٩ وما بعدها.

(١) في الأصول «مخرّم». وما أثبتناه من ولاة مصر للكندي: ٣٩، وصبـح الأعشى: ٣/٣٦٨، والمقريزي: ١/٢٩٧، وابن عبد الحكم: ١٢٤.

(٢) في الأصول «جبريل بن باشرة». وما أثبتناه من ابن عبد الحكم: ١٨٨، وولاة مصر: ٣٦، والمقريزي: ١/٢٩٧.

(٣) حول الخطط التي عرفت بالقبائل والجماعات انظر صبـح الأعشى للقلقشندي: ٣/٣٦٨ ــ ٣٧٨، وخطط المقريزي: ١/٢٩٦ ــ ٢٩٩.

فطمعوا في النصرة ونقضوا دينهم، فغزاهم عمرو في ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين فافتتح الأرض عَنْوة والمدينة صُلْحاً. ثم استأذن عَمراً عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرْح في غزوة إفريقيّة، فأذِن له عمرو بن العاص؛ وبعد قليل عزله عثمان في هذه السنة بعبد الله بن أبي سرح المذكور ــ وعبد الله بن أبي سرح أخو عثمان لأمّه ــ وقيل: إن ذلك كان في سنة سبع وعشرين، والذي قلنا الأقوى(١)؛ وهذه ولاية عمرو بن العاص على مصر الأولى. وتأتي بقية ترجمته ووفاته في ولايته الثانية، إن شاء الله تعالى.

وسببُ عَزْل عمرو بن العاص عن ولاية مصر أنه قدم على عثمان لما تخلّف ــ وكان قَدِمَ على عمر مرّتين استخلَف في إحداهما زكريا بن جَهْم العَبْدَريّ(٢)، وفي الثانية ابنَه عبد الله ــ فلما قدِم عَمْرو على عثمان سأله عَزْل عبد الله بن سعد ابن أبي سرح عن صعيد مصر، وكان عُمَر قد ولّاه صعيد مصر، فامتنع(٣) عثمان من ذلك، وعزله عن مصر وعقد لعبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر كلها مضافةً للصعيد وغيره، فكانت ولاية عمرو بن العاص على مصر في المرّة الأولى أربع سنين وأشهراً.

---

(١) هو الأقوى برواية ابن عبد الحكم والكندي والمقريزي.

(٢) في الأصل «العبدي» وهو تصحيف. والذي أثبتناه من ابن عبد الحكم والكندي. والعبدري نسبة إلى عبد الدار. وفي فتوح مصر ١٧٨ أنه استخلفه على الجند فقط، واستخلف مجاهد بن جبر مولى بين نوفل بن عبد مناف على الخراج.

(٣) وقال له عثمان: «ولّاه عمر بن الخطاب الصعيد وليس بينه وبينه حرمة، وقد علمت أنه أخي من الرضاعة، فكيف أعزله عمّا ولّاه غيري؟ وقال له فيما حدّث سعيد بن عفير: إنك لفي غفلة عما كانت تصنع بي أمه، إنها كانت لتخبىء لي العَرْقَ من اللحم في ردنها حتى آتي. قال الليث بن سعد: فغضب عمرو قال: لستُ راجعاً إلا على ذلك. فكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد يؤمّره على مصر كلها. .» ــ انظر فتوح مصر ١٧٣ ــ ١٧٤.

ذكر بناء جامع(١) عمرو بن العاص بمصر ـ رضي الله عنه

كان خاناً(٢) والذي حاز موضعَه قَيْسبةُ(٣) بن كُلْثوم التُّجِيبيّ أبو عبد الله(٤) أحد بني سَوْم، فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسبةَ المذكور في منزله هذا يجعله مسجداً؛ فقال له قيسبة: فإني أتصدّق به على المسلمين، فسلّمه إليهم؛ واختطّ مع قومه بني سَوْم في [تُجِيب](٥) وبُني الجامع في سنة إحدى وعشرين، وكان طوله خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين؛ ويقال: إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلًا من الصحابة، منهم: الزبير بن العوّام، والمِقْداد بن الأسود، وعُبَادة بن الصامت، وأبو الدَّرْداء، وأبو ذَرّ الغِفَاريّ، وأبو بَصْرة الغِفاريّ، ومَحْمِيَة بن [جَزْء الزَّبِيدي](٦)، ونُبَيه بن صَوَاب وغيرهم(٧). وكانت القبلة [مشرّقة جدّاً](٨)، وإن قُرّةَ بن شَرِيك لمّا هدم المسجد المذكور وبناه في زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان تيامن بها قليلاً.

---

(١) وهو الجامع العتيق، ويسمى تاج الجوامع. انظر في تاريخ بناء هذا الجامع وما طرأ عليه عبر المراحل التاريخية المختلفة: الخطط التوفيقية الجديدة لعلي مبارك: ٤/٢ ـ ٢٨؛ وخطط المقريزي: ٢/٢٤٦ ـ ٢٥٦؛ وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢/١٧٧ ـ ١٨٠؛ وفتوح مصر لابن عبد الحكم: ١٣١؛ وصبح الأعشى للقلقشندي: ٣/٣٨٢ ـ ٣٨٦؛ والانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق: ٤/٥٩ ـ ٧٤.

(٢) وذكر بعضهم أن محله كان كنيسة للنصارى. (الخطط التوفيقية: ٤/١٤).

(٣) في الأصل «قتيبة». والتصحيح من المصادر أعلاه في الحاشية (١).

(٤) في حسن المحاضرة والانتصار «ويكنى أبا عبد الرحمن». وفي مدح عبد الرحمن بن قيسبة يقول أبو مصعب قيس بن سلمة الشاعر:

وأبوك سلّم داره وأباحها لجباه قوم ركّع وسجود

(المقريزي: ٢/٢٤٦؛ والخطط التوفيقية: ٤/٢).

(٥) في الأصل بياض. والزيادة من معجم البلدان، والانتصار، وصبح الأعشى.

(٦) في الأصل «محمية بن السبع» والتصحيح من المقريزي وحسن المحاضرة والإصابة.

(٧) قارن بما ذكر من الأسماء في المقريزي وعلي مبارك والقلقشندي.

(٨) في الأصل «مشرقة حذاء إيوان قرّة». وما أثبتناه من المقريزي وحسن المحاضرة.

وذُكر [أنَّ](١) الليث بن سعد وعبد الله بن لهِيعَةَ كانا يتيامنان(٢) إذا صلّيا في المسجد الجامع؛ ولم يكن للمسجد الذي بناه عمرو محراب مجوّف [بل عُمُد قائمة بصدر الجدار](٣)، وإنما قُرّة بن شريك المذكور جعل المحراب المجوّف(٤).

وأوّل مَنْ أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة ليالِيَ أَسَّس مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هُدِم وزاد فيه. وكان لمسجد عمرو بابان يقابلان دار عمرو بن العاص، وبابان في بحريّه، وبابان في غربيّه؛ وكان الخارج من زقاق القناديل يَجِد ركن الجامع الشرقيّ محاذياً لركن دار عمرو الغربيّ [وذلك قبل أن أُخذ من دار عمرو بن العاص ما أُخذ](٥)، وكان طوله من القبلة إلى البحريّ مثل طول دار عمرو، وسقفه مطأطأً جدّاً ولا صحن له؛ وكان الناس [في الصيف](٦) يصطفون بِفنائه؛ وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع؛ وكان الطريق محيطاً به من جميع جوانبه.

وكان عمرو قد آتخذ مِنبراً فكتب إليه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يَعْزِم عليه في كسره ويقول: أما بِحَسْبك أن تقوم قائماً والمسلمون [جلوس](٧) تحت عقبَيك! فكسره عمرو.

---

(١) الزيادة من حسن المحاضر، وهي يقتضيها السياق. والذي ذكر ذلك هو القضاعي في خططه.

(٢) وتعليقاً على ذلك قال القلقشندي في صبح الأعشى: ٣٨٥/٣ «ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدّم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلاً من الصحابة، وحينئذٍ فيلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية في أنه لا يجتهد في التيامن والتياسر في محاريبها كما نبّه عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شرح منهاج النووي في الفقه. وقد حكى الشيخ السبكي في شرح المنها ج أيضاً عن بعض علماء الميقات أنه أخبره أن فيه انحرافاً قليلاً. قال: ولعله من تغيير البناء. وقد سألت بعض علماء الميقات في زماننا أنه كان يقول: من الدلالة على صحة عملنا في استخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق».

(٣) الزيادة من صبح الأعشى.

(٤) فعل ذلك اتباعاً لعمر بن عبدالعزيز في محراب مسجد رسول الله في المدينة، وأحدث فيه المقصورة تبعاً لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام (صبح الأعشى: ٣٨٤/٣).

(٥) الزيادة من المقريزي.

(٦) الزيادة من الخطط التوفيقية لعلي مبارك.

(٧) الزيادة من المقريزي عن خطط القضاعي.

وأوّل مَن صُلِّيَ عليه من الموتى به في داخله أبو الحسين سعيد بن عثمان[١] صاحب الشُّرْطة في النصف من صفر، وكانت وفاته فجأة فأُخرج وصُلِّيَ عليه خَلْف المقصورة وكُبِّر عليه خمساً، ولم يُعلَم أحدٌ قبله صُلِّي عليه بالجامع؛ وأنكر الناس ذلك.

وأوّل من زاد في الجامع المذكور مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري أمير مصر في أيام معاوية سنة ثلاث [وخمسين][٢]، فزاد فيه من بحريِّه وجعله رحبة في البحريّ وبيَّضه وزخرفه، ولم يغير البناء القديم ولا أحدث في قبليِّه ولا غربيِّه شيئاً.

وذُكر أنه زاد فيه من شرقيّه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص وفرشه بالحُصْر وكان مفروشاً قبل ذلك بالحَصْباء.

وقيل: إن مَسْلَمة نقض ما كان عمرو بناه وزاد فيه من شرقيّه وجعل له صوامع، وبنى فيه أربع صوامع في أركانه الأربعة، وأمر ببناء المنارات في جميع المساجد، وأمر مسلمة أن يكتب آسمه على المنائر، وأمر مؤذّني المسجد الجامع أن يؤذّنوا للفجر إذا مضى نصف الليل، فإذا فرغوا من أذانهم أذّن كل مؤذِّن في الفُسْطاط في وقت واحد، فكان لأذانهم دويّ شديد، وأمر ألّا يضرب بناقوس عند وقت الأذان، أعني الفجر.

ثم إنّ عبد العزيز بن مَرْوان هدمه سنة تسع وسبعين، وهو أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت في بحريّه ولم يجد في شرقيّه موضعاً يوسّعه به.

وذكر الكِنْديّ في كتاب الأمراء أنه زاد فيه من جوانبه كلّها، ويقال: إنّ

(١) في الأصل «سعد بن عنان». والتصحيح من المقريزي وابن دقماق. وهو سعيد بن عثمان غلام الأحول: كان صاحب الشرطة لمحمد بن طغج في ولايته الثانية على مصر من قبل الراضي بالله. وقد كانت وفاته في النصف من صفر سنة ٣٢٨هـ. (ولاة مصر للكندي: ص ٣٠٤، ٣٠٧).

(٢) في الأصل «ثلاث وستين». وكذلك ورد في خطط علي مبارك وهو خطأ. إذ إن وفاة مسلمة بن مخلد كانت سنة ٦٢هـ، كما أن معاوية توفي سنة ٦٠هـ. وما أثبتناه من الكندي والمقريزي والقلقشندي والسيوطي.

عبد العزيز المذكور لما أكملَ بناء المسجد المذكور خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى في أهله خِفّة فأمر بأخذ الأبواب على مَنْ فيه، ثم دعاهم رجلاً رجلاً، يقول للرجل: ألك زوجة؟ فيقول: لا، فيقول: زوّجوه؛ ألك خادم؟ فيقول: لا، فيقول: أخدموه؛ أَحَجَجْت؟ فيقول: لا، [فيقول][1]: أحجّوه؛ أعليك دَين؟ فيقول: نعم، فيقول: اقضوا دينه، فأقام المسجد بعد ذلك دهراً عامراً ثم إلى اليوم.

[وذُكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان في ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد أمر برفع سقف المسجد الجامع وكان مطأطئاً وذلك في سنة تسع وثمانين][2]. ثم إنّ قُرَّة بن شريك العبسيّ بن قَيْس عَيْلان هَدَمه في مستهلّ سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقرّة أميرٌ على مصر من قبله، وآبتدأ في بنائه في شعبان من السنة المذكورة، وجعل على بنائه يحيى بن حَنْظلة مولى بني عامر بن لُؤيّ، وكانوا يُجَمِّعون الجُمعة في قَيْسارية العَسَل حتى فرغ من بنائه في رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب المِنْبر الجديد في سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذي كان في المسجد؛ وذُكر أنّ عمرو بن العاص كان جعله فيه.

قلتُ[3]: ولعله كان وضعه بعد وفاة عمر بن الخطاب، فإنه كان منعه حسبما ذكرناه؛ وقيل: هو مِنْبر عبد العزيز بن مروان.

وذُكر أنه حُمل إليه من بعض كنائس مصر. وذُكر أنّ زكريا بن مرقى[4] ملك النوبة أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح وبعث معه نجاراً يسمَّى «بُقْطُر» [من أهل دَنْدَرة][5] حتى ركّبه، ولم يزل هذا المنبر في الجامع إلى أن زاد قُرّة بن

---

(١) الزيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: «وأمر عبد العزيز المذكور برفع سقف الجامع وكان مطأطئاً في سنة تسع وثمانين» وهو خطأ. وما أثبتناه بين معقوفين من المقريزي وعلي مبارك.

(٣) هذا التفسير طرحه أيضاً المقريزي. ولعل أبا المحاسن ينقل عنه هنا.

(٤) كذا في الأصول. وفي المقريزي «برقى» وفي صبح الأعشى «مرقيا» وفي ابن دقماق «مرقنى».

(٥) الزيادة عن المقريزي.

شريك المذكور في الجامع، فنصب منبراً سواه، ولم يكن إذ ذاك يُخطب في القُرَى إلاّ على العِصِيّ إلى أن وَلِيَ [عبد الملك](١) بن مروان بن موسى بن نُصَير اللَّخْميّ مصر من قبل مروان بن محمد فأمر باتّخاذ المنابر في القرى، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ ولا يُعرف مِنْبَرٌ أَقدَمُ من منبر قُرّة بن شريك بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل كذلك إلى أن قُلع وكُسِر أيام العزيز بالله نزَار العُبَيدي بنظر الوزير ابن كِلِّس في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وجُعِل مكانه منبر مذهب، ثم أخرج هذا المنبر إلى الإسكندرية وجعل بجامع عمرو بن العاص الذي بها، ثم أنزل المنبر الكبير إلى الجامع المذكور في أيام الحاكم بأمر الله العُبَيدي في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وأربعمائة، وصُرف بنو عبد السميع عن الخطابة وجعلت خطابته لجعفر بن الحسن بن خداع الحسينيّ، وجعل إلى أخيه الخطابة في الجامع الأزهر، وصُرف بنو عبد السميع [بن عمر بن الحسين بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس](٢) من جميع المنابر [بعد أن أقاموا هم وسلفهم فيها ستين سنة](٢)؛ ثم وُجد بعد ذلك المنبر الجديد الذي نُصب بالجامع قد لُطِّخ بالقَذَر فوكّل به من يحفظه وعمل له غشاء من أُدْم مذهب، وخطب عليه ابن خداع وهو مُغَشًّى.

وكانت زيادة قُرّة بن شريك من القبليّ والشرقيّ وأخذ بعضَ دار عمرو بن العاص وابنه عبد الله فأدخله في المسجد، وأخذ منهما الطريق التي بين المسجد وبينهما، وعوّض أولاد عمرو ما هو في أيديهم من الرباع التي في زقاق مليح في النحاسين وقشرة، وأمر قُرّة بعمل المحراب المجوّف، وهو المحراب المعروف بمحراب عمرو، [لأنه في سَمْت محراب](٣) المسجد القديم الذي بناه عمرو، وكانت قبلة المسجد القديم عند العُمُد المذهبة في صفّ التوابيت، وهي أربعة عُمُد: اثنان في مقابلة اثنين؛ وكان قرّة قد أذهب رؤوسها، ولم يكن في المسجد

---

(١) الزيادة عن المقريزي والكندي وعلي مبارك.

(٢) الزيادة عن المقريزي.

(٣) الزيادة عن المقريزي وابن دقماق. وهي ضرورية.

عمد مذهبة غيرها، وكانت قديماً [حَلْقة أهل المدينة][١] ثم زوّق أكثر العمد وطوّق في أيام الإخشيد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ولم يكن للمسجد أيام قرّة غير هذا المحراب.

فأما المحراب الأوسط فيعرف بمحراب عُمَر بن مروان أخي عبد الملك بن مروان الخليفة، ولعله أحدثه في الجدار بعد قرّة؛ وذكر قوم أن قرّة عمل هذين المحرابين، وصار للجامع أربعة أبواب في شرقيّه، آخرها باب إسرائيل، وهو باب النحّاسين؛ وفي غربيّه أربعة أبواب شارعة في زقاق يعرف بزقاق البلاط؛ وفي بحريه ثلاثة أبواب. انتهى ما أوردناه من أمر جامع عمرو بن العاص المذكور ــ رضي الله عنه.

بناء بيت المال

وأما بناء عمرو بن العاص لبيت[٢] المال بالفُسْطاط ــ فالأصح أنما بناه أُسامة بن زَيد التَّنُوخيّ متولي الخراج بمصر في سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، وأمير مصر يوم ذاك عبد الملك بن رفاعة الآتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. وقد خرجنا عن المقصود لطلب الفائدة ونعود إلى ذكر عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه.

قيل: إنه رئي وهو على بغلة هَرِمَة، وهو إذ ذاك أمير مصر، فقيل له: أتركب هذه وأنت أمير مصر؟ فقال: لا ملل عندي لدابّتي ما حملتني، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفِظَ سري؛ إنّ الملل من كواذب الأخلاق.

وعن عمرو قيل له: صف الأمصار، قال: أهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاه للخالق؛ وأهل مصر أكْيَسُهم صِغاراً وأحمقهم كباراً؛ وأهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها؛ وأهل العراق أطلبهم للعلم وأبعدهم منه.

---

(١) الزيادة عن المقريزي وابن دقماق؛ وهي ضرورية.

(٢) وهو بيت المال الذي في علوّ الفوّارة بالجامع كما ذكر المقريزي.

قال مُجَالد عن الشَّعْبيّ قال: دُهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو، والمغيرة بن شُعْبة، وزِياد بن أَبِيه؛ فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادرة، وأما زياد ابن أبيه فللصغير والكبير.

وقال أبو عِمْران بن عبد البرّ: كان عمرو من فرسان قُريش وأبطالهم في الجاهلية، مذكوراً فيهم بذلك؛ وكان شاعراً محسناً حُفِظ عنه فيه الكثيرُ في مشاهد شتَّى، وله يخاطب عُمارة بن الوليد بن شعبة عند النجاشيّ: [الطويل]

إذا المرءُ لم يترك طَعاماً يحبّه ولم ينهَ قلباً غاوياً حيث يَمَّمَا
قضى وَطَراً منه وغادر سنَّة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الذهبيّ في التذهيب: روى أحمد بن حنبل عن أبي عبد الله البصريّ عن أبي مُلَيكة قال: قال عمرو بن العاص: إني لأذكر الليلة التي وُلد فيها عُمَر. قلت: ما قال هذا إلا لأنه أسنّ من عمر فلعل بينهما نحو خمسين[١] سنة. انتهى كلام الذهبيّ باختصار.

خطبة عمرو

وقال ابن عبد الحكم في تاريخه (خُطْبة عمرو): حدّثنا عبد الرحمن حدّثنا سعيد بن مَيْسرة عن إسحاق بن الفُرَات عن ابن لَهِيعة عن الأسود بن مالك الحِمْيريّ عن بَحِير بن ذاخر المَعَافِريّ[٢] قال:

رُحْتُ أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة [تَهْجيراً][٣] وذلك آخر الشتاء [أظنّه][٣] بعد [حَمِيم][٤] النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط

(١) كذا ورد في الأصل، وهو خطأ واضح. ولعله سبق قلم من الناسخ. والذي ذكره ابن حجر في الإصابة: ٣/٥ «أنه كان يقول: أذكر ليلة ولد عمر بن الخطاب. أخرجه البيهقي بسند منقطع؛ فكان عمره لما ولد عمر سبع سنين».

(٢) السند في الأصول خطأ. وما أثبتناه من فتوح مصر لابن عبد الحكم: ١٣٩.

(٣) الزيادة من فتوح مصر.

(٤) في الأصول «خميس». وما أثبتناه من ابن عبد الحكم ص ١٣٩ والحميم هو عيد الغطاس الذي يقع في الحادي عشر من طوبة، السادس من كانون الثاني. (انظر المقريزي: ١/٢٩٥ والمسعودي: ١/٢٤٣).

يَزْجُرون الناس، فذُعِرْتُ؛ فقلت: يا أبتِ، مَنْ هؤلاء؟ قال: يا بُنَيّ، هؤلاء الشُّرَط؛ فأقام المؤذّنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رَجُلاً رَبْعَةً قَصْد[١] القامة، وافر الهامة، أَدْعَج أَبْلج، عليه ثياب مَوْشِيّة كأنّ به العِقْيان، تأتلق عليه حُلّة وعمامة وجُبّة، فَحمِدَ الله وأثنى عليه حمداً مُوجَزاً وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم، فسمعتُه يحضّ على الزكاة وصِلَة الأَرْحام ويأمر بالاقتصاد ويَنْهَى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك: يا معشر الناس، إياكم[٢] وخِلالاً أربعة، فإنها تدعو إلى النَّصَب بعد الراحة، وإلى الضِّيق بعد السَّعة، وإلى المذلّة بعد العزّة. إياكم[٢] وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقِيل بعد القال، في غير دَرَك ولا نَوَال؛ ثم إنه لا بدّ من فراغ يؤول إليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشأنه، وتَخْليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار إلى ذلك فليأخذْ بالقَصْد والنصيب الأقل، ولا يُضِيع المرءُ في فراغه نصيب العلم من نفسه فيكون من الخير عاطلاً، وعن حَلال الله وحرامه غافلاً.

يا معشر الناس، إنه قد تدلّت الجَوزاء، وذَكَت الشِّعْرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوَباء، وقلّ الندَى، وطاب المَرْعَى، ووَضَعت الحوامل، ودَرَجت السخائل، وعلى الراعي بحسن رَعيّته حُسْنُ النظر، فحَيَّ لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخِرافه وصيده؛ وأَرْبِعوا خيلكم وأسمِنوها وصُونوها وأكرموها، فإنها جُنّتُكم من عدوّكم وبها مغانمكم وأنفالكم، وآستوصوا بمن جاورتموه من القِبْط خيراً؛ وإياكم والمسوّمات[٣] والمعسولات فإنهنّ يُفسِدْنَ الدِّين ويُقَصِّرن الهمم.

حدّثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله سيفتح عليكم بعدي مِصْر فاستوصوا بقبطها خيراً فإنّ لكم منهم صِهْراً وذمّة؛ فكفّوا أيديكم وعِفّوا فُروجَكم وغُضّوا أبصارَكم، ولا أعلمنّ ما أَتى رجل قد

(١) في الأصول «قصير». وما أثبتناه من ابن عبد الحكم. ورجل قصد القامة: ليس بالطويل ولا بالقصير.
(٢) في ابن عبد الحكم: «إياي».
(٣) في ابن عبد الحكم: «والمشمومات».

أسمن جسْمَه وأهزل فرسه؛ وآعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال؛ فمن أهزل فرسه من غير عِلّة حَطَطته من فريضته قَدْر ذلك؛ واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حَوْلَكم وتشوُّق قلوبهم إليكم وإلى داركم مَعْدِنِ الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية.

وحدّثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا فَتَح الله عليكم مصر فاتّخِذوا فيها جُنْداً كَثِيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض»، فقال له أبو بكر: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «لأنهم وأزواجهم في رِباط إلى يوم القيامة». فاحمدوا الله مَعْشَر الناس على ما أولاكم، فتمتَّعوا في ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبِس العود وسَخُن العمود وكَثُر الذباب وحَمِض اللبن وصَوَّح البَقْل وآنقطع الورد من الشجر، فحيَّ إلى فُسطَاطكم على بركة الله؛ ولا يَقْدَمنّ أحدٌ منكم ذو عِيال على عياله إلا ومعه تُحْفة لعياله على ما أطاق من سَعَته أو عُسرته؛ أقول قولي هذا وأَستحفظ الله عليكم. قال: فحفِظتُ ذلك عنه؛ فقال والدي بعد انصرافنا إلى المنزل ــ لما حكيت له خطبته ــ إنه يا بُنيّ يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرِّباط كما حداهم على الريف والدَّعَة.

السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

وهي سنة عشرين من الهجرة:

فيها كانت غَزْوة تُسْتَر(١)؛

وفيها توفي بِلال بن رَبَاح الحَبَشِيّ مولى أبي بكر الصديق، وحمامة أمّه، وكان من السابقين الأوّلين وممن عُذّب في الإسلام وشهد بَدْراً وكان مؤذّن النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ مات بدمشق بالطاعون في هذه السنة، وقيل في التي قبلها، ودفن بدمشق بالباب الصغير، وله بضع وستون سنة ــ رضي الله عنه.

---

(١) كانت تستر أعظم مدينة بخوزستان، وهي من كور الأهواز. وقد افتتحها أبو موسى الأشعري وكان عليها الهُرْمُزان. (انظر فتوح البلدان: ٤٦٧ وما بعدها؛ والفتوح لابن أعثم الكوفي: ١/٢٧١ وما بعدها).

وفيها تُوُفِّيت زينب بنت جحْش بن رَبـاب[١] الأسديّ ـ أَسَـد خُزَيمـة ـ أمُّ المؤمنين، تزوّجها النبـيّ صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وقيل سنة خمس وقيل سنة أربـع وهو الأصـح.

وفيها توفي البَرَاء[٢] بن مالك الأنصاريّ، أخـو أَنَس بن مالـك الأنصاريّ النَّجّاريّ: كان أحد الأبطال الأفراد في الصحابة ـ رضي الله عنهم.

وفيها توفي عِيَاض بن غَنْم[٣]، أبو سعد، من المهاجرين الأوّلين؛ شهد بدراً وغيرها ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ[٤]: كـان من أشراف بني جُمَـح، له صُحْبة ورواية، قال الذهبـيّ: روى عنه عبد الرحمن بن سابط.

وفيها توفي أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمّ النبـي صلى الله عليه وسلم، وكان رَضِيـعَ النبيّ وشَبِيهَه.

وفيها توفي هِرَقْل عظيم الروم وقام آبنه قُسْطَنْطين مكانه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وتسعة أصابـع. مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً[٥].

* * *

(١) كذا في طبعة دار الكتب. والصواب «رئاب». وكان اسمها «بَرَّة». طلَّقها زيد بن حارثة وتزوج بها النبـي وسماها زينب. (انظر: الأعلام: ٦٦/٣ والإصابة: ٩٢/٨ و ٢٣٨/١).

(٢) استشهد على باب مدينة تُسْتَر في الوقعة المتقدمة الذكر.

(٣) عياض بن غَنْم الفهري. وكان يلقب بزاد الراكب لكرمه. (انظر الإصابة: ترجمة رقم ٦١٣٥؛ وفتوح البلدان: ١٦٥ وما بعدها).

(٤) ترجمته في الإصابة رقم ٢٢٦٣؛ وهو فيها: بن خذيم، بالمعجمة.

(٥) الأرقـام التي يوردها أبو المحاسن تحدد في كل عام أدنى مستوى وصلت إليه مياه النيل خلال أيام «التحاريق»، وأعلى مستوى وصلت إليه أيام الفيضان. ويتضـح من الأرقام التي ستأتي تباعاً أن مستوى النهر أيام التحاريق يتـردد بين حوالى أربعة أذرع إلى سبعة أذرع، إلا في أحوال نادرة ينخفض فيها هذا =

السنة الثانية من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

وهي سنة إحدى وعشرين من الهجرة:

فيها فُتِحت الإسكندرية في مستهلّها على يد عمرو بن العاص بعد أمور وحروب؛ وفي آخرها افتتح عمرو بن العاص برْقة(١) وصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار.

وفيها اشتكى(٢) أهلُ الكوفة سَعْد بن أبي وَقّاص إلى عمر بن الخطاب ـ

= المستوى أو يرتفع. وهذا المستوى يبلغ أيام الفيضان حوالى ستة عشر ذراعاً إلى تسعة عشر ذراعاً، وهو أعلى مستوى تبلغه مياه الفيضان، وهو يعتبر خطراً على الجسور والقرى، ويؤدي إلى إغراق مساحات كبيرة ويعرف في تلك العصور باللجّة الكبرى. كذلك فإن وقوف النهر أيام الفيضان عند المستويات المنخفضة يعتبر كارثة على الزراعات ويُحدث أزمات خطيرة في المجتمع كانت تؤدي أحياناً إلى مجاعات (انظر كتاب المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمّة ـ أو تاريخ المجاعات في مصر ـ منشورات دار ابن الوليد، دمشق ١٩٥٦؛ ومنشورات مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت ١٩٨٠). ولا يعتبر النهر قد «أوفى» ووصل الفيضان إلى المستوى المطلوب إلا إذا بلغ منسوب المياه خمسة عشر ذراعاً وإصبعاً على الأقل، وعندئذ يكسر الخليج، ولكسره يوم مشهود، وهو يوم وفاء النيل؛ فإذا كسر الخليج، فتحت الترع وانساب الماء إلى سائر الفروع والخلجان، وعندئذ تستحق الضرائب والجبايات. ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان في دراسة عن أبي المحاسن: مؤرخ مصر ومؤرخ النيل: «ولنا أن نتساءل كيف استطاع أبو المحاسن أن يحصل على هذه البيانات الدقيقة عن تقلبات النهر العظيم خلال هذه القرون الطويلة وبهذه الدقة المتتابعة منذ سنة ٢٠هـ حتى سنة ٨٧٢هـ عاماً فعاماً. وفي اعتقادنا أن المؤرخ رجع في ذلك أولاً إلى من تقدمه من المؤرخين الذين عنوا بتقلبات النيل منذ الفتح الإسلامي مثل: ابن عبد الحكم، وابن زولاق، وابن ميسّر، والمقريزي. ورجع بالأخص إلى الوثائق الرسمية وهي التي كانت تحرر كل عام عند فيضان النيل أو وفائه. وقد عني في عصرنا باستئناف مهمة أبي المحاسن في دراسة تقلبات النيل وتسجيل مستويات مياهه العلاّمة الكبير المغفور له أمين سامي باشا في كتابه: تقويم النيل. وقد عني بنوع خاص بتسجيل هذه التقلبات منذ الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨ م، ورجع في ذلك إلى مختلف الوثائق والتقارير الرسمية؛ هذا بالإضافة إلى ما يقدّمه في كتابه عن فيضان النيل وظروف تقلباته الطبيعية من دراسات قيمة وافية. (انظر: تقويم النيل لأمين سامي باشا ـ طبع مصر ١٣٣٤ ـ ١٣٥٥هـ ـ ثلاثة أجزاء. ودراسة الأستاذ عنان المشار إليها في كتاب: المؤرخ ابن تغري بردي، الهيئة المصرية العامة، ص ٢١ وما بعدها).

(١) وهي مدينة أنطابُلُس. وقد صالح أهلها على الجزية، ولهم أن يبيعوا فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه. (انظر ابن عبد الحكم: ١٧٠؛ والبلاذري: ٢٦٤).

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠٨/٧ «.. فشكوه في كل شيء حتى قالوا: لا يحسن يصلّي. وكان =

رضي الله عنه، فصرفه عمر وولّى عليهم عَمّار بن ياسـر على الصلاة، وولّى عبد الله بن مسعود على بيت المال، وولّى عثمان بن حُنَيف على مساحة أرض السواد[١].

وفيها كان فَتْح نَهَاوَنْد[٢]، وآستَشهـد أمير الجيش الـذي توجّـه إليها، وهو النعمان بن مُقَرِّن المُزَنِيّ، وآستشهد أيضاً يومئذ طُلَيحة بن خُوَيلد بن نَوْفل وفُتِحت تُسْتَر[٣].

وفيهـا صَالَـحَ أبـو هاشم بن عُتْبَـة بن ربيعة بن عبـد شمس على أَنْطاكِيَـة ومَلَطِيّة[٤] وغيرهما.

وفيها تُوفِّي خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القُرَشيّ المخزوميّ، أبو سليمان، سيف الله، كذا لَقَّبه النبـيّ صلى الله عليه وسلم؛ وأمّه لُبَابة[٥] أخت مَيْمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين، ودُفن بحِمْص، وقبره مشهور يقصد للزيارة.

وفيها تُوفّي العَلاء بن الحَضْرَميّ، واسم الحضرميّ عبد الله بن عبّاد[٦] بن

= الذي نهض بهذه الشكوى رجل يقال له الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه... وقال رجل من عبس: إن سعداً لا يقسم بالسويّة، ولا يعدل في الرعيّة، ولا يغزو في السريّة». وللخبر تتمة.

(١) في الطبري وابن الأثير: «على مساحة الأرض». وفيهما أن أهل الكوفة شكوا عماراً فاستعفى عمار عمرَ بن الخطاب فولى عمرُ جبير بن مطعِم الكوفة، ثم ما لبث أن عزله وولّى المغيرة بن شعبة، فلم يزل عليها حتى مات عمر. ونقل ابن كثير عن ابن جرير عن الواقدي أن عمر ولى عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان.

(٢) نهاوند: مدينة عظيمة في همذان ببلاد فارس. وهي أقدم مدينة في الجبل، كان في وسطها حصن منيع عجيب البناء. وقد سمى المسلمون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لأنه لم تقم للفرس بعد هذه الوقعة قائمة. (انظر في ذلك: الطبري: ٥١٨/٢؛ وابن الأثير: ٤١١/٢؛ والبداية والنهاية: ١٠٧/٧).

(٣) تقدّم أن وقعة تُسْتَر كانت سنة عشرين؛ وهي كذلك في المصادر التي ذكرناها.

(٤) في الطبري وابن الأثير: «صالح أبو هاشم... على قِلقيّة وأنطاكية ومعرّة مَصْرين».

(٥) هي لُبابة الصغرى، أخت لُبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب.

(٦) المصادر مختلفة في اسم جدّ العلاء، أبـي عبد الله، اختلاف تصحيف. فهو فيها: ضمار، وضماد، وعماد، وعباد. وهو في طبقات ابن سعد: عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر. وفي الإصـابة: عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف. وفي تاريخ الإسلام للذهبي هو ما أثبته المؤلف =

أكبر بن ربيعة بن مقنع، بن حضرموت، حليف بني أمية؛ وإلى أخيه تنسب بئر ميمونة[١] التي بأعلى مكة آحتفرها في الجاهلية.

وفيها تُوفّي الجارُود العَبْدي: سَيِّد عبد القيس؛ وكنيته أبو عتّاب؛ وقيل أبو المنذر؛ وقيل آسمه بِشْر، ولُقِّب جاروداً لأنه أغار على بَكْر بن وائل فأصابهم وجرّدهم؛ أسلم سنة عشر من الهجرة وفرح النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه[٢].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية عمرو الأولى على مصر

وهي سنة اثنتين وعشرين من الهجرة:

فيها افتتح عمرو بن العاص طَرَابُلس الغَرْب، وقيل في التي بعدها[٣].

= هنا. وفي جمهرة الأنساب: عبد الله بن عبدة بن ضماد بن مالك. وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي: عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك. . . . بن حضر موت.

(١) كذا في طبعة دار الكتب. وفي معجم البلدان لياقوت، وصفة جزيرة العرب للهمذاني: «بئر ميمون». قال ياقوت: «منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي ـ كذا وجدته بخط الحافظ أبي الفضل بن ناصر ظهر كتاب ـ ووجدت في موضع آخر أن ميموناً صاحب البئر هو أخو العلاء بن الحضرمي والي البحرين، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية، وعندها قبر أبي جعفر المنصور» وفي صفة جزيرة العرب أنها منسوبة إلى ميمون بن قحطان الصدفي من ولد أبد بن أبيود بن مالك بن الصَّدَف. (انظر معجم البلدان ج ٣٠٢/١).

(٢) وجَّهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم «سهرك» فقتل في عقبة الطين بفارس شهيداً. وفي طبقات ابن سعد والكامل لابن الاثير أنه قتل سنة ١٧هـ في مكان يدعى طاوس بفارس. وقال الزبيدي في التاج والذهبي في تاريخ الإسلام: «وقتل بفارس في عقبة الطين سنة ٢١هـ، وقيل بنهاوند مع النعمان بن مقرن». (الأعلام: ٥٥/٢).

(٣) روى الليث بن سعد أن فتحها كان سنة ٢٣هـ. (ولاة مصر للكندي: ص ٣٣؛ وفتوح مصر لابن عبد الحكم: ص ١٧١). ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء عن خليفة بن خياط قوله: «افتتح عمرو طرابلس الغرب سنة أربع وعشرين، وقيل سنة ثلاث وعشرين». وفي النسخة التي بين أيدينا من =

وفيها غزا حُذَيفة(١) مدينة الدِّينَوَر فافتتحها عَنْوة، وقد كانت فُتحت قبلُ لسَعْد ثم انتقضت.

وفيها أيضاً غزا حذيفة ماسَبَذان(٢) فافتتحها عنوة؛ وقيل كان افتتحها سعد ثم نقَضوا؛ وقال طارق بن شهاب(٣): غزا أهل البصرة ماه(٤)، فأمدّهم أهل الكوفة وعليهم عَمّار بن ياسر فأرادوا أن يَشْركوا في الغنائم فأبى أهل البصرة، ثم كتب إليهم عُمَر: الغنيمة لمن شهد الوقعة.

وفيها فُتحت هَمَذَان قاله ابن جرير وغيره؛ وفيها فُتحت الرَّيّ وما بعدها، ثم فتحت أَذْرَبِيجَان في قول الواقديّ وأبي مَعْشر، وقال سَيف: كانت في سنة ثماني عشرة؛ وكان بين أهل هذه البلاد والمسلمين حروب كثيرة حتى فتَحَ الله عليهم.

وفيها توفي أُبَيّ بن كعب، في قول الواقديّ وابن نُمَير والذَّيْلمي واليَزِيدِيّ؛ وقيل في سنة تسع عشرة(٥).

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم، أعني القاعدة، ستة أذرع واثنا عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة فيها ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

* * *

= تاريخ خليفة بن خياط (توفي سنة ٢٤٠هـ) أن فتحها كان سنة ٢٢هـ وهو ما يوافق الذي ذكره أكثر المؤرخين. (تاريخ خليفة: ١٥٢).

(١) وحُذيفة بن اليمان توفي سنة ٣٦هـ وقيل إن اليمان هو حُسَيْل بن جابر العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار. وكان الواقدي يقول: سمّي حُسَيْل باليمان لأنه كان يتّجر إلى اليمن. وقال الكلبي: إن حذيفة هو ابن حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جُرْوَة، وجُرْوَة هو اليمان، نسب إليه حذيفة. وسُمّي باليمان لأنه حالف اليمانية. (فتوح البلدان: ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(٢) ماسبذان والدينور: من أعمال بلاد فارس.

(٣) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس، أبو عبد الله. غزا في خلافة أبي بكر وعمر ثلاثاً وثلاثين غزوة. توفي سنة ٨٣هـ. (الإصابة: ترجمة ٤٢١٩).

(٤) ماه بالفارسية معناه القمر. والمقصود هنا: ماسبذان أو ماه سبذان. وكان في ممالك الفرس عدة مدن مضافة الأسماء إلى اسم القمر، وهو ماه، نحو ماه دينار (وهي نهاوند) وماه بهراذان، وماه بسطام وغيرها. (انظر معجم البلدان: ٥/٤٨ ـ ٤٩).

(٥) وفي بعض الروايات سنة إحدى وعشرين. (الأعلام: ١/٨٢).

السنة الرابعة من ولاية عمرو الأولى على مصر

وهي سنة ثلاث وعشرين من الهجرة:

فيها فَتْحُ كِرْمَان[١]، وكان أميرها سَهْل[٢] بن عَدِيّ.

وفيها فُتحت سِجِسْتَان[٣]، وكان أمير الجيش عاصم بن عُمَر[٤].

وفيها فُتحت مُكْران[٥]، وكان أمير الجيش لفتحها الحَكَم بن عثمان[٦] وهي من بلاد الجبل.

وفيها ــ ذكر سيف عن مشايخه: أنّ سَارِيَةَ بن زُنَيم[٧] قَصَد فَسَا ودَارَابْجِرْد[٨] واجتمع له جموع من الفُرْس والأكراد عظيمة ودَهِمَ المسلمين منهم أمرٌ عظيم، ورأى عمر بن الخطاب في تلك الليلة فيما يرى النائم مَعْركتهم وعددهم في وقت من نهار وأنهم في صحراء، وهُنَاك جَبَلٌ إن استندوا إليه لم يؤتَوْا إلا من جهة واحدة، فنادى عُمَر من الغَدَاة للصلاة جماعة حتى إذا كانت الساعة التي كان رأى أنهم اجتمعوا فيها خرج إلى الناس، فصَعِد المنبر فخطب الناس وأخبرهم بما رأى ثم قال: يا سَارِيَةُ، الجَبَلَ الجَبَلَ! ثم قال: إنّ لله جُنوداً ولعلّ بعضها أن يُبَلِّغهم؛ قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوّهم وفتحوا البلد؛ وقيل في رواية أخرى: إنما كان عمر في خُطْبة الجمعة.

وفيها حجّ عمر بن الخطاب بأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم وهي آخر حِجَّة حجَّها.

---

(١) ولاية واسعة وناحية معمورة بين فارس (ايران) ومكران (أفغانستان)، جنوبها بحر فارس.

(٢) كذا أيضاً في الإصابة لابن حجر. وفي الطبري وابن الاثير وابن كثير «سهيل بن عديّ».

(٣) ناحية كبيرة جنوبي هراة. وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل.

(٤) كذا في طبعة دار الكتب. وفي الإصابة والطبري وابن الأثير: «عاصم بن عمرو».

(٥) ولاية واسعة بفارس. غربها كرمان، وشمالها سجستان والبحر جنوبها.

(٦) في الإصابة والطبري وابن الأثير: «الحكم بن عمرو التغلبي».

(٧) ترجمته في الإصابة: ٣٠٢٨.

(٨) هي ولاية بفارس. وفَسَا أكبر مدنها.

وفيها غزا معاوية بن أبـي سفيان الصائفة حتى بلـغ عَمُّورِيَّة[١].

وفيها توفي قَتَادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد بن كعب وآسمه ظَفَر بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوْس أبو عمرو الأنصاري الظَّفَرِيّ أخو أبـي سَعيد الخُدْرِيّ لأمّه وقتادة الأكبر. شهد قتادة وَقْعة بَدْر، وأصيبتْ عَيْنه ووقعتْ على خدّه في يوم أُحُد فأتى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فغمز حَدَقَته وردّها إلى موضعها فكانت أصحّ عينيه.

وفيها توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن قُرْط بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ، أبو حَفْص القُرَشيّ العَدَوِيّ الفاروق. استشهد في يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة وقيل لأربـع، وسِنُّه يوم مات نَيَّفتْ على ستين سنة، وقيل غير ذلك على أقوال كثيرة[٢]. ضربه أبو لؤلؤة ــ وآسمه فَيْروز ــ عبدُ المغيرة بن شعبة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبـح فمات بعد ثلاثة أيام؛ وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان ــ رضي الله عنهما؛ وكانت خلافته عشر سنين ونصف لأنه وَلِيَ بعد وفاة أبـي بكر الصدّيق في ثامن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

قلت: ويضيق هذا المحل عن ذكر شيء من بعض مناقبه وما ورد في حقه من الأحاديث، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا المكان.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

* * *

(١) عمّورية: بلدة بأرض الروم (تركيا اليوم) شهرت بفتـح المعتصم العباسي لها.

(٢) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٣٦: «أصيب عمر يوم الأربعاء لأربـعٍ بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الأحد مستهلّ المحرم الحرام، وله ثلاث وستون سنة، وقيل: ست وستون سنة، وقيل: إحدى وستون، وقيل: ستون، ورجّحه الواقدي، وقيل: تسـع وخمسون، وقيل: خمس أو أربـع وخمسون، وصلى عليه صُهَيْب في المسجد».

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر

وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة:

فيها سار مَنويل الخصيّ إلى الإسكندرية فسأل أهلُ مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور، فجاء إليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة، وقيل: بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح(١).

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه.

وفيها ـ في قول سيف(٢) ـ عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولّى الوليد(٢) بن عُقْبة بن أبي مُعَيط مكانه، فكان هذا مما نُقِم على عثمان، وكنيته أبو وهب، وهو أخو عثمان لأمه(٣)، وله صحبة ورواية، روى عنه أبو موسى الهَمَذانيّ والشَّعْبيّ [وحارثة بن مضرب وغيرهم](٤).

وفيها فتح معاوية بن أبي سفيان الحصون ووُلد له ابنه يزيد.

وفيها توفي سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم أبو سفيان المُدْلجيّ.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وستة أصابع.

---

(١) لما جاء منويل الخصي على رأس جيش من الروم لانتقاض صلح الإسكندرية لم يكن عمرو بن العاص والياً على مصر، فقد كان عثمان قد عزله وولّى عبد الله بن سعد. ولما ردّه عثمان ـ بناءً على طَلب أهل مصر ـ ردّه والياً على الإسكندرية لمعرفته بحرب الروم، وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط على ولايته. (ولاة مصر للكندي: ٣٥ وفتوح مصر لابن عبد الحكم: ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٢) هذا ما رواه الطبري وابن الأثير عن سيف. ثم أضافا رواية الواقدي التي مؤداها أن ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة كانت سنة ست وعشرين. ورواية الواقدي أن عُمر أوصى أن يُقَرَّ عماله سنةً، فلما ولي عثمان أقرّ المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله، واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله؛ ثم استعمل الوليد بن عقبة. وذكر خليفة بن خياط أيضاً أن ولاية الوليد الكوفة كانت سنة ٢٥هـ. (الطبري: ٢/٥٩٠؛ وابن الأثير: ٢/٤٧٥؛ وتاريخ خليفة: ١٥٧).

(٣) أمها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. (الإصابة ت ٩١٤٨) وقد عزله عثمان بعد أن ثبت عليه شرب الخمر وأقام عليه الحدّ وولّى الكوفة سعيد بن العاص.

(٤) الزيادة من الإصابة.

ذكر ولاية آبن أبي سرح على مصر(١)

هو عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، وآسمه الحُسام (وسرح بالسين والحاء المهملتين) والحسام بن الحارث بن حُبَيب (بالحاء المهملة مصغراً) بن جَذيمة(٢) بن نصر بن مالك بن حِسْل(٣) بن عامر بن لُؤَيّ، أبو يحيى العامريّ عامر قريش. وَلِي إمرة مصر بعد عزل عمرو بن العاص في سنة خمس وعشرين، كما تقدّم ذكره، من قِبَل عثمان بن عفان، وجاءه الكتاب بولايته وهو بالفيوم، فجعل لأهل الجواب(٤) جُعَلاً فقدِموا به مصر، وسكن الفسطاط ومكث أميراً على مصر مدّة ولاية عثمان بن عفان كلها وهو أخو عثمان لأمه؛ قاله ابن كثير(٥)، قال: وهو الذي شَفَع له يوم الفتح حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدَر دمه. يأتي ذكر ذلك مفصّلاً في آخر ترجمته من كلام ابن حَجَر بعد أن نذكر نبذة من أموره.

ولمّا ولِيَ مصر أحسن السيرة في الرعية، وكان جواداً كريماً؛ ثم أمره عثمان أن يغْزوَ إفريقية، فإذا افتتحها كان له خُمْس الخُمْس من الغنيمة نَفلاً. فسار عبد الله بن أبي سرح المذكور إلى إفريقيّة في عشرة آلاف وغزاها حتى افتتح سهلها وجبلها وقتل خلقاً كثيراً من أهلها. ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام وحَسُن

(١) ولاة مصر: ٣٤، وخطط المقريزي: ٢٢٩/١، وحسن المحاضرة: ٣/٢، ومعجم زامباور: ٣٨ وغيرها من كتب الصحابة.

(٢) في الأصول «خزيمة». وما أثبتناه من ولاة مصر وحسن المحاضرة.

(٣) في الأصول «حُسَيْل». وما أثبتناه من ولاة مصر للكندي.

(٤) عبارة ابن عبد الحكم: «فجعل لأهل أَطْوَاب جُعَلاً على أن يصبحوا به الفسطاط في مركبة. فقدموا به الفسطاط قبل الصبح». وعبارة ابن عبد الحكم أوضح. (انظر فتوح مصر: ١٧٤).

(٥) ذكر ابن كثير هذا في أخبار سنة ٢٧هـ. وكان قد ذكر ولاية عبد الله بن سعد في أخبار سنة ٢٥هـ. (البداية والنهاية: ١٥٧/٧).

إسلامهم. وأخذ عبد الله بن أبي سرح المذكور خُمْس الخُمْس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، وقَسَّم أربعة أخماس الغنيمة في الجيش فأصاب الفارسُ ثلاثةَ آلاف دينار والراجِلُ ألفَ دينار.

قال الواقديّ: وصالحه بِطْرِيقُها على ألفي ألف دينار وخمسمائة[1] ألف دينار وعشرين ألف دينار، فأطلقها عثمان كلها في يوم واحد في آل الحَكَم، ويقال: في آل مَرْوان؛ ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح المذكور إفريقية ثانية في سنة ثلاث وثلاثين حين نقض أهلها العهد حتى أقرّهم على الإسلام والجزية؛ وآستشهد معه في هذه المرّة بإفريقيّة جماعة منهم: مَعبد بن العبّاس بن عبد المطلب وغيره.

ثم غزا في سنة أربع[2] وثلاثين غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية، فلقيه قُسْطنطين بن هِرَقْل في ألف مركب، وقيل في سبعمائة، والمسلمون في مائتي مركب، وتقاتلا فانتصر الأمير عبد الله هذا وهزَم الروم؛ وإنما سُمِّيت غزوة ذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها.

وعاد إلى مصر فبلغه في سنة خمس وثلاثين خبر مَنْ ثار على عثمان ــ رضي الله عنه ــ ودخل منهم طائفة إلى مصر بأمر عثمان؛ فإنه كان أخرج منهم جماعة إلى البصرة والشام ومصر، فلما قَدِمَ مَن قدِم منهم إلى مصر وافقهم جماعة من المصريين على خلاف عثمان كُرْهاً في ابن أبي سرح هذا لكونه وَلِي بعد عمرو بن العاص، وأيضاً لاشتغاله عنهم بقتال أهل المغرب وفَتْح بلاد البَرْبَر وأندلُس[3] وإفريقيّة وغيرها؛ ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلِّبون الناس على حرب عثمان وحرب عبد الله بن أبي سرح المذكور، وآجتمعوا وآستنفروا من مصر في ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفةِ مُعْتَمِرين في شهر رجب لينكروا على

(١) عبارة «وخمسمائة ألف دينار» ساقطة من ابن كثير. ورواية الواقدي ينقلها أبو المحاسن عن البدية والنهاية لابن كثير.

(٢) يميل كل من الواقدي والطبري وابن الاثير وابن كثير إلى أنها كانت في سنة ٣١هـ. وفي رواية أبي معشر والكندي وخليفة بن خياط أنها كانت في سنة ٣٤هـ.

(٣) هذا وهم ينقله ابن تغري بردي عن بعض المؤرخين. انظر فيما بعد ص ١٠٧ حاشية (٢) من هذا الجزء.

عثمان؛ وساروا إلى المدينة تحت أربع رايات، وأمْرُ الجميع إلى عمرو بن بُـدَيل بن وَرْقـاء الخُـزَاعي، وعبـد الـرحمن التُّجِيبـي[١]، وأقبـل معهم محمـد ابن أبـي بكر الصدّيق، وأقام بمصر محمد بن حُذَيفة يُـؤلِّب الناس ويدافـع عن هؤلاء؛ فكتب ابن أبـي سرح إلى عثمان يُعْلمه بقدوم هؤلاء القوم [إلى المدينة][٢] مُنْكِرين عليه في صفة معتمرين، فوقـع لهم مـع عثمان ــ رضي الله عنه ــ أمورٌ يطول شرحها إلى أن سألوا عثمان عَزْلَ عبد الله بـن أبـي سرح هذا عن ولاية مصر ويُوَلِّي عليهم محمد بـن أبـي بكر الصدّيق، فأجابهم إلى ذلك؛ فلما رَجعوا وجدوا في الطريق بَرِيدِيّاً يسير فأخذوه وفَتَّشوه، فإذا معه في إداوة[٣] كتابٌ كتبه مَرْوان بن الحَكَم كاتب عثمان وابن عَمِّه، والكتاب على لسان عثمان، فيه الأمر بقَتْل طائفة منهم وصَلْب آخرين وقَطْـع أيدي آخرين منهم وأرجلهم؛ وكان على الكتاب طَبْـع خَاتَم عثمان، والبريد أحدُ[٤] غلمان عثمان [و][٢]على جَمَله، فلما رجعوا جاؤوا بالكتاب إلى المدينة وداروا به على الناس، فكلّم الناس عثمان في أمر الكتاب؛ فقال عثمان ما معناه[٥]: إنه دُلِّس عليه الكتاب ثم قال: «والله لا كتبتُه ولا أمليتُه

---

(١) في الكامل لابن الأثير: «حرج المصريون وعليهم عبد الرحمن بن عُدَيس البلوي» وفي البداية والنهاية لابن كثير: «خرجوا. . وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني» وفي الطبري: «عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنافة بن بشر التجيبي، وعروة بن شييم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد بن رومان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني. وعلى القوم جميعاً الغافقيّ بن حرب العكي». وفي تاريخ خليفة بن خياط: «قدم أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عُديس البلوي».

(٢) الزيادة من البداية والنهاية لابن كثير. وأبو المحاسن ينقل عنه هنا باختصار، وببعض تصرّف أحياناً. وفي المصادر المذكورة أعلاه تفاصيل كثيرة أخرى فلتراجع.

(٣) الإداوة: إناء صغير يُحمل فيه الماء.

(٤) في الطبري أن الذي حمل الرسالة هو أبو الأعور السلمي.

(٥) في المصادر ــ باختلافات يسيرة ــ أنه أجابهم: «إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبتُ ولا. . . إلخ» أما مضمون الكتاب الذي زوِّر على عثمان فقد اضطربت الروايات فيه؛ ففي بعض الروايات: «إذا قدم عليكَ عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة جلدة واحلق رأسه ولحيته وأطِلْ حبسه حتى يأتيك أمري. وعمرو بـن الحمق فافعل به مثل ذلك. وسودان بن حمران مثل ذلك. وعروة بن الزنباع الليثي مثل ذلك». وفي رواية: «إذا أتاك محمد بن =

ولا دَريتُ بشيء من ذلك؛ والخاتم قد يزوَّر على الخاتم»؛ فصدَّقه الصادقون وكذَّبه الكاذبون في ذلك.

وآستمرّ عبد الله بن أبي سرح على عمله على كُرْهٍ من المصريين إلى أن خرج من مصر مُتَوَجِّهاً إلى عثمان بعد أن آستخلف عليها عُقْبَةَ بن عامر الجُهنيّ. وقُتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ واستُخلف عليّ ــ رضي الله عنه، فعزلَ عبدَ الله ابن أبي سرح هذا عن مصر وولّاها لقيسُ بن سعد بن عُبادة ــ رضي الله عنهما.

ثم استولى على مصر جماعة من قِبَل عليّ بن أبي طالب وقاتلوا عقبة بن عامر على ما سيأتي ذكره بعد أن نذكر مَنْ تُوُفِّي في أيام ولاية عبد الله بن سعد ابن أبي سرح هذا على مصر كما هو عادة كتابنا هذا. وكان عَزْل عبد الله ابن أبي سرح عن مصر في سنة ست وثلاثين بعد أن حكمها نحواً من عشر سنين.

وأمّا عبد الله بن سعد بن أبي سرح صاحب الترجمة فلم أقف له على خبر بعد ذلك؛ غير أنّ بعض المؤرّخين ذكروا أنه تُوفّي بِفِلَسْطِين في سنة ست وثلاثين المذكورة، ويقال غير ذلك أقوال كثيرة؛ منها:

قال الحافظ شِهاب الدين بن حَجَر العَسْقَلَاني في الإصابة[1]: روى الحاكم من طريق السُّدّي عن مُصعب بن سعد عن أبيه قال: لمّا كان يوم فتح مكة أَمّن النبيّ صلى الله عليه وسلم الناسَ كلّهم إلا أربعةَ نَفَر وآمرأتين: عِكْرِمَةَ وابنَ خَطَل

= أبي بكر الصديق وفلان وفلان فاقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرَّ على عملك حتى يأتيك رأيي». وفي رواية ثالثة أنه أمر عامله بالقطع والقتل والصلب على هؤلاء الثوار. وذكر ابن سعد أنهم نشروا أيضاً مكتوباً على لسان أم المؤمنين عائشة «تأمر الناس بالخروج على عثمان». وبعد مقتل عثمان، لما عرّفوها ذلك قالت: «لا؛ والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبتُ إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا». أما السيوطي فقال في «تدريب الراوي ــ ص ١٥١» إن عثمان كان قد كتب إلى واليه بمصر يخبره بتولية محمد بن أبي بكر الصدّيق ثم قال: «إذا جاءك فاقبله (بالباء). ولكن قرأه محمد بن أبي بكر: «فاقتله» (بالتاء المثناة فوقها ــ وهذا لعدم وجود النقاط على الحروف). ولعلّ هذا استنباط خاص بالسيوطي. (انظر: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله ص ٥٣٤ ــ ٥٣٨).

(١) انظر الإصابة: ترجمة رقم ٤٧٠٢.

ومِقْيَس بن صُبابة وابن أبـي سرح، وذكر الحديث، قال: فأمّا عبد الله فاختبأ عند عثمان فجاء به عثمان حتى أوقفه على النبـيّ صلى الله عليه وسلم وهو يبايـع الناس، فقال: يا رسول الله، بايـعْ عبد الله، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حيث رآني كَفَفْتُ يدي عن مُبايعته فيَقْتلَه».

ومن طريق يزيد النحويّ عن عِكْرِمَة عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بـن أبـي سرح يكتب للنبـيّ صلى الله عليه وسلم، فزيّن(١) له الشيطان فلحِق بالكفّار، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقْتَلَ (يعني يوم الفتـح) فآستجار(٢) بعثمان، فأجاره النبـيّ صلى الله عليه وسلم. أخرجه أبو داود.

وروى ابـن سعد من طريق ابن المسيَّب قال: كان رجل من الأنصار نذر إن رأى ابن أبـي سرح أنْ يقتلَه، فذكر نحواً من حديث مُصْعَب بن سعد عن أبيه.

ورَوَى الدارقُطنيّ من حديث سعيد بن يربوع المخزوميّ نحو ذلك؛ ومن طريق الحَكَم بن عبد الله عن قَتادة بن أنس بمعناه؛ وأوردها ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان أيضاً؛ وأفاد سِبْط ابن الجَوْزيّ في «مِرآة الزمان» أنّ الأنصاريّ الذي قال: فهلّا أومأتَ إلينا، هو عبّاد بن بِشْر، ثم قال: وقيل: إنّ الذي قال هو عمر.

وقال ابن يونس: شَهِد فَتْـحَ مصر وآختطّ بها؛ وكان صاحب الميمنة في الحرب مـع عمرو بن العاص في فتـح مصر، وله مواقف محمودة في الفُتوح، وأمّره عثمان على مصر. ولمّا وقعت الفتنة سكن عَسْقَلان ولم يبايـع لأحد، ومات بها سنة ست وثلاثين، وقيل: كان قد سار من مصر إلى عثمان وآستخلف السائب بن هشام بن عمرو فبلغه قتلُه، فرجَـع فتغلّب على مصر محمدُ بن أبـي حُذَيفة فمنعه من دخولها، فمضى إلى عَسْقَلان، وقيل إلى الرملة، وقيل بل شَهِدَ صِفِّين، وعاش إلى سنة سبـع وخمسين. ذكره ابن منده.

---

(١) في الإصابة «فأزله الشيطان».

(٢) في الإصابة: «فاستجار له عثمان» وهو أوضـح.

وقال البَغَويّ[١]: له عن النبيّ صلى الله عليه وسلم حديث واحد وخرّجه[٢]؛ ووقع لنا بعلوّ في المعرفة لابن منده. انتهى كلام ابن حَجَر باختصار، وتأتي بقية ترجمة ابن أبي سَرْح هذا في حوادث سِنِيه.

* * *

السنة الأولى من ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر

وهي سنة خمس وعشرين من الهجرة:

فيها، في قول سَيف، عَزَلَ عثمان سعداً عن الكوفة[٣]؛ وفيها سار الجيش من الكوفة وعليهم سليمان[٤] بن ربيعة إلى بَرْذَعَة[٤]، فقَتَل وسَبَى؛ وفيها حجّ بالناس عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع واثنا عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع.

السنة الثانية من ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر

وهي سنة ست وعشرين من الهجرة:

فيها فتحت سابور[٥] وكان أمير الجيش عثمان بن أبي العاص الثقفيّ. صالحهم على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف.

---

(١) في الأصل «المسعودي». وما اثبتناه من الإصابة.

(٢) في الإصابة «وحرّفه».

(٣) وولاها الوليد بن عقبة بن أبي معيط. (تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٨).

(٤) في تاريخ خليفة وفي معجم البدان «سلمان». وهو سلمان بن ربيعة الباهلي أحد بني قتيبة بن معن بن مالك. قال خليفة: أرسله الوليد في اثني عشر ألفاً. قال خليفة: وقال أبو عبيدة عن السمري: عمر بعث سلمان بن ربيعة إلى برذعة فافتتحها. وفي رواية ياقوت أنه افتتحها وصالح أهلها على مثل صلح البيلقان. وبرذعة: بلد في أقصى أذربيجان.

(٥) كورة واسعة في إيران. وفي بعض الروايات أن عثمان بن أبي العاص ـ عامل عمر بن الخطاب على البحرين وعمان ـ وجّه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى سابور وبلاد فارس. (فتوح البلدان: ٤٧٦).

وفيها زاد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ في المسجد الحرام ووسَّعه وآشترى الزيادة من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم إلى الحبس وقال: ما جَرَّأكم عليّ إلا حِلْمي، وقد فعل هذا عمر فلم تصيحوا عليه.

وفيها حجّ عثمان بن عفان بالناس.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع؛ وقيل خمسة عشر إصبعاً.

السنة الثالثة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة سبع وعشرين:

فيها توفي عبد الله[1] بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول، وكنيته أبو يحيى، وقيل أبو الحارث. صحابيّ شهد بدراً.

وفيها فُتِحت الأندلس[2]، وكان أميرا الجيش عبد الله بن الحُصَين وعبد الله بن عبد القيس، أتياها من قِبَل البحر؛ كتب إليهما عثمان ـ رضي الله عنه ـ يقول: «إن القُسْطَنْطِينيّة إنما تُفتح من قِبَل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام».

قال ابن جرير: قال بعضهم وفي هذه السنة غزا معاوية قُبْرُس. وقال

---

(١) الإصابة: ترجمة ٤٩٠٦.

(٢) رواية فتح الأندلس سنة ٢٧هـ من الأخطاء التي وقع فيها كثير من المؤرخين مثل الطبري وابن الأثير وابن كثير. وأبو المحاسن هنا ينقل عنهم دون تمحيص للرواية. هذا مع أن المؤرخين الثلاثة الذين ذكرناهم يعودون ليذكروا فتحها في أخبار سنة ٩٢هـ، وهو التاريخ الصحيح. إذ المعروف تاريخياً أن فتح الأندلس كان أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان. (انظر على سبيل المثال: فتوح البلدان: ٢٧٣؛ والعبر لابن خلدون: ١١٧/٤).

الواقديّ: كان ذلك في سنة ثمان وعشرين. وقال أبو مَعْشر: غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين(١) والله أعلم.

وقال الواقديّ: في هذه السنة فُتحت إِصْطَخر(٢) ثانياً على يدي عثمان ابن أبي العاص.

وقال الذهبيّ: فيها غزا معاوية قبرس وكان معه عبادة بن الصامت وزوجة عُبادة أم حَرَام بنت مِلْحان الأنصارية فاستشهدت(٣)؛ كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يغشاها ويَقِيل عندها وبَشَّرها بالشهادة(٤).

وفيها صالح عثمان بن أبي العاص أهل أَرَّجان على ألفي ألف ومائتي ألف، وصالح أهل دَارَابْجِرْدْ على ألف ألف وثمانين ألفاً.

وفيها غزا أمير مصر ابن أبي سرح صاحب الترجمة إفريقية حسبما تقدّم، وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير بن العوّام، وكان المسلمون في عشرين ألفاً، وكان العدوّ (يعني جُرْجِير) في مائتي ألف مقاتل، وفتح الله وغَنِم المسلمون شيئاً كثيراً.

وفيها حجّ بالناس عثمان ــ رضي الله عنه.

---

(١) رواية البلاذري عن فتح قبرص أكثر ترابطاً ووضوحاً. ولعل اختلاف المؤرخين حول سنة فتحها يعود إلى أن معاوية كان قد فكر في الأمر أيام خلافة عمر بن الخطاب، ولكن الخليفة لم يأذن له بذلك (وكان المسلمون حتى ذلك التاريخ لم يركبوا بحر الروم، كما يقول الواقدي). ثم إن معاوية طلب ثانية الإذن بذلك من عثمان، فتردد عثمان في ذلك إلى أن أذن له سنة ٢٨هـ حيث افتتحها معاوية وصالح أهلها على شروط منها ألا يساعدوا الروم على المسلمين. ولما أخل أهل قبرص بهذا الشرط سنة ٣٣هـ غزاها معاوية للمرّة الثانية وافتتحها عنوة وقتل وسبى ثم أقرّ أهلها على صلحهم. (انظر فتوح البلدان: ١٨١).

(٢) بلدة من أجلّ مدن إيران، في الشمال، شرقي شيراز.

(٣) وقبرها في قبرص. وفي هذه الغزوة أيضاً حمل معاوية معه زوجته فاختة بنت قَرَظة من بني عبد مناف. وكان اصطحاب معاوية وعبادة لزوجتيهما بناءً على إشارة من عثمان الذي كتب إلى معاوية: «فإن ركبت ومعك امرأتك فاركبه ــ أي البحر ــ مأذوناً لك وإلا فلا». فتوح البلدان: ١٨١.

(٤) انظر الخبر في ترجمة أم حرام في الإصابة: ١٢٠٨.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة ثمان وعشرين:

فيها فتحت قُبْرسُ على يد معاوية؛ قاله الذهبيّ في قول؛ وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ منع المسلمين من الغزو في البحر شفقة عليهم، فلما ولي عثمان استأذنه معاوية فأذن له ففتح الله على يده[1].

وفيها غزا حبيب بن مَسْلَمة سُورِيَةَ من أرض الروم، قاله الواقديّ.

وفيها غزا الوليد بن عُقْبة أَذْرَبِيجَان، فصالحهم مثل صُلْح حُذَيفة.

وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة تسع وعشرين:

فيها افتتح عبد الله بن عامر إِصْطَخر، في قول، عَنْوة فقَتَل وسَبَى. وكان على مقدّمته عبيد[2] الله بن مَعْمَر بن عثمان التَّيْميّ وكلاهما صحابيّ.

(١) راجع الحاشية: (١) من الصفحة السابقة.

(٢) في طبعة دار الكتب: «عبد الله». والتصحيح من فتوح البلدان والكامل والإصابة. وقد استشهد عبيد الله في هذه المعركة وهو في سن الأربعين.

وفيها عَزَلَ عثمانُ أبا موسى الأشعريّ عن البصرة بعد عمالة ست سنين، وقيل ثلاث، وولّى عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهو ابن خال عثمان؛ وجمع له بين جُنْد أبي موسى وجُنْد[١] عثمان ابن أبي العاص، وله من العمر خمس وعشرون سنة فأقام بها ست سنين.

وفيها وَسَّع عثمانُ بن عفّان مسجدَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وبناه بالقَصَّة (وهي الكِلْس) كان يؤتى به من بطن نَخْل[٢]، والحجارةِ المنقوشة وجعل عُمُدَه حجارة مرصّعة وسَقَفَه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

وفيها حجّ بالناس عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وضُرِب له بمِنًى فُسْطاط، فكان أوّلَ فُسْطاط ضربه عثمان بمِنًى، وأتمّ[٣] الصلاة عامه هذا، فأنكرَ ذلك عليه غير واحد من الصحابة كعليّ وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود.

وفيها نَقَضت أَذْرَبِيجَان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانياً؛ وفيها فتحت أَصْبَهان؛ وفيها عزل عثمانُ الوليدَ بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وستة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

* * *

(١) أي إن عثمان عزل في نفس الوقت كلًّا من أبي موسى الأشعري عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس (حسب رواية خليفة) أو عن عمان والبحرين (حسب رواية ابن الأثير). انظر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة في الطبري وابن الأثير: أخبار سنة ٢٩هـ.

(٢) في طبعة دار الكتب «كان يؤتى به من نخلة». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير وابن كثير. وبطن نخل: جمع نخلة، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة. (انظر معجم البلدان: ١/٤٤٩).

(٣) أي صلّى بالناس أربع ركعات بدلاً من ركعتين. انظر الرواية في الطبري وابن الأثير وابن كثير.

السنة السادسة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة ثلاثين بعد الهجرة:

فيها افتتح عبد الله بن عامر مدينة هَوْر(١) من أرض فارس وغَنِم منها شيئاً كثيراً.

ثم افتتح عبد الله المذكور أيضاً بلاداً كثيرة من أرض خُراسان؛ ثم افتتح نَيْسابور صُلْحاً، ويقال عَنْوة؛ ثم صالح أهل سَرَخْس(٢) على مائة وخمسين ألفاً، وصالح أهل مَرْو على ألفي ألف ومائتي ألف(٣)؛ ولما فتح عبد الله بن عامر هذه البلاد الواسعة كَثُر الخَرَاج على عثمان وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ الخزائن وزاد الأرزاق.

وفيها نقض أهلُ خُراسان وتجمّعوا، فنهض لقتالهم الأحنف(٤) بن قيس وقاتلهم حتى هزَمَهم، وكانت وقعة مشهورة.

وفيها تُوفّي الطُّفَيل بن الحارث بن عبد المطلب المُطلِبيّ، وهو أخو عُبَيدة بن الحارث والحُصَين بن الحارث، وكان ممن شَهد بدراً مع النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وفيها تُوُفّي أُبَيّ بن كعب، في قول الواقديّ؛ وقد تقدّم؛ وهذا أثبت(٥) الأقوال في موته.

---

(١) كذا في طبعة دار الكتب. وفي فتوح البلدان وتاريخ خليفة «جور». وجور: مدينة بفارس ينسب إليها الورد الجوري، قريبة من شيراز.

(٢) مدينة قديمة بخراسان بين نيسابور ومرو. والذي افتتحها هو عبد الله بن خازم، وجهه إليها عبد الله بن عامر بن كريز. ويقال: إن مرزبانها «زاذويه» طلب الصلح من ابن خازم، وأن يدفع إليه النساء، فصارت ابنته في سهم ابن خازم، واتخذها وسماها رميثة. (فتوح البلدان: ٥٠١).

(٣) الذي صالح مرزبان مرو على الجزية المذكورة هو حاتم بن النعمان الباهلي؛ أرسله ابن عامر. (المصدر السابق).

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، سيد بني تميم. كان يضرب به المثل في الحلم. توفي سنة ٧٢هـ. (انظر ترجمته في ابن خلكان: ١/٤٩٩).

(٥) انظر الروايات المختلفة في سنة وفاته في الإصابة: ترجمة ٣٢.

وفيها تُوُفّي حاطب[١] بن أبي بَلْتَعة اللخميّ، حَلِيف بني أَسَد بن عبد العزَّى، وهو صحابيّ شَهِد بدراً ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي عبد الله بن كعب بن عمرو المَازِني الأنصاريّ البدريّ أيضاً. كنيته أبو الحارث وقيل أبو يحيى؛ شَهِد بدراً وكان على الخُمْس يوم بدر ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي عِياض بن زُهَير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هِلال أبو سعد القُرَشيّ؛ كان أيضاً ممن شهد بدراً والمشاهد بعدها؛ هكذا قال ابن سعد، وفَرَق بينه وبين ابن أخيه عِياض بن غَنْم بن زُهَير الفِهْرِيّ أمير الشام المتوفى سنة عشرين.

وفيها تُوُفّي مَعْمَر بن أبي سرح؛ واسمه[٢] ربيعة بن هلال القُرَشيّ الفهريّ، أبو سعيد[٣]، وقيل اسمه عمرو؛ وهو أيضاً ممن شهد بدراً.

وفيها توفي مسعود بن ربيعة، وقيل[٤] ابن الربيع أبو عمير القاريّ؛ والقارة حلفاء بني زُهْرة؛ وهو أيضاً ممن شهد بدراً وغيرها ـ رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وستة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة:

فيها تُوُفّي أبو سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف

(١) وهو الذي بعثه النبي برسالته إلى المقوقس صاحب مصر. انظر الإصابة: ت ١٥٣٣.

(٢) أي اسم والده أبي سرح.

(٣) في البداية والنهاية: ١٦٣/٧ «أبو أسعد».

(٤) في الإصابة: ت ٧٩٣٦ «مسعود بن ربيعة بن عمرو بن عبد العزى. . . ويقال: مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمير بن سعد، وهذا قول الكلبي».

الأُمَوِيّ القُرَشيّ؛ أسلم أبو سفيان يومَ الفتح وشَهِد حُنَيْناً وأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية؛ وقد فُقِئَت عينه يوم الطائف، ثم شهِد غَزْوة اليَرْموك.

وفيها تُوُفّي أبو الدرداء، واسمه عُوَيْمر بن يزيد، وقيل [ابن][1] عبد الله بن قيس بن ثعلبة بن أمية بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ الصحابيّ المشهور ــ رضي الله عنه.

وفيها تُوُفّي نُعَيم[2] بن مسعود بن عامر الأَشْجعيّ. كنيته أبو سَلَمة. له صحبة ورواية ــ رضي الله عنه.

وفيها تُوُفّي كِسرَى مَلِك فارس؛ وهو يَزْدَجِرْد بن شَهْرِيار؛ وسبب[3] هلاكه أنه هَرَب من كِرْمان إلى مَرْو فلم يتم له ذلك؛ فخرج أيضاً هارباً إلى أن نزل برجل يَنقُر الأرحاء فأوى إليه، فقتله الرجل وأخذ ما عليه من الجواهر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة اثنتين وثلاثين:

فيها سار عبد الله بن عامر من البصرة إلى المشرق فٱفتتح بها بلاداً كثيرة:

---

(١) الزيادة من الأعلام للزركلي؛ وفيه روايات أخرى عن اسم أبيه. وقيل أيضاً إنه توفي سنة ٣٢هـ.

(٢) في الإصابة: «قتل في أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل. وقيل مات في خلافة عثمان». ت ٨٧٨٠.

(٣) وفي كيفية مقتله روايات أخرى متعددة. انظر في ذلك: الكامل لابن الأثير: ٣/١٤؛ والطبري: ٢/٦٢٠؛ والبداية والنهاية: ٧/١٦٤.

الطالقَان[١] وجُرْجان[٢] وبَلْخ[٣] وطَخارِسْتان[٤]؛ وكان على مقدّمته الأحنف بن قيس؛ وقيل بل جَهَّز عبد الله بن عامر الأحنف وأقام هو بالبصرة يمدّه بالمال والرجال.

وفيها غزا عبد الرحمن بن ربيعة بَلَنْجَر[٥]. وكان صاحبها نازلاً قريباً من باب الأبواب[٦]، وبعث يطلب من سعيد بن العاص المدد فأمدّه بحبيب بن مَسْلمة الفِهْريّ فأبطأ حبيب على عبد الرحمن فسار عبد الرحمن نحو بَلَنْجَر المذكورة وحصرها.

وفيها توفي أبو ذَرّ الغِفَاريّ، واسمه[٧] جُنْدُب بن جُنَادة بن كُعيب بن صُعَير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام؛ وكان من أحد السابقين الأوّلين وكان خامساً في الإسلام ــ رضي الله عنه.

وفيها توفي العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو الفضل، عمّ النبي صلى الله عليه وسلم؛ وولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أو بثلاث. أسلم بعد وقعة بدر ــ رضي الله عنه. وقد استسقى به عمر بن الخطاب في أيام خلافته في بعض السنين.

وفيها توفي عبد الله بن مسعود بن غافِل بن حَبِيب بن شَمْخ بن فأْر بن مَخْزوم بن صاهِلَة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذيل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر، أبو عبد الرحمن الهذليّ حليف بني زُهْرة؛ أسلَم قبل عمر، وكان

---

(١) أكبر مدينة بخراسان، بين مرو الروذ وبلخ.

(٢) مدينة مشهورة وإقليم بين طبرستان وخراسان. وهي اليوم في ايران في إقليم مازندران.

(٣) مدينة شهيرة بخراسان. وهي اليوم في أفغانستان.

(٤) ولاية واسعة من نواحي خراسان، شرقي بلخ، غربي نهر جيحون.

(٥) مدينة ببلاد الخزر.

(٦) مدينة على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر.

(٧) نسب أبي ذر المثبت هنا يوافق ما جاء في طبقات ابن سعد. وذكر ابن حجر في الإصابة أن الاختلاف واقع في اسمه واسم أبيه، وذكر الروايات المختلفة. انظر ترجمة رقم ٣٨٢ ــ باب الكنى.

سبب إسلامه مرور النبيّ صلى الله عليه وسلم به وقصته[١] مشهورة؛ وهو أحد كِبار الصحابة ــ رضي الله عنه، وهو من السابقين الأوّلين وشهِد بدراً والمشاهد كلها.

وفيها توفي عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كِلاب [بن مُرّة]، أبو محمد القُرَشيّ الزُّهْريّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبَقوا للإسلام، وأحد الستة أصحاب الشُّورَى بعد موت عمر لأجل الخلافة.

وفيها توفي أبو الدرداء عُوَيْمر وقد تقدّم ذكره، والصحيح[٢] أنه توفي في هذه السنة.

وفيها توفي الحكم بن [أبي] العاص بن أمية بن عبد شمس، عمّ عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه، وأبو مروان بن الحكم؛ نفاه[٣] النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فدام به إلى أن آستقدمه عثمان في خلافته؛ وسمي الحكم هذا طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينَه.

وفيها توفي سلمان الفارِسيّ؛ وكنيته أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير[٤]؛ أصله من اصْطَخر، وقيل من أهل أصْبَهان، من قرية يقال لها جَيّ[٥]؛ وهو من الطبقة الثانية من الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين؛ كان من المهاجرين؛ شَهِد بدراً وأُحُداً.

وفيها توفي سِنان بن أبي سِنان بن مِحْصَن الأسديّ: من الطبقة الأولى من الصحابة؛ كان من المهاجرين؛ شهِد بدراً وأُحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) كان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرّت عليه لبناً غزيراً. (انظر: سيرة ابن هشام: ١/٢٥٤؛ والبداية والنهاية: ٧/١٧٩).

(٢) كثيراً ما يلجأ أبو المحاسن إلى مثل هذه الاستدراكات. فهو يذكر رواية معينة في إحدى السنين ثم يعود ليرجّح حدوثها في سنة أخرى. وهو فيما يتعلق بالوفيات يتبنى رواية الذهبي.

(٣) لأنه كان ــ فيما قيل ــ يفشي أسرار رسول الله.

(٤) ويقال له أيضاً: سلمان الإسلام. وفي الإصابة عن ابن حبّان: «أصله من رام هرمز، وقيل من أصبهان» انظر الإصابة: ترجمة ٣٣٥٠.

(٥) وتسمى عند العجم: شهرستان، وعند المحدثين: المدينة (انظر ياقوت).

وفيها توفي عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم؛ كنيته أبو حُذافة؛ كان مِمّن هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأُحداً والخَنْدق والمشاهدَ كلّها. وهو رسول النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى.

وفيها تُوفّي كَعْب الأحبار بن ماتِع[١] الحِمْيَريّ، من مُسْلِمي أهل الكتاب؛ كنيته أبو إسحاق. أسْلَم على يد أبي بكر الصدّيق، وقيل[٢] على يد عمر ــ رضي الله عنهما؛ وهو من الطبقة الأولى من التابعين.

وفيها توفي أبو مُسْلم الجَبَليّ (بالجيم) وهو من جبل صيدا بساحل دِمَشْق؛ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَسْلم على يد أبي بكر الصدّيق ــ رضي الله عنه، وقيل بعد ذلك؛ وهو من الطبقة الأولى من التابعين.

وفيها توفي مُعَيْقِيب بن أبي فاطمة الدَّوْسيّ الأَزْديّ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف؛ أَسْلَم بمكة قديماً وهاجر إلى الحبَشة وشهِد خَيْبَر ــ رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

السنة التاسعة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين:

فيها نَفَى عثمان ــ رضي الله عنه ــ جماعة من أهل الكوفة إلى الشام كانوا يَعِيبون عليه ويَطْعَنون فيه ويَسُبُّون سعيد بن العاص والي الكوفة، فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فكتب إليه عثمان يُسَيِّرهم إلى الشام، فسَيَّرهم وفيهم عُرْوَة بن الجَعْد

(١) في الأصل «نافع» وهو تصحيف. والتصحيح من الإصابة لابن حجر وتهذيب الأسماء للنووي.
(٢) يرجّح ابن حجر إسلامه على يد عمر بن الخطاب. وذكر ابن الأثير وفاته سنة ٣٤هـ.

البارِقي ومالك بن الحارث الأَشْتر النَّخَعِيّ وجُنْدُب بن زُهير وعمرو بن الحَمِق وابن أبي زِياد وغيرُهم(١).

وفيها غزا مُعاوية بن أبي سُفْيان بلاد الروم ووصل إلى حِصْن المَرْأة من أعمال مَلَطِيَّة وآفتتحه.

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقيّة وكانوا نقضوا كما تقدّم في ترجمته.

وفيها بعث عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خُراسان وكانوا أيضاً قد نقضوا العهد فقاتلهم وظفِر بهم ولحقه عبد الله بن عامر فهدَم مدينتها.

وفيها توفي المِقْداد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعةَ الكنديّ، وكنيته أبو مَعْبَد؛ ويقال له ابن الأسود لأنه كان حالف الأسود بن عبد يَغُوث في الجاهلية فتبنّاه، وإنما قيل له الكِنْدي لأن أباه كان حالف كِنْدة؛ وهو في الصحابة من الطبقة الأولى، كان من المهاجرين الأوّلين، شهِد بدراً وأُحداً والمشاهد كلّها؛ وكان يقال له فارس الإسلام ــ رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

* * *

السنة العاشرة من ولاية ابن أبي سرح على مصر

وهي سنة أربع وثلاثين:

فيها غزا أمير مصر صاحب الترجمة غزوة ذاتِ الصَّواري وآنتصر على الروم حسبما تقدم ذكره.

---

(١) قال ابن كثير: «كانوا عشرة، وقيل تسعة وهو الأشبه» وذكر منهم، زيادة على ما جاء هنا: كميل بن زياد، وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن كعب الأزدي. قارن أيضاً بابن الأثير: ٣/٣٠ وما بعدها؛ والطبري: ٢/٦٣٤ وما بعدها.

وفيها سارت ركائب المنحرفين[١] عن عثمان وكان جُمْهورهم من أهل الكوفة.

وفيها توفي إياس بن أبي[٢] البُكَيْر الكناني حَليف بني عَديّ؛ كان من المهاجرين، شهَد بدراً هو وإخوته: خالد وعاقل وعامر[٣]، ولم يَشْهَد بدراً إخوةٌ أربعة سواهم؛ وقد شهد إياس هذا فتح مصر ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي عُبادة بن الصامت في قول. وقد تقدَّم ذكره وهو أحد النُّقباء ليلة العقبة ومن كِبار الصحابة.

وفيها توفي مِسْطَح[٤] بن أُثاثَة بن عبد المطلب بن عبد مناف المُطَّلِبيّ المذكور في حديث الإفك. شهد بدراً والمشاهد بعدها؛ وكان فقيراً يُنْفِق عليه أبو بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه.

وفيها توفي أبو عبس بن جبر بن عمرو الأنصاريّ الأوسي؛ واسمه على الأصحّ عبد الرحمن؛ وكان اسمه في الجاهلية عبد العزّى فغيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو من الذين قتلوا كَعْب بن الأشرف اليهوديّ، وشهد بدراً وغيرها.

---

(١) وهم الذين ورد ذكرهم سابقاً (ص ١١٧ حاشية ـ ١ ـ). وكانوا قد استقروا بعد نفيهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيين عن الكوفة. ثم بعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شقّ ذلك عليه جداً وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم. انظر تفاصيل ذلك في الطبري وابن الأثير وابن كثير: أخبار سنة ٣٣هـ.

(٢) في فتوح مصر لابن عبد الحكم: «إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب» إلى آخر النسب حتى يصل إلى كنانة. وفي حسن المحاضرة للسيوطي «إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ثابت الليثي». قال: ويقال: ابن أبي البكير. ـ انظر أيضاً الإصابة: ترجمة ٣٧٠ ـ وفي الطبري وابن الأثير أن الذي توفي في هذه السنة هو عاقل بن البكير.

(٣) استشهد عامر باليمامة، وعاقل يوم بدر، وخالد يوم الرجيع (الإصابة).

(٤) قال ابن الأثير في الكامل «وقيل: بل عاش وشهد صفين مع علي وهو الأكثر».

وفيها توفي أبو طلحة الأنصاريّ، وآسمه زيد بن سَهْل بن الأسود، أحد بني مالك بن النجار؛ كان من النُّقباء ليلة العقبة. شهد بدراً والمشاهد بعدها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وتسعة أصابع؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر

وهي سنة خمس وثلاثين:

فيها عُزِلَ عبد الله بن أبي سرح عن مصر في قول.

وفيها كانت غَزْوَة ذي خُشُب[1] وأمير المسلمين فيها مُعاوية بن أبي سُفْيان.

وفيها كان خروج أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر مُتَوجِّهاً إلى عثمان، واستخلف على مصر عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ، وقيل[2] السائب بن هشام العامِريّ، وجعل على خراجها سُلَيْم بن عِتْر[3] التُّجِيبيّ، وكان ذلك في رجب من سنة خمس وثلاثين، وسار إلى عثمان فاستمرّ أمر مصر مستقيماً إلى شوّال من السنة.

وفيها خرج محمد بن [أبي][4] حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة على عُقْبة بن عامر خليفةِ عبد الله بن أبي سرح على مصر، وملك مصر على ما سيأتي ذكره.

وفيها كانت مَقْتَلة عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ في ذي الحجة منها،

---

(١) واد على مسيرة ليلة من المدينة، وقيل: جبل. (انظر معجم البلدان).

(٢) في رواية الليث أنه استخلف سليم بن عِتر التجيبي، وفي رواية يزيد بن أبي حبيب أنه استخلف السائب بن هشام. (ولاة مصر: ٣٧).

(٣) في الأصل «عمير» وما أثبتناه من ابن عبد الحكم: ٢٣١، والكندي: ٣٧.

(٤) الزيادة من ولاة مصر للكندي.

وقصته مشهورة؛ وقد استوعب ذلك جماعةٌ من المؤرخين في عدّة كراريس لا سبيل إلى تلخيصها في هذا المحل، غير أننا نذكر نسبته ومدّة خلافته لا غير» فنقول:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس [بن عبد مناف] أمير المؤمنين، أبو عمرو، وقيل[١] أبو عبد الله القرشيّ الأُمويّ؛ وأمه أَرْوَى[٢]. هو أحد السابقين الأوّلين وذو النورين وصاحب الهِجْرتَيْن وزَوْج الابنتَيْن؛ مولده قبلَ عام الفيل بستة أعوام، وقيل بعده بستة أعوام. وخلّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لمرض زوجته رُقَيَّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فتوفيت بعد بدر بليال. وضَرب له النبيّ صلى الله عليه وسلم بسَهْم من بدر وآجره، ثم زوّجه بالبنت الأخرى أمّ كُلْثوم.

قال الذهبيّ: رَوَى عطيّة عن أبي سعيد قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً يَدَيْه يدعو لعثمان؛ وعن عبد الرحمن بن سَمُرَة قال: جاء عثمان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهّز جيش العُسْرة، فصبّها في حجر النبيّ صلى الله عليه وسلم فجعل يُقلِّبها بيده ويقول: «ما ضرّ عثمانَ بعد اليوم ما عمِلَ» رواه أحمد في مُسْنَده. وفضائله كثيرة يَضيق هذا المحل عن ذكر شيء منها.

قلت: بويع عثمان بالخلافة لما مات عمر في ذي الحجة سنة أربع وعشرين من الهجرة، فدام في الخلافة حتى قتل في هذه السنة ـ رضي الله عنه. وتولّى الخلافة من بعده عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.

---

(١) كان يكنَّى في الجاهلية أبا عمرو؛ فلما كان في الإسلام ولد له من رقيّة بنت رسول الله غلام فسماه عبد الله واكتنى به فكنّاه المسلمون أبا عبد الله. (الطبري: ٢/٦٩٢). وزاد السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٤٧ «ويقال: أبو ليلى».

(٢) ابنة كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب. (الطبري).

وفيها توفي كعب[١] الأحبار، وكان أَسْلم في خلافة أبـي بكر الصدّيق، وكان من أَوْعِيَة العلم.

وفيها توفي عُبادة[٢] بن الصامت الأنصاريّ الصحابـيّ المشهور أحد النقباء مات بالرَّمْلة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة وعشرون إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإصبعان.

(١) سبق ذكره في وفيات سنة ٣٢هـ.
(٢) كذلك تقدّم ذكره في وفيات سنة ٣٤هـ.

ذكر استيلاء محمد بن [أبي] حذيفة على مصر

هو محمد بن [أبي] حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف؛ وثب على مصر وملكها من غير وِلاية من خليفة، فلذلك لم يعدّه المؤرّخون من أمراء مصر؛ وكان من خبره أنّه جمع جمعاً وركِب بهم على عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ خليفة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقاتله وهزمَه وأخرجَه من الفُسْطاط، ثم دعا الناس لخلع عثمان من الخلافة وصار يُعدّد أفعاله بكل شيء يقدِر عليه، فاعتزله شِيعة عثمان وقاتلوه وهم: مُعاوية بن حُدَيج وخارجة بن حُذافة السَّهميّ وبُسْر بن أبي أَرْطاة ومَسْلَمة بن مُخَلَّد [الأنصاري، وعمرو بن قحزم الخولاني، ومِقْسَم بن بَجْرة، وحمزة بن سَرْح بن كُلال، وأبو الكُنود سعد بن مالك الأزدي، وخالد بن ثابت الفهمي][١] في جمع كثير من الناس، وبعثوا[٢] إلى عثمان بذلك؛ وبينا أن يأتي الخبر من عثمان قويت شوكة محمد هذا؛ ثم حَضَرَ من عند عثمان سعد بن أبي وقّاص ليُصْلِح أمرهم ويتألّف الناس، فخرج إليه جماعة من أعوان محمد بن أبي حذيفة المذكور وكلموه وخاشنوه، ثم قلبوا عليه فُسْطاطه وشجّوه ونهبوه، فركِب من وقته وعاد راجعاً ودعا[٣] عليهم لِما فعلوه به؛ ثم عاد إلى مصر عبد الله بن أبي سرح راجعاً فمنعه أن يدخل إلى مصر وقاتلوه[٤]، فكر راجعاً

(١) الزيادة من ولاة مصر للكندي.

(٢) في رواية الكندي: بعثوا سلمة بن مخزمة التجيبي ثم أحد بني زُميلة إلى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة».

(٣) وقال لهم: «ضربكم الله بالذل والفرقة، وشتّت أمركم، وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمير، ولا أرضاه عنكم» (ولاة مصر للكندي: ٤٠).

(٤) كذا هي عبارة الأصل؛ وهي غير مستقيمة. وعبارة الكندي أوضح: «وأقبل عبد الله بن سعد، حتى إذا بلغ جسر القلزم وجد به خيلاً لابن أبي حذيفة، فمنعوه أن يدخل». وقد خاطبهم ابن سعد قائلاً: «ويلكم! دعوني أدخل على جندي فأعلمهم بما جئت به، فإني قد جئتهم بخير. فأبوا أن يدعوه فقال: والله لوددت أني دخلت عليهم فأعلمتهم بما جئت به ثم متّ».

إلى عَسْقَلان ثم قُتِل في هذه الأيام بفِلَسْطِين، وقيل بالرَّمْلة حسبما ذكرناه في آخر ترجمته في هذا الكتاب.

ثم أراد محمد بن أبي حذيفة أن يبعَث جيشاً إلى عثمان فجهّز إليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَويّ(١).

وبينما هم في ذلك إذ قدِم عليهم الخبر بقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ في ذي الحجة من السنة. فلمّا وصل الخبر بذلك ثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمُعاوية بن حُدَيج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا إلى الصعيد. فبعَث إليهم محمد بن أبي حُذَيفة جماعة كثيرة فتقاتلا(٢) فهَزَمتْ جيشَ محمد وافترقا. وتوجّه معاوية بأصحابه إلى جهة بَرْقَة فأقام بها مدّة ثم عاد إلى الإسكندرية، فبعث إليه محمد بن أبي حُذَيفة بجيش(٣) آخر فاقتتلوا بخَرِبْتا(٤) أوّل شهر رمضان من سنة ست وثلاثين فانهزم جيش محمد أيضاً.

وأقامت شيعة عثمان بخَرِبْتا إلى أن قدِم مُعاوية بن أبي سفيان من الشأم إلى مصر(٥). فخرج إليه محمد بن أبي حُذَيفة بأصحابه ومنعوه من الدخول إلى الفُسْطاط(٦)؛ ثم اتفقا على أن يجعلا رَهْناً ويتركا الحرب. فاستخلف محمد

(١) وكانوا ينقسمون إلى جماعات عليهم: كنانة بن بشر بن سلمان التجيبي، وعروة بن شُيَيْم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسودان بن أبي رومان الأصبحي، وذرع بن يشكر اليافعي. ـ وانظر ولاة مصر ص ٤١. ـ واختلف المؤرخون في أسماء هؤلاء الرؤساء جميعاً. انظر الطبري وابن الأثير وغيرهما.

(٢) التقى الجمعان بدقْنَاش من كورة البهنسا. (ولاة مصر) ومكانها اليوم حوض دقناش بأراضي ناحية «مزورة» من مركز «ببا» بمديرية بني سويف. وترسم على ثلاث صور: دقناش، ودقناس، ودقانس. (المصدر السابق: حاشية ص ٤٢).

(٣) عليهم قيس بن حَرْمَل اللَّخمي. (المصدر السابق).

(٤) هي اليوم قرية بمديرية البحيرة مركز كوم حمادة.

(٥) ونزل «سَلْمُنْت» من كورة عين شمس في شوال سنة ٣٦هـ (ولاة مصر). وفي حسن المحاضرة للسيوطي وتاريخ الطبري أن معاوية وعمرو بن العاص توجها إلى مصر ليخرجاه منها.

(٦) فبعث إليه معاوية: إنا لا نريد قتال أحد، إنما جئنا نسأل القَوَد بدم عثمان؛ ادفعوا إلينا قاتليه: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وهما رأسا القوم. فامتنع ابن أبي حذيفة وقال: لو طلبتَ منا جَدْياً رطب السرّة بعثمان ما دفعناه إليك. فقال معاوية: اجعل بيننا وبينكم رهناً، فلا يكون بيننا وبينكم حرب. (المصدر السابق).

ابن أبي حذيفة على مصر الحَكم بن الصَّلت وخرج في الرهن هو وآبن عُدَيْس [وكنانة بن بشر، وأبو شمر بن أبرهة الصباح][١] وعدّة من قتلة عثمان. فلما وصلوا[٢] إلى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار إلى دمشق فهربوا من السجن [إلا أبا شمر بن أبرهةَ فقال: لا أدخله أسيراً وأخرج منه آبقاً][١]؛ فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين؛ فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بمصاب[٣] محمد بن حذيفة ولّى على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ـ رضي الله عنه.

(١) الزيادة من ولاة مصر للكندي.

(٢) في الكندي: «فلما بلغوا لُدّ سجنهم معاوية بها وسار إلى دمشق».

(٣) يرجّح ابن الأثير القول بأن قيس بن سعد ولي مصر ومحمد بن أبي حذيفة حيّ. كما يرجح أن استيلاء معاوية وعمرو بن العاص على مصر كان بعد صفّين. (الكامل: ٣/١٥١ ـ ١٥٢).

ذكر ولاية قيس بن سعد بن عبادة على مصر(١)

هو قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم الأنصاري الخزرجيّ المدنيّ.

قال الذهبيّ: كان من النبيّ صلى الله عليه وسلم بمنزلة، وله عدّة أحاديث؛ روى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وعروة بن الزبير والشعبيّ وميمون ابن أبي شبيب وغريب بن حميد الهمدانيّ وجماعة؛ وكان ضخماً جسيماً طويلاً جدّاً، سيداً مطاعاً، كثير المال جواداً كريماً، يعدّ من دهاة العرب.

قال عمرو بن دينار: كان ضخماً جسيماً صغير الرأس ليست له لحية، وإذا ركب الحمار خَطَّت رجلاه الأرض؛ روى عنه أنه قال: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر هذه الأمة.

وقال الزهريّ: أخبرنا ثعلبة بن أبي مالك أنّ قيس بن سعد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال جويرية بن أسماء: كان قيس يستدين ويطعمهم، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه؛ فمشيا في الناس فصلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يوماً فقام سعد بن عبادة خلفه، فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وآبن الخطاب يبخلان عليّ ابني.

وقال موسى بن عقبة: وقفت على قيس عجوز فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، فقال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

وقال أبو تُمَيلة يحيى بن واضح: أخبرنا أبو عثمان من ولد الحارث بن الصِّمَّة قال: بعث قيصر إلى معاوية: ابعث إليَّ سراويل أطول رجل من العرب،

(١) ولاة مصر: ٤٤، وخطط المقريزي: ١/٣٠٠، وحسن المحاضرة: ٢/٤، ومعجم زامباور: ٣٨، وغيرها من كتب الصحابة.

فقال لقيس بن سعد: ما أظنّ إلا قد احتجنا إلى سراويلك. فقام وتنحّى وجاء بها فألقاها، فقال: ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها! فقال: [الطويل]

أردتُ بها أن يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهودُ
وألا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاديّ نمته ثَمودُ
وإني من الحيّ اليماني لسيِّد وما الناس إلا سيِّد ومَسودُ
فكدهم بمثلي إن مثلي عليهم شديد وخَلْقي في الرجال مديدُ

فأمر معاوية أطول رجل في الجيش فوضعها على أنفه، قال: فوقفت بالأرض.

ولما ولاه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب على مصر لما ولي الخلافة بعد قتل عثمان وبعثه إلى مصر فوصل إليها في مستهل شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثلاثين، فدخلها قيس ومهد أمورها وآستمال الخارجية بخَرِبْتا من شيعة عثمان وردّ عليهم أرزاقهم، وقدموا عليه بمصر فأكرمهم وأنعم عليهم؛ وكان عنده رأي ومعرفة ودهاء، فعظم على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ولايته لمصر فإنه كان من حزب علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه، وآجتهدا كثيراً ليُخرجاه منها فلم يقدرا على ذلك حتى عَمِل[1] معاوية على قيس من قِبل عليّ بن أبي طالب، وأشاع أن قيساً من شيعته ومن حزبه، وأنه يبعث إليه بالكتب والنصيحة سرّاً؛ ولا زال يُظهر ذلك حتى بلغ علياً؛ وساعده في ذلك محمدُ بن أبي بكر الصدِّيق لحبِّه مصر أو لإمرتها وعبدُ الله بن جعفر، فما زالا بعليّ حتى كتب لقيس بن سعد يأمره بالقدوم عليه، وعزلَه[2] عن مصر؛ فكانت ولايتُه على مصر من يوم دخلها إلى

---

(١) في الكندي: «حتى كادَ معاوية قيساً... إلخ» وهو أوضح.
(٢) بعث علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد يأمره بقتال أهل «خربتا» لأنهم تمنعوا عن البيعة ــ وبخربتا يومئذ عشرة آلاف ــ فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب إلى عليّ: «إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهلُ الحفاظ. وقد رضوا مني بأن أؤمن سربهم، وأجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم؛ وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فلست مكايدهم بأمرٍ أهون من الذي أفعلُ بهم، وهم أسود العرب، منهم بُسْر بن أبي أرطاة، ومَسْلَمة بن مُخلَّد، ومعاوية بن حديج». فأبى عليه إلا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى عليّ: «إن كنتَ تتهمني فاعزلني، وابعث غيري». فبعث الأشتر.

أن صُرِف عنها أربعةَ أشهر وخمسة أيام وكان عزلُه في خامس رجب من سنة سبع وثلاثين، ووُلِّي عليها الأشتر النخعيّ.

وروينا عن أبي المظفر شمس الدين يوسف بن قِزْأُوغْلي[١] كما أخبرنا أبو الحسن عليّ بن صدقة الشافعيّ، أخبرنا القاضي الإمام تاج الدين أحمد الفرغانيّ الحنفي، أخبرنا حيدرة بن المحيا العباسيّ، حدّثنا صالح بن الصباغ أخبرنا أبو المؤيد محمود قال: حدّثنا الحافظ شمس الدين يوسف بن قِزْأُوغلي إجازةً بكتابه «مرآة الزمان» قال: خرج قيس بن سعد بن عبادة من عند عليّ حتى دخل مصر في سبعة نفر وصعد المنبر وقعد عليه وقرأ كتاب عليّ على الناس، وفيه:

«من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين والمؤمنين. سلام عليكم؛ أما بعد، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم، (وذَكَر الأنبياء) وأنّ الله توفى رسوله وآستخلَفَ[٢] بعده خليفتين صالحين عَمِلا بالكتاب والسنة وأحسنا السيرةَ؛ ثم توفاهما الله تعالى على ما كانا عليه؛ ثم وليَ بعدهما والٍ أحدث أحداثاً فوجَدَت عليه الأمة مقالاً [فقالوا ثم][٣] نَقِموا عليه وغيّروه؛ ثم جاؤوني وبايعوني؛ ولله عليّ العملُ بكتابه وسنة رسوله والنصح للرعية ما بقيتُ، والله المستعان؛ وبعثتُ إليكم بقيس بن سعد بن عبادة أميراً، فوازروه وعاشروه وأعينوه على الحق؛ وقد أمرته

---

(١) قزأوغلي: بكسر القاف وسكون الزاي ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء. وهو لفظ تركي ترجمته الحرفية «ابن البنت» أي «السبط». ومنهم من يحذف الألف والواو تخفيفاً فيكتبها «قِزُغلي». وهو المعروف بسبط ابن الجوزي: مؤرخ من الكتاب الوعّاظ. ولد ونشأ ببغداد، ثم استوطن دمشق وتوفي فيها سنة ٦٥٤هـ. وكتابه الذي ينقل عنه أبو المحاسن هو «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» (الأعلام: ٢٤٦/٨).

(٢) في الطبري وابن كثير: «ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنّة» وهو الصواب: إذ من غير المعقول أن يقول علي بن أبي طالب: إن الله استخلف بعد نبيّه خليفتين صالحين. . . إلخ. ونصّ الكتاب برواية الطبري فيه بعض اختلاف عما هو هنا. قارن بالطبري: ٦٣/٣؛ والبداية والنهاية: ٢٦٢/٧.

(٣) الزيادة من الطبري.

بالإحسان إلى محسنكم والشدّة على مريبكم والرفق بعوامّكم وخواصّكم؛ وهو مِمّن أَرضى هديَه وأرجو صلاحَه ونصيحته؛ وأسأل الله لنا ولكم عملاً صالحاً وثواباً جزيلاً ورحمةً واسعة، والسلام عليكم. وكتبه عبد الله[1] بـن أبـي طالب في رابـع صفر سنة ست وثلاثين».

ثم قال قيس:

«أيها الناس قد جاء الحق وزهق الباطل[2]؛ [أيها الناس، إنا قد][3] بايعنا خيرَ من نعلم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم». فقام الناس وبايعوا وآستقامت [له][3] مصرُ؛ وبعث عليها عمّالَه إلا قرية من قرى مصر يقال لها «خَرِبْتا» فيها أناس قد أعظموا قتلَ عثمان، وبها رجل من كنانة من بني مُدْلـج يقال له: يزيد بن الحارث بن مدلـج، فأرسلوه إلى قيس بن سعد: «إنا لا نقاتلك فآبعث عُمّالك فالأرض أرضك، ولكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس». ووثب مسلمة بن مخلّد الأنصاريّ[4] فنعى عثمانَ ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: «ويحك! عليَّ تثب! فوالله ما أُحِبّ أن لي ملكَ مصر إلى الشأم وأني قتلتُك» فبعث إليه مسلمةُ يقول: «إني كافّ عنك ما دمتَ واليَ مصر»؛ وكان قيس بن سعد له رأي وحـزم، فبعث إلى الذين بخـرِبْتا: «إني لا أُكْرِهكم على البيعة وأكفّ[5] عنكم»، فهادنهم وهادن مَسْلمة بن مخلّد. وأقام قيس يَجْبـي الخراجَ ولا ينازعه أحد من الناس.

وخرج أمير المؤمنين إلى وقعة الجمل ورجـع إلى الكوفة وقيس مكانَه؛ فكان

---

(١) في الطبري وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «وكتبه عبد الله بن أبـي رافـع». وفي نهج البلاغة: «عبيد الله بن أبـي رافـع» ونصّ الكتاب في الطبري وابن الأثير فيه اختلاف غير يسير عما هو هنا.

(٢) في الطبري: «الحمد لله الذي جاء بالحق، وأمات الباطل، وكبت الظالمين».

(٣) الزيادة من الطبري.

(٤) وكان من رهط قيس بن سعد.

(٥) في الطبري: «وأنا أدعكم وأكفّ عنكم».

قيس أثقلَ خلق الله على معاوية بن أبـي سفيان لقربه من الشأم مخافة أن يقفُلَ[١] عليه عليّ بن أبـي طالب من[١] العراق ويُقبِلَ إليه قيسٌ بأهل مصر فيقـع معاوية بينهما فأُخذ يخدعه.

فكتب معاوية إلى قيس:

«من معاوية بن أبـي سفيان إلى قيس بن سعد بن عبادة: سلام عليك [فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو][٢]. أما بعد، فإنكم إن كنتم نقِمتم على عثمان في أمور[٣] رأيتموها، أو ضربةِ سوط ضربها، أو شتمة شتمها، أو في سَيرٍ سيَّره، أو في أستعماله الفيء[٤]، فقد علمتم أنّ دمه لم يكن حلالاً لكم، فقد ركبتم عظيماً من الأمر وجئتم شيئاً إدّاً. فتب إلى الله يا قيس بن سعد، فإنك ممن أعان على قتل عثمان، إن كانت التوبة من قتل المؤمن تُغني شيئاً؛ وأما صاحبك فقد تيقّنّا أنه الذي

(١) في الطبري: «أن يقبل عليه... في أهل العراق».
(٢) الزيادة من الطبري: ٣/٦٤ وشرح ابن أبـي الحديد: ٢/٢٣.
(٣) في الطبري وابن أبـي الحديد: «أَثَرةٍ».
(٤) في المصدرين السابقين: «أو شتيمة رجلٍ، أو في تسييره آخَرَ، أو في استعماله الفتيَّ من أهله، فإنكم علمتم.. إلخ». وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنّة صاحبيه ــ أبي بكر وعمر ــ وكان مما ضمّنوه كتابهم: هبته خمس أفريقية لمروان بن الحكم، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية وهم أحداث لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان؛ وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، فلما خرجوا به ليدفعوه إلى عثمان ــ والكتاب في يد عمار ــ جعلوا يتسللون عنه حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه ودخل، وكان عنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال: أنت كتبت هذا الكتاب؟ فقال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك، قال: ومن هم؟ قال: لا أخبرك بهم، قال: فلم اجترأت عليَّ من بينهم؟ فقال مروان: إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرّأ الناسَ عليك، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه، فقال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجرّوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي فأدخل منزلها. انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/٥٠ وما بعدها. وقد فصّل ابن أبـي الحديد في شرحه لنهج البلاغة الكلام في المطاعن التي طعن بها على عثمان؛ انظر المجلد الأول ص ٢٢٦ إلى ٢٤٥؛ وانظر أيضاً العقد الفريد: ٥/٣٥، ٥٥، ٥٧: ومروج الذهب: ٢/٣٤٧ وما بعدها.

أغرى به [الناس] وحملهم على قتله حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عُظْمُ قومك. فإن استطعت أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل. فإن بايعتنا[١] على هذا الأمر فلك سلطان العراقين، ولمن شئت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان. وسلني غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أوتيتَه. وآكتبْ إليَّ برأيك فيما كتبتُ به إليك والسلام».

فلما جاءه كتاب معاوية أحبَّ قيس أن يدافعَه ولا يُبديَ له أمره ولا يتعجل حربَه؛ فكتب إليه:

«أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ فيه؛ فأما ما ذكرت من أمر عثمان فذلك أمر لم أقاربه ولم أتنطف[٢] به؛ وأما قولك: إن صاحبي أغرى الناس بعثمان فهذا أمر لم أطَّلـع عليه؛ وذكرتَ أن معظم[٣] عشيرتي لم يسلموا من دم عثمان، فأوّل[٤] الناس فيه قياماً عشيرتي ولهم أُسوة غيرهم؛ وأما[٥] ما ذكرتَ من مبايعتي إياك وما عرضت عليّ فلي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسارَعُ إليه. وأنا كافّ عنك ولن يبدوَ لك من قبلي شيء مما تكره والسلام»[٥].

فلما قرأ كتابه معاوية لم يره إلا مباعداً مفارقاً، فلم يأمن مكره ومَكيدته[٦]. فكتب إليه ثانياً:

«أما بعد، فقد قرأتُ كتابك فلم أرك تدنو فأعُدَّك سِلْماً، ولم أرك مباعداً

---

(١) في الطبري وابن أبـي الحديد: «تابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت».

(٢) في الطبري: «لم أقارفه ولم أطف به». وقارف الذنب: أتاه وفعله؛ وأطاف به: ألَمّ به وقارفه؛ وتنطف به: تلطّخ به واتّهم.

(٣) في الطبري: «عُظْمَ».

(٤) في ابن أبـي الحديد: «فلعمري إن أول الناس كان فيه قياماً عشيرتي».

(٥) في الطبري وابن أبـي الحديد، «وأما ما سألتني من متابعتك، وعرضت عليَّ من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمرٌ لي فيه نظرٌ وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كافٌ عنك، ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله، والمستجار الله عز وجلّ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

(٦) في الطبري وابن أبـي الحديد: «لم يره مقارباً مباعداً، ولم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعاً مكايداً».

فأعُدَّك حرباً. وليس[١] مثلي مَنْ يُخدع وبيده أعنة الخيل ومعه أعداد الرجال والسلام».

فلما قرأ قيسٌ كتابه ورأى أنه لا يقبل منه المدافعةَ والمماطلةَ أظهر له ما في نفسه، وكتب إليه:

«أما بعد، فالعجب من اغترارك بي يا معاوية وطمعك فيَّ؛ تَسُومني الخروجَ عن طاعة أَولىٰ الناس بآلإمرة، وأقربهم بالخلافة، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم إلى رسوله وسيلة، وأوفرهم فضيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعةِ أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور وأضلِّهم سبيلاً، وأبعدِهم من الله ورسوله [وسيلة][٢] ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس[٣]؛ وأما قولك: معك أعنة الخيل وأعداد الرجال لتشتغلنّ بنفسك حتى العدم[٤].

وقال هشام[٥]: ولما رأى معاوية أن قيس بن سعد لا يلين له كاده من قبل عليّ؛ وكذا روى عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده.

وقال هشام بن محمد: عن أبي مِخْنَف[٦] وجه آخر في حديث قيس بن سعد

---

(١) في ابن أبي الحديد: «أنت فيما ها هنا كحبل الجرور، وليس مثلي يصانع بالخداع، ولا يخدع بالمكايد، ومعه عدد الرجال، وبيده أعنة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلاً ورَجلاً، والسلام عليك»، والجَرُور: البئر البعيدة القعر، ويعني بذلك بعد غوره. وفي الطبري «كحنك الجزور». قال أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب: «وهو تحريف». قلنا ولعله أراد بذلك تشبيه تردّد قيس بحنك البعير يتحرك ذات اليمين وذات الشمال ولا يستقرّ على حال.

(٢) الزيادة من الطبري.

(٣) في الأصل: «طاعون ابن طاعون. .». وما أثبتناه من الطبري. وفي ابن أبي الحديد: «ولديك قوم ضالّون مضلّون طواغيت من طواغيت إبليس».

(٤) في الطبري: «وأما قولك إني مالىء عليك مصر خيلاً ورجلاً فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمَّ إليك، إنك لذو جَدّ، والسلام».

(٥) أي هشام بن محمد الكلبي. توفي سنة ٢٠٤هـ.

(٦) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سُلَيْم الأزدي الغامدي: راوية عالم بالسير والأخبار. توفي سنة ١٥٧هـ. (فوات الوفيات: ٣/٢٢٥).

ومعاوية، قال: لما أيِس معاويةُ من قيس بن سعد شقّ عليه [ذلك] لما يعرف من حزمه وبأسه، فأظهر للناس أن قيساً قد بايَعه. وآختلق معاوية كتاباً فقرأه على أهل الشأم وفيه:

«أمّا بعد، لمّا نظرت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مُحرِماً مسلماً بَرّاً تقيّاً مستغفراً، وإني معكم على قَتَلَته بما أحببتم من الأموال والرجال متى شئتم عجلتُ إليكم»(١).

قال: فشاع في أهل الشأم أن قيساً قد بايـع معاويةَ. وبلـغ عليّاً ذلك فأكبره وأعظمه، فقال له عبد الله بن جعفر: «دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يَريبك؛ اِعزل قيساً عن مصر»؛ فقال عليّ: والله ما أصدّق هذا على قيس؛ ثم عزله وولّى الأشتر، وقيل محمد بـن أبـي بكر الصديق في قول ابن سيرين(٢)؛ فلما عزله عرف قيسٌ أن عليّاً قد خُدِع وتوجه إليه وصار معه(٣).

قال عروة: وكان قيس بن سعد مـع عليّ في مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعد موت عليّ. فلما دخل الجيش في بيعة معاوية أبـى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم جالدت بكم أبداً حتى يموت الأعجلُ، وإن شئتم أخذت لكم أماناً. قالوا: خذ لنا، ففعل؛ فلما ارتحل نحو المدينة جعل ينحر كلّ يوم جزوراً. قال الواقديّ وغيره: إنه توفي في آخر خلافة معاوية ــ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) ينقل ابن تغري بردي نصّ الكتاب باختصار وبعض تصرّف. قارن بالطبري: ٣/٦٦.

(٢) محمد بن سيرين البصـري: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. توفي سنة ١١٠هـ. (وفيات الأعيان: ٤/١٨١).

(٣) روى الطبري أن قيساً قدم على عليّ، فلما باثّه الحديث وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر، صدّقه عليّ وعرف أن قيس بن سعد كان يقاسي أموراً عظاماً من المكايدة، وأن من كان يهزّه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له. ثم إن قيساً شهد صفين مـع عليّ. وقد كان عبد الله بن جعفر الذي نصح بعزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر ــ أخا محمد بن أبي بكر لأمه. (الطبري: ٣/٦٦ ــ ٦٧).

السنة التي حكم في بعضها[1] قيسُ بن سعد بن عبادة على مصر

وهي سنة ست وثلاثين:

فيها كانت وقعة الجمل بين عليّ ــ رضي الله عنه ــ وبين عائشة أمّ المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ ومعها طلحةُ بن عبيد الله والزبير بن العوّام وغيرهما؛ وكانت فيها مقتلةٌ عظيمة قُتِل فيها عدّة من الصحابة وغيرهم؛ قال البلاذُريّ: التقَوْا بمكان يقال له: «الخُرَيْبَةُ»[2] في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

قلت: وممن قُتِل في هذه الوقعة طلحةُ بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيميّ: أحد السابقين الأوّلين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى بعد موت عمر بن الخطاب. قتله مروان[3] بن الحكم في منصرفه من وقعة الجمل بساعة؛ وكان مروان مع عائشة أيضاً غير أنه لما رأى انصرافه رمى عليه بسهم قتله، وقال لأبان بن عثمان بن عفان: قد كفيتك بعض قتلى أبيك ــ يعني أنه كان موارياً على عثمان في أوّل الأمر.

وفيها قتل الزبير بن العوّام بن خويلد[4] بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب، أبو عبد الله القرشيّ الأسديّ المكّي، حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآبن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل

(١) قال الكندي في ولاة مصر: ٤٦ «وليها قيس بن سعد إلى أن عزل عنها، أربعة أشهر وخمسة أيام. صرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين».

(٢) في الطبري: «سار عليّ من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة، وساروا من الفرضة يريدون علياً، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ يوم الخميس» وفي تاريخ خليفة: «كانت وقعة الجمل بالبصرة بالزاوية ناحية طفّ البصرة، يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ» والخريبة: موضع بالبصرة، وانظر في أخبار وقعة الجمل: الطبري: ٣٦/٣ وما بعدها؛ والكامل لابن الأثير ١١٣/٣ وما بعدها؛ والبداية والنهاية لابن كثير: ٢٤١/٧ وما بعدها؛ والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١١٣/١ وتاريخ الدول الإسلامية لابن طباطبا: ٨٤ وما بعدها ــ وغيرها.

(٣) قال ابن كثير: «وقد قيل إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً».

(٤) في الأصل: «خالد». وما أثبتناه من البداية والنهاية والإصابة.

الشورى؛ شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها؛ أسلم وهو ابن ست عشرة سنة وهو من السابقين. قتله عمير[١] بن جرموز بعد انصرافه من وقعة الجمل بساعة.

وفيها تُوُفِّيَ حذيفة بن اليمـان؛ واسم اليمان: حَسِيـل (ويقال حُسَيْـل[٢] بالتصغير) بـن جابر بن أسيد، وقيل ابن عمرو، أبو عبد الله العبسي حليف الأنصار، صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيها توفي سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ في قول، وقد تقدّم ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبعان.

---

(١) في الطبري وابن كثير «عمرو».

(٢) ويقال أيضاً «حِسْل». وقد ذكر ابن حجر في الإصابة الصيغ الثلاث للاسم.

ذكر ولاية الأَشْتَر النَّخَعِيّ على مصر(١)

وفي ولاية الأشتر هذا على مصر قبل محمد بن أبي بكر الصدّيق اختلافٌ كثير؛ حكى جماعة كثيرة من المؤرّخين وذكروا ما يدل على أنّ ولاية محمد ابن أبي بكر كانت هي السابقة بعد عزل قيس بن سعد بن عُبادة، وجماعة قدّموا ولاية الأشتر هذا، ولكل منهما استدلال قويّ؛ والذين قدّموا(٢) الأشتر هم الأكثر. وقد رأيت في عدّة كتب ولاية الأشتر هي المقدّمة فقدَّمته لذلك.

والأشتر اسمه مالك بن الحارث؛ قال أبو المُظَفَّر(٣) في مرآة الزمان: قال علماء السيرة كابن إسحاق وهشام والواقديّ قالوا: لما اختلّ أمر مصر على محمد ابن أبي بكر الصدّيق وبلغ أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب قال: ما لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذي عزلناه عنها ـ يعني قيس بن سعد بن عُبادة ـ أو مالكُ بن الحارث ـ يعني الأشتر هذا.

قلت: وهذا مما يدل على أنّ ولاية محمد بن أبي بكر الصدّيق كانت هي السابقة؛ اللّهمَّ إلا إن كان لما آختل أمر مصر على محمد عزَله عليّ ـ رضي الله عنه ـ بالأشتر، ثم آستمرّ محمد ثانياً بعد موت الأشتر على عمله حتى وقع من

---

(١) ولاة مصر: ٤٦، وخطط المقريزي: ١/٣٠٠، وحسن المحاضرة: ٢/٦، ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) من الذين قدموا ولاية الأشتر النخعي: الكندي في ولاة مصر، وخليفة بن خياط في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، والمقريزي في الخطط، والقلقشندي في مآثر الإنافة. ومن الذين قدموا ولاية محمد بن أبي بكر: الطبري، وابن الأثير في الكامل، السيوطي في حسن المحاضرة، والمسعودي في مروج الذهب.

(٣) أي يوسف بن قِزْأوغلي، أو سبط ابن الجوزي ـ راجع ص ١٢٧ من هذا الكتاب حاشية (١).

أمره ما سنذكره؛ وهذا هو أقرب للجمع بين الأقوال لأن الأشتر تُوُفِّي قبل دخوله إلى مصر، والله أعلم[١].

وكان عليّ ـ رضي الله عنه ـ حين انصرف من صِفِّين ردّ الأشتر إلى عمله على الجزيرة وكان عاملاً عليها، فكتب إليه وهو يومئذ بنَصِيبين:

«سلام عليك يا مالك، فإنك ممن استظهرتك[٢] على إقامة الدين [وأقمع به نخوة الأثيم، وأسُدُّ به الثغرَ المخوف][٣]؛ وكنتُ قد ولّيت محمد بن أبي بكر مصر فخرجتْ عليه [بها][٣] خوارج، وهو غلام حَدَثُ السنّ غِرّ ليس بذي تَجرِبة للحرب ولا مجرِّب للأشياء. فاقدم عليَّ لننظر في ذلك كما ينبغي، واستخلفْ على عملك أهل الثقة والنَّصَفَة من أصحابك والسلام». فأقبل مالك ـ أعني الأشتر ـ على عليّ ـ رضي الله عنه ـ فأخبره بحديث محمد وما جرى عليه، وقال: «ليس لها غيرك؛ فاخرج رحمك الله فإني إن لم أُوصك اكتفيت برأيك، فاستعنْ بالله على ما أهمَّك، وآخلِط الشدّة باللين، وآرفق ما كان الرفق أبلغ، [واعتزم بالشدَّة حين لا يُغني عنك إلا الشدَّة][٣]. فخرج الأشتر من عند عليّ وأتى رحله وتهيّأ للخروج إلى مصر.

وكتب عيونُ معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشقّ عليه وعظم ذلك لديه، وكان قد طمِع في مصر وعلم أن الأشتر متى قدِمها كان أشدّ عليه. فكتب معاوية إلى الخانسيار[٤] (رجل من أهل الخراج، وقيل كان دِهْقان القُلْزُم)[٥] يقول: «إن

(١) لعلّ ما ذهب إليه أبو المحاسن ـ على سبيل الجمع والتوفيق بين الأقوال ـ هو الصواب بعينه. ويؤيد ذلك الرسالة التي بعث بها علي بن أبي طالب إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه موجِدته لقدوم الأشتر عليه، وفيها: «... فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد، ولا استزادة لك مني في الجدّ، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤونة، وأعجب إليك منه ولاية.. إلخ» انظر نهج البلاغة: ٢٠٦/٢ والطبري: ١٢٧/٣ كما يؤيد ذلك رسالة علي إلى الأشتر الآتية.

(٢) الصواب: «أستظهر به» كما في الطبري وشرح ابن أبي الحديد.

(٣) الزيادة عن الطبري.

(٤) كذا في الأصول. وفي الطبري وحسن المحاضرة: «الجايستار».

(٥) وهي مدينة السويس الحالية.

الأشتر واصلٌ إلى مصر قد وليَها، فإن أنت كفيتني إيّاه لم آخذ منك خراجاً ما بقيتَ؛ فأقبلْ لهلاكه بكل ما تقدِر عليه»؛ فخرج الخانسيار حتى قدِم القلزم فأقام به. وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدِم إلى القُلْزُم فاستقبله الخانسيار فقال له: انزل فإني رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي. فنزل الأشتر فأتاه بطعام وعلف وسقاه شربة من عسل جعل فيها سُمّاً، فلما شربه مات؛ وبعث الخانسيار [مَن][1] أخبر بموته معاوية. فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر قال عمرو بن العاص: «إن لله جنوداً من عسل»[2].

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه: لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدِم المدينة، فجاءه مولى لعثمان بن عفان يقال له نافع، وأظهر له الودّ وقال له: أنا مولى عمر بن الخطاب، فأدناه الأشتر وقرَّبه ووثق به وولّاه أمره. فلم يزل معه إلى عين شمس (أعني المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المَطَرية) وفيها ذلك العمود المذكور في أوّل أحوال مصر من هذا الكتاب. فلما وصل إلى عين شمس تلقّاه أهل مصر بالهدايا وسقاه نافع المذكور العسل فمات منه.

وقال ابن سعد: إنه سُمَّ بالعريش؛ وقال الصّوريّ: صوابه بالقُلْزُم؛ وقال أبو اليقظان: كان الأشتر قد ثقُل على أمير المؤمنين عليٍّ أمرُه، وكان مُتَجرِّياً عليه مع شدّة محبته له.

وحكي عن عبد الله بن جعفر قال: كان عليّ قد غضِب على الأشتر وقلاه واستثقله، فكلّمني أن أكلّمه فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ولِّه مصر فإن ظفِروا[3] به استرحت منه، فولّاه.

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قد دعت عليه فقالت: اللهم ارمه بسهم من سهامك.

---

(١) الزيادة يقتضيها السياق.

(٢) هذا القول ينسب في بعض الروايات لمعاوية، وفي أخرى لعمرو بن العاص.

(٣) رواية الكندي مرفوعة إلى عبد الله بن جعفر: «فإن ظفرتَ فهو الذي تحب، وإلا استرحتَ منه».

وآختلفوا في وفاة الأشتر، فقال ابن يونس: مات مسموماً سنة سبع وثلاثين. وقال هشام: سنة ثمان وثلاثين في رجب؛ وكان الأشتر شجاعاً مِقْداماً، وقصته مع عبد الله بن الزبير مشهورة، وقول ابن الزبير بسببه:

آقتُلاني ومالكاً وآقتُلا مالكاً معي

حتى صار هذا البيت مثلاً.

وشرح ذلك أن مالك بن الحارث (أعني الأشتر النَّخَعِيّ) كان من الشجعان الأبطال المشهورين، وكان من أصحاب عليّ وكان معه في يوم وقعة الجمل، فتماسك في الوقعة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام، وكان عبد الله أيضاً من الشجعان المشهورين، وكان عبد الله بن الزبير من حزب أبيه، وخالتِه عائشة أمّ المؤمنين ــ رضي الله عنهم، وكانوا يحاربون عليّاً ــ رضي الله عنه. فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوِيَ على الآخر جعله تحته وركب صدره، وفعلا ذلك مراراً وآبن الزبير يقول:

آقتُلاني ومالكاً وآقتُلا مالكاً معي

يريد قتل الأشتر بهذا القول والمساعدةَ عليه حتى افترقا من غير أن يقتل أحدهما الآخر؛ وقال عبد الله بن الزبير المذكور: لقِيت الأشتر النَّخَعيَّ يوم الجمعة فما ضربته ضربة إلّا ضربني ستاً أو سبعاً، ثم أخذ رجلي وألقاني في الخندق وقال: والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آجتمع منك عُضْو إلى عضو أبداً.

وقال ابن قيس: دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام، وإذا في رأسه ضربة لو صُبّ فيها قارورة لاستقرّ، فقال: أتدري من ضربني هذه الضربة؟ قلت: لا، قال: ابن عمّك الأشتر النخعيّ.

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَة: أعطتْ عائشة ــ رضي الله عنها لمن بشّرها بسلامة ابن أختها عبد الله بن الزبير لما لاقى الأشتر عشرةَ آلاف درهم. وقيل: إن

الأشتر دخل بعد ذلك على عائشة ــ رضي الله عنها، فقالت له: يا أشتر، أنت الذي أردتَ قتل ابن أختي يوم الوقعة، فأنشد: [الطويل]

أعائشُ لولا أنّني كنتُ طـاوياً ثلاثاً لألْفَيتِ آبنَ أختكِ هالكَا
غـداةَ يُنادي والـرمـاح تنـوشـه بأخرِ صوتٍ: آقتلاني ومـالكَا
فنجّـــاه مـنّي أكـلُه وسِنـــانُــه وخلْوةُ جوفٍ لم يكن مُتمالكَا

ذكر ولاية محمد بن أبي بكر الصدّيق[١]

رضي الله عنه ـ على مصر

هو محمد بن أبي بكر الصدّيق، وآسم أبي بكر عبدُ الله بن أبي قُحافة، واسم أبي قُحافة عثمانُ؛ أسلم أبو قُحافة يوم الفتح فأتى به ابنه أبو بكر الصدّيق إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يقوده لكبر سنّه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لِم لا تركتَ الشيخ حتّى نأتيَه» إجلالاً لأبي بكر ـ رضي الله عنه.

وأبو قُحافة المذكور ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ القرشيّ التيميّ؛ وكنية محمد هذا (أعني صاحب الترجمة) أبو القاسم؛ وأمه أسماء بنت عُمَيْس الخَثْعَميّة؛ ومولده سنة حجة الوداع بذي الحُلَيْفَة في عَقِب ذي القعدة، فأراد أبو بكر أنْ يردّ أسماء إلى المدينة، فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «مُرْها أن تغتسل وتُهِلّ» وكان محمد هذا في حِجْر عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لمّا تزوّج أمَّه أسماء بعد وفاة أبي بكر الصدّيق فتولّى تربيته؛ ولما سار عليّ إلى وقعة الجمل كان محمد هذا معه على الرجّالة؛ ثم شهد معه وقعة صِفِّين، ثم ولّاه مصر فتوجّه إليها ودخلها في النصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين، فتلقّاه قيس بن سعد المعزول عن ولاية مصر، وقال له: «يا أبا القاسم، إنّك قد جئت من عند أمير لا رأي له، وليس عَزْله إيّاي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، وإنّي أُدِلُّك على الذي كنت أكيد به معاوية وعَمْراً وأهل خرِبْتَا فكايدهم به، فإنّك إن كايدتهم بغيره تَهْلك»؛ ووصف له المكايدة التي [كان] يكايدهم بها فاستغشه محمد بن أبي بكر وخالفه في كلّ شيء أمره به: ثم كتب إليه عليّ يشجّعه ويقوّي عزمه، ففتك محمد في

---

(١) ولاة مصر: ٥٠، وخطط المقريزي: ١/٣٠٠، وحسن المحاضرة: ٢/٥، ومعجم زامباور: ٣٨.

المصريين وهدم دور شيعة عثمان بن عفّان ونهب دورهم وأموالهم وهتك ذراريّهم، فنصبوا له الحرب وحاربوه. ثم صالحهم على أن يُسَيِّرهم إلى معاوية، فلحِقوا بمعاوية في الشام. وكان أهل الشام لما آنصرفوا من وقعة صِفّين ينتظرون ما يأتي به الحَكَمان؛ فلما آختلف الناس بالعراق على عليّ ـ رضي الله عنه ـ طمِع معاوية في مصر، وكان أهل خِرِبْتَا عثمانية، ومن كان من الشيعة كان أكثر منهم، فكان معاوية يهاب مصر لأجل الشيعة. وقصد معاوية أن يستعين بأخذ مصر على حرب عليّ ـ رضي الله عنه ـ قال[1]: فاستشار معاوية أصحابه عمرو بن العاص وحبيب بن مَسْلَمَة وبُسْر بن أبي أَرْطاة والضحَّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وأبا الأعور عمرو بن سفيان السُّلَميّ وغيرهم (وهؤلاء المذكورين كانوا خواصّه) فجمع المذكورين وقال: هل تدرون ما أدعوكم إليه؟ قالوا: لا يعلم الغيب إلّا الله، فقال له عمرو بن العاص: نعم، أهمَّك أمرُ مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعونا لنشير عليك فيها، فاعزم وآنهض؛ في افتتاحها عزّك وعزّ أصحابك وكَبْتُ عدوّك، فقال له: يا ابن العاص، إنّما أهمَّك الذي كان بيننا (يعني أنّه كان أعطاه مصر لمّا صالحه على قتال عليّ) وقال معاوية للقوم: ما ترَوْن؟ قالوا: ما نرى إلّا رأي عمرو، قال: فكيف أصنع؟ فقال عمرو: ابعث جيشاً كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تثِق إليه فيأتي إلى مصر، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فنظاهره على من كان بها من أعدائنا. قال معاوية: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: نكاتب من بها من شيعتنا نأمرهم على أمرهم ونمنّيهم قدومنا عليهم فتقوَى قلوبهم، ونعلم صديقنا من عدوّنا؛ وإنّك يا بن العاص [امرؤٌ][2] بورك لك في العجلة، [وأنا امرؤ بورِكَ لي في التؤدة][2]. قال عمرو: فاعمَل برأيك فوالله ما أرى أمرك إلا صائراً للحرب، قال: فكتب إليهم معاوية كتاباً يُثْني عليهم ويقول[3]: «هنيئاً لكم بطلب

---

(١) ينقل أبو المحاسن هنا الروايات التاريخية دون إسناد. والمراد بالذي «قال» هنا: أبو مخنف، وهو الذي يروي عنه الطبري.

(٢) الزيادة عن الطبري.

(٣) في الطبري أن معاوية بعث بالكتاب إلى مسلمة بن مخلّد الأنصاري وإلى معاوية بن حديج الكندي.. وفيه بسط كامل للكتاب، انظر الطبري: ٣/١٢٩.

دم الخليفة المظلوم وجهادكم أهل البَغْي. وقال في آخره: فاثبتوا فإنّ الجيش واصل إليكم والسلام». وبعث بالكتاب مع مولى [له][١] يقال له سُبَيْع فقدِم مصر، وأميرها محمد بن أبي بكر الصدّيق، فدفع الكتاب إلى مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاريّ وإلى معاوية بن حُدَيْج، فكتبا جوابه:

أما بعد، فعجل علينا بخيلك ورَجْلك، فإنّ عدوّنا قد أصبحوا لنا هائبين. فإنْ أتانا المدد من قِبَلك يفتح الله علينا؛ وذكرا كلاماً طويلاً[٢].

وكان مَسْلَمَة ومعاوية بن حُدَيْج يقيمان بخِرِبْتا في عشرة آلاف، وقد باينوا محمد بن أبي بكر ولم يحسن محمد تدبيرهم كما كان يفعله معهم قيس بن سعد بن عُبادة أيام ولايته على مصر، فلذلك انتقضت على محمد الأمورُ وزالت دولته.

ولما وقف معاوية على جوابهما، وكان يومئذ بفِلَسْطين، جهّز عمرو بن العاص في ستة آلاف وخرج معه معاوية يودّعه وأوصاه بما يفعل، وقال له: عليك بتقوى الله والرفق فإنه يُمْنٌ، [وبالمهل والتؤدة فإن][١] العجلة من الشيطان، وبأن تقبل ممن أقبل، وتعفو عمن أدبر، فإن قَبِلَ فهذه نعمة[٣]، وإن أبى فإن السطوة بعد المعذرة أقطع[٤] من الحجة، وآدعُ الناس إلى الصلح والجماعة.

فسار عمرو حتى وصل إلى مصر وآجتمعت العثمانية إليه، فكتب عمرو إلى محمد بن أبي بكر صاحب مصر:

«أما بعد، فتنحَّ عنّي بدمك [يا ابن أبي بكر][٥] فإني لا أحب أن يصيبك مني قُلامة ظفر، والناس بهذه البلاد قد آجتمعوا على خلافك [ورفض أمرك، وندموا

(١) الزيادة عن الطبري.
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) في الطبري: «فإن قبل فبها ونعمتْ» وهو الصواب.
(٤) في الطبري: «أبلغ في الحجّة».
(٥) الزيادة من الطبري وابن الأثير وابن أبي الحديد.

على اتّباعك، فهم مُسْلِمُوك لو قد التقَتْ حَلْقَتا البِطان](١) فاخرج منها إني لك من الناصحين؛ ومعه كتاب معاوية يقول:

يا محمد، إنّ [غِبَّ](٢) البغي والظلم عظيم الوبال، وسَفْكَ الدماء الحرام [لا يَسْلَم صاحبه](٢) من النِّقمة في الدنيا والآخرة؛ وإنا لا نعلم أحداً كان على عثمان أشدّ منك، فسعيْتَ عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين؛ ثم أنت تظن أني نائم عنك وناسٍ سيئاتك»؛ وكلام طويل من هذا النمط حتى قال: «ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام». فطوى محمد الكتابين وبعث بهما إلى عليّ بن أبي طالب وفي ضمنهما يستنجده ويطلب منه المدد والرجال، فردّ عليه الجواب من عند عليّ بن أبي طالب بالوصية والشدّة، ولم يمدّه بأحد(٣).

ثم كتب محمد إلى معاوية وعمرو كتاباً(٤) خشّن لهما فيه في القول. ثم قام محمد في الناس خطيباً فقال:

«أما بعد، فإن القوم الذين يَنتَهِكُون الحرمة [وينعَشُون الضلالة](٥) ويَشُبّون نار الفتنة [ويتسلّطون بالجبرية](٥) قد نصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بجيوشهم؛ فمن أراد الجنة [والمغفرة](٥) فليخرج إليهم فليجاهدهم في الله؛ انتدبوا مع كِنانة بن بِشر»(٦)؛ فانتَدب مع كِنانة نحواً من ألفي رجل، ثم خرج محمد ابن أبي بكر في ألفي رجل؛ وآستقبل عمرو بن العاص كِنانةَ وهو على مقدّمة محمد، وكِنانة يسرّح لعمرو الكتائب. فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن

---

(١) الزيادة من المصادر السابقة. والبطان: حزام القتب. ومن أمثال العرب: «التقت حلقتا البطان» وهو مثل يضرب للأمر إذا اشتدّ، كقولهم: بلغ السيل الزُّبى، وجاوز الحزام الطبيين.

(٢) الزيادة من المصادر السابقة. والغبّ: العاقبة.

(٣) انظر بسط كتاب محمد بن أبي بكر إلى عليّ وردّ عليّ على محمد بن أبي بكر في الطبري وابن أبي الحديد.

(٤) الصواب أنه كتب إلى كل منهما كتاباً ــ انظر المصادر أعلاه.

(٥) الزيادة من الطبري.

(٦) إذ كان عليّ قد بعث إلى محمد بن أبي بكر بأن: «اندُبْ إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس».

حُدَيْج السَّكُونيّ. وفي رواية: لما رأى عمرو كِنانَة سرّح إليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وكنانة يهزمها فاستنجد عمرو بمعاوية بن حُدَيْج السَّكُوني فسار في أصحابه وأهل الشام فأحاطوا بكنانة.

فلما رأى كنانة ذلك ترجَّل عن فرسه وترجل أصحابه، وقرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾ إلى قوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(١)، فقاتل حتّى قتل بعد أن قتل من أهل الشام مَقْتلة عظيمة؛ فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرّقوا عنه فنزل محمد عن فرسه ومشى حتى انتهى إلى خَرِبة فأوى إليها، وجاء عمرو بن العاص ودخل الفُسْطاط؛ وخرج معاوية بن حُدَيْج في طلب محمد ابن أبي بكر، فسأل قوماً من العُلُوج وكانوا على الطريق فقال: هل رأيتم رجلاً من صفته كذا وكذا؟ فقال واحد منهم: قد دخل تلك الخَرِبة، فدخلوها فإذا برجل جالس، فقال معاوية بن حُدَيْج: هو وربِّ الكعبة؛ فدخلوها وآستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به على الفُسْطاط؛ ووثَب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق إلى عمرو بن العاص ــ وكان في جنده، فقال: أيُقْتل أخي صبراً؟ فأرسل عمرو إلى معاوية بن حُدَيْج يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر كرامة لأخيه عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال معاوية: أيُقْتل(٢) كِنانة بن بشر وأخلّي أنا محمداً! هيهات هيهات! فقال محمد: اسقوني ماء؛ فقال معاوية بن حُدَيْج: لا سقاني الله إن سقيتُك قطرة؛ إنكم منعتم عثمان الماء، ثم قتلتموه صائماً فتلقّاه الله بالرحيق المختوم؛ والله لأقتلنّك يا ابن أبي بكر فليسقِك الله من الجحيم(٣)؛ فقال محمد لمعاوية: يآبن اليهودية النسّاجة، ليس ذلك إليك؛ وأما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم بي هذا؛ فقال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار؛ قال محمد: إن فعلتم ذلك لطالما فعلتموه بأولياء الله تعالى؛ ثم طال الكلام بينهما حتى أخذ معاوية محمداً ثم ألقاه في جِيفَة حمار ميت ثم

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٥.

(٢) في رواية الطبري: «أكذاك! قتلتم كنانة بن بشر وأخلّي أنا عن محمد بن أبي بكر!».

(٣) في الطبري: «فيسقيك الله الحميمَ والغسّاق».

حرقه بالنار؛ وقيل: إنه قطع رأسه وأرسله إلى معاوية بن أبي سفيان بدِمَشْق وطِيف به، وهو أوّل رأس طيف به في الإسلام. ولما بلغ عائشة ـ رضي الله عنها ـ قتل أخيها محمد بن أبي بكر هذا وَجِدَت عليه وَجْداً عظيماً وأخذت أولاده وعياله وتولت تربيتهم.

وقال أبو مِخْنَف بإسناده: ولما بلغ عليّ بن أبي طالب مَقْتل محمد بن أبي بكر وما كان من الأمر بمصر وتملّك عمرو لها وآجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثّهم على الجهاد والصبر والسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، وواعدهم الجَرَعَة بين الكوفة والحيرة.

فلما كان من الغد خرج يمشي إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش؛ فلما كان العشيّ بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال:

«الحمد لله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل، وآبتلاني بكم وبمن لا يُطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوْت؛ أوليس عجيباً أنّ معاوية يدعو الجُفاة الطَّغام فيتّبعونه بغير عطاء ويجيبونه في السنة المرّتين والثلاث إلى أيّ وجه شاء! وأنا أدعوكم ـ وأنتم أُولو النُّهَى وبقية الناس ـ على المعونة[١] وطائفة من العطاء فتتفرّقون عنّي وتَعْصُونني وتختلفون عليّ»!

فقام مالك بن كعب الأَرْحَبيّ فندب الناس إلى امتثال أمر عليّ والسمع والطاعة له. فانتدب ألفان فأمّر[٢] عليهم مالكَ بن كعب هذا [وقال له عليّ: سِرْ فوالله ما أظنّك تدركهم حتى ينقضي أمرهم][٣] فسار بهم خمساً؛ ثم قدم على عليّ

---

(١) في الأصل: «معاوية» وما أثبتناه من البداية والنهاية؛ ذلك أن أبا المحاسن (من قوله: وقال أبو مخنف بإسناده حتى قوله: واستخلف على البصرة زياداً) ينقل عن ابن كثير. وفي الطبري: «على المعونة وطائفة منكم على العطاء». والخطبة في الطبري أطول مما هي عليه هنا، وباختلاف غير يسير ـ انظر الطبري: ١٣٤/٣، وقارن بالكامل لابن الأثير: ٢٣٠/٣.

(٢) أي أمّر عليٌّ عليهم . . . إلخ.

(٣) الزيادة عن الطبري وابن الأثير.

جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر الصدّيق بمصر، فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقرّ أمر عمرو فيها. فبعث إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق، وذلك لأنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر؛ واستقرّ أمر العِراقين على خلاف عليّ فيما يأمرهم به وينهاهم عنه والخروج عليه والتنقّد على أحكامه وأقواله وأفعاله لجهلهم وقلّة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفُجُور كثير منهم؛ فكتب عليّ عند ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنه وهو نائبه على البصرة يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة، فردّ عليه ابن عباس يُسلّيه في ذلك ويُعزّيه في محمد بن أبي بكر ويَحثّه على تلافي الناس والصبر على مُسِيئهم، فإن ثواب الجنة خير من الدنيا؛ ثم ركب ابن عباس إلى الكوفة إلى عليّ واستخلف على البصرة زياداً؛ وقد خرجنا عن المقصود.

* * *

السنة التي حكم فيها محمد بن أبي بكر الصديق وغيرُه على مصر

وهي سنة سبع وثلاثين من الهجرة:

فيها كانت وقعة صِفّين بين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبين معاوية بن أبي سُفيان.

وفيها قتل عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كِنانة المُدْلِجيّ العبسيّ، أبو اليقظان؛ كان من نجباء الصحابة وشهِد بدراً والمشاهد كلّها وقُتِل في صفّين؛ وكان من أصحاب عليّ رضي الله عنه.

وفيها توفي خَبّاب بن الأرَتّ بن جَنْدَلة بن سعد بن خُزَيْمة التّيْمِيّ(١)، مولى أمّ سِبَاع(٢) بنت أنمار. كنيته أبو عبد الله. كان من المهاجرين الأوّلين. شهد بدراً والمشاهد بعدها، ورويَ عنه أحاديث.

---

(١) كذا في الأصول. وفي الطبري والإصابة: «التميمي».

(٢) في البداية والنهاية: «أنمار الخزاعية، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد». وفي الإصابة: «أم أنمار الخزاعية».

وفيها أيضاً قتل بصِفِّين من أصحاب عليّ رضي الله عنه أُوَيْس بن عامر المُرَادِيّ القَرَنيّ[١] الزاهد سيد التابعين، كنيته أبو عمرو. أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفيها قتل في وقعة صفِّين من أصحاب عليّ رضي الله عنه هاشم بن عتبة بن أبـي وقّاص الزهريّ.

وفيها توفي[٢] عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وفيها قتل كُرَيْب بن صَبّاح الحِمْيَريّ، أحد الأبطال من أصحاب معاوية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابـع؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابـع.

---

(١) وقرن (بالتحريك) بطن من مراد (انظر الأعلام: ٢/٣٢).

(٢) قتل في صفين وهو مـع معاوية.

ذكر ولاية عمرو بن العاص ثانياً على مصر(١)

قد تقدّم الكلام في أوّل ولايته على نسبه وصحبته للنبـيّ ﷺ، ثم أخذه مصر ثانياً في ترجمة محمد بن أبـي بكر الصدِّيق وكيفية قتاله وكيف مَلَكَ مصر منه.

وولاية عمرو بن العاص هذا في هذه المرّة من قِبَل معاوية بن أبـي سُفْيان، وكان دخوله إلى مصر في شهر ربيـع الأوّل من سنة ثمان وثلاثين، وجمـع إليه معاوية الصلاة والخراج في ولايته هذه. وسبب انتماء عمرو إلى معاوية أن عَمراً كان لما عزله عثمان بن عفّان عن مصر بعبد الله بن سعد بن أبـي سَرْح المقدّم ذكره توجّه عمرو وأقام بمكة منكفّاً عن الناس حتى كانت وقعة الجمل.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبـي، قال جُوَيْرِيَة بن أسماء، حدّثني عبد الوهاب ابن يحيى بن عبد الله بن الزبير، حدّثنا أشياخنا: أن الفتنة وقعت وما رجل من قريش له نباهة أعمى فيها من عمرو بن العاص؛ وما زال مقيماً بمكة ليس في شيء مما فيه الناس حتى كانت وقعة الجمل، فلما فرغتْ بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد فقال: إني قد رأيت رأياً ولستما باللذين تردّاني عن رأيـي ولكن أشيرا عليّ؛ إني رأيت العرب صاروا عَنْزَين يضطربان، وأنا طارح نفسي بين جزّاري مكة ولست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أيّ الفريقين أعمِد؟ قال له ابنه عبد الله: إن كنت لا بدّ فاعلاً فإلى عليّ؛ قال: إني إن أتيت علياً قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يَخْلِطني بنفسه ويُشْرِكني في أمره. فأتى معاوية.

وعن عروة وغيره قال: دعا عمرو ابنيه، فأشار عليه عبد الله أن يلزم بيتَه لأنه أسلم له؛ فقال محمد: أنت شريف من أشراف العرب وناب من أنيابها، لا أرى أن تتخلّف؛ فقال عمرو لابنه عبد الله: أما أنت فأشرت عليّ بما هو خير لي في

(١) ولاة مصر: ٥٤، والخطط: ١/٣٠٠، وحسن المحاضرة: ٢/٦، ومعجم زامباور: ٣٨.

آخرتي؛ وأما أنت يا محمد فأشرت عليّ بما هو أنبه لذكري. ارتحلا؛ فارتحَلوا إلى الشام غُدْوَة وعشيّة حتى أتَوا الشام. فقال: «يا أهلَ الشام، إنكم على خير وإلى خير؛ تطلبون بدم عثمان؛ خليفةٌ قتل مظلوماً؛ فمن عاش منكم فإلى خير، ومن مات فإلى خير». فما زال مع[1] معاوية حتى وقع من أمره ما حكيناه في أوّل ترجمته وغيرها.

ودخل مصر ووَلِيها بعد محمد بن أبي بكر الصديق ومهّد أمورها. ثم خرج منها وافداً على معاوية بالشام وآستخلف على مصر ولده عبد الله بن عمرو ــ وقيل خارجةَ بن حُذافة ــ وحضر أمر الحكمين؛ ثم رجع إلى مصر على ولايته، ودام بها إلى أن كانت قصّة الخوارج الذين خرجوا لقتل عليّ ومعاوية وعمرو هذا. فخرج عبد الرحمن بن مُلْجَم لقتل عليّ رضي الله عنه، وقيسٌ إلى معاوية، ويزيدُ إلى عمرو بن العاص؛ وسار الثلاثة كل واحد إلى جهة مَنْ هو متوجّه لقتله، وتواعد الجميع أن يثِب كلّ واحد على صاحبه في سابع عشر شهر رمضان؛ فأما عبد الرحمن فإنه وثب على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقتله حسبما نذكره في ترجمته؛ و[أما][2] قيس فوثب على معاوية وضربه فلم تؤثّر فيه الضربة غير أنه جرح؛ وأما يزيد فإنه توجّه إلى عمرو هذا، فعرَضت لعمرو علّة تلك الليلةَ منعته من الصلاة فصلّى خارجةُ بالناس، فوثب عليه يزيد يظنّه عَمراً فقتله؛ وأُخذ يزيد وأُدخل على عمرو فقال يزيد: أما والله ما أردتُ غيرك؛ فقال عمرو: ولكنّ الله أراد خارجة؛ فصار مثلاً: «أردتُ عَمراً وأراد الله خارجة». وأقام عمرو بعد ذلك مدّة سنين حتى مات بها فيما نذكره إن شاء الله تعالى في آخر هذه الترجمة.

قيل: إنه لما حضرت عمرَو بن العاص الوفاةُ بكى؛ فقال له ابنه

---

(١) وقد بايع عمرو بن العاص معاوية على الطلب بدم عثمان، على أن يوليه معاوية مصر، وكتبا بينهما كتاباً مما جاء فيه «.. فإذا فتحت مصر فإن عَمراً على أرضها وإمارته التي أمّره عليها أمير المؤمنين، ومعاوية أمير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الأمر..» ــ انظر بسط الكتب في طبقات ابن سعد: ٤/٢٥٤.

(٢) الزيادة يقتضيها السياق.

[عبد الله][1]: أتبكي جَزَعاً من الموت؟ فقال: لا والله [ولكن مما بعده][1]؛ وجعل ابنه يذكّره بصحبته رسولَ الله ﷺ وفتوحِه الشام؛ فقال عمرو: تركتَ أفضل من ذلك: شهادةَ أن لا إله إلا الله؛ إني كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبقة إلّا عرَفت نفسي فيها: كنت أوّل شيء كافراً وكنت أشدّ الناس على رسول الله ﷺ، فلو متّ حينئذ لوجبْت لي النار؛ فلمّا بايعت رسول الله ﷺ كنت أشدّ الناس منه حياءً ما ملأت عيني منه، فلو متّ حينئذ لقال الناس: هنيئاً لعمرو؛ أسلم على خير ومات على خير أحواله؛ ثم تلَّبسْتُ بعد ذلك بأشياءَ فلا أدري أعليَّ أم لي. فإذا أنا متّ فلا يُبكىٰ عليَّ ولا تُتبعوني ناراً، وشدّوا عليَّ إزاري فإني مخاصَم؛ فإذا أوليتموني فاقعدوا عندي قدرَ نحر جزور وتقطيعِها أستأنس بكم حتى أعلم ما أراجع به رُسُلَ ربّي[2]. قال الذهبي: أخرجه أبو عَوانة في مسنده. وفي رواية: أنه بعدها حوَّل وجهه إلى الجدار وهو يقول: اللهمَّ أمرتَنا فعَصَينا، ونهيتنا فما آنتهينا، ولا يسَعُنا إلّا عفوُك. وفي رواية: أنه وضع يده على موضع الغُلّ من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ لا قويّ فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت؛ فلم يزل يردّدها حتى مات رضي الله عنه.

وقال الزهريّ عن حُمَيد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال: اللهم أمرتَ بأمور ونهيتَ عن أمور، فتركنا كثيراً مما أمرت ووقعنا في كثير مما نهيت. اللهم لا إله إلا أنت. ثم أخذ بإبهامه فلم يزل يهلّل حتى تُوُفّي.

قال الذهبيّ، وأيّده الطحاوي: حدّثنا المُزَنيّ، سمعت الشافعيّ رضي الله عنه يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ وقد أصلحت من دنيايَ قليلاً، وأفسدتُ من ديني كثيراً. فلو كان ما أصلحتُ هو ما أفسدت لفُزْت. ولو كان ينفعني أن أطلب لطلبت، ولو

(١) الزيادة من ولاة مصر للكندي: ص ٥٦.
(٢) هذا الحديث والأحاديث المذكورة في هذا الفصل رواها ابن عبد الحكم ببعض اختلاف عما هو هنا ــ انظر فتوح مصر: ١٨٠ ــ ١٨٢.

كان يُنْجِيني أن أهرُب لهربت. فعِظْني بموعظة أنتفـع بها يآبن أخـي، فقال: هيهات يا أبا عبد الله! فقال: اللهم إنّ آبن عباس يُقْنِطِني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى. وكانت وفاة عمرو المذكور في ليلة عيد الفطرِ سنة ثلاث وأربعين فصلّى عليه ابنه ودفنه ثم صلّى بالناس صلاة العيد. قاله أبو فِرَاس مولى عبد الله بن عمرو. وقال الليث بن سعد والهيثم بن عديّ والواقديّ وآبن بُكَير: وسِنُّه نحو مائة سنة. وقال أحمد العِجْليّ وغيره: تسـع وتسعون سنة. وقال ابن نُمَيْر: توفّي سنة اثنتين وأربعين. قلت: والأوّل هو المتواتر.

وكان عمرو رضي الله عنه من أدهى العرب وأحسنهم رأياً وتدبيراً. قيل: إنه آجتمـع مـع معاوية بن أبـي سفيان مرّة فقال له معاوية: مَنِ الناس؟ فقال: أنا وأنت والمُغِيرة بن شعبة وزياد؛ قال معاوية: كيف ذلك؟ قال عمرو: أما أنت فللتأنّي؛ وأما أنا فللبديهة؛ وأما المغيرة فللمعضلات؛ وأما زياد فللصغير والكبير؛ قال معاوية: أما ذانك فقد غابا فهاتِ بديهتَك يا عمرو؛ قال: وتريد ذلك؟ قال نعم؛ قال: فأخرِجْ مَنْ عندك، فأخرجهم معاوية؛ فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أُسارّك، فأدنى معاوية رأسه منه؛ فقال عمرو: هذا من ذاك، من معنا في البيت حتى أسارّك! ولما مات عمرو وَلي مصر عُتْبَة بن أبـي سُفيان من قبل أخيه معاوية.

* * *

السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين من الهجرة:

فيها توجّه عبد الله بن الحَضْرَميّ من قبل معاوية إلى البَصْرة ليأخذها، وكان بها زياد ابن أبيه ووقـع بينهما أمور(١).

وفيها سارت الخوارج لقتال عليّ رضي الله عنه؛ وكان كبيرهم عبد الله بن

(١) انظر تفصيل ذلك في الطبري: ١٣٦/٣ وابن الأثير: ٢٣٢/٣.

وَهَب[١]، فهزمهم عليّ وقتل أكثرهم، وقتل ابن وَهَب المذكور، وقُتِل من أصحاب عليّ رضي الله عنه اثنا عشر رجلاً. وكانت الوقعة في شعبان من هذه السنة.

وفيها تُوُفِّي صُهَيْب بن سِنان بن مالك الروميّ؛ سبَتْه الروم فجُلِب إلى مكة فآشتراه عبد الله بن جُدْعان التَّيميّ، وقيل: بل هرب من الروم فقدِم مكة وحالف ابن جُدْعان. وكان صُهَيْب من السابقين الأوّلين. شهِد بدراً والمشاهد كلَّها. روى عنه أولاده حبيب[٢] وزياد وحمزة؛ وسعيد بن المُسَيَّب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكعب الأحبار؛ وكنيته أبو يحيى. توفي بالمدينة في شوّال. ونشأ صُهَيْب بالروم فبقيت فيه عُجمة.

وفيها توفّي سهل بن حُنَيْف[٣] بن واهب الأنصاريّ. كان من أهل مسجد قُباء؛ وكنيته أبو سهل وقيل أبو عبد الله؛ وهو من الطبقة الأولى من الأنصار. آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبين عليّ بن أبي طالب؛ وهو ممن شهد بدراً وأُحُداً والخَنْدَق.

وفيها توفّيت أسماء بنت عُمَيْس بن مَعْد بن تميم[٤] بن الحارث بن كعب بن مالك. أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأَرْقَم بمكّة وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فَوَلدت له[٥] هناك عبد الله بن جعفر [ومحمداً وعَوْناً][٦] ثم تزوّجها بعد جعفر أبو بكر الصدّيق، فاستولدها محمداً أمير

---

(١) هو عبد الله بن وهب الراسبي، من الأزد: من أئمة الإباضية من الخوارج. وقد كانت الواقعة في النهروان بين بغداد وواسط. وفيها قتل أكثر أصحاب عبد الله بن وهب من الخوارج. وكان على ميمنة جيش علي قيس بن سعد بن عبادة وعلى ميسرته حجر بن الأدبر الكندي. وكان على ميمنة الخوارج حرقوص بن زهير السعدي، وعلى ميسرتهم شبيب بن بجرة الأشجعي مع شريح بن أوفى العبسي. انظر تاريخ خليفة بن خياط: ١٩٧؛ والكامل للمبرّد: ٢/ ١١٩.

(٢) كذا في الأصول. وفي المعارف لابن قتيبة: ١٥١: وأولاده: حمزة وصيفي وعمارة بنو صهيب. وفي الإصابة لابن حجر: ترجمة ٤٠٩٩ «روى عنه أولاده: حبيب وحمزة وسعد وصالح وصيفي وعبادة وعثمان ومحمد، وحفيده زياد بن صيفي».

(٣) في الأصول «حبيب» وهو خطأ. وما أثبتناه من الطبري والإصابة وخليفة والمعارف.

(٤) كذا في الأصول. وفي الإصابة وطبقات ابن سعد «تيم».

(٥) في الأصل الأصل: «ووُلد هناك». وما أثبتناه من الإصابة، وهو أوضح في المقام.

(٦) الزيادة من الإصابة.

مصر المقدَّمَ ذكرُه؛ ثم تزوّجها بعد أبي بكر عليّ بن أبي طالب، فولدت منه يحيى وعَوْناً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وخمسةَ عشرَ إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستةَ عشرَ ذراعاً وتسعة أصابع. وفي كتاب درر التيجان(١): تسعةَ عشرَ إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية عمرو الثانية على مصر

وهي سنة تسع وثلاثين:

فيها أيضاً كانت وقعة الخوارج مع عليّ بن أبي طالب بَحَرُوْرَاء(٢) وبالنُّخَيْلة. قاتلهم عليّ فكسرهم وقتل رؤوسهم، وسجد لله شكراً لمّا أُتِيَ [بمُخْدَج اليد](٣) مقتولاً. وكان رؤوس الخوارج زيد بن حفص(٤) الطائيّ وشُرَيْح بن أَوْفَى العبسيّ وكانا على المُجَنِّبَتَيْن، وكان رأسهم عبد الله بن وهب الراسبيّ ـ وقد تقدّم ذكرها في السنة الماضية، والأصح أنها في هذه السنه ـ وكان على رجّالتهم حُرْقُوص بن زهير(٥).

---

(١) «درر التيجان وغرر تواريخ الزمان» لأبي عبد الله الدواداني. (ايضاح المكنون لاسماعيل باشا البغدادي: ٤٦٥).

(٢) ضبطه ياقوت بفتحتين، وسكون الواو ثم راء. وحروراء والنخيلة: موضعان قرب الكوفة. (معجم البلدان: ٢/٢٤٥ و ٥/٢٧٨).

(٣) في الأصل: «بالخدع إليه» وهو تحريف واضح. وما أثبتناه استناداً إلى المبرّد في الكامل: ٢/١٨٢ وابن كثير في البداية والنهاية: ٧/٣٠٠. ومُخدج اليد لقب رجل من الخوارج يقال له: عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة. ويقال له أيضاً: ذو الثديّة. ويروى عن الإمام علي قوله: «سيماهُ أن يده كالثدي، عليها شعرات كشارب السِّنَّور».

(٤) كذا في الأصول. وفي الطبري وابن الاثير «زيد بن حصين».

(٥) أضاف الطبري وابن الأثير: «وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي». وفي تاريخ خليفة بن خياط: «على ميمنتهم حرقوص بن زهير السعدي، وعلى ميسرتهم شبيب بن بجرة الأشجعي مع شريح بن أوفى العبسي».

وفيها بعث معاوية يزيد بن شَجَرَة الرَّهَاوِيّ[١] ليقيم الحجّ، فنازعه قُثَم بن عباس[٢] ومانعه، وكان من جهة عليّ، فتوسّط بينهما أبو سعيد الخُدْرِيّ[٣] وغيره، فاصطلحا على أن يقيم المَوْسم شيبة[٤] بن عثمان العَبْدَرِيّ حاجب الكعبة.

وفيها أيضاً بعث معاوية ابن عوف[٥] في ستة آلاف فارس وأمره أن يأتيَ هِيتَ والأَنْبار والمدائن؛ وكان بِهِيت أَشْرَس بن حسّان البَلَوي[٦] من جهة عليّ وقد تفرّق عنه أصحابه ولم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، فخرج إليهم وقاتلهم وقتل ابن[٧] أشرس وأصحابه.

وفيها أرسل معاويةُ الضحّاكَ بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره بالغارة على من هو في طاعة عليّ من الأعراب.

وفيها توفي سعد بن عابد[٨]، ويعرف بسعد القَرَظ، مولى عمّار بن ياسر (والقَرَظ: ورق السَّلَم كان يجلبه ويبيعه للدباغ فسمّي به) وكان سعد يؤذّن على عهد رسول الله ﷺ بقُبَاء ثم أذّن على عهد أبي بكر وعمر، وهو من الصحابة وله رواية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان؛ مبلغ الزيادة ستةَ عشرَ ذراعاً وخمسة أصابع.

* * *

(١) قال ابن الأثير: الرَّهاوي منسوب إلى الرُّها، قبيلة من العرب؛ أما المدينة «الرها» فبضم الراء.

(٢) قُثَم بن العباس بن عبد المطلب. استشهد في سمرقند أيام معاوية سنة ٥٧هـ. ــ وفي رواية الواقدي أن علياً بعث في هذه السنة على الحج عبيد الله بن العباس (الطبري: ١٥١/٧) ــ قارن أيضاً برواية ابن الاثير: ٢٤٦/٣ وهي أوضح الروايات كما نرى.

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري، أبو سعيد. من الصحابة. توفي سنة ٧٤هـ (الأعلام: ٨٧/٣ وفيه مصادر ترجمته).

(٤) في الأصل «شيبان». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير وابن قتيبة.

(٥) هو سفيان بن عوف الغامدي. توفي سنة ٥٢هـ. (الأعلام: ١٠٥/٣).

(٦) في الطبري وابن الأثير «البكري».

(٧) لعل لفظ «ابن» زائد.

(٨) كذا في الأصل. وفي الإصابة لابن حجر «عائذ» ترجمة رقم ٣١٦٥.

السنة الثالثة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر

وهي سنة أربعين:

فيها بعث معاوية بُسْر بن أبـي أَرْطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فقدِم المدينةَ وعاملُ عليّ متوليها وهو أبو أيّوب الأنصاريّ فنفر منها أبو أيّوب(١).

وفيها قُتل أمير المؤمنين أبو الحسن عليّ بن أبـي طالب؛ وآسم أبـي طالب: عبـد مناف بن عبـد المُطّلِب؛ وآسم عبـد المطلِب: شَيْبـة الحمد بن هـاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية؛ وهي بنت عمّ أبـي طالب. كانت من المهاجرات؛ تُوُفِّيت في حياة النبـيّ ﷺ بالمدينة. وهو أحد السابقين الأوّلين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة. وأمّا ما ورد في حقّه من الأحاديث وما وقـع له في الغزوات فيضيق هذا المحلُّ عن ذكر شيء منهـا؛ وفي شهـرتـه رضي الله عنـه مـا يُغْني عن الإطنـاب في ذكـره. قتله عبد الرحمن بن مُلْجَم. جلس له مقابل السُّدّة(٢) التي يخرج منها عليّ إلى الصّلاة، فلما أن خرج عليّ إلى صلاة الصبـح شدّ عليه عبد الرحمن المذكور فضربه بسكّين كـانت معه أو بسيف في جبهتـه وفي رأسـه، فحُمـل من وقتـه، وقُبض على عبد الرحمن المذكور، فقال عليّ: أطعموه وآسقوه، فإن عِشت فأنا وليُّ دمي: إن شئت قتلت، وإن شئتُ عَفوت؛ وإن متُّ فآقتلوه قِتْلَتي، ولا تعتدوا، إنّ الله لا يُحبّ المعتدين. وكان عبد الرحمن قد سَمَّ سيفه، فتمَّ عليّ رضي الله عنه جريحاً يوم الجمعة والسبت، وتُوُفّي ليلة الأحد(٣) لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من السنة. وتولّى الخلافة من بعده ابنه الحسن بن عليّ رضي الله عنهما. وكانت خلافة عليّ رضي الله عنه أربـع سنين وتسعة أشهر. ولما دُفن عليّ أُحضـر

---

(١) انظر الخبر كاملاً في الطبري: ١٥٣/٣؛ وابن الأثير: ٢٥٠/٣ والبداية والنهاية: ٣٣٤/٧.

(٢) السدّة: باب الدار، والظُّلّة بباب الدار، والساحة بين يدي الباب.

(٣) في الطبري: «في شهر رمضان يوم الجمعة»؛ وفي ابن الأثير: «في شهر رمضان لسبـع عشرة خلت منه» ثم ذكر عدة تواريـخ وقال: والأول أصح. وفي خليفة بن خياط «صبيحة الجمعة لسبع بقين من رمضان».

عبد الرحمن بن مُلْجَم فآجتمع الناس وجاؤوا بالنِّفط والبَوَاريّ[١]، فقال محمد بن الحنفية والحسن والحسين ولدا عليّ وعبد الله بن جعفر آبن أخيه: دعونا نَشْتَفِ منه؛ فقطّع عبد الله يديه ورجليه فلم يجزَعْ ولم يتكلم، وكحّل عينيه، وجعل يقول: إنّك لتكحل عيني عمك هذا[٢]، وعيناه تسيلان على خدّيه؛ ثم أمر به فعولج على قطع لسانه؛ فجزِع، فقيل له في ذلك؛ فقال: ما لذاك أجزع ولكن أكره أن أبقى في الدنيا لا أذكر الله! فقطعوا لسانه، ثم أخرجوه في قَوْصَرة[٣]؛ وكان ـ قبحه الله ولعنه ـ أسمرَ حسن الوجه أفلج في جَبْهته أثر السجود. وقال جعفر بن محمد عن أبيه قال: صلّى الحسن على عليّ رضي الله عنه ودُفِن بالكوفة عند قصر الإمارة، وعُمِّي قبرُه لئلا تنبشُه الخوارج. وقال شريك وغيره: نقله الحسن إلى المدينة. وذكر المبرّد عن محمد بن حبيب، قال: أوّل من حُوِّل من قبر إلى قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفيها تُوُفّي لَبِيد[٤] بن ربيعة بن كِلاب بن مالك بن جعفر بن كلاب: الصحابيّ العامريّ الشاعر المشهور. كنيته أبو عَقِيل. ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من القبائل الذين أسلموا بعد الفتح؛ ووفدَ على النبيّ ﷺ سنة تسع من الهجرة وأسلم.

وفيها تُوُفّي تَميم[٥] بن أَوْس بن خارجة أبو رُقيّة اللَّخْمِيّ الداريّ الصحابيّ

(١) البواري: جمع باريّة، أي الحصير المنسوج.

(٢) كذا هي عبارة الأصول. وفي الكامل للمبرّد: ١٦٧/٢ «وقال عبد الله بن جعفر: يا أبا محمد، ادفعه إليّ اشفِ نفسي منه. فاختلفوا في قتله فقال قوم: أحمَى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول: إنك يا ابن أخي لتكحل عمك بمُلْمُولين مَضَّاضين. وقال قوم بل قطع يديه ورجليه، وقال قوم بل قطع رجليه وهو في ذلك يذكر الله عز وجلّ، ثم عمد إلى لسانه فشقّ ذلك عليه.. إلخ».

(٣) في الأصول «إلى قوصرة». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب. والقوصرة: وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواريّ.

(٤) انظر ترجمته في الإصابة: ترجمة ٧٥٣٥. وفيها أنه توفي سنة ٤١هـ. ـ انظر أيضاً: الشعر والشعراء: ١٢٣.

(٥) الإصابة: ترجمة ٨٣٣. ـ قارن أيضاً بالأعلام: ٨٧/٢.

المشهور؛ وآختلف في نسبه إلى الدار بن هانىء أحد بني لَخْم. أسلم تميم سنة تسع، رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثمانية أذرع وستةَ عشرَ إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وسبعةَ عشر إصبعاً؛ وفي كتاب درر التيجان: وستة أصابع.

* * *

السنة الرابعة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر

وهي سنة إحدى وأربعين.

وتسمّى هذه السنة عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد وهو معاوية بن أبي سُفيان.

فيها (أعني في سنة إحدى وأربعين) بايع الحسن بن عليّ رضي الله عنه بالخلافة معاوية وخلع نفسه. وسببُه أنه لما وَلِيَ الخلافة بعد وفاة والده عليّ رضي الله عنه أحبّه الناس حبًّا شديداً زائداً[١] وآجتمعوا على طاعته، وآستمرّ في الخلافة أشهراً[٢]؛ فلمّا رأى الأمرَ مآله للقتال مع معاوية وألحّ عليه أهل العراق حتّى خرج في جموعه إلى نحو الشام وخرج معاوية أيضاً بجيوشه في طلب الحسن رضي الله عنه، ثم أرسل معاوية إلى الحسن يطلبُ الصلح. قال خليفة: فاجتمعا بمَسْكَن؛ وهي بأرض السواد من ناحية الأنبار، فاصطلحا في ربيع الآخرة[٣]. وسلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية، لا من جزع بل شفقة على المسلمين. فإن الذي كان [أنه] آجتمع للحسن من العساكر أكثر مما كان اجتمع لأبيه، ولكن ترك ذلك

(١) وفي بعض الروايات «وأحبوه أشدّ من حبهم لأبيه» ــ كما ورد في رواية لابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق.

(٢) في رواية ابن عساكر: وليها سبعة أشهر وأحد عشر يوماً. وفي رواية خليفة: سبعة أشهر وسبعة أيام.

(٣) في تاريخ خليفة: ٢٠٣ «وذلك في شهر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى».

خوفاً من سفك الدماء[١]. ولما وقع ذلك دخل على الحسن سفيان أحدُ أصحابه وقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين؛ فقال الحسن: لا تقل ذلك، إني كرِهت أن أقتلكم في طلب الملك.

(١) رواية أبي المحاسن عن الصلح وتسليم الإمام الحسن الأمر إلى معاوية مجتزأة. وقد أجمع المؤرخون المنصفون أنه كان وراء موقف الحسن بن علي عاملان أساسيان: الأول هو ما يشير إليه أبو المحاسن هنا من الظن بدماء المسلمين أن تسفك. وقد أكد الإمام الحسن هذا المعنى بقوله في خطبته بعد الصلح مع معاوية: «أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا وقد كانت لكم لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية ــ وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين ــ وأشار إلى معاوية» (انظر ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق لابن عساكر: ص ١٩٠؛ وأنساب الأشراف للبلاذري: ج ٣، ص ٤٣؛ والطبري: ١٦٧/٣). وكلامه هذا توكيد للحديث الشريف: «. . . لعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ــ الحديث». أما الأمر الثاني الذي دفع الإمام الحسن إلى صلح معاوية فهو ما كان يرى من حال أنصاره وتقاعسهم عن القتال، وهذه الحال امتداد لما ساد في أخريات أيام والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وإنا لنلمس نفس المرارة التي كان يعبر عنها الإمام علي في خطبة الإمام الحسن بالمدائن لما يئس من نصرة أصحابه إياه، وأمره لهم باللحوق إلى أماكنهم: «. . . ألا إن أمر الله واقع إذ لا له دافع وإن كره الناس. إني ما أحببت أن أليَ أمر أمة محمد مثقال حبة خردل يهراق فيه محجم من دم. قد علمت ما ينفعني مما يضرّني، فالحقوا بطيّتكم». عن ابن عساكر: المصدر السابق. وقد سلّم الحسن الأمر إلى معاوية بعدما تأكد له من موقف الناس حوله أنهم لا يريدون قتالاً، فقد خطب فيهم قائلاً: «إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. ألا وإنا لكم كما كنّا، ولستم لنا كما كنتم. ألا وقد أصبحتم بعد قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون ثاره. فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر. ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نَصَفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جلّ وعزّ بظُبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا» فناداه الناس من كل جانب: البقيّة البقيّة، وامض الصلح. (ابن الأثير: ٢٧٢/٣؛ وابن عساكر: ١٧٩). ولعله من المفيد هنا أن نثبت نص كتاب الصلح الذي بعث به الحسن إلى معاوية بن أبي سفيان: صالحه أن يسلّم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخلفاء الصالحين. وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي غائلة سراً ولا علانية، وعلى أن لا يخيف أحداً من أصحابه. شهد عبد الله بن الحارث، وعمرو بن سلمة». (أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣١). وكان معاوية قبل هذا قد بعث إلى الحسن كتاباً نسخته: «. . . إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه. . . . أن لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فَسَا ودرابجرد تبعث إليها عمالك وتصنع بهما ما بدا لك». (المرجع السابق).

قال الحافظ الذهبيّ، قال أبو بَكْرَة: رأيت رسول الله ﷺ على المِنْبر والحسن ابن عليّ إلى جنبه وهو يقول: «إنّ ابني هذا سيّدٌ، ولَعلّ الله أن يُصلح به بين فِئَتَيْن عظيمتين من المسلمين». أخرجه البخاريّ.

وفيها تُوُفّي صَفْوَان بن أُمَيّة بن خلف الجُمَحِيّ. شهِد حُنَيْناً مع النبيّ ﷺ ثم أسلم بعدها، وأعار النبي ﷺ سلاحاً كثيراً(١).

وفيها تُوُفّيت حَفْصَة أمّ المؤمنين رضي الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثمانية أذرع وستةَ عشرَ إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ثمانيةَ عشرَ ذراعاً وسبعة أصابع.

* * *

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر

وهي سنة اثنتين وأربعين:

فيها بعث معاوية المُغيرة بن شُعْبَة إلى زياد ابن أبيه فخدعه وأنزله من قلعته(٢).

وفيها ولّى معاوية مَرْوَان بن الحكم المدينة فاستقضى مَرْوَانُ عبدَ الله بن الحارث بن نوفل.

وفيها تحركت الخوارج الذي بَقوْا من يوم النَّهْرَوَان.

---

(١) انظر الإصابة: ترجمة ٤٠٦٨ ــ وتاريخ خليفة: ص ٢٠٥، وفيه أن وفاته سنة ٤٢هـ.

(٢) كان زياد ابن أبيه قد امتنع على معاوية قريباً من سنة في قلعة من بلاد فارس عرفت به يقال لها: قلعة زياد. (انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية: ٢٥/٨؛ والطبري: ١٧٦/٧).

وفيها تُوُفّي حبيب بن مَسْلَمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن سُفْيان[١] بن حارث[٢]، أبو عبد الرحمن وقيل أبو مَسْلَمة؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وفيها تُوُفِّي عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار بن قُصَيّ الجُمَحِيّ؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من المهاجرين ممن أسلم في هدنة الحُدَيْبِية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة أصابع؛ مبلغ الزيادة سبعةَ عشرَ ذراعاً وخمسة أصابع. وفي درر التيجان: أربعة أذرع وثلاثة أصابع.

---

(١) في طبقات ابن سعد وفي الإصابة: «شيبان».

(٢) في الإصابة «محارب».

ذكر ولاية عُتْبَة بن أبي سُفيان على مصر(١)

هو عُتْبَة بن أبي سُفيان ـ واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس ـ أخو معاوية بن أبي سُفيان لأبيه. ولّاه أخوه معاوية إمارة(٢) مصر بعد وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه في شوّال سنة ثلاث وأربعين. ودخل عُتْبَة مصر في ذي القعدة منها. وكان عتبة هذا شهد مع عثمان بن عفّان يوم الدار. قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه: قَدِمَ على أخيه معاوية بدِمَشْق، وكان له بها في «درب الحمّالين» دار؛ ووَلِيَ المدينة والطائف والموسم لأخيه معاوية غير مرّة، وشهد وقعة الجمل مع عائشة رضي الله عنها ثم انهزم، فعيَّره عبد الرحمن بن الحكم: [الوافر]

لَعَمْـري والأمـورُ لهـا دواعٍ ... لقـد أبعـدتَ يـا عُتْبَ الفِرارا

وقال ابن عساكر عن الهيثم بن عَديّ قال: ذكر ابن عباس عتبة بن أبي سفيان في العُور: ذَهَبَتْ عَيْنُه يوم الجَمَل مع عائشة. وقال أبو بكر الخطيب: حجّ عتبة ابن أبي سفيان بالناس سنة إحدى وأربعين وسنة اثنتين وأربعين. وقال الأصمعيّ: الخطباء من بني أمية: عتبة بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مَرْوان. وقال أبو حاتم: أوصى عتبة بن أبي سفيان مؤدّب(٣) ولده فقال:

---

(١) ولاة مصر: ٥٧، والخطط: ٣٠١/١، وحسن المحاضرة: ٧/٢، ومعجم زامباور: ٣٨ وكتب الصحابة.

(٢) ذكر الكندي في ولاة مصر: ٥٧ أن معاوية ولّاه على صلاتها فقط دون خراجها. وذكر السيوطي في حسن المحاضرة: ٧/٢ أنه لما مات عمرو بن العاص ولّى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو. قال: قال الواقدي: فعمل له عليها سنتين، وقال غيره: بل أشهراً ثم عزله وولّى عتبة بن أبي سفيان.

(٣) وكان يدعى: عبد الصمد. وقد وردت هذه الوصية في عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٨٣/٢، والعقد الفريد لابن عبد ربه: ٢٧٢/٢ (وهي فيه منسوبة لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان)؛ والبيان والتبيين للجاحظ: ٢٤٩/٢، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون. ٣٤٧/١. والنصوص الأربعة للوصية تختلف فيما بينها اختلافات غير يسيرة في التراكيب، وإن كانت لا تخرج عن المعنى الواحد المراد.

ليكن أوّلَ إصلاحك بَنيّ إصلاحُك لنفسك، فإنّ عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما فعلتَ، والقبيح ما تركتَ؛ وعلِّمهم كتابَ الله ولا تُملَّهم فيَتْركُوا، ولا تدعهم منه فيَهْجُروا، وروِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفَّه؛ ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يُحكموه[١]، فإنّ ازدحام الكلام في السمع مَضَلَّةٌ للفهم[٢]؛ وهدِّدْهم بي وأدِّبْهم دُوني؛ وكنْ بهم كالطبيب الرفيق الذي لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء، وامنعهم من محادثة النساء، واشْغَلْهم بسِيَر الحكماء، واستزدْني بآدابهم أزِدْك، ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذْر منّي فقد اتّكلتُ على كفاية منك. انتهى.

ولمّا قَدِمَ عتبة إلى مصر في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين أقام بها أشهراً ثم خرج منها وافداً على أخيه معاوية بدمشق، واستخلف على مصر عبد الله بن قيس ابن الحارث [بن عيّاش التُّجيبي][٣]؛ وكانت في عبد الله المذكور شِدّة فكَرِهَهُ الناس بمصر، فبلغ ذلك عتبةَ هذا فرجع إلى مصر وصعِد المنبر وقال[٤]: يا أهل مصر، قد كنتم تَعذِرون ببعض المنع منكم لبعض الجَوْر عليكم، وقد وَلِيَكُمْ مَن إن قال فَعَل. فإن أبيتم دراكم[٥] بيده، فإن أبيتم دَرَأكم بسيفه؛ [ثم جاء في الآخِر ما أدرك في الأوّل][٦]. إنّ البيعة شائعة[٧]، لنا عليكم السمع والطاعة، ولكم علينا العدل، فأيُّنا غَدَرَ فلا ذِمّة له عند صاحبه. فناداه المصريُّون من جَنَبات المسجد: سمعاً سمعاً؛ فناداهم عتبة: عدلاً عدلاً. ثم نزل.

فجمع له أخوه مُعَاوية الصلاة والخَرَاج، وعَقَد عُتبة هذا لعَلْقَمة بن يزيد

---

(١) في الأصول: «ولا تخرجهم من باب العلم إلى غيره» وما أثبتناه من المصادر المذكورة أعلاه.
(٢) في الأصل «فضلّة الفهم» وهو تحريف. وما أثبتناه من البيان والتبين والعقد الفريد والتذكرة.
(٣) الزيادة من ولاة مصر للكندي ص ٥٨.
(٤) قارن بنص الخطبة في العقد الفريد.
(٥) في الأصول «دواءكم». وفي بعض النسخ «داواكم». وما أثبتناه من الكندي والمقريزي.
(٦) كذا في الكندي. وفي الأصل :«ثم جاء في الأخير» وفي المقريزي «ثم صبح في الأخير» وفي ابن عبد ربه: «ثم رجا في الآخر ما أمل في الأول».
(٧) في الأصول: «متتابعة». وما أثبتناه من الكندي والمقريزي. وفي العقد الفريد: «مشايَعَة».

[الغُطيفي][(١)] على الاسكندرية في آثَنَيْ عشر ألفاً من أهل الديوان تكون بها مُرَابِطة، ثم خرج إليها عتبة بعد ذلك مرابطاً في ذي القعدة وقيل في ذي الحجة، وهو الأشهَر، سنة أربع وأربعين من الهجرة، فمات[(٢)] بها في الشهر المذكور. وتولى مصر بعده عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ، وكانت ولاية عتبة على مصر سنة واحدة وشهراً واحداً.

* * *

السنة التي حكم فيها عتبة بن أبي سفيان على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعين:

فيها شتَّى بُسْر بن أبي أرطاة بأرض الروم مُرَابِطاً.

وفيها فتح عبد الرحمن بن سَمُرَة الزَّرَنْج[(٣)] وغيرها من بلاد سِجِسْتان.

وفيها افتتح عُقْبة بن نافع الفِهْرِيّ كُوراً من بلاد السودان ووَرْدان من بلاد بَرْقة.

وفيها توفي عبد الله بن سَلام الاسرائيلي ـ ذكره ابنُ سَعْد في الطبقة الثالثة من الأنصار، وقال: كنيته أبو يوسف، وكان آسمه الحُصَين، فلما أسلم في السنة الأولى من الهجرة سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله. وهو رجل من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وهو صاحب القصة مع اليهود[(٤)].

(١) الزيادة من ولاة مصر للكندي ص ٥٨.

(٢) ودفن بمنية الزّجاج. وكانت من ضواحي الإسكندرية على ترعة المحمودية، في المنطقة الواقعة بين فم ترعة الفرخة وشارع الرصافة بقسم محرم بك. (ولاة مصر: ص ٥٩ ـ حاشية).

(٣) في بعض النسخ «الرخّج». وكلتاهما من بلاد سجستان. (انظر ياقوت في معجم البلدان). وقد حاصر ابن سمرة مرزبان زرنج في قصره في يوم عيد لهم فصالحه على ألفي ألف درهم وألفي وصيف. وغلب ابن سمرة على ما بين زَرَنج وكِشّ من ناحية الهند، ثم غلب من ناحية الرُّخّج على ما بينه وبين بلاد الدوّار (انظر فتوح البلدان للبلاذري: ٤٨٥/٢)

(٤) انظر الإصابة: ترجمة ٤٧١٥، والبداية والنهاية: ٢٨/٨.

وفيها توفي محمد بن مَسْلمة بن خالد الأنصاريّ الصحابـيّ؛ مذكور في الطبقة الأولى من الأنصار؛ أسلم بالمدينة على يد مُصْعَب بـن عُمَير، وآخـى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبـي عُبَيدة بن الجرَّاح، وشهد بدراً والمشاهد كلها(١) ومات في صفر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم تسعة أذرع وثلاثة أصابـع؛ مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابـع. وذُكر في دُرَر التِّيجان أنّ الماء القديم في هذه السنة أربعة أذرع وثلاثة أصابـع.

السنة الثانية من ولاية عُتْبة بن أبـي سُفْيان على مصر

وهي سنة أربـع وأربعين:

فيها توفِّي عُتبة صاحب الترجمة حسبما تقدَّم ذكره.

وفيها غزا المُهَلَّب بن أبـي صُفْرة أرض الهند وسار إلى قَنْدَابِيل(٢) وكَسَر العدو وسَلِم وغَنِم، وهي أوّل غَزَوَاته.

وفيها حَـجَّ الخليفة مُعَاوية بن أبـي سُفْيان بالناس من الشام.

وفيها زاد معاوية في مقصورة جامـع دمشق، وكان قد أحدثها لـمّا وَثَب عليه البُرَك(٣) ليقتله. ثم أحدث في هذه السنة أيضاً مَرْوان بن الحَكَم مقصورة المدينة وهو والٍ عليها.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: «. . إلا تبوك فإنه استخلفه رسول الله على المدينة في قول، وقيل استخلفه في قرقرة الكدر».

(٢) مدينة بالسند، وهي قصبة لولاية يقال لها النُدْهة. (معجم البلدان: ٤٠٢/٤ ــ انظر أيضاً فتوح البلدان: ٥٣١).

(٣) أي البُرَك بن عبد الله التميمي، أحد الخوارج الـذين توجهوا لقتل معاوية وعمرو بن العاص وعلي بن أبـي طالب. وحول اتخاذه المقصورة في الجامـع قال القلقشندي في مآثر الإنافة: ٣٤٣/٣: «وهو ــ أي معاوية ــ أول من عمل المقصورة في الجامـع ليصلّي فيها. قيل: إنه رأى على منبره كلباً فاتخذها. وقيل: =

وفيها أَوْغل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في بلاد الروم وشتّى بها.

وفيها غزا بُسْر بن أبي أرطاة في البحر.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة[1].

وفيها تُوُفِّي الحارث بن خَزَمة بن عديّ بن أُبَيّ[2] بن أبي غَنْم الأشهلي، أبو بشير[3] الصحابيّ؛ هو من الطبقة الأولى من الأنصار؛ شهدا بدراً والمشاهد كلها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين إياس بن أبي البُكَير[4].

وفيها تُوُفِّيت أم المؤمنين أمّ حَبيبة بنت أبي سُفْيان على الصحيح؛ واسمها رَمْلة؛ وهي أخت معاوية لأبيه؛ وأمها صفيّة بنت أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس؛ وهي ابنة عمّة عثمان بن عفان؛ وكان تزوّجها رسول الله ﷺ [وهي][5] بالحبشة، وذلك في سنة ستّ من الهجرة أو سبع.

وفيها تُوُفِّي أبو بُرْدة بن نِيار بن عمرو بن عُبَيد بن عمرو بن كلاب، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار من الصحابة. شَهِد العَقَبة مع السبعين وشهد بدراً وأُحُداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ.

وفيها تُوُفِّي أبو موسى الأَشْعَرِيّ؛ واسمه عبد الله بن قَيْس بن سُلَيم اليمانيّ، صاحب رسول الله ﷺ. قَدِمَ عليه مُسْلماً مع أصحاب السفينتين[6] واستعمله

= أول من اتخذها مروان بن الحكم، اتخذها من حجارة منقوشة، وجعل لها كُوىً، خوفاً على نفسه، وقيل: أول من اتخذها عثمان رضي الله عنه، خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر».

(١) كذا في الطبري وابن الأثير أيضاً. وفي تاريخ خليفة أن عزله كان في سنة ٤٥هـ. قال: «عزل معاوية ابن عامر عن البصرة وولّى الحارث بن عمرو الأزدي».

(٢) في الإصابة «بن خزمة بن عدي بن أبي غَنْم» وفي طبقات ابن سعد «بن خزمة بن عدي بن غَنْم».

(٣) في الإصابة «أبو بشر».

(٤) في الإصابة «إياس بن البكير».

(٥) الزيادة ضرورية لاستقامة المعنى، إذ إن رسول الله لم يذهب إلى الحبشة.

(٦) قدم المدينة بعد فتح خيبر، وصادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب فقدموا جميعاً (الإصابة: ترجمة ٤٨٨٩).

رسول الله ﷺ على زَبِيد وعَدَن، ثم وَلِيَ الكوفة والبصرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ومات[1] في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبع واحد.

(١) في سنة وفاته أقوال كثيرة مختلفة. قال العسقلاني: «قال البغوي: بلغني أن أبا موسى مات سنة ٤٢هـ وقيل سنة ٤٤هـ. قلت: بالأول جزم ابن نمير وغيره، وبالثاني أبو نعيم وغيره. وقال الهيثم وغيره مات سنة خمسين. وزاد خليفة ويقال سنة إحدى وخمسين. وقال المدايني: سنة ٥٣هـ».

ذكر ولاية عُقْبَة بن عامر على مصر(١)

هو عُقْبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو بن عديّ بن رفاعة بن مودوعة بن عديّ ابن غَنْم بن الرَّبْعة بن رَشْدان بن قيس بن جُهَينة الجُهَنيّ، أبو حَمّاد(٢) الصحابيّ. شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ثم وَلِيَها من قِبَل مُعاوية بن أبي سُفيان بعد مَوْت أخيه عُتْبة بن أبي سُفيان في سنة أربع وأربعين، وكان يخضِّب بالسَّوَاد.

قال صاحب البُغية: ودام بمصر إلى أن قدِم مَسْلَمة بن مُخَلَّد على مُعَاوية بدمشق، فولّاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عُقبة بن عامر، ثم سَيَّره إلى مصر. وأمر معاوية عقبة بغَزْو رُودِس ومعه مَسْلَمة بن مخلد المذكور، وخرجا إلى الإسكندرية ثم توجَّها في البحر. فلما سار عُقْبة استولَى مسلمة على سرير إمْرته، فبلغ ذلك عُقْبة بن عامر، وكان ذلك لعشرٍ بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين؛ وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر؛ وتولَّى مَسْلَمة. وآخر من رَوَى عن عُقْبة بمصر أبو قَبِيل(٣). انتهى.

وقال الحافظ شهاب الدين أحمد بن حَجَر في الإصابة: رَوَى عن النبيّ ﷺ [كثيراً](٤)، ورَوَى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين، منهم ابن عبّاس وأبو أُمامة وجُبَير بن نُفَير وبَعْجَة بن عبد الله الجُهَنِيّ وأبو إدريس الخَوْلاني وخَلْقٌ من أهل مصر.

---

(١) ولاة مصر: ٥٩، والخطط: ٣٠١/١، وحسن المحاضرة: ٧/٢، ومعجم زامباور: ٣٨ وكتب الصحابة.

(٢) ويكنَّى أيضاً أبا عبس، وقيل أبو لبيد، وأبو عمرو، وأبو أسيد، وأبو أسد، وأبو سعاد، وأبو عامر، وأبو الأسود، وأبو معاذ، وأبو عمار. (ولاة مصر: ٥٩ ــ حاشية).

(٣) هو أبو قبيل المعافري المصري: حيي بن ناظر. روى عن عقبة بن عامر وابن عمرو. وعنه عمرو بن الحارث والليث. كان له علم بالملاحم والفتن. مات سنة ١٢٨. (حسن المحاضرة: ١٦٣/١).

(٤) الزيادة من الإصابة: ترجمة ٥٥٩٤.

قال أبو سعيد بن يونس: كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، صحيحَ اللسان، شاعراً كاتباً؛ وهو آخر مَن جمع القرآن. قال: ورأيتُ مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره: كتبه عُقبة بن عامر بيده.

وفي صحيح مُسلم من طريق قَيْس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال: قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وأنا في غَنَم لي أرعاها فتركتُها ثم ذهبتُ إليه فقلتُ: بايِعْنِي، فبايَعَني على الهجرة. وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنَّسائِيّ. وشَهِد عقبة بن عامر الفتوح؛ وكان هو الرائد إلى عُمَر بفتح دِمَشْق. وشهد صِفِّين مع مُعَاوية وأَمَّره بعد ذلك على مصر.

وقال أبو عمر الكِنْديّ: جمع له مُعاوية في إمْرة مصر بين الخَرَاج والصَّلاة. فلمّا أراد عَزْله كتب إليه أن يَغْزو رُودِس، فلمّا توجَّه مسافراً استولَى مَسْلَمة، فبلغ عُقْبة فقال: أغُرْبةً وعَزْلاً! وذلك في سنة سبع وأربعين. ومات في خلافة معاوية على الصحيح.

وحكى أبو زُرْعة في تاريخه عن عَبَّاد بن بِشْر[١] قال: رأيتُ رجلاً يحدّث في خلافة عبد الملك فقلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: عقبة بن عامر الجُهَنِيّ. قال أبو زُرْعة: فذكرتُه لأحمد بن صالح، فقال: هذا غَلَطٌ، مات عقبة في خلافة مُعاوية. وكذلك أرّخه الواقديّ وغيره؛ زاد في آخرها: وأما قَول خليفة بن خَيّاط: قُتل في النَّهْرَوَان من أصحاب عليّ، أبو عمرو[٢] عُقْبة بن عامر الجُهَنِيّ فهو آخرُ، بدليل قول خليفة في تاريخه: في سنة ثمان وخمسين مات عقبة بن عامر الجهنيّ. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن حجر.

---

(١) في الإصابة: «عن عبادة بن نسيّ».

(٢) في الإصابة: «عامر بن عقبة بن عامر الجهني». وفي تاريخ خليفة بن خياط: ١٩٧ «أبو عامر عقبة بن عامر الجهني».

وقال صاحب كتاب «العقود الدرّية في الأمراء المصرية»[١]: توفي عقبة في سنة ثمان وخمسين بمصر، وقبره يزار بالقَرافة[٢].

وقال صاحب كتاب «مهذب الطالبين إلى قبور الصالحين»[٣]: عقبة بن عامر الجهنيّ من أعلام الصحابة معدود من خدّام النبيّ ﷺ، وكان يأخذ بزِمام بغلة رسول الله ﷺ ويقودها في الأسفار. وعدّد له رسول الله ﷺ فضلَ المُعَوِّذَتين[٤] وحثّه على قراءتهما؛ وهو أحد مَن شهد فتح مصر من الصحابة؛ ووَلِيَ مصر لمعاوية بن أبي سفيان بعد عُتبة بن أبي سفيان، ثم غزا في البحر سنة سبع وأربعين. وهو أوّل من نَشَر الرايات على السفن. فلما خرج إلى الغزو جاء كتاب معاوية بعَزْله وولاية مَسْلمة، فلم يظهر مسلمة ولايته، فقال عُقبة: ما لي أرى الأمر أبطأ عليّ؟ قالوا: ولّى مَسْلمة بن مُخَلَّد، قال عقبة: ما أنصفنا معاوية! عَزَلنا وغرَّبنا.

قال: ولأهل مصر فيه آعتقاد عظيم، ولهم عنه نحو مائة حديث. وقد ذكر ابن عبد الحَكَم أحاديثه[٥] التي رواها عنه أهل مصر.

الحديث الأول ــ منها: «مَن توضَّأ فأحسنَ وضوءَه ثم صلّى [صلاةً][٦] غير ساهٍ ولا لاهٍ كُفِّر عنه ما كان قَبْلها من سَيِّئاته[٧]».

الحديث الثاني ــ قال عقبة: سمعتُ النبـي صلى الله عليه وسلم يقول: «تعجّب[٨] ربّك من شابٍّ ليس له صَبْوة».

---

(١) لجمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الجزّار المصري المتوفى سنة ٦٧٩هـ. (إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي: ص ١١٣).

(٢) هي مقبرة أهل مصر القاهرة. (انظر المقريزي: ٤٤٣/٢).

(٣) لم نهتد إلى اسم صاحب هذا الكتاب.

(٤) المعوِّذتان: هما سورتا الفَلَق والناس من التنزيل العزيز.

(٥) قال ابن عبد الحكم: ولهم عنه، عن رسول الله (ص) شبيه بمائة حديث. (انظر فتوح مصر: ٢٨٧ ــ ٢٩٤).

(٦) الزيادة من ابن عبد الحكم.

(٧) في ابن عبد الحكم: «ما كان قبلها من سيّئة».

(٨) في لسان العرب: مادة: عجب «عجب ربك إلخ» وهذا الحديث لم يورده ابن عبد الحكم في الطبعة التي بين أيدينا: طبعة ليدن بمطبعة بريل.

الحديث الثالث ــ قال عُقْبة: كنتُ آخذُ بزمام بغلة رسول الله ﷺ في بعض غاب المدينة، فقال لي: «يا عُقْبة أَلَا تركب» فأشفقتُ أن تكون مَعْصية، فنزل رسول الله ﷺ وركبتُ هُنَيهة، ثم ركب فقال: «أَلا أُعلّمك سُورتين» فقلتُ: بلى يا رسول الله، قال: فاقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم أقيمت الصلاة فتقدّم وصلّى بهما وقال: «اقرأهما كلّما نِمْتَ وقمتَ»[1].

ثم قال: وليس في الجبّانة قبر صحابيّ مقطوعٌ به إلا قبر عُقْبة، فإنه زاره الخَلَف عن السَّلَف.

وقال الشيخ الموفّق[2] بن عثمان في تاريخه «المرشد» ناقلاً عن حَرْملة من أصحاب الشافعيّ: إن البقعة التي دُفن فيها عُقبة المذكور بها أيضاً قبر عمرو بن العاص وقبر أبي بَصْرة[3] الصحابيّين، تحويهم القبّة التي هدمها صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم بناها البناء المعهود الآن. ورُئِيَ بعضُ الأمراء في النوم ممّن جاوره، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمجاورة عقبة. ورُوِيَ له من البركات روايات كثيرة: منها أنّ رجلاً أُسِر له ولد فأتى قبرَ عقبة ودعا الله عزّ وجل فقام من عند قبره فلقيَ ابنَه في الطريق. انتهى كلام صاحب «مهذّب الطالبين».

---

(١) هذا الحديث ورد في فتوح مصر بصورة مختلفة عما هو هنا. وورد في ولاة مصر للكندي بصورة ثالثة. والذي يبدو لنا أن أبا المحاسن جمع حديثين برواية واحدة. (قارن بابن عبد الحكم: ٢٩٤، والكندي: ٦٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن مكي بن عثمان، أبو محمد، موفق الدين بن أبي الحرم الشارعي: عارف بالآثار، مصري. وكتابه المذكور هنا هو: «الدرّ المنظم في زيارة الجبل المقطّم» ويسمى أيضاً: «مرشد الزوّار إلى قبور الأبرار» ــ موجود بخطه في المكتبة الأزهرية بتاريخ سنة ٨٣٨هـ وهي سنة وفاته. (الأعلام: ٣/٣٣٩؛ وإيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي: ص ٤٦٦ ــ وفيه أنه عبد الرحمن بن مكي بن أحمد).

(٣) في المقريزي: ٢/٤٤٣ «أبو بصيرة». والصواب ما ورد هنا، وهو على صورة ما أورده ابن عبد الحكم. وأبو بصرة هذا هو حُميل بن بصرة الغفاري. قال ابن عبد الحكم: وقبر فيها ممن عرف من الصحابة خمسة نفر هم: عمرو بن العاص السهمي، وعبد الله بن حذافة السهمي، وعبد الله بن جزء الزبيدي، وأبو بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر الجهني. ويقال: ومسلمة بن مخلد الأنصاري. (فتوح مصر: ١٥٧).

السنة الأولى من ولاية عقبة بن عامر الجهنيّ على مصر

وهي سنة خمس وأربعين:

فيها غزا معاوية بن حُدَيْج إفريقية من بلاد المغرب[١].

وفيها سار عبد الله بن سَوّار العَبْديّ فافتتح القِيقَان[٢] وغنم وسلم وعاد.

وفيها عُزل عبد الله بن عامر عن البصرة، فاستعمل عليها معاوية الحارثَ بن عمرو[٣] الأَزْدي ثم عُزل عن قريب وولّى عليها زياد ابن أبيه، فبادر زياد وقتل سَهْم بن غالب [الهجيمي][٤] الذي كان خرج في أوّل الأمر على معاوية وصلبه.

وفيها توفّيت أمّ المؤمنين حَفْصة بنت عمر بن الخطاب زوجة رسول الله ﷺ؛ وأمّها زينب بنت مَظْعُون أخت عثمان بن مظعون. قال ابن سعد بإسناده: وُلدت حفصة وقريش تَبْني البيت قبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين. وذكر الذهبيّ وفاتها في سنة إحدى وأربعين وتابعه جماعة على ذلك.

وفيها تُوفّي زَيْد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد الأنصاريّ الصحابيّ؛ وهو من الطبقة الثالثة من الأنصار؛ كنيته أبو سعيد وقيل أبو خارجة. قال الإمام أحمد بن حنبل: حدّثنا وكيع عن سُفْيان عن خالد الحَذّاء عن أبي قِلابة عن أَنَس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أُمّتي أبو بكر، وأشدُّها في دين الله عُمَر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمها بالفرائض زيدُ بن ثابت». قلت: وهو من كتّاب الوحي والقرّاء.

وفيها توفّي سَلَمة بن سلامة [بن وَقْش][٥] وكنيته أبو عوف؛ وقيل أبو ثابت.

---

(١) فنزل جبلاً فأصابته أمطار فسمي جبل المطور (تاريخ خليفة بن خياط).

(٢) من بلاد السند. قال خليفة: وقاد منها خيلاً. قال: وأصل البراذين القيقانية من نسل تلك الخيل (تاريخ خليفة: ٢٠٧).

(٣) كذا في تاريخ خليفة بن خياط. وفي الطبري وابن الأثير وابن كثير: «الحارث بن عبد الله الأزدي».

(٤) الزيادة من خليفة بن خياط.

(٥) الزيادة من التواريخ العامة المعروفة التي رجعنا إليها.

وهو من الطبقة الأولى من الأنصار؛ صحابيّ مشهور؛ شهد العَقَبَتَيْن وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وفيها تُوفّي سَهْل بن عمرو بن زيد بن جُشَم الأنصاريّ؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من الصحابة ممن شهد أُحُداً[١] والخندق وما بعدهما مع رسول الله ﷺ.

وفيها تُوفّي عاصم بن عَدِيّ؛ وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيته أبو عمرو[٢] وقيل أبو عبد الله، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ من بدر إلى قُباء.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع. (وقال صاحب دُرَر التّيجان: وسبعة عشر إصبعاً). مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع.

السنة الثانية من ولاية عُقبة بن عامر الجهنيّ على مصر

وهي سنة ست وأربعين:

فيها عزل الخليفةُ معاويةُ عبدَ الرحمن بن سَمُرة عن سِجِسْتان وولّاها الربيع بن زياد الحارثيّ، فخاف التُّرك وجمع مَلِكهم «كابُل شاه» الجموعَ وزحف على المسلمين فنزح المسلمون عن مدينة كابُل، ثم لقِيهم الربيع هذا وقاتلهم (أعني الترك) فهزمهم الله تعالى؛ وساق وراءهم المسلمين إلى الرُّخَّج، وغنموا منهم شيئاً كثيراً[٣]. وشتّى المسلمون بأرض الروم في هذه السنة.

وفيها توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمّا رجع من بلاد الروم إلى

(١) في بعض النسخ: «بدراً». وما جاء هنا يوافق رواية الإصابة: ترجمة ٣٥٣٧. وفيها أنه: سهل بن عمرو بن عديّ بن زيد. . .

(٢) في طبقات ابن سعد «أبو بكر».

(٣) قارن برواية خليفة بن خياط: ص ٢٠٨.

حِمْص؛ وكان قد شتّى بالروم وفتح حصوناً كثيرة، فسقاه ابن أُثال[١] النصرانيّ شرْبة مسمومة فمات منها. وهو ممن أدرك رسول الله ﷺ وقيل إنه مات في سنة[٢] تسع وأربعين.

وفيها توفي هِرَم بن حَيّان العبدي[٣] البصريّ. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من الفقهاء المحدّثين والزهّاد من أهل البصرة. وهو أحد الزهاد الثمانية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة[٤] أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وتسعة أصابع. وفي الدرر[٥]: ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية عُقبة بن عامر الجهنيّ على مصر

وهي سنة سبع وأربعين:

فيها عُزل عقبة المذكور عن مصر.

وفيها سار رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري من طرابُلس الغرب ودخل إفريقية ثم عاد من سنته.

وفيها غزا عبد الله بن سَوّار العبديّ القيقان أيضاً، فجمع له الترك وٱلتَقَوْا معه فاستُشهد عبد الله وسائر مَن كان معه من الجيوش[٦].

---

(١) في الأصول «ابن أتابك». وما اثبتناه من الطبري والإصابة وابن الأثير. وابن أثال هذا كان طبيباً نصرانياً، وقد قتله المهاجر بن خالد بن الوليد أخو عبد الرحمن.

(٢) وفي الإصابة عن خليفة وأبي عبيد ويعقوب بن سفيان أنه مات سنة ست وأربعين.

(٣) في الأصول «الأزدي». وما أثبتناه يوافق رواية خليفة والطبري وابن الأثير وابن سعد.

(٤) وفي بعض النسخ: «ستة».

(٥) أي «درر التيجان وغرر تواريخ الزمان» لأبي عبد الله الدواداني.

(٦) قارن بخليفة بن خياط: ٢٠٨ وياقوت في معجم البلدان: ٤/٤٢٣.

وفيها شتّى مالك بن هُبَيرة بأرض الروم.

وفيها أقام الموسم عَنْبسة[1] بـن أبـي سفيان.

وفيها تُوفّي قيس بن عاصم بن سِنان؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة في الصحابة ممن أسلم من العرب ورجـع إلى بلاد قومه؛ وكنيته أبو علي وقيـل أبو قبيصة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً. وفي درر التيجان: وثلاثة وعشرون إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابـع.

(١) وفي بعض الروايات: أخوه عتبة. (ابن كثير: ٨/٣٣).

ذكر ولاية مَسْلَمة بن مُخَلَّد على مصر(١)

هو مَسْلَمَة بن مُخلَّد بن صامت بن نِيار بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زَيد بن ثَعْلبة ابن الخَزْرَج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة، أبو معن وقيل أبو سعيد، الصحابيّ الأنصاريّ (ومسلمة بفتح الميم وسكون السين المهملة، ومخلد بضم الميم وتشديد اللام). ولاّه معاوية بن أبي سفيان مصر بعد عَزْل عُقبة بن عامر الجُهَنِيّ في سنة سبع وأربعين حسبما تقدّم ذكره في آخر ترجمة عُقبة، وجمع له معاوية الصلاة والخَرَاج وبلاد المغرب. فلمّا ولي مسلمة مصر انتظمت غَزَوَاته في البر والبحر: منها غزوة القسطنطينية الآتي ذكرها، ولم يحضرها غير أنه حسّن لمعاوية غزوها. وفي أيام ولايته على مصر نزلت الرُّوم البُرُلُّس(٢) في سنة ثلاث وخمسين فاستُشهد في الوقعة وَرْدَان مولى عمرو بن العاص في جَمْع من المسلمين(٣). وفي إمرته لمصر أيضاً هدم ما كان عمرو بن العاص بناه [في سنة ثلاث وخمسين](٤) من المسجد بمصر وبناه هو وأمر ببناء مَنار المسجد؛ وهو أوّل مَن أحدث المنار بالمساجد والجوامع(٥).

وخرج مسلمة إلى الاسكندرية في سنة ستين وآستخلف على مصر عابس بن

(١) ولاة مصر: ٦١، والخطط: ٣٠١/١، وحسن المحاضرة: ٧/٢، ومعجم زامباور: ٣٨، وغيرها من كتب الصحابة.

(٢) وتضبط أيضاً بفتح الباء والراء وضم اللام وتشديدها. وهي بلدة على شاطىء النيل قرب البحر من جهة الإسكندرية.

(٣) واستشهد فيها أيضاً عائذ بن ثعلبة البلوي، وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمي. (ولاة مصر للكندي: ٦١).

(٤) الزيادة من الكندي.

(٥) وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم في الليل في وقت واحد، فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر، فإذا فرغوا من أذانهم أذّن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد. فكان الأمر على ذلك إلى دخول المسوّدة ـ أي العباسيين لشعارهم الأسود. (المرجع السابق).

سعيد، فجاءه الخبر بموت معاوية بن أبي سفيان في شهر رجب منها وآستخلاف يزيد بن معاوية بعد أبيه؛ وكتب إليه يزيد بن معاوية وأقرّه على عمل مصر، وكتب إليه أيضاً بأخذ البَيْعة له؛ فندب مسلمة عابساً وكتب إليه من الإسكندرية بذلك؛ فطلب عابس أهل مصر وبايع ليزيد فبايعه الجُنْد والناس إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه، فحينئذ بايع عبد الله بن عمرو ليزيد على كُرْه منه. ثم قدم مسلمة من الإسكندرية فجمع لعابس مع الشرطة القضاء في أوّل سنة إحدى وستين.

وقال الذهبيّ: مسلمة بن مخلَّد الأنصاريّ له صُحبة ورواية؛ وحدّث عنه شَيبان بن أميّة وعُلَيّ بن رَبَاح ومُجاهد وعبد الرحمن بن شُماسة وغيرهم، قال: وُلدتُ حين قدم النبي ﷺ المدينة؛ وقد وُلّي ديارَ مصر لمعاوية. انتهى كلام الذهبيّ.

وقال ابن عبد الحَكَم: مسلمة بن مخلَّد الأنصاري لهم عنه حديث واحد ليس [لهم][1] عنه غيره، وهو حديث موسى بن عُلَيّ عن أبيه أنه سمعه يقول وهو على المنبر: تُوفّي رسول الله ﷺ وأنا آبن عشر سنين. لم يروِ عنه غير أهل مصر؛ وأهل البصرة لهم عنه حديث واحد، وهو حديث أبي هلال الراسِبِي قال: حدّثنا جَبَلة ابن عَطيّة عن مسلمة بن مخلَّد أنه رأى معاوية يأكل، فقال لعمرو بن العاص: إن آبنَ عمّك لَمخْضَد، ثم قال: أمَا إني أقول هذا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ عَلِّمْه الكتاب ومَكِّن له في البلاد وَوَقِهِ العذاب». وربما أدخل بعض المحدّثين بين جَبَلة بن عطيّة وبين مسلمة رجلاً.

وقد وَلِيَ مسلمة بن مخلَّد مصر؛ وهو أوّلَ من جُمع له مصر والمغرب، وتُوفّي سنة اثنتين وستين؛ وكان يكنى أبا سعيد. انتهى كلام ابن عبد الحكم. وكان مَسلمة كثير العبادة.

قلت: وأما غزوة القسطنطينية التي وعدنا بذكرها فإنها كانت في سنة تسع

(١) الزيادة من فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص ٢٧٦.

وأربعين[(١)]؛ وكان مسلمة هذا حرَّض معاوية عليها، فأرسل إليها معاوية جيشاً كثيفاً وأمّر عليهم سفيان بن عَوْف وأمر ابنَه يزيد بالغَزاة معهم، فتثاقل يزيد وآعتذر، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جُوع ومرض شديد؛ فأنشد يزيد يقول: [البسيط]

مـا إن أُبالي بمـا لاقتْ جموعهُمُ بالغَذْقَذُونة[(٢)] من حُمَّى ومن مُوم[(٣)]
إذا آتكـأت على الأنماط مـرتفقاً بـدَيْر مُـرَّانَ[(٤)] عندي أمُّ كُلثـوم

ـ وأمّ كلثوم آمرأته وهي ابنة عبد الله بن عامر ـ فبلغ معاويةَ شعره فأقسم عليه ليلحقنّ بسفيان بأرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كبير. وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وآبن عمرو وآبن الزُّبير وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهم[(٥)]، فأوغلوا في بلاد الروم [حتى بلغوا القسطنطينية][(٦)]، فاقتتل المسلمون والروم وآشتدّ الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز[(٧)] يتعرّض للشهادة فلم يُقتَل. ثم حمل بعد ذلك عليهم وآنغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتّى قتلوه. فبلغ

---

(١) جعلها خليفة بن خياط في سنة خمسين.

(٢) في أصول النجوم والأغاني: «الفرقدونة» و«الغرقدونة». والرسم الذي أثبتناه يوافق ما أورده ياقوت في معجم البلدان: ٤/١٨٨. قال: ويقال له خذقذونة أيضاً. ـ والمراد بها جميعاً: خلقيدونية أو خلقدونة أو خلقدون. وهي مدينة إغريقية قديمة في آسيا الصغرى على ضفة البوسفور في مواجهة بيزنطة. والبيتان أوردهما صاحب الأغاني على النحو التالي:

إذا ارتفقت عـلى الأنمـاط مصـطبحـاً بـديـر مُـرَّان عـنـدي أم كـلثـوم
فـما أبـالي بما لاقـت جـنـودهـم بـالـغـذقـذونـة من حمّى ومن مـوم

(الأغاني: ١٧/٢١٠ ـ طبعة الهيئة المصرية). وفي معجم البلدان: «ببطن مُرّان».

(٣) الموم: هو البِرْسَام، التهاب يصيب الغشاء المحيط بالرئة. وقيل هي الحمّى مع البرسام.

(٤) وهو دير بالقرب من دمشق على تلّ مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة. وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة. وكان يقصده أهل اللهو من سراة المسلمين مثل دير مِدْيَان قرب بغداد. (انظر معجم البلدان: ٢/٥٣٣).

(٥) ذكرهم ابن الأثير: ٣/٣١٤ باستثناء ابن عمر. وزاد: وعبد العزيز بن زرارة الكلابي. أما الطبري: ٣/٢٠٦ وابن كثير: ٨/٣٤ فلم يذكرا ابن عمر. واقتصر خليفة على ذكر أبي أيوب الأنصاري.

(٦) الزيادة من ابن الأثير.

(٧) المراد: عبد العزيز بن زرارة الكلابي.

معاوية قتله فقال لأبيه: هلك والله فتى العرب! فقال أبوه لمعاوية: ابني أم ابنك؟ فقال: ابنك، فآجرك الله؛ فقال: [المتقارب]

فـإن يكنِ المـوتُ أودَى بـه وأصبح مُخُّ الكـلابيّ زِيرا
فكـلّ فتىً شـاربٌ كـأسَـه فـإمّـا صغيـراً وإمّـا كبيـرا

قال مُجاهد: صلّيتُ خَلْف مَسلمة بن مخلَّد، فقرأ سورة البقرة فما ترك أَلِفاً ولا واواً.

وقال ابن سعد في كتاب الطبقات الكبرى من تصنيفه: حدّثنا مَعْن بن عيسى، حدّثنا موسى بن عُلَيّ بن رَباح عن أبيه عن مَسلمة بن مخلَّد قال: أسلمتُ وأنا آبن أربع سنين، وتُوفّي رسول الله ﷺ وأنا ابن أربعة عشر سنة(١).

وقال محمد بن عمرو(٢): يَروي مَسلمة بن مخلَّد عن رسول الله ﷺ. ثم قال: وتحوّل إلى مصر ونزلها، وكان مع أهل خَرِبْتا، وكانوا(٣) أشدّ أهل المَغْرِب [وأَعَدّه](٤)، وكان له بها ذِكْر ونباهة؛ ثم صار إلى المدينة فمات بها في خلافة معاوية.

قلت: وهذا القول يخالف فيه الجمهور. والذي قاله المؤرخون: إنه آستمرّ على عمله حتى تُوفّي لخمس بقين من شهر رجب(٥) سنة اثنتين وستين. وكانت ولايته على مصر خمس عشرة سنة وأربعة أشهر. وتولّى مصر من بعده سعيد بن يزيد.

وقال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس على ما أخبرنا: شهد مسلمة

---

(١) قارن بالحديث السابق عن ابن عبد الحكم، وفيه: «وأنا ابن عشر سنين». قارن أيضاً بالإصابة: ترجمة ٧٩٨٣.

(٢) في طبقات ابن سعد «محمد بن عمر» وكذلك في الطبري. والمراد به: محمد بن عمر الواقدي.

(٣) في الأصول: «وكان». وما أثبتناه من طبقات ابن سعد.

(٤) الزيادة من طبقات ابن سعد.

(٥) كذا أيضاً في الكندي والمقريزي. وفي حسن المحاضرة للسيوطي: مات في خلافة يزيد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين.

فتـح مصر وآختطّ بها، ووَلِيَ الجُند لمعاوية بن أبـي سفيان ولابنه يزيد بن معاوية؛ ورَوَى عنه من أهل مصر: عُلَيّ بن رَبَاح وهشام بن أبـي رُقَيّة وأبو قَبيل وهلال بـن عبد الرحمن ومحمد بن كعب وغيرهم. تُوفّي بالإسكندرية سنة اثنتين وستين في ذي القعدة.

حدّثنا علي بن سعيد الرازي، حدّثنا عثمان بن أبـي شَيبة، أخبرنا وكيـع، حدّثنا موسى بـن عُلَيّ عن أبيه قال: سمعت مسلمة بن مخلّد يقول: وُلدتُ حين قدم النبـيّ ﷺ المدينة، وتُوفّي وأنا ابن عشر سنين. قال ابن يونس: هذا الحديث غريب، وقد رواه مَعْن بن عيسى وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهما عن موسى بـن عُلَيّ. انتهى كلام ابن يونس.

هذا ما وقـع لنا من أخبار مسلمة بن مخلّد المذكور؛ ويأتي ذكره أيضاً في سِنِي ولايته على مصر كما هي عادتنا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة ثمان وأربعين:

فيها كتب معاوية بن أبـي سفيان الخليفة إلى زياد لمّا بلغه قتلُ عبد الله بن سَوّار: أُنظر لي رجلاً يصلـح لثغر الهند أوجّهه إليه؛ فوجّه إليه زيادٌ سِنانَ بن سَلَمَة[1] [بن المحبِّق][2] الهُذَلي، فولّاه معاوية الهند.

وفيها عَزَل معاويةُ مَرْوانَ بن الحَكَم عن إمْرَة المدينة بسعيـد بن العاص الأُمَوي[3].

---

(١) كذا أيضاً في فتوح البلدان: ٥٣١ وخليفة بن خيـاط: ٢٠٩ وفي بعض النسـخ: «بن مسلمة» وهو خطأ.

(٢) الزيادة من المرجعين السابقين.

(٣) كان عزله بعد إقامته الحجّ، كما سيأتي.

وفيها قُتل بالهند عبد الله بن عيّاش بن أبـي ربيعة المخزومي.

وفيها تُوفّي الحارث بن قيس الجُعْفيّ الفقيه صاحب عبد الله بن مسعود، وقيل: إنه مات في غير هذه السنة.

وفيها كان مَشْتى عبد الرحمن القَيني[1] بأنطاكية.

وفيها كانت صائفة عبد الله بن قيس الفزاريّ.

وفيها كانت غَزْوة مالك بن هُبَيرة السَّكونيّ في البحر.

وفيها آستعمل زيادٌ غالبَ بن فَضالة الليثيَّ على خُرَاسان، وكانت له صُحْبة.

وفيها حـجّ بالناس مَرْوان بن الحكم، وهو يتوقَّـع العَزْل لمَوْجِدَةٍ كانت من معاوية عليه، وآرتجـع معاويةُ منه فَدَك وكان وهَبها له.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثانية من ولاية مَسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة تسـع وأربعين:

فيها شتّى مالك بن هُبَيرة بأرض الروم، وقيل: ما شتّى بها إلاّ فَضَالة بن عُبَيد الأنصاري.

وفيها حـجّ بالناس سعيد بن العاص.

(١) في الأصول: «العيني». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير وخليفة بن خياط؛ وفيه: وقال بعضهم ابن مكرز من بني عامر بن لؤي.

وفيها قتلَ زيادٌ بالبصرة الخطِيمَ(١) الباهليَّ الخارجـيّ.

وفيها خرج على المُغِيرة بن شُعْبة وهو والي الكوفـة شَبيبُ(٢) بن بَجَرة الأشجعي، وهو غير شَبيب الذي خرج على الحجاج بن يوسف، فوجّه إليه المغيرةُ كَثيرَ بن شِهاب الحارثيّ فقتله بأذربيجان. وكان شَبيب ممن شهد النهروان.

وفيها كانت غزوة فَضالة بن عُبيد جَرَبةَ(٣) وشتّى بها، وفُتحت على يده وأصاب فيها سبايا كثيرة.

وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَليّ.

وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرهاويّ بالبحر فشتّى بأهل الشام.

وفيها كانت غزوة عُقْبة بن نافـع في البحر فشتّى بأهل مصر.

وفيها عُزل مَرْوان عن المدينة بسعيد بن العاص في شهر ربيـع الأوّل، فكانت ولاية مروان ثماني سنين وشهرين. وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحارث بن نَوْفل فعزله سعيد حين وُلّيَ واستقضى أبا سَلمة بن عبد الرحمن.

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ، والأصحّ أنه في الآتية، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وإصبعان؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وستة أصابـع.

* * *

(١) هو أحد بني وائل، واسمه زياد بن مالك (خليفة بن خياط: ٢٠٩).

(٢) قارن برواية خليفة: ٢٠٩. وشبيب بن بجَرَة هذا هو الذي اشترك مـع عبد الرحمن بن مُلجم في مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ضربه بالسيف أولاً ثم تلاه ابن ملجم. وأكثر المؤرخين على أن شبيباً هرب في غمار الناس بعد جرحه أمير المؤمنين واختفى أثره. (انظر ابن الأثير: أحداث سنة ٤٠هـ ــ والأعلام: ١٥٦/٢ ــ وأعيان الشيعة: م ٥٣١/١).

(٣) في الأصول «حرّة» بالراء المهملة. وفي ابن الأثير «حزة» بالزاي المعجمة. وما أثبتناه من الطبري، ولعله الأصحّ. قارن أيضاً بمعجم البلدان: ١١٨/٢.

السنة الثالثة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة خمسين من الهجرة:

فيها وجّه زيادٌ الربيعَ [بن زياد][(١)] الحارثيَّ إلى خُرَاسان فغزا بَلْخَ وكانت قد انتقضَتْ بعد رَوَاح الأحنف بن قيس عنها فصالحوا الربيع هذا ورحل عنها وغزا قُوهسْتان فافتتحها عَنْوة[(٢)].

وفيها أراد معاوية نقل مِنبر النبيّ ﷺ من المدينة وأن يُحمل إلى الشام، وقال: لا يُترك هو وعصا النبيّ ﷺ بالمدينة وهم قَتَلَةُ عثمان. فطلب العصا وهي عند سَعْد القَرَظ. وحُرِّك المنبر فكُسِفت الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً، فأَعظَم الناس ذلك فتركه. وقيل: بل أتاه جابر وأبو هُرَيرة فقالا له: يا أمير المؤمنين، لا يصلح أن يخرج منبر النبي ﷺ من موضع وضعه وتنقل عصاه إلى الشام، فآنقُلِ المسجد؛ فتركه معاوية وزاد فيه ستّ دَرَجات وآعتذر مما صنع[(٣)].

وفيها آفتتح معاوية بن حُدَيج (بضم الحاء المهملة مصغّراً) فتحاً كبيراً بالمغرب؛ وكان قد جاءه عبد الملك بن مروان في مَدَد أهل المدينة. وهذه أوّل غَزْوة لعبد الملك بن مروان[(٤)].

وفيها وَلّى معاوية زياداً البصرة والكوفة[(٥)] معاً بعد موت المُغِيرة بن شُعْبة، فعزل زيادٌ الربيعَ عن سِجِسْتان وولّاها لعُبَيد الله بن أبي بَكْرة.

وفيها غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية وكان معه فيها وجوه الناس. وممن كان معه أبو أيوب الأنصاريّ وقد ذكرناها (أعني هذه الغزوة في أصل الترجمة).

---

(١) الزيادة من تاريخ خليفة بن خياط.

(٢) ينقل أبو المحاسن هنا عن خليفة: ٢١١.

(٣) قارن بالطبري: ٢٠٩/٣، وابن الأثير: ٣١٩/٣، وابن كثير: ٤٦/٨ والمسعودي: ٣٥/٣.

(٤) ما جاء في هذه الفقرة يوافق رواية خليفة بن خياط: ٢١٠ وفيه أنه تمَّ في هذه الغزوة فتح جلولاء المغرب. أما ابن عبد الحكم في فتوح مصر فيذكر أن هذه الغزوة كانت سنة أربع وثلاثين ــ انظر فتوح مصر: ١٩٣ ــ ١٩٤.

(٥) كان زياد أول من جمع له الكوفة والبصرة (الطبري وابن الاثير والمسعودي).

وفيه[١] توفي السيد الحسن بن عليّ بـن أبـي طالب رضي الله عنه؛ وكنيته أبو محمد الهاشميّ، القرشي، السيد ابن السيد ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وُلد في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل في نصف شهر رمضان منها، قاله الواقديّ. وكان ريحانة النبـيّ ﷺ وشبيهاً به. وَلِيَ الخلافة بعد موت أبيه عليّ بن أبـي طالب في شهر رمضان سنة أربعين؛ وآجتمـع عليه المسلمون وأحبّوه حبّاً شديداً وألزموه حرب معاوية، فسار على كُرْهٍ منه. فلّما كان في بعض الطريق آختلف عليه بعض أصحابه فضاق صدره. ثم أرسل إلى معاوية يسأله الصلـح ويُسَلِّم له الأمر، فوقـع ذلك وشقَّ على أصحابه وكادت نفوسهم تذهب. ودخل عليه سفيان أحد أصحابه وقال له: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين؛ فقال الحسن: لا تَقُل ذلك، إني كَرِهت أن أقتلكم في طلب المُلْك.

قال الحافظ الذهبـي، قال أبـو بَكْرة: رأيتُ رسـول الله ﷺ على المنبر والحسن بن عليّ إلى جنبه وهو يقول: «إنّ آبني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلـح به بين فئتين من المسلمين» أخرجه البخاري.

وعن أبـي سعيد الخُدْرِي قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» صحّحه الترمذيّ.

قلت: ومناقب الحسن كثيرة يضيق هذا المحلّ عن ذكرها. وكانت وفاته بالمدينة في شهر ربيـع الأوّل ودُفن بالبَقِيـع رضي الله عنه.

وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين صَفِيّة بنت حُيَـيّ بن أخْطب بن شُعْبَة[٢] من سِبْط لاوِي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ثم من ولد هارون أخـي

(١) في ابن الأثير وخليفة: سنة تسع وأربعين. وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء سنة تسـع وأربعين، وفي تاريخ الإسلام سنة خمسين. وذكـر البلاذري في أنسـاب الأشراف: ٦٤/٣ ثـلاث سنين: ٤٩ و٥٠ و٥١، ولم يرجّـح سنة منهنّ.

(٢) كذا أيضاً في الإصابة: ترجمة ٦٤٧. وفي بعض النسـخ: «شعية» بالمثناة. وفي الطبري: ٢١٣/٢ وطبقات ابن سعد: «سَعْيَة» بالسين المهملة.

موسى عليهما السلام؛ سباها النبيّ ﷺ يوم خَيْبر، وجعل عِتْقها صداقها وتزوّجها. وماتت في هذه السنة وقيل في سنة ستّ وثلاثين، والأوّل أشهر.

وفيها كانت بناية مدينة القَيْرَوَان[١] بالمغرب.

وفيها كان الطاعون العظيم بالكوفة وأميرها المُغيرة بن شُعْبة، ومات فيه بعد أن فرّ منه. وهذا الطاعون رابع طاعون مشهور وقع في الإسلام؛ فإن الأوّل كان بالمدائن في عهد النبيّ ﷺ؛ والثاني طاعون عَمَوَاس[٢] في زمان عُمَر رضي الله عنه؛ والثالث بالكوفة وأميرها أبو موسى الأشعريّ؛ ثم هذا الطاعون أيضاً بالكوفة.

وفيها تُوفّي المغيرة بن شُعْبة بن أبي عامر بن مسعود، أبو عيسى ويقال أبو محمد؛ صحابيّ مشهور، وكان من دُهَاة العرب، يقال له: مُغِيرة الرأي؛ وكان كثير الزواج. قال المغيرة: تزوّجت بسبعين امرأة. وقال مالك: كان المغيرة نكّاحاً للنساء، ويقول: صاحب المرأة إن مَرِضَتْ مَرِض وإن حاضتْ حاض؛ وصاحب المرأتين بين نارَيْن تُشْعلان. وقال ابن المبارك: كان تحت المغيرة أربع نسوة فصفّهنّ بين يديه وقال: أنتنّ حِسان الأخلاق، طَويلات الأعناق، ولكنّي رَجُلٌ مِطْلاق، فأنتنّ للطلاق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وستة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

* * *

(١) انظر خبر بناء مدينة القيروان في الطبري: ٣/٢١٠، وابن الأثير: ٣/٣٢٠، وخليفة: ٢١٠، وابن عبد الحكم: ١٩٦، والروض المعطار للحميري: ٤٨٦، ومعجم البلدان: ٤/٤٢٠.

(٢) عمواس: رواه الزمخشري بكسر أوله وسكون الثاني. ورواه غيره بفتح أوله وثانيه. وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس. (معجم البلدان: ٤/١٥٧). وعمواس: قرية تقع جنوب شرق الرملة في فلسطين، وهي على طريق رام الله ــ الرملة ــ يافا، وطريق رام الله ــ غزة. وتبعد عن يافا مسافة ٢٨ كلم. (الموسوعة الفلسطينية: ٣/٣٣٧).

السنة الرابعة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة إحدى وخمسين من الهجرة:
فيها حج بالناس معاوية وأخذهم ببيعة ابنه يزيد[١].

وفيها كانت مَقْتلة حُجْر بن عديّ وعمرو بن الحَمِق وأصحابهما. قال ابن الأثير في تاريخه الكامل قال الحسن [البَصْريّ][٢]: أربعُ خصال كنّ في معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت مُوبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسيف حتّى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، وآستخلافه آبنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبَس الحرير ويضرب بالطنابير، وآدّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحَجَر»، وقتله حُجْراً وأصحابَ حُجْر، فيا ويلاه[٣] من حُجْر! ويا ويلاه[٣] من أصحاب حُجْر!!

وفيها توفي سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العزّى، أبو الأعور القُرَشيّ العدويّ الصحابيّ[٤]، أحد العشرة[٥] المشهود لهم بالجنة. كان أميراً على رَبْع[٦] المهاجرين، ووَليَ دمشق نيابة عن أبي عُبَيدة بن الجراح وشهد فتحها، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها بعد بدر. وقال الواقديّ: تُوفّي سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقبره بالمدينة ونزل في قبره سعد وآبن عُمَر؛ وكان رجلا آدَم[٧] طويلاً أشعرَ.

وفيها تُوفّي أبو أيّوب الأنصاريّ، خالد بن زَيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد عَوْف[٨] بن غَنْم بن مالك بن النجّار، الخَزْرَجيّ النجّاريّ المدنيّ الصحابيّ؛

(١) انظر رواية ذلك في تاريخ خليفة: ٢١٣ ــ ٢١٨؛ وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٦.
(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير: ٣/٣٣٧. (٣) في ابن الأثير: «فيا ويلًا له».
(٤) انظر الإصابة: ترجمة ٣٢٥٤.
(٥) العشرة المبشرون بالجنة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجرّاح.
(٦) في نسخة «ربع» بالباء الموحدة، وفي أخرى بالإهمال الكامل لحروفها. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب.
(٧) أي شديد السُّمرة.
(٨) كذا أيضاً في الإصابة. وفي طبقات ابن سعد «عبد بن عوف».

شهد بدراً والعَقَبة؛ وعليه نزل رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة فبقي في داره شهراً حتى بُنيت حُجْرته ومسجده؛ وكان من نُجَباء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين مَيْمونة بنت الحارث الهلالية؛ تزوّجها رسول الله ﷺ سنة سبع من الهجرة؛ وروى عنها مَوْلياها عطاء وسليمان ابنا يسار، وآبن أختها يزيد بن الأصم، وآبن أختها عبد الله بن عباس، وآبن أختها عبد الله بن شدّاد بن الهاد، وجماعة أُخَر؛ وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رُهْم(1)] بن عبد العزّى العامريّ فتأيّمت منه، فخطبها رسول الله ﷺ فجعلت أمرها إلى العبّاس فزوّجها منه، وبَنَى بها بسَرِف بطريق مكة لمّا رجع من عُمرة القَضَاء؛ وهي أخت لُبابة الكبرى زوجة العبَّاس ولُبابة الصغرى أمّ خالد بن الوليد، وأخت أسماء بنت عُمَيس لأمّها، وأخت زينب بنت خُزَيمة أيضاً لأمّها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة أصابع؛ مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً. وفي درر التيجان: وستة وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية مَسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة اثنتين وخمسين:

فيها شتّى بُسْر بن أبي أرطاة بأرض الروم (وهو بضم الموحّدة وسكون السين المهملة).

وفيها حجّ بالناس سعيد بن العاص.

وفيها تُوفّي أبو أيّوب الأنصاري، وآسمه خالد بن زيد في قول ابن الأثير. كان

(١) في الطبري: «كانت عند عمير بن عمرو». وفي هذا الاسم روايات أخرى مختلفة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات: ٢/٣٥٥، والمعارف لابن قتيبة: ٨٢، والإصابة: ترجمة ١٠٢١ ــ كتاب النساء.

من نُجَباء الصحابة. شهد العقبة وبدراً وأُحُداً؛ وقد تقدّم ذكره ووفاته في سنة تسع وأربعين[١].

وفيها تُوفي كعب بن عُجْرة وله خمس وسبعون سنة[٢].

وفيها صَالَحَ عُبيدُ الله بن أبي بَكْرة الثقفيّ رُتْبيل [على كابُل][٣] وبلاده على ألف ألف[٤] درهم.

وفيها وُلد يزيد بن أبي حبيب فقيه أهل مصر.

وفيها تُوفّي عِمْران بن الحُصَين بن عُبَيد بن خلف، أبو نُجَيد (بضم النون مصغراً)، الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ. وَلِيَ قضاء البصرة؛ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثه إليهم ليفقّههم.

وفيها توفّي معاوية بن حُدَيج التُّجِيبي الكنديّ، وقد تقدّم من أخباره نبذ كثيرة فيما تقدّم. وهو من كبار العثمانية وممن كان بخَرِبْتَا، وحارب جيش عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقَتَل محمد بن أبي بكر الصدّيق؛ وكان من أنياب العرب وكبارها.

وفيها[٥] خرج زِيَاد بن خِرَاش العِجْليّ في ثلاثمائة فارس فأتى أرض مَسْكِن من السواد، فسيّر إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حُذَيفة أو غيره، فقتلوهم وقد صاروا إلى «ماه». وخرج أيضاً على زياد رجل من طيّىء يقال له مُعاذ، فأتى نهر عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم في ثلاثين رجلاً، فبعث إليه مَنْ قتله وقتل أصحابه، وقيل بل حلّ لواءه وآستأمن؛ ويقال لهم: أصحاب نهر عبد الرحمن.

---

(١) أي في أخبار سنة ٤٩هـ من الكامل لابن الأثير. وأبو المحاسن هنا ــ كعادته ــ ينقل الروايات المختلفة للوفاة الواحدة عن الحوليات المعروفة دون تمحيص، وإن كان في بعض الأحيان يرجّح إحدى الروايات على الأخرى.

(٢) ينقل أيضاً عن ابن الأثير. وفي خليفة: سنة ٥١هـ.

(٣) الزيادة من خليفة بن خياط: ٢١٨.

(٤) في فتوح البلدان للبلاذري: ٤٨٩ «على ألف ألف ومائتي ألف».

(٥) هذه الفقرة ينقلها أبو المحاسن عن ابن الأثير: ٣/٣٤٠.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثلاثة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية مَسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة ثلاث وخمسين:

فيها آستعمل معاويةُ على الكوفة الضحّاك بن قيس الفِهْرِيّ بعد موت زياد ابن أبيه، وآستعمل على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب، وعَزَل عُبَيد الله بن أبي بَكْرة عن سِجِسْتان وولّاها لعبّاد بن زياد ابن أبيه، فغزا عبّاد المذكور قُنْدُهار حتى بلغ بيت الذهب، فجمع له الهندُ جمعاً هائلاً، فقاتلهم عبّاد حتى هزمهم. ولم يزل على إمْرَة سجستان حتى تُوفّي معاوية بن أبي سفيان.

وفيها تُوفّي عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق في نَوْمة نامها؛ وآسم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان التيميّ القُرَشيّ الصحابيّ؛ مات بمكة وكان شجاعاً رامياً؛ أسلم قبل الفتح.

وفيها تُوفّي عمرو بن حَزْم الخزرجي الصحابيّ؛ استعمله النبيّ ﷺ على نَجْران، وكان من نُجَباء[١] الصحابة.

وفيها شتّى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم بأرض الروم.

وفيها أقام الموسمَ سعيدُ بن العاص.

وفيها أَمَّر معاويةُ على خُرَاسان عُبَيدَ الله بن زياد.

وفيها قُتل عابد بن ثعلبة البَلَوِيّ أحد الصحابة. قتله الروم بالبُرُلُّس.

---

(١) في بعض النسخ «من كبار الصحابة».

وفيها فُتحت رُودِس (جزيرة في البحر) فتحها جُنَادة بن أبـي أميّة الأَزْديّ ونزلها المسلمون وهم على حَذَر من الروم، وكانوا أشدّ شيء على الروم يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم، وكان معاوية يَدِرّ لهم العطاء، وكان العدوّ قد خافهم، فلمّا مات معاوية أقفلهم آبنه يزيد(١).

وفيها تُوفّي زياد ابن أبيه؛ كان وَلِيَ الكوفةَ والبصرةَ والعراقَ لمعاوية؛ وكان من دُهَاته؛ وقال مِسكين الدارميّ(٢) يرثيه بقوله: [الوافر]

رأيتُ زِيـادَةَ الإسـلام وَلَّتْ جِهـاراً حِيـنَ وَدَّعـنـا زيـادُ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة عشر إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابـع.

* * *

السنة السابعة من ولاية مَسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة أربـع وخمسين:

فيها عَزَل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن إمرة المدينة وولّاها لمروان بن الحَكَم ثانية.

وفيها غزا عُبَيد الله بن زياد [خراسان](٣) وقطـع النهر وعدّى إلى بُخَارا على الإبل، فكان أوّل عربـيّ قطـع النهر [إلى بُخَارا](٣)، وآفتتـح بها البلاد.

---

(١) هذه الفقرة عن ابن الاثير: ٣٤١/٣. وفي خليفة: ٢٢٧ أن غزوة جنادة لرودس كانت سنة ٥٩هـ. وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٢٧٨ «سنة اثنتين وخمسين».

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أُنيف الدارمي التميمي: شاعر عراقي من أشراف تميم وشجعانها. توفي سنة ٨٩هـ. لقب مسكيناً لأبيات قال فيها: «أنا مسكين لمن أنكرني». ومن متداول شعره:

أخاك أخاك، إن من لا أخـاً له كسـاعٍ إلى الهيجا بغيـر سـلاحِ

(الشعر والشعراء: ٢٧٤؛ والأعلام: ١٦/٣).

(٣) الزيادة عن خليفة بن خياط: ٢٢٢.

وفيها وجّه الضحّاكُ بن قيس من الكوفة ٱبنَ هُبَيرة الشيبانيّ إلى غزو طَبَرِسْتان، فصالحه أهلها على خمسمائة ألف درهم[١].

وفيها عَزَل معاويةُ سَمُرَةَ بن جُنْدَب عن البصرة وولّاها لعبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفيّ.

وفيها حجّ بالناس مروان بن الحَكَم أمير المدينة؛ وقال ٱبن الأثير[٢]: سعيد بن العاص، وكان عامل المدينة.

وفيها تُوفّي أُسامة بن زيد بن حارثة بن شَرَاحيل الكلبيّ، حِبّ رسول الله ﷺ وٱبن حِبّه ومَوْلاه؛ كنيته أبو زيد، وقيل أبو محمد، وقيل أبو حارثة. ففي الصحيح عن أُسامة قال: كان النبيّ ﷺ يأخذني والحسين ويقول: «اللهمّ إني أحبّهما فأحبّهما». وأمّه أمّ أَيْمَن بركة حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته؛ وكان أسود كالليل وأبوه أبيض أشقر؛ قاله إبراهيم بن سعد.

وفيها تُوفّي ثَوْبان مولى رسول الله ﷺ.

وفيها تُوفّي جُبَير[٣] بن مُطْعم بن عَدِيّ بن نَوْفل النوفليّ الصحابيّ؛ أسلم بعد بدر[٤] وحضر عدة مشاهد مع النبي ﷺ.

وفيها تُوفّي حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام النّجاريّ الصحابيّ، شاعر

---

(١) في تاريخ خليفة: «فصالح أهلها على خمسمائة ألف درهم وزن خمسة، ومائة طيلسان، وثلاثمائة رأس».

(٢) الموجود في ابن الأثير: ٣٤٣/٣ أن سعيد بن العاص حج بالناس سنة ثلاث وخمسين. وفي حوادث سنة أربع وخمسين أن الذي حج بالناس هو مروان بن الحكم ـ ولم يزد ابن الأثير شيئاً على ذلك.

(٣) كذا في الأصول. وفي ابن الأثير أن وفاته كانت سنة ٥٧هـ. وفي خليفة بن خياط وسير أعلام النبلاء للذهبي «سنة ٥٩هـ». وفي الإصابة لابن حجر وأسد الغابة لابن الجزري «توفي سنة ٥٧هـ، أو ٥٨هـ، أو ٥٩هـ».

(٤) في الإصابة: ترجمة ١٠٨٧: «أسلم جبير بين الحديبية والفتح، وقيل في الفتح، وقال البغوي أسلم قبل فتح مكة». قارن أيضاً بتهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١٤٦/١.

رسول الله ﷺ، المؤيَّد بروح القدس. وعاش هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه كل واحد مائة وعشرين سنة.

وفيها توفي سعيد بن يربوع المخزوميّ الصحابيّ عن مائة وعشرين[(١)] سنة أيضاً؛ أسلم في الفتح.

وفيها تُوفّي عبد الله بن أُنَيس الجُهَنِيّ الصحابيّ حليف الأنصار؛ شهد العَقَبة.

وفيها تُوفّي حَكيم بن حِزَام بن خُويلد بن أسد، أبو خالد الأسديّ الصحابيّ، ابن أخي خَديجة زوجة النبي ﷺ؛ أسلم في الفتح، وكان سيّداً شريفاً؛ وُلد في جَوْف الكعبة وأَعتق في الجاهلية والإسلام مائتي رَقَبة وجاوز مائة السنة من العمر.

وفيها توفي أبو قَتَادة الأنصاريّ السَّلَمِيّ، فارس رسول الله ﷺ؛ وآسمه الحارث بن رِبْعِيّ. وكان من نُجَباء الصحابة رضي الله عنهم.

وفيها تُوفّي مَخْرمة بن نَوْفل الزُّهْرِيّ الصحابيّ عن مائة وخمس عشرة سنة؛ وكان من المؤلَّفة قلوبهم؛ والمِسْوَر هو آبنه.

وفيها مات فيروز[(٢)] الدَّيلميُّ وكانت له صُحْبة. وكان مع معاوية وآستعمَله على صَنْعاء.

وفيها مات فَضَالة بن عُبَيد الأنصاريّ بدمشق وكان قاضيها؛ وقيل في موته غير ذلك؛ شهد أُحُداً وما بعدها.

وخرجت[(٣)] هذه السنة وعلى الكوفة عبدُ الله بن خالد بن أَسيد، وعلى البصرة سَمُرَة، وعلى خُرَاسان خُلَيد بن يَرْبوع الحنفي (وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحت).

(١) في ابن الأثير: «توفي عن مائة وأربع وعشرين سنة».
(٢) في ابن الأثير: «سنة ٥٣هـ». وفي تهذيب التهذيب أنه مات في زمن عثمان.
(٣) هذه الفقرة بحرفيتها أوردها ابن الأثير والطبري في حوادث سنة ٥٣هـ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية أصابع.

* * *

السنة الثامنة من ولاية مَسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة خمس وخمسين:

فيها عَزَلَ معاويةُ عن البصرة عبدَ الله الثقفيّ[1] وولّاها لعُبَيد الله بن زِيَاد.

وفيها حجّ بالناس مروانُ بن الحَكَم أمير المدينة.

وفيها عَزَل معاويةُ عبدَ الله بن خالد عن الكوفة وولّاها الضحّاكَ بن قيس.

وفيها توفي أبو اليَسَر (بفتح الياء المثناة من تحت والسين) السَّلَميّ (بفتحتين أيضاً) واسمه كعب بن عمرو؛ وهو من أعيان الصحابة الأنصار؛ وهو الذي أسر العباس يوم بدر وشهد العقبة مع النبي ﷺ وله عشرون سنة.

وفيها تُوفّي سعد بن أبي وقّاص؛ واسمه مالك بن أُهيب بن عبد مناف ابن زُهْرة بن كلاب بن مرّة؛ كنيته أبو إسحاق الزُّهريّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين الأوّلين؛ وكان يقال له: فارس الإسلام؛ وهو أوّل مَنْ رَمى بسهم في سبيل الله؛ وكان مقدَّم الجيوش في فتح العراق؛ وكان مُجاب الدعوة كثير المناقب وشهد بدراً. ورَوَى عثمان بن عبد الرحمن عن الزُّهْريّ قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيّة فيها سعد بن أبي وقّاص إلى رابِغَ وهي من جانب الجُحْفَة، فانكفأ المشركون على المسلمين فحماهم سعد يومئذ بسهامه، وهو أوّل قتال كان في الإسلام؛ فقال سعد: [الوافر]

ألا هَل آتَى رسولَ الله أنّي حَمَيْتُ صَحَابتي بصُدُور نَبْلِي

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن غيلان (تاريخ خليفة).

فـمـا يَعـتـدُّ رامٍ فـي عَـدُوٍّ بسَـهْـمٍ يـا رسـولَ الله قَـبْـلي[١]

وفيها تُوفّي الأرقَم بن أبـي الأرقَم المخزوميّ، وهو الذي كان النبـيّ صلى الله عليه وسلم يختفي في داره بمكة، وكان عمره ثمانين سنة وزيادة؛ وقيل مات يوم مات أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وإصبعان؛ مبلـغ الزيادة ستـة عشر ذراعـاً وستة أصابـع.

* * *

السنة التاسعة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة ست وخمسين:

فيها عَزَل معاويةُ عُبيدَ الله بن زِياد عن خُراسان وولّى عليها سعيد بن عثمان بن عفان، فغزا سعيد سَمَرْقَند ومعه المُهَلَّب بن أبـي صُفْرة الأزديّ وطَلْحة الطلحات وأوس بن ثعلبة، وخرج إليه الصُّغْد. [فقاتلوه فألجأهم إلى مدينتهم، فصالحوه وأعطَوْه رهائن][٢].

وفيها شتّى المسلمون[٣] بأرض الروم.

وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين جُوَيْرية المُصْطَلِقِيّة، وقيل: إنها ماتت في سنة خمسين؛ وهي جُوَيرية بنت الحارث بن أبـي ضِرار المُصْطَلِقيّ؛ سباها النبـيّ صلى

---

(١) أورد ابن هشام في السيرة ستة أبيات من بينها هذين البيتين. قال: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد. (السيرة النبوية: المجلد الأول، ص ٥٩٤).

(٢) في الأصل: «وقاتلوه حتى التجأ إلى مدينة سمرقند فصالحهم وأعطاهم رهائن». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير وخليفة بن خياط. وما جاء في البداية والنهاية بهذا المعنى الذي أثبتناه.

(٣) في خليفة: «شتّى مسعود بن أبـي مسعود بأرض الروم. ويقال: جنادة بن أبـي أمية». وفي الكامل لابن الأثير: «شتّى جنادة بن أبـي أمية. وقيل: عبد الرحمن بن مسعود».

الله عليه وسلم يوم المُرَيْسِيع(١) في السنة الخامسة، وكان آسمها بَرّة فغيّر النبيّ صلى الله عليه وسلم آسمها وتزوّجها وجعل صَدَاقها عِتْق جماعة من قومها؛ ثم قدِم أبوها الحارث بن أبي ضِرار على النبيّ صلى الله عليه وسلم. وعن جُوَيرية قالت: تزوّجني النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنا بنت عشرين سنة؛ وكانت قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم عند آبن عَمّها صَفْوان ذي الشُّفْر(٢).

وفيها غزا يزيد بن شَجَرة في البحر، وفي البرّ عياض بن الحارث(٣).

وفيها آعتمر معاوية في رجب.

وحجّ بالناس الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفيان.

وفيها كانت البَيْعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد.

وفيها تُوفّي عبد الله بن قُرْط الأَزْديّ الصحابيّ أمير حِمْص.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وسبعة أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وإصبعان.

* * *

(١) وهي غزوة بني المصطلق. والمريسيع: اسم ماء من مياه خزاعة بناحية قديد إلى الساحل. (الطبري: ١٠٤/٢ ــ والسيرة النبوية لابن هشام: مجلد ٢٨٩/٢ وفيها أنها كانت في السنة السادسة للهجرة ــ وفي الحاشية تعليق عن الزرقاني يرجح السنة الخامسة.

(٢) في الأصل «صفوان بن أبي الشقر» وفي بعض النسخ: «صفوان بن أبي السفر». وفي الطبري: «مالك بن صفوان ذي الشّفر». وفي الإصابة «كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي». وما أثبتناه من طبقات ابن سعد.

(٣) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وذكر خليفة ذلك مرة في سنة ٥٥هـ ومرة في سنة ٥٨هـ.

السنة العاشرة من ولاية مسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة سبع وخمسين:

فيها وجّه معاويةُ حسانَ بن النعمان الغسّانيّ إلى إفريقية[١]، فصالحوه[٢] مَنْ يليه من البربر وضرب عليهم الخراج وبقي عليها حتى تُوفّي معاوية وتخلَّف آبنه يزيد.

وفيها عَزَل معاويةُ الضحّاكَ عن الكوفة وولّاها عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم[٣].

وفيها عَزَل معاويةُ مَرْوانَ بن الحَكَم عن المدينة وأمَّر عليها الوليد بن عُتْبة بن أبـي سفيان.

وفيها عَزَل معاويةُ سعيدَ بن عثمان عن خُراسان وأعاد عليها عُبَيد الله بن زِيَاد.

وفيها شتَّى عبد الله بن قيس بأرض الروم.

وفيها تُوفّي السائب بن أبـي وَدَاعة السهميّ الصحابـيّ؛ وكان أُسر يوم بدر وأسلم بعد ذلك.

وفيها توفي عثمان بن طلحة بن شَيْبة العَبْدَري؛ وقيل في سنة تسع وخمسين. وهو جدّ بني شَيْبة حَجَبة الكعبة، وأسلم يوم الفتح، وقيل يوم حُنَين.

وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعميّ أرض الروم وعمرو بن يزيد[٤] الجُهَني في البحر، وقيل جُنادة بن أبـي أميّة.

---

(١) كذا أيضاً في خليفة بن خياط وتاريخ الإسلام للذهبـي. وفي فتوح مصر لابن عبد الحكم والحلة السّيراء لابن الأبّار أن الذي وجهه إلى إفريقية هو عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ.

(٢) كذا في الأصل بواو الجماعة. وهذه الصيغة جائزة من باب قوله تعالى: ﴿وأسرّوا النجوى الذين ظلموا﴾ فعبارة «الذين ظلموا» بدل من الواو في «أسرّوا». و«من يليه» هنا تكون بدلاً من الواو في «فصالحوه». وفي ذلك أقوال أخرى. ــ انظر تفسير الطبري، وتفسير القرطبـي: سورة الأنبياء: الآية ٣.

(٣) كذا في خليفة بن خياط. وفي الطبري وابن الأثير: سنة ثمان وخمسين. والضحّاك هو ابن قيس بن خالد الفهري، وكان معاوية قد ولاه الكوفة سنة ٥٣هـ بعد موت زياد ابن أبيه. وابن أم الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي؛ وأم الحكم هي أخت معاوية.

(٤) في الأصل «عمرو بن أبـي زيد». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير، وفيهما أن ذلك كان في سنة ٥٨هـ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وآثنا عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية مَسلمة بن مخلَّد على مصر

وهي سنة ثمان وخمسين:

فيها غزا عُقْبة بن نافع من قِبَل مسلمة بن مخلَّد القَيْروان وآختطّ عقبة مدينة القيروان(١) وآبتناها.

وفيها تُوفّيت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فَقيهة نساء هذه الأمّة؛ وكنيتها أمّ عبد الله التيميّة؛ دخل بها النبيّ صلى الله عليه وسلم في شوّال بعد بدر ولها من العمر تسع سنين؛ وهي أحبّ نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم إليه(٢) بعد خديجة؛ روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: «يا عائشة هذا جبريل يقرِئك السلام» فقالت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، تَرَى ما لا أرى. وعن عائشة: أنّ جبريل جاء بصورتها في خِرْقة حرير خضراء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. رواه الترمذيّ وحسَّنه.

قلتُ: وفضل ومناقب عائشة كثيرة وكانت وفاتها في شهر رمضان، وقال

---

(١) التاريخ الصحيح لاختطاط مدينة القيروان هو سنة خمسين للهجرة، كما ذكر المؤلف في أخبار السنة الثالثة من ولاية مسلمة بن مخلَّد، وهو ما يؤكده أهل التاريخ من المغاربة (راجع ابن الأثير: ٣/ ٣٢٠).

(٢) في الأصول: «له». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب. وجاء في الحاشية للمحقق: «كذا في شرح القسطلاني على البخاري ــ ج ٦ ص ١٦٨ طبع بولاق ــ وهو الموافق لقاعدة أن أفعل التفضيل إذا كان متعدياً نفسه دالاً على حب أو بغض عُدّي بـ «إلى» إلى ما هو فاعل في المعنى، وباللام إلى ما هو مفعول في المعنى».

الواقديّ: في ليلة سابعَ عشرَ رمضان ودُفنت بالبَقيع ليلاً، فلم تُرَ ليلةٌ أكثرُ ناساً منها؛ وصلى عليها أبو هريرة، وماتت ولها ستّ وستون سنة رضي الله عنها.

وفيها عَزَل معاويةُ الضحّاكَ[١] بن قيس عن الكوفة وآستعمل عوضه عبد الرحمن بن عبد الله الثقفيّ وهو ابن أمّ الحَكَم وهو آبن أخت معاوية؛ وفي عمله في هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المُغيرة بن شُعْبة حبسهم، فجمعهم حَيّان بن ظَبْيان السُّلَميّ ومُعاذ بن جُوَين الطائيّ فخطباهم وحثّاهم على الجهاد، فبايعوا حيّان بن ظبيان وخرجوا [إلى بَانِقيا][٢] فسار الجيش إليهم من الكوفة فقتلوهم جميعاً؛ ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولّاه مصر فاستقبله معاوية بن حُدَيج على مرحلتين من مصر فقال: ارجعْ إلى خالك فلا[٣] تَسِرْ فينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة. فرجع إلى معاوية ثم توجّه آبن حُدَيج إلى معاوية في السنة يعاتبه كما نذكره إن شاء الله تعالى بعد وفاة أبي هُرَيرة.

وفيها تُوفّي أبو هريرة وقيل في التي بعدها[٤]، والأكثر على أنّ وفاته في هذه السنة. وفي آسم أبي هريرة وآسم أبيه أقوال كثيرة. قال أبو عبد الله الذهبيّ: أشهرها عبد الرحمن بن صَخْر، وكان اسمه قبل الإسلام عبد شمس. وقال: كنّاني أبي بأبي هريرة لأني كنت أرعى غَنَماً فوجدت أولاد هرّة وحشيّة فأخذتها[٥]، فقال: أنت أبو هريرة. وهو من المكثرين من الصحابة؛ وهو دَوْسيّ؛ ودَوْس: قبيلة من الأَزْد؛ ومات وله ثمان وسبعون سنة.

وفيها وفد معاوية بن حُدَيج على مُعاوية بن أبي سُفيان الخليفة، وكان إذا قَدِم معاوية على معاوية زُيِّنت له الطرق [بقباب الرَّيْحان][٦] تعظيماً لشأنه، فدخل

---

(١) سبق له ذكر ذلك في أخبار السنة السابقة.

(٢) الزيادة من ابن الأثير ــ أخبار سنة ٥٨ ــ إذ إن أبا المحاسن ينقل خبر عزل الضحاك عن ابن الأثير في تاريخه الكامل. وبانِقيا: ناحية من نواحي الكوفة (معجم البلدان: ١/ ٣٣١).

(٣) في ابن الأثير: «فلَعَمري لا تسير فينا سيرتك.. إلخ».

(٤) ذكره ابن الأثير في سنة ٥٩هـ. وذكره خليفة مرتين: الأولى في سنة ٥٧هـ والثانية في سنة ٥٩هـ.

(٥) في الأصول: «فأخذتهم» والتصحيح تقتضيه العربية.

(٦) الزيادة من ابن الأثير.

على معاوية وعنده أخته أمّ الحَكَم، فقالت: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: بَخٍ بَخٍ! هذا معاوية بن حُدَيج؛ فقالت: لا مرحباً «سَمَاعُك بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه»[١]؛ فسمعها معاوية بن حُدَيج فقال: على رِسْلك يا أمّ الحَكَم، والله لقد تزوّجتِ فما أُكرمتِ، وولَدتِ فما أَنجبتِ[٢]؛ أردتِ أن يليَ آبنُك الفاسقُ علينا فيسير فينا كما سار في أهل الكوفة! ما كان الله ليُريه ذلك، ولو فعله لضربناه ضرباً يُطأطىء منه ولو كره هذا القاعد (يعني خاله معاوية)؛ فالتفت إليها معاوية وقال لها: كُفِّي، فكفَّت عن الكلام.

وفيها تُوفّي عُبَيد الله بن العباس بن عبد المُطلب، أحد الأجواد وله صُحْبة ورواية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعاً. وفي دُرَر التِّيجان: وأربعة وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية مسلمة بن مخلد على مصر

وهي سنة تسع وخمسين:

فيها شتّى عمرو بن مرّة بأرض الروم في البرّ.

وفيها حجّ بالناس الوليد بن عُتْبة، وقيل عثمان[٣] بن محمد بن أبي سُفيان.

---

(١) مثل يُضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه. ولفظ المثل: «تَسْمَعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه». انظر مجمع الأمثال للميداني: ١/١٢٩ وجمهرة الأمثال للعسكري: ١/٢٦٦، وغيرهما من كتب الأمثال.

(٢) في الأصول: «أنتجتِ». وما أثبتناه من ابن الأثير.

(٣) كذا في الطبري وابن الأثير. وفي خليفة «محمد بن أبي سفيان». وذكر أن عثمان بن محمد بن أبي سفيان قد أقام الحج سنة ٦٢هـ.

وفيها غزا أبو المُهاجر دينارٌ[(١)]، فنزل على قَرْطَاجَنَّةَ[(٢)] وخرج إليه أهلها فالتقَوْا وكثر القتل بين الفريقين حتى حجز الليل بينهم، وآنحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلاً في قَبْلة بولس[(٣)]، ثم عاودوهم وصالحوهم على أن يُخلوا لهم الجزيرة. ثم افتتح أبو المهاجر المذكور مِيلة[(٤)]، وكانت إقامته بها[(٥)] في هذا الغزو نحواً من سنتين.

وفيها توفّي عبد الله بن عامر بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس القرشيّ العَبْشَميّ أبو عبد الرحمن. قال الذهبيّ: رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وله حديث، وهو: «مَنْ قُتِل دون مالِهِ فهو شهيد»، وروى عنه حنظلة بن قيس. وأسلم والده يوم الفتح.

وفيها توفي مُرَّة بن كعب البَهْزِيّ السلمِي[(٦)]. له صحبة. وفيها توفي سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحَة بن سعيد بن العاص بن أمية، أمير الكوفة لعثمان؛ وكان فصيحاً سخيّاً؛ ولد بُعيدَ الهجرة، وهلك أبوه يوم بدر.

وفيها توفي شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العَبْدَريّ، حاجب الكعبة، ابن أخت مُصْعَب بن عُمَيْر؛ شهد خيبر كافراً ونيّته آغتيال النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم أسلم يومئذ.

وفيها توفي أبو مَحْذُورةَ، وآسمه الياس وقيل سَمُرة بن مِعْيَر الجُمَحِيّ، مؤذن النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان من أندى الناس صوتاً.

---

(١) مولى الأنصار، من أمراء التابعين. (انظر ابن عبد الحكم: ١٩٧، والحلّة السيراء لابن الأبّار: ٢/٣٢٤) وهذا الخبر ينقله أبو المحاسن عن خليفة بن خياط: ٢٢٦.

(٢) في إفريقية، على الساحل التونسي.

(٣) في خليفة: «فنزلوا جبلاً في قبلة تونس».

(٤) ميلة: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجّاية ثلاثة أيام. وعبارة خليفة: «.. أن يخلوا لهم الجزيرة، وانتهى المهاجر إلى عيون أبي المهاجر وافتتح ميلة».

(٥) ساقطة من خليفة.

(٦) في الأصل «برة بن كعب البهاري» وفي بعض النسخ «برّة بن كعب البهزي» وكلاهما تصحيف. وما أثبتناه من ابن الأثير: ٣/٣٦٦ والإصابة: ترجمة ٧٩٠١.

وخرجت هذه السنة والوالي على الكوفة النعمان بن بَشير، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى المدينة الوليد بن عُتبة، وعلى خُرَاسان عبد الرحمن[١] بن زياد، وعلى سِجِسْتان عبّاد بن زياد، وعلى كَرْمان شَرِيك بن الأعور.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وسبعة عشر إصبعاً. وفي كتاب درر التيجان: وسبعة وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية مَسْلَمة بن مُخَلَّد على مصر

وهي سنة ستين:

فيها توفي الخليفة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ واسم أبي سفيان: صَخْر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن القرشيّ الأُمَوِيّ؛ وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة؛ وأسلم معاوية قبل أبيه في عمرة القضاء[٢]، وبَقِي يخاف من الخروج إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من أبيه؛ ولِيَ إمرة الشام لعمر ثم لعثمان، ثم نازع عليّاً الخلافة حتى وليها من بعده في سنة أربعين من الهجرة بعد موت عليّ بن أبي طالب وبعد أن سلّم إليه الحسن بن عليّ الأمر، بعد أمور وقعت مع عَلي وآبنه الحسن رضي الله عنهما. قال الذهبيّ: وأظهر إسلامه يوم الفتح؛ وكان رجلاً طويلاً أبيض جميلاً مَهِيلاً[٣]، إذا ضحِك آنقلبت شفته العليا؛ وكان يُخضِّب بالصفرة.

قلت: وهو كاتب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأخو زوجته أمّ حبيبة بنت أبي

(١) في الأصل: «عبيد الله بن زياد» وهو خطأ. وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير.
(٢) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩٤ «أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه».
(٣) أي مخوفاً لهيبته.

سفيان المقدّم ذكرها. وكانت وفاة معاوية في شهر رجب وله سبع وسبعون سنة[١]، وتولى آبنه يزيد الخلافة من بعده.

وفيها كانت غزوة مالك بن عبد الله سورِيّة.

وفيها أيضاً كان دخول جُنادة رُودِس وهدم بيوتها في قول بعضهم.

وفيها توفي أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المُزَنِيّ الذي أقطعه النبيّ صلى الله عليه وسلم معادن القَبَلِيَّة[٢]. عاش ثمانين سنة.

وفيها توفي أبو حُمَيْد الساعِديّ المدَنِيّ الصحابي، أحد من نزل البصرة من الصحابة؛ وهو الذي وصف صلاة النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وفيها توفي سَمُرَةُ بن جُنْدَب الصحابيّ الفزاريّ.

وفيها حجّ بالناس عمرو بن سعيد الأشدق، وكان العامل على مكة والمدينة.

وفيها توفيت الكلابِيّة التي آستعاذت من النبيّ صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ففارقها، وكان قد أصابها جنون.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية مَسْلَمَة بن مُخَلّد على مصر

وهي سنة إحدى وستين:

فيها كانت مَقْتَلة السيد الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه،

(١) في تاريخ وفاته وفي مدة عمره اختلاف. انظر المراجع التي ذكرناها سابقاً.

(٢) القبلية: من نواحي الفَرَع بالمدينة. (معجم البلدان: ٣٠٧/٤؛ وفيه نصّ الكتاب الذي بموجبه أقطعه النبي تلك القطيعة ــ قارن أيضاً بالوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله: ص ٢٦٩).

ريحانة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وآبن بنته فاطمة، بكَرْبَلاء في يوم عاشوراء؛ وقصته طويلة يجرِّح ذكرُها القلوب، غير أننا نختصر منها ما نعرِّف به وفاته وكيفيّة خروجه حتى ظُفِر به.

وهو أنه لمّا ولي يزيد بن معاوية الخلافة بعد موت أبيه بايع الناس السيدَ الحسين بالخلافة وخرج في جموعه بعد أن خلع الفاسقَ يزيد المذكور من الخلافة، فانتُدب لقتاله بأمر يزيدَ آبنُ مَرْجانة (أعني عبيد الله بن زياد) وقاتله حتى ظفِر به وقتله بعد أمور وحروب. وكان قاتل الحسين رضي الله عنه الشّمِرُ[١] اللعين الطريد من رحمة الله، قتله بكَرْبَلاء. وقتل مع الحسين من إخوته لأبيه جعفر وعتيق ومحمد والعباس الأكبر بنو عليّ[٢]، وآبن الحسين الأكبر عليّ، وهو غير عليّ زين العابدين، وآبنه عبد الله[٣]، وآبن أخيه القاسم بن الحسن[٤]، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأخوه عون[٥]. وقتل معه أيضاً عبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم[٦] بن عِقَيل رضي الله عنهم أجمعين[٧].

---

(١) هو شَمِرُ بن ذي الجَوْشَن الكلابي. قتله أصحاب المختار الثقفي سنة ٦٦هـ لما قام المختار بتتبّع قتلة الحسين. وفي مَنْ باشر قتل الحسين اختلاف: فما يذكره أبو المحاسن هنا يوافق رواية الواقدي (أنساب الأشراف: ٣/٢١٩) وكذلك رواية خليفة بن خياط وابن عبد البرّ (تاريخ خليفة: ٢٣٥). وفي رواية عوانة بن الحكم أن الذي قتله سنان بن أنس، والذي احتزّ رأسه خوليّ بن يزيد الأصبحي (أنساب الأشراف: ٣/٢١٨). وفي روايتي الطبري وابن الأثير أن الذي باشر قتله هو زرعة بن شريك التميمي وسنان بن أنس وخولي بن يزيد، وأن شمراً حرّض عليه ولم يباشر قتله (قارن أيضاً بالروايات التي ينقلها صاحب أعيان الشيعة: ١/٦٠٩ ـ ٦١٠).

(٢) في رواية الطبري وابن الأثير وخليفة أن الذين قتلوا مع الحسين من أولاد علي بن أبي طالب هم: العباس بن علي، وجعفر، وعبد الله (في خليفة: عبيد الله)، وعثمان، ومحمد، وأبو بكر. ـ وزاد صاحب أعيان الشيعة: عمر بن علي. ـ ولم تذكر المراجع التي بين أيدينا اسم عتيق بن علي.

(٣) زاد في أعيان الشيعة، عن ابن شهراشوب: إبراهيم بن الحسين بن علي.

(٤) زاد ابن الأثير أبا بكر بن الحسن ـ وزاد الطبري على ابن الأثير اسم عبد الله بن الحسن ـ وزاد صاحب أعيان الشيعة على الثلاثة اسم بشر بن الحسن.

(٥) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وزاد في أعيان الشيعة اسم عبيد الله بن عبد الله بن جعفر.

(٦) في المراجع المختلفة أن الذين قتلوا من ابناء مسلم بن عقيل هم: عبد الله وعون ومحمد ـ والذين قتلوا من ابناء عقيل بن أبي طالب هم: مسلم بن عقيل، وجعفر بن عقيل، وعبد الرحمن بن عقيل، وعبد الله بن عقيل.

(٧) وقد ذكر صاحب أعيان الشيعة ثلاثين اسماً من بني هاشم قتلوا مع الحسين في كربلاء؛ ثم ذكر مائة =

ولما جيء برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد جعل يَنْكُت بقضيب على ثناياه وقال: إنْ كان لحَسَنَ الثغر! فقال له أَنَس: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل موضع قضيبك من فِيهِ[١]. ثم بعث بالرأس إلى يزيد بن معاوية، فلما حضروا برأس الحسين عند يزيد أنشد: [الطويل]

نُفلِّق هاماً مِن أناس أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما[٢]

وفيها توفي عثمان بن زياد ابن أَبيه أخو عبيد الله بن زياد المذكور؛ مات شاباً وسنُّه ثلاث وثلاثون سنة.

وفيها توفيت أمّ المؤمنين أمّ سَلَمَة؛ وآسمها هند بنت أبي أمية بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، زوجة النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وهي بنت عم أبي جهل، وبنت عم خالد بن الوليد. بَنَى بها النبيّ صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث[٣] من الهجرة؛ وكانت قبله عند الرجل الصالح أبي سَلَمَة بن عبد الأسد، وهو أخو النبيّ صلى الله عليه وسلم [من الرضاعة][٤]؛ وكانت من أجمل النساء، وطال عمرها وعاشت تسعين سنة وأكثر؛ وهي آخر أمّهات المؤمنين وفاةً؛ وقد حزِنت على الحسين وبكت عليه كثيراً.

= وستة أسماء من غير بني هاشم. قال: وإذا اضفنا إليهم جميعاً قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الله بن بُقْطُر وهاني بن عروة كانوا مائة وتسعة وثلاثين. (أعيان الشيعة: ١/٦١١ ــ ٦١٢).

(١) كذا في أنساب الأشراف للبلاذري ببعض اختلاف. وفي الطبري وابن الأثير: «فقال له زيد بن الأرقم».

(٢) في أكثر الروايات أنه قال: «إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضبُ في أيماننا تقطر الدما
يفلِّقْنَ هاماً من رجالٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وفي رواية أخرى، أنه لما جيء برأس الحسين بن علي فوضع بين يدي يزيد بن معاوية تمثّل بهذين البيتين:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جَزَع الخزرج من وَقْع الأَسَلْ
فأهلّوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي بغيبٍ: لا تُشَلّ

(الطبري: ٣/٣٤٠، وابن الأثير: ٣/٤٣٧؛ وأنساب الأشراف: ٣/٢١٦ ــ حاشية).

(٣) في الإصابة: سنة أربع وقيل ثلاث. وفي البداية والنهاية: دخل بها في شوال سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

(٤) الزيادة يقتضيها التوضيح، وهي من الإصابة: ترجمة ٤٧٧٤.

وفيها توفي حمزة بن عمرو الأسلميّ المدنيّ الذي له صحبة.

وفيها حجّ بالناس الوليد بن عتبة.

وفيها توفي جابر بن عَتِيك الأنصاريّ، وقيل جَبْر، وله إحدى وتسعون سنة، وشهد بدراً.

وفيها توفي عَلْقَمة بن قيس النَخَعيّ صاحب عبد الله بن مسعود على خُلْف في وفاته[١].

وفيها توفي خالد بن عُرْفُطَة العذريّ[٢] الصحابيّ له صحبة ورواية؛ روى عنه عبد الله بن يَسَار وأبو إسحاق[٣]. وكان وَلِي الكوفة لزياد ابن أبيه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وستة أصابع؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع. وفي درر التيجان: وثمانية أصابع.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية مَسْلَمَة بن مُخَلَّد على مصر

وهي سنة اثنتين وستين:

وهي التي مات فيها مَسْلَمة بن مُخَلَّد صاحب الترجمة. وفيها توفي أبو مُسْلِم الخَوْلانِيّ اليماني[٤] الزاهد سيد التابعين بالشأم؛ واسمه عبد الله بن ثُوَب، وقيل ابن عُبَيْد، وقيل ابن مشكم[٥]، وقيل اسمه يعقوب بن عوف. قدِم المدينة من اليمن في خلافة أبي بكر الصدّيق، وكان أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) في خليفة وابن كثير: سنة ٦٢هـ. وذكره ابن الأثير في وفيات سنة ٦١هـ وقال: وقيل سنة اثنتين، وقيل خمس، وله تسعون سنة.

(٢) ويقال: الليثي. (الإصابة: ترجمة ٢١٧٨، وابن الأثير: ٣/٤٤٨).

(٣) وآخرون. (انظر الإصابة).

(٤) في الأصل: الداراني. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة.

(٥) في الأصل: ابن سلم. وما أثبتناه من المرجع السابق.

وفيها ولَّى عبيد الله بن زياد أمير العراق المنذَر بن الجارُود العَبْدِيّ على السِّند(١).

وفيها غزا سالم(٢) خُوارِزْم فصالحوه على مال.

وفيها حجّ بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب، وقال ابن الأثير: الوليد بن عتبة(٣).

وفيها توفي عَلْقَمَة بن قيس بن عبد الله بن مالك، أبو شِبْل النَّخَعِيّ الكوفي، الفقيه المشهور، خال إبراهيم النَّخَعِيّ؛ قال الذهبي: أدرك الجاهلية وسمع عمر وعثمان وعلياً وابن مسعود وأبا الدرداء وسعد بن أبي وَقّاص وعائشة وجماعة أُخَر. وقد ألقاه الأسود الكذّاب في النار فلم تضرّه. قاله إسماعيل بن عيّاش عن شُرَحْبِيل بن مُسْلِم. قلت: الأسود(٤) الذي كان ادّعى النبوة.

وفيها ولد محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس والد السفّاح والمنصور.

وفيها توفي بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلميّ الصحابيّ، مات بمَرْو، وكان أسلم قبل بدر.

وفيها توفي عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ له صُحبة، وأخرج له مُسلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

---

(١) في الإصابة: ولاه ابن زياد السند سنة ٦٢هـ فمات بها. وفي خليفة: ولاه ثغر قندابيل.

(٢) كذا بالأصل. وفي خليفة: ٢٣٥ «سَلْم بن زياد» وهو الصواب.

(٣) كذا أيضاً في الطبري.

(٤) هو الأسود العَنْسي: عَيْهَلة (وقيل: عبهلة) بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار. أسلم لما أسلمت اليمن، وارتدَّ في أيام النبي فكان أول مرتدّ في الإسلام. وادعى النبوّة وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج. وتغلّب على نجران وصنعاء واتسع سلطانه. وجاءت كتب رسول الله إلى من بقي على الإسلام في اليمن بالتحريض على قتله، فاغتاله أحدهم سنة ١١هـ. وقد سمى نفسه: رحمان اليمن، كما تسمّى مسيلمة الكذاب: رحمان اليمامة. (ابن الأثير: ٢/ ٢٣٠ وما بعدها؛ وفتوح البلدان: ١٢٥).

ذكر ولاية سعيد بن يزيد على مصر(١)

هو سعيد بن يزيد بن عَلْقمة بن يزيد بن عوف الأَزْدي، أمير مصر من أهل فلسطين. وُلِّيَ إمرة مصر بعد موت مسلمة بن مخلَّد من قِبل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ودخلها في مستهلّ شهر رمضان سنة اثنتين وستين من الهجرة. وتلقّاه أهل مصر ووجوه الناس وفيهم عمرو [بن قَحْزم](٢) الخَوْلانيّ، فلما رآه قال: يغفر الله لأمير المؤمنين، أمَا كان فينا مائة شابّ كلهم مثلك يولّي علينا أحدهم! ثم دخلوا معه. ولم يزل أهل مصر على الشَّنآن له والإعراض عنه والتكبّر عليه حتى توفّي يزيد ابن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته وقامت أهل مصر بدعوته وسار منهم جماعة كثيرة إليه، فبعث عبد الله بن الزبير عبدَ الرحمن بن جَحْدَم أميراً على مصر، وآعتزل سعيد المذكور، فكانت ولايته سنتين إلا شهراً واحداً(٣).

وقال صاحب كتاب «البُغْية والاغتباط فيمن مَلَك الفُسطاط(٤)»: ولّاه يزيد بن معاوية على صلاة [مصر](٥) فقدِمها في آستهلال شهر رمضان سنة آثنتين وستين، فأقرّ عابساً(٦) على الشُّرْطة؛ ثم ساق نحواً مما قلناه، إلى أن قال: وكانت مدّته على مصر سنتين وأشهراً.

قلت: وفي مدّة هاتين السنتين وقع له حروب كثيرة شرقاً وغرباً؛ فأما من

(١) ولاة مصر: ٦٣، والخطط: ٣٠١/١، وحسن المحاضرة: ٨/٢، ومعجم زامباور: ٣٨.
(٢) الزيادة من ولاة مصر للكندي: ص ٦٣.
(٣) ينقل أبو المحاسن عن الكندي باختصار. قارن بولاة مصر: ٦٣، وحسن المحاضرة: ٨/٢، وخطط المقريزي: ٣٠١/١.
(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري.
(٥) الزيادة يقتضيها السياق؛ وهي تتفق مع ما أورده الكندي في ولاة مصر.
(٦) هو عابس بن سعيد المرادي الغطيفي. توفي سنة ٦٨هـ وهو على الشرطة والقضاء معاً. (ولاة مصر: ٦١ ـ ٧١).

جهة الشرق فكانت الفتن ثائرة بين ابن الزبير وبين الأمويّة حتى قَدِم ابن جَحْدَم إلى مصر وملكها منه ودعا بها لابن الزبير، هذا مع الفتن التي كانت ببلاد المغرب من خروج كَسِيلة البربري، وتجرَّد بسببه غير مرّة إلى بَرْقة وغيرها.

وأمرُ كَسِيلة[١] البربري أنه كان أسلم لمّا وُلِّيَ أبو المُهاجر إفريقية، وحَسُن إسلامه، فكان من أكابر البربر وصحب أبا المهاجر. فلمّا وُلِّيَ عُقْبة بن نافع إفريقية عرَّفه أبو المهاجر محلَّ كسيلة وأمره بحفظه، فلم يقبل واستخفّ به. وأتى عقبةُ بغَنَم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلّاخين؛ فقال كَسِيلة: هؤلاء غلماني يكفونني المؤونة؛ فشتمه عقبة وأمره بسلخها ففعل[٢]؛ فنصح أبو المهاجر عقبة فلم يسمع؛ فقال: وإن كان لا بدّ فأوثقْه فإني أخاف عليك منه. فتهاون به عقبة فأضمر

(١) ذكره ابن الأبّار في الحلّة السيراء باسم «كَسيل»، وذكره خليفة بن خياط في تاريخه باسم «أكسيل»، والمشهور «كسيلة». وقد ضبطه محقق طبعة دار الكتب للنجوم الزاهرة بضم الكاف وفتح السين وياء ساكنة؛ وقد اعتمدنا ضبط الدكتور حسين مؤنس لهذا الاسم في الحلّة السيراء لابن الأبّار. وكَسيلة هذا زعيم من زعماء البربر كان شيخاً لقبيلة «أَوْرَبَة» من قبائل المغرب الأوسط، واسمه الكامل: كَسِيلة بن لمزم ــ أو لَزَم أو أغز أو كيزم ــ الاوْرَبي. وأول ما نسمع عنه حوالى سنة ٥٠هـ عندما تقدّم أبو المهاجر دينار نحو المغرب الأوسط فيما يلي بنزرت غرباً. وكانت مضارب «أوربة» في المنطقة المحيطة بتلمسان وجنوبها. ويقال إن القبيلة كانت نصرانية، وكذلك رئيسها، ولكن ذلك غير ثابت. فلما سمع كسيلة باقتراب أبي المهاجر سار نحوه، ووقعت بينهما حرب لم يطل امدها لأن أبا المهاجر عرف كيف يكسب كسيلة إلى جانبه، فدخل في الإسلام، وارتبط الرجلان برباط صداقة كانت خير معين على الاستمرار في الفتح. وظل الأمر كذلك إلى أن عُزل أبو المهاجر وعاد عقبة بن نافع، فقبض على أبي المهاجر (دينار مولى الأنصار) وأوثقه في الحديد، وكذلك فعل بكسيلة سنة ٦١هـ. ثم قام عقبة بغزوته الكبيرة التي بلغ فيها المحيط الأطلسي، وقد تمكن كسيلة من الاتصال بقومه ودبّر معهم الإيقاع بعقبة، وهرب إليهم في أثناء ذلك. وكان كسيلة فيما بعد من أكبر المدبرين لمقتل عقبة في تهودة سنة ٦٣هـ. ثم سار كسيلة واحتل القيروان، وظل كذلك حتى سار زهير بن قيس البلوي بحملة على إفريقية سنة ٦٩هـ، فانسحب كسيلة إلى مدينة ممس ــ أو ممش ــ وهي حصن بيزنطي كان يسمى Mamma. وعند هذه المدينة دارت المعركة الفاصلة بين العرب وكسيلة، وقد انهزم فيها وقتل، وتمهد الطريق لدخول المغرب الأوسط في رحاب الدولة الإسلامية. (انظر: الحلّة السيراء، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٩؛ وفتح العرب للمغرب للدكتور حسين مؤنس، ص ١٧٥ ــ ٢٢٥).

(٢) ينقل أبو المحاسن خبر كسيلة عن ابن الأثير. قارن بالكامل: ٤٥٢/٣ أخبار سنة ٦٢هـ.

كَسِيلة الغدر. فلمّا كان الآن ورأى القوم قِلّةً مع عقبة توثّب[١]، وكان في عسكر عقبة جماعة وافقوا كسيلة، ثم راسلته الروم فأظهر كسيلة منذ ذلك ما كان أضمر وجمع أهله وبني عمِّه وقصد عقبة؛ فقال أبو المهاجر لعقبة: عاجِلْه قبل أن يقوَى جمعُه، وكان أبو المهاجر مُوثَقاً في الحديد مع عقبة، فزحف عنه عقبة إلى كسيلة، فتنحّى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ويتعب عقبة؛ فلمّا رأى أبو المهاجر ذلك تمثّل بقول أبي مِحْجَن الثقفيّ: [الطويل]

كفى حَزَناً أن تُطعنَ[٢] الخيلُ بالقَنَا وأُتـرَكَ مشـدوداً علـيَّ وثـاقيـا
إذا قمتُ عنّـاني الحديـدُ وأُغلقتْ مصارعُ مِنْ دوني تُصِمُّ المناديـا

فبلـغ عقبة ذلك، فأطلقه وقال له: الحَقْ بالمسلمين فقمْ بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة؛ فلم يفعل وقال: وأنا أيضاً أريد الشهادة؛ فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدّموا إلى البربر وقاتلوهم حتى قُتل المسلمون جميعهم ولم يُفْلِت منهم أحد، وأسر محمد بن أَوْس الأنصاري في نَفَر يسير فخلّصهم صاحب قَفْصة وبعث بهم إلى القَيْروان، فعزم زُهَير بن قيس البَلَوِيّ على القتال فلم يـوافقه جَيْش الصنعانيّ وعاد إلى مصر وتبعه أكثر الناس من العساكر المصرية من جُنْد سعيد صاحب مصر، فاضطرّ زهير إلى العود معهم فسار إلى بَرْقة وأقام بها، وبعث يستمدّ المصريين، ووقـع له أمور إلى أن ملك إفريقية في سنة تسع وستين.

وأما كَسِيلة فاجتمـع إليه جميـع أهل إفريقية وقصد القيروان، وبها أصحاب الأنفال[٣] والذراري من المسلمين، فطلبوا الأمـان من كسيلة فآمنهم، ودخـل

---

(١) كذا هي عبارة الأصل. وعبارة ابن الأثير: «فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة فأرسلوا إلى كسيلة وأعلموه حاله، وكان في عسكر عقبة مضمراً للغدر. . . إلخ».

(٢) كذا ورد في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية. وفي الأصل «تمرغ» ــ انظر طبعة دار الكتب من النجوم حاشية ص ١٥٩ من هذا الجزء ــ وقد أورد أبو الفرج القصيدة كاملة في الأغاني ج ١٩ ص ٥؛ وفي أصل الأغاني: «ترتدي». وفي رواية المالكي في «رياض النفوس» ج ١ ص ٢٧ و «معالم الإيمان» للدباغ ج ١ ص ٤٩: «تُقرعَ الخيلُ» انظر الحلة السيراء: ٣٢٨/٢ حاشية. قارن أيضاً بالتذكرة الحمدونية: ٤٥٠/٢ وعيون الأخبار: ٢٨٤/١.

(٣) في الأصل «الأنقال». وما أثبتناه من ابن الأثير.

القيروان واستولى على إفريقية وأقام بها من غير مُدافع إلى أن قَوِيَ أمر عبد الملك بن مروان وندب زهيراً ثانية وأمدّه بالعساكر حتى آستولى على إفريقية ودعا بها لعبد الملك بن مروان. وكان زهير بن قيس المذكور في هذه المدّة مُرابطاً ببرقة ومن وَلِيَ من أمراء مصر يعضّده إلى أن كان ما كان(١).

* * *

السنة الأولى من ولاية سعيد بن يزيد على مصر

وهي سنة ثلاث وستين:

وفيها غزا عقبة بن نافع القَيْروان وسار حتى دخل السُّوس(٢) الأقصى وغنم وسلم ورَدَّ من القيروان، فلقيه كَسِيلة النصرانيّ فدافعه عقبة بمَنْ معه فاستُشهد عقبة بن نافع المذكور في الوقعة وأبو المُهَاجر مولى الأنصار وعامة أصحابهما. ثم سار كَسِيلة فخرج لحربه زهير بن قيس البلويّ خليفة عُقبة على القيروان وواقعه، فانهزم زهير إلى بَرْقة وأقام بها سنين إلى أن ندبه عبد الملك بن مروان لقتاله ثانياً، فتوجّه إليه وواقعه، فقتل اللعين كسَيلة وهزم جنوده وقُتلت منهم مقتلة عظيمة، وقد مرّ ذلك كله في أوّل الترجمة مفصلاً.

وفيها بعث سَلْم بن زياد ابن أبيه طلحة بن عبد الله الخزاعي والياً على سِجِستان وأمره أن يفديَ أخاه من الأَسْر ففداه بخمسمائة ألف وأقدمه على أخيه(٣).

وفيها كانت وقعة الحرَّة(٤) على باب طَيْبة؛ وهو أنّ يزيد بن معاوية بعث إليها جيشاً عليهم مسلم بن عقبة [المرّيّ] حين خالفوا عليه وأمره بهتك حُرْمة المدينة، وكان مع مسلم آثنا عشر ألفاً، فوصل مسلم المذكور إلى المدينة وفعل فيها ما لا يفعله مسلم، فإنه قَتل في هذه الوقعة خلقاً من المهاجرين والأنصار وآنتُهِكَتْ

---

(١) انظر ابن الأثير: الجزء الثالث، أخبار سنة ٦٢هـ.

(٢) في الأصل «السوق». والتصحيح من ابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت وفتوح البلدان للبلاذري.

(٣) انظر خليفة بن خياط: ٢٥٠.

(٤) قال الخليل في كتاب العين: الحرَّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع: حرَّات وحِرار وحِرُّون. والحرار في ديار العرب كثيرة. والحرَّة المشار إليها هنا هي حرَّة واقم، إحدى حرّتي المدينة، وهي الشرقية. (انظر معجم البلدان: ٢/٢٤٩).

حُرْمة المدينة وآنتُهِبَتْ، وآفتُضَّت فيها ألف عَذْراء؛ وآستُشهد فيها عبد الله بن حَنْظلة الغَسيل[١] في ثمانية من بيته، وله صُحْبة ورواية؛ وقُتل فيها أيضاً مَعْقِل بن سِنان الأشجعيّ صَبْراً[٢]؛ وآستُشهد أيضاً عبد الله بن زيد بن عاصم المازني النجاريّ، وله صُحْبة ورواية؛ وآستُشهد فيها أيضاً أفلح مولى أبي أيّوب، ومحمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ: ولد في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومحمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس: حَنَّكه[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه، ومعاذ بن الحارث الأنصاريّ أبو حليمة القاري الذي أقامه عمر يصلي التراويح [في شهر رمضان] وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ستّ سنين ــ ومحمد بن أبي الجَهْم بن حذيفة، ومحمد بن أبي حُذيفة العدويّ؛ كل هؤلاء قتلوا يومئذ؛ وهذا مما اختصرته من مقالة الذهبيّ[٤].

وقد ذكر هذه الواقعة أيضاً أبو المظفّر، وساق فيها أموراً شنيعة إلى الغاية؛ وفيما ذكرناه كفاية يُعرف منها حال مسلم بن عقبة المذكور. ويكفيك أنه من يومئذ سُمِّي مسلم المذكور «مُسرف بن عقبة». وقيل: إنه أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ يأتي ذكر ذلك في وفاته قريباً. انتهى أمر مُسرف بن عقبة.

وقال خليفة[٥]: جميع مَنْ أصيب من قريش والأنصار يوم الحَرّة ثلاثمائة وستة رجال، ثم سرد أسماءهم في ثلاث[٦] أوراق.

وفيها توفّي مَسْروق بن الأَجْدَع، واسم الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أمية

---

(١) أي غسيل الملائكة. وهو حنظلة بن أبي عامر. قُتل يوم أُحُد، وفيه قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة» (انظر السيرة النبوية لابن هشام: ٧٥/٣).

(٢) قتله صبراً: أي حبسه حتى مات.

(٣) حنَّكه وحنَكه (بالتشديد والتخفيف) أي دلك حنكه.

(٤) قارن أيضاً بالطبري: ٣٥٢/٣ ــ ٣٥٩؛ وابن الأثير: ٤٥٥/٣ ــ ٤٦٢؛ وخليفة بن خياط: ٢٣٦ ــ ٢٥٠؛ ومعجم البلدان: ٢٤٩/٢؛ والبداية والنهاية: ٢٢٠/٨ ــ ٢٢٧؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠٩؛ والفخري لابن طباطبا: ص ١١٥.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٥٠ ــ وقد انفرد خليفة بمعلومات هامة عن وقعة الحرَّة.

(٦) في سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٥٧/٢ «ثم سرد أسماءهم في ست أوراق».

أبو عائشة الهَمْداني ثم الوداعيّ الكوفيّ مُخَضْرَم (أعني أنه وُلد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد ذلك) وسمع أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم. وممن قُتلوا أيضاً في الحَرَّة زيد بن عاصم وليس هو بصاحب الأذان، ذاك زيد بن ثعلبة، والزبير بن عبد الرحمن بن عوف. وحجّ بالناس عبد الله بن الزبير. وفيها توفّي ربيعة بن كعب الأسلميّ من أهل الصُّفَّة، روى له مسلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية سعيد بن يزيد على مصر

وهي سنة أربع وستين:

فيها حجّ بالناس عبد الله بن الزُّبَير. وكان عاملَه على المدينة أخوه عُبيدة[1] بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطْمِيّ؛ ووَلّى قضاءها سعيد بن نِمْران، وأبَى شُريح أن يقضيَ في الفتنة، وعلى البصرة عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر التيميّ، وعلى قضائها هشام بن هُبَيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم.

وفيها توفّي مسلم بن عقبة المسمّى مُسرفاً المقدّم ذكره في وقعة الحرّة. قال محمد بن جرير الطبريّ: ولمّا فرغ مسلم من وقعة الحرّة توجّه إلى مكة، واستخلف على المدينة رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ، فأدرك مسلماً الموتُ فعهد بالأمر إلى الحُصَين بن نُمير.

وذكر الذهبي رحمه الله أنّ مسلماً هذا أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم. قلت: ولهذا أمسكنا عن الكلام في أمره. وشهد مسلم صِفِّين مع معاوية وكان على الرجّالة.

---

(١) في الأصل «عبيد بن الزبير»؛ وما أثبتناه عن ابن الأثير والطبري وابن سعد في طبقاته.

وفيها توفي الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقد تقدّم نسبه في ترجمة أبيه معاوية، مات في نصف شهر ربيع الأول. وكان بويع الخلافة بعد موت أبيه معاوية في شهر رجب سنة ستين، فكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر وأياماً؛ وكان فاسقاً قليلَ الدِّين مُدْمِنَ الخمر، وهو القائل: [الطويل]

أقول لصَحْبٍ ضَمَّت الكأس شَمْلَهم وداعي صبابات الهوى يَترنَّمُ
خذوا بنصيبٍ من نعيم ولذّةٍ فكلٌّ وإن طال المَدَى يَتَصَرَّمُ

وله أشياء كثيرة غيرُ ذلك، غير أنني أضربت عنها لشهرة فسقه ومعرفة الناس بأحواله. وقد قيل: إنّ رجلاً قال في مجلس عمر بن عبد العزيز عن يزيد هذا أمير المؤمنين؛ فقال له عمر بن عبد العزيز: تقول: أمير المؤمنين! وأمر به فضُرِبَ عشرين سَوْطاً تعزيراً له. ولمّا مات يزيد هذا ولي الخلافة من بعده ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثالث خلفاء بني أميّة؛ وكان رجلاً صالحاً فلم يُرِدْ الخلافة وخلع نفسه منها، ومات بعد قليل.

ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأُمَويّ ثالث خلفاء بني أميّة ووفاته

كنيته أبوعبد الرحمن، ويقال: أبو يزيد[١]. بويع الخلافة بعد موت أبيه يزيد بعهد منه إليه، وذلك في شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وستين، وكان مولده سنة ثلاث وأربعين فلم تطل مدّته في الخلافة.

قال أبو حفص الفلّاس[٢]: ملك أربعين ليلة ثم خلع نفسه، فإنه كان رجلاً صالحاً؛ ولهذا يقال في حقّ أبيه: يزيدُ شرٌّ بين خَيْرين، يعنون بذلك بين أبيه معاوية بن أبي سفيان وآبنه معاوية هذا. وقيل: إن معاوية هذا لمّا أراد خَلْع نفسه جمع الناس وقال: «أيها الناس، ضَعُفْتُ عن أمركم فآختاروا مَنْ أحببتم؛ فقالوا: ولِّ أخاك خالداً. فقال: والله ما ذقتُ حلاوة خلافتكم فلا أتقلَّد وِزْرها. ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس، إنّ جدّي معاوية نازعَ الأمرَ أهلَه ومَنْ هو أحق به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليّ بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيّته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه؛ ثم قلّد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأملُ، وقَصُر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجُرمه؛ ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه ثم قال: إنّ من أعظم الأمور علينا علْمَنا بسوء مَصْرعه وبؤس مُنْقَلَبه، وقد قَتَل عِتْرَة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح الحُرَم وخرَّب الكعبة، وما أنا بالمتقلّد ولا

---

(١) ويقال أيضاً: أبو ليلى. قال المسعودي: ٨٢/٣ وكنّي حين ولي الخلافة بأبي ليلى، وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب. وفيه يقول الشاعر:

إني أرى فتنة هاجت مَراجلُها والملكُ بعد أبي ليلى لمن غَلَبا

(٢) هو عمرو بن علي بن بحر، أبو حفص السقاء الفلاس باحث من أهل البصرة. سكن بغداد ومات بسرَّ من رأى سنة ٢٤٩هـ. من حفاظ الحديث الثقات (الأعلام: ٨٢/٥).

بالمتحمّل تبِعَاتكم، فشأنَكم أمرَكم؛ والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نِلْنا منها حظّاً ولئن كانت شرّاً فكفى ذرّيَةَ أبـي سفيان ما أصابوا منها؛ ألا فليُصَلِّ بالناس حسّان ابن مالك(١)، وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله». ثم دخل منزله وتغيّب حتى مات في سنته بعد أيام(٢).

وفيها توفّي شدّاد بن أَوْس بن ثابت وهو آبن أخـي حسّان بن ثابت.

وفيها توفّي المِسْوَر بن مَخْرمة بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية. وكان سبب موته أنه أصابه حجرُ مَنجنيق في جانب وجهه فمرض أياماً ومات.

وفيها وثب مروان بـن الحَكَم على الأمر وبُويـع له بالخلافة(٣).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثمانية عشر إصبعاً؛ مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة أصابـع.

---

(١) في ابن الأثير وابن كثير أن معاوية أوصى أن يصلِّيَ بالناس الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة. وقد وردت هذه الخطبة بنص مختلف في ابن الأثير: ٤٦٨/٣ والفخري: ١١٥ وابن كثير: ٢٤١/٨.

(٢) قيل دُسَّ إليه فسقي سماً، وقال بعضهم طعن. وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة، وقيل غير ذلك.

(٣) يرى البعض أن أبا المحاسن يفتقر إلى فضيلة الحيدة والموضوعية، فتعاطفه مـع الحزب العلوي جعله يقف موقف العداء للبيت الأموي، وساقه ذلك إلى الإحجام عن ذكر الكثير من أخبار بني أمية، أو تناولها بشكل مبتسر، فحين عرض لخلافة يزيد بن معاوية اكتفى بقوله: «وله أشياء كثيرة غير أنني أضربت عنها لشدّة فسقه» ولم يذكر عن مروان بن الحكم أكثر مما ورد أعلاه. هذا في الوقت الذي استطرد فيه في ذكر أخبار بعيدة تماماً عن موضوعه، كان ينهي حديثه المسهب عنها بعبارة: «خرجنا عن المقصود» انظر الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق: منهج ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، ص ١٠٩ وما بعدها من مجموعة أبحاث من منشورات الهيئة المصرية بعنوان: المؤرخ ابن تغري بردي.

ذكر ولاية عبد الرحمن بن جَحْدَم[١] على مصر

هو عبد الرحمن بن عُقْبة[٢] بن إياس بن الحارث بن عبد[٣] أَسَد بن جَحْدَم (بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة أيضاً وبعدها ميم ساكنة) الفِهْرِيّ أمير مصر. وَلِيَها من قِبَل عبد الله بن الزُّبَير بن العوّام لمّا بُويع بالخلافة في مكة وبايعه المصريون وتوجّه إليه منهم جماعة كثيرة وبايعوه، فأرسل إليهم عبد الرحمن هذا فوصل إلى مصر في شعبان سنة أربع وستين التي ذكرنا حوادثها في إمرة سعيد بن يزيد المقدّم ذكره؛ ودخل معه مصر جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة عبد الله بن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعته، فتابعهم الناس والجُنْد على ما في قلوبهم من الحبّ في الباطن لبني أميّة[٤].

ولما دخل عبد الرحمن المذكور إلى مصر وتمّ أمره أقرّ عابساً على الشُّرْطة والقضاء بمصر؛ فبينما هم في ذلك وصل الخبر من الشأم ببيعة مَرْوان بن الحَكَم بالخلافة وأنّ أمره تمَّ، فصارت مصر معه في الباطن، وفي الظاهر لابن الزبير، حتى جهّز مروانُ بن الحكم جيشاً مع آبنه عبد العزيز إلى أَيْلة ليدخل مصر من هناك. ثم ركب مروان بن الحكم في جيوشه وجموعه وقصد مصر؛ فلما بلغ عبدَ الرحمن بنَ جحدم ذلك استعدّ لحربه وحفر خندقاً[٥] في شهر، أو قريب من شهر، وهو الذي

---

(١) كذا أيضاً في خطط المقريزي وولاة مصر للكندي. وفي حسن المحاضرة للسيوطي: «قحزم» انظر أيضاً معجم زامباور: ٣٨.

(٢) كذا في الأصل. وفي المقريزي والكندي «عُتبة».

(٣) في بعض نسخ ولاة مصر للكندي: «بن عبد بن أسد». وكذلك في بعض نسخ النجوم.

(٤) عبارة الكندي: «وبايعه الناس على غلّ في قلوب ناس من شيعة بني أمية، منهم كريب بن أبرهة الأصبحي، ومِقسم بن بَجَرة التجيبي، وزياد بن حِناطة التجيبي، وعابس بن سعيد وغيرهم».

(٥) قال المقريزي في الخطط: ٤٥٨/٢: هذا الخندق كان من النيل إلى الجبل. حفر مرّتين، مرة في زمن مروان بن الحكم ومرّة في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد، ثم حفره أيضاً القائد جوهر.

بالقَرافة. وسار مروان حتى نزل مدينة عين شمس (أعني المطرية خارج القاهرة) فخرج إليه عبد الرحمن، فتحاربوا يوماً أو يومين، فكانت بين الفريقين مَقْتلة كبيرة. ثم آل الأمر بينهما إلى الصلح وآصطلحا على أنّ مروان يقرّ عبد الرحمن ويدفع إليه مالاً وكسوة(١)؛ ودخل مروان مصر في غرّة جمادى الأولى سنة خمس وستين.

وقال صاحِب «البغية» في آخر جمادى الأولى من السنة. ومُدّة مُقام آبن جَحْدَم فيها إلى أن دخل مروان تسعةُ(٢) أشهر. وبايعه الناس إلا قليلاً فضرب أعناقهم، وجعل على الشُّرْطة في مدّة مُقامه(٣) عمرو بن سعيد بن العاص، وخرج منها (يعني مروان) لهلال رجب سنة خمس وستين. انتهى كلام صاحب البغية.

وقال غيره: وعَزَل مَرْوانُ عبدَ الرحمن بن جَحْدَم عن إمرة مصر، وكانت مدّة ولايته عليها تسعةَ أشهر وأياماً. وفتح مروانُ خزائنه ووضع العطاءَ، فبايعه الناس إلّا نَفَراً من المَعَافر قالوا: لا نخلع بيعة عبد الله بن الزبير. فضرب مروانُ أعناقَهم وكانوا ثمانين رَجُلاً، وذلك في نصف جمادى الآخرة. وكان في ذلك اليوم موتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة، فدفنوه بداره لشغَب الجُنْد على مروان. ثم ضرب مروان عُنُقَ الأَكْدر(٤) بن حَمام اللخميّ سيّد لَخْم، وكان من قَتَلة عثمان رضي الله عنه؛ ثم وَلَّى مروانُ آبنَه عبدَ العزيز بن مروان على مصر وجمع له الصلاة والخَرَاج معاً. ثم خرج منها مروان يريد الشأم بعد أن أوصى ولده عبد العزيز بوصايا(٥) كثيرة مضمونها الرفق بأهل مصر. وكان خروج مروان من مصر في أوّل يوم من شهر رجب.

وقال ابن كثير: وفيها (يعني سنة خمس وستين) دخل مروان بن الحَكَم وعمرو بن سعيد الأَشْدَق إلى مصر فأخذاها من نائبها لعبد الله بن الزبير. وكان سبب

---

(١) ذكر المقريزي (خطط: ٤٥٨/٢) أنه دفع إليه عشرة آلاف دينار، وثلاثمائة ثوب بقطرية ومائة ريطة، وعشرة أفراس، وعشرين بغلاً، وخمسين بعيراً.

(٢) في الأصل «سبعة». وما أثبتناه من ولاة مصر للكندي وخطط المقريزي.

(٣) يعني مروان. وكان مقامه بمصر من يوم دخلها إلى خروجه عنها شهرين. (المصدر السابق).

(٤) في الأصل «الأكيدر» وهو خطأ. وما أثبتناه من ولاة مصر للكندي، وحسن المحاضرة للسيوطي.

(٥) نقل الكندي بعضاً من هذه الوصايا في كتابه ولاة مصر: ص ٦٩ فلينظر.

ذلك أنّ مروان قصدها فخرج إليه نائبها عبد الرحمن بن جَحْدَم، فقابله مروان ليقاتله فاشتغل به وخَلَص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جحدم، فدخل مصر وملَكها وهرب عبد الرحمن بن جَحدم. ودخل مروان إلى مصر فتملّكها وجعل عليها ولده عبد العزيز بن مروان. انتهى كلام ابن كثير برمته.

وقال ابن الأثير في كتابه الكامل(١): (ذكر فتح مروان مصر)، قال: ولمّا قُتل الضحّاك وأصحابه وآستقرّ(٢) الشأم لمروان سار إلى مصر، فقَدِمها وعليها عبد الرحمن بن جَحْدَم القرشيّ يدعو إلى آبن الزبير، فخرج إلى مروان فيمَنْ معه. وبعث مروانُ عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر، فقيل لابن جحدم ذلك فرجع. وبايع الناسُ مروانَ ورجع إلى دمشق، فلمّا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث إليه أخاه مُصْعَباً في جيش، فأرسل إليه مروانُ عمرو بن سعيد قبل أن يدخل الشأم [فقاتله](٣) فانهزم مُصعَب وأصحابه، وكان مصعب شجاعاً، ثم عاد مروان إلى دمشق فاستقرّ بها. وكان الحُصَين بن نُمَير ومالك بن هُبَيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهما ولخالد بن يزيد، فلمّا توطّد مُلْكه قال ذات يوم ومالك عنده: إنّ قوماً يدّعون شروطاً منهم عَطّارة مُكَحَّلة (يعني مالكاً فإنه كان يتطيّب ويتكحّل)، فقال مالك هذا: ولمّا تَرِدِي تهَامَة ويبلُغ الحِزامُ الطُّبْيَيْن! فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان إنما داعبناك؛ فقال: هو ذاك. انتهى كلام ابن الأثير برمته.

قلت: وكانت أيام عبد الرحمن هذا على مصر مع قِصَر مدّته كثيرة الفِتَن والحروب من أوّلها إلى آخرها، غير أنه حجّ بالناس من مصر في أيامه، وبنى عبد الله بن الزبير الكعبة ولم يحجّ أحد من الشأم في هذه السنة.

قال ابن الأثير(٤): لمّا احترقت الكعبة حين غزا أهل الشأم عبدَ الله بن الزبير

---

(١) الجزء الثالث ص ٤٨٣: أخبار سنة ٦٤هـ.

(٢) في الأصل «استمرّ» وما أثبتناه من ابن الأثير.

(٣) الزيادة عن ابن الأثير.

(٤) الكامل في التاريخ: ٤/٢٤: أخبار سنة ٦٥هـ.

أيامَ يزيد بن معاوية تركها آبن الزبير يشنّـع بذلك على أهل الشأم. فلمّا مات يزيد وآستقرّ الأمر لابن الزبير شرع في بنائها، فأمر بهدمها حتى آلتحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، وجعل «الحَجَر الأسود» عنده، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السُّورَ[١] وأدخل فيها الحِجْرَ، وآحتـجَّ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «لولا حِدْثان عهد قومك بالكفر لرددتُ الكعبة على أساس إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأزيد فيها من الحِجْر». فحفر آبن الزبير فوجد أساساً أمثالَ الجبال[٢] فحرّكوا منها صخرة فبرقت بارقةٌ؛ فقال: أقرّوها على أساسها وبنائها. وجعل لها بابَيْن يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر، وقيل كانت عمارتها سنة أربـع وستين.

* * *

السنة التي حكم فيها عبد الرحمن بن جَحْدَم على مصر من قبل عبد الله بن الزبير

وهي سنة خمس وستين:

فيهـا وقـع الطاعـون الجارِف بـالبصرة ــ في قـول ابن الأثير ــ وعليهـا عبد الله[٣] بن عُبَيد الله بن مَعْمَر، فهلك خَلْق كثير وماتت أمّ عُبَيد الله فلم يجدوا لها من يحملها.

وفيها حـج بالناس عبد الله بن الزبير وكان على المدينة أخوه مُصْعَب بن الزبير

(١) كذا في ابن الأثير. وفي الأصل «الستور».

(٢) في الطبعة التي بين أيدينا من الكامل: «فوجد أساساً أمثال الجمال» وهو ما يتفق مـع عبارة الطبري: «فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل».

(٣) في الطبعة التي بين أيدينا من الكامل: «عبيد الله بن معمر» وفي الطبري: «عبيد الله بن عبيد الله بن معمر». وفي أصل تاريـخ خليفة «عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي» وقد صححها المحقق عن الحاشية بما يتوافق مـع رواية الطبري التي ذكرناها.

وعلى الكوفة [عبد الله][(١)] بن مُطِيع وعلى البصرة الحارث بن أبي[(٢)] ربيعة المخزوميّ وعلى خُراسان عبد الله بن خازم.

وفيها وجّه مَرْوان بن الحَكَم الخليفة حُبَيْش بن دَلَجَة في أربعة آلاف إلى المدينة وقال له: أنت على ما كان عليه[(٣)] مُسْلِم بن عُقْبَة. فسار حبيش ومعه عبيد الله بن الحكم أخو مروان وأبو الحجاج يوسف الثقفيّ وآبنه الحجاج وهو شابٌ، فجهّز متولّي البصرة من جهة ابن الزبير، وهو عُبَيْد الله التَّيْمِيّ[(٤)]، جيشاً من البصرة، فالتَقَوْا مع حُبَيْش بن دَلَجة في أوّل شهر رمضان فقُتِل حبيش بن دلجة وعُبَيد الله بن الحَكَم وأكثرُ الجيش، وهربَ من بقِي وهرب يوسف وآبنه الحجاج[(٥)].

وفيها دعا عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية إلى بيعته فأبى محمد فحصره في شِعْب بني هاشم في جماعته وتوعّدهم[(٦)].

وفيها دخل المُهَلّب بن أبي صُفْرة إلى خُراسان أميراً عليها من قِبَل ابن الزبير وحارب الأزارقة أصحاب ابن الأزرق وقاتلهم حتى كسرهم وقتل منهم أربعة آلاف وثمانمائة.

قال الذهبيّ: ووقع أيضاً في هذه السنة بين مروان وبين ابن الزبير حروب كثيرة حتى توفّي مروان حسبما يأتي ذكره.

وفيها توفّي مالك بن هُبَيْرة السَّكُونيّ. له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيها توفّي الخليفة مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس،

---

(١) الزيادة من الطبري.

(٢) في الطبري: «الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة» وهو الذي يقال له: القُباع.

(٣) أي أباح له المدينة كما أباحها يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة عند وقعة الحَرَّة.

(٤) في الطبري وابن الأثير: «الحارث بن أبي ربيعة».

(٥) قارن بروايتي الطبري: ٣/٤٢٤ وابن الأثير: ١٣/٤.

(٦) واستمر ذلك إلى أن بعث المختار الثقفي أبا عبد الله الجدلي فأخرجهم من الحصار (خليفة: ٢٦٢).

أبو عبد الملك القرشيّ الأُمويّ، ويقال أبو القاسم وأبو الحَكَم؛ ولد بمكة بعد عبد الله بن الزبير بأربعة أشهر. قال الذهبيّ: ولم يصحّ له سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن له رؤيةٌ إن شاء الله[١].

قلت: وهو ابن عمّ عثمان بن عفان وكاتبه؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضي الله عنه وقتله، ثم انضم إلى ابن عمه مُعاوية بن أبي سُفْيان وتولّى عدّة أعمال، إلى أن وثَب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية (أعني معاوية وخالداً) وبويع بالخلافة فلم تطل مدّته ومات في أوّل شهر رمضان. وفي سبب موته خلاف كثير؛ وعهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عبد الملك، ثم من بعده إلى ابنه عبد العزيز أمير مصر؛ وكان أوّلاً أراد أن يعهَد لخالد بن يزيد بن معاوية فإنّه كان خلعه من الخلافة وتزوّج بأمّه[٢]، ثم بدا له أن يعهَد لولديه عبد الملك وعبد العزيز؛ ثم ما كفاه فزبَره[٣] وقال: تنحّ يابن رَطْبَة الاست! والله ما لك عقل؛ وبلغ أمّ خالد ذلك فأضمرت له السوء[٤]؛ فدخل مروان عليها وقال لها: هل قال لك خالد شيئاً؟ فأنكرت فنام عندها، فوثبت هي وجواريها فعمدَت إلى وِسادة فوضعتها على وجهه وغمرته هي والجواري حتى مات، ثم صرخن وقلن: مات فجأة. وقال الهيثم: إنه مات مطعوناً بدِمَشْق. والله أعلم.

وفي حدودها توفي قيس بن ذَرِيح أبو زيد الليثيّ الشّاعر المشهور. كان من بادية الحجاز، وهو الذي كان يُشَبِّب بأمّ مَعْمَر لُبْنَى بنت الحباب الكعبيّة، ثم إنه

---

(١) وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: «والأصح ما قاله الذهبي أن مروان لا يعدّ في أمراء المؤمنين، بل هو باغٍ خارج على ابن الزبير، ولا عهده إلى ابنه بصحيح، وإنما صحّت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير».

(٢) وذلك بهدف أن يصغّر من شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة. (الفخري: ١١٩).

(٣) أي انتهره وزجره.

(٤) قال ابن طباطبا في الفخري: ص ١١٩: «ودخل خالد على أمه وأخبرها بما قال له مروان فقالت: لا يعلمنّ أحد أنك أعلمتني وأنا أكفيك. ثم إن مروان نام عندها ليلة فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات. وأراد ابنه عبد الملك أن يقتلها فقيل له: يتحدث الناس أن أباك قتلته امرأة، فتركها. وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر، وذلك تأويل قول أمير المؤمنين: إن له إمرةً كلعقةِ الكلب أنْفَه».

تزوّج بها، وقيل: إنه كان أخا الحسين بن عليّ رضي الله عنهما من الرضاعة، ثم أمر قيساً هذا أبوه بطلاق لُبْنى فطلّقها وفارقها، ثم قال فيها تلك الأشعار الرائقة؛ من ذلك قوله: [الطويل]

ولـو أنّني أسْطِيع صبـراً وسَلْوَةً ... تناسيتُ لُبْنَى غيرَ مـا مُضمِرٍ حِقْـدَا
ولكنّ قلبي قـد تَقَسَّمـه الهـوَى ... شَتـاتاً فمـا أُلْفَى صبوراً ولا جَلْدَا

وله بيت مفرد: [الطويل]

وكـلّ مُلِمَّـات الـزمـان وجـدتُهـا ... سوى فُرْقَةِ الأحباب هَيِّنـةَ الخَطْبِ

وفي حدودها أيضاً توفِّي قيس بن مُعاذ المجنون، ومن ثَمَّ يقاس الجنون بمجنون ليلى؛ وقيل اسمه البَخْتَرِيّ[١] بن الجَعْد وقيل غير ذلك. وليلى محبوبته: هي ليلى بنت مَهدِيّ، أمّ مالك العامريَّة الرَّبعيّة؛ وهو من بني عامر بن صَعْصَعة وقيل من بني كعب بن سعد؛ قيل إنه علِق بليلى علاقة الصِّبا لأنهما كانا صغيرين يرعيان أغناماً لقومهما، فعلق كل واحد منهما بالآخر، فلما كبِرا احتجبت عنه ليلى فزال عقله؛ وفي ذلك يقول: [الطويل]

تعلَّقتُ ليـلَى وهي ذات ذُؤابـةٍ[٢] ... ولم يبدُ للأتراب من ثَدْيِهـا حَجْمُ
صغيـريْنِ نرعـى البَهْمَ يـا ليت أننا ... إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

ثم عظُم الأمر به إلى أن صار أمره إلى ما هو أشهر من أن يذكر. وقيل إنهما ماتا في سنة ثمانٍ وستين.

---

(١) في الأصل وفي الأغاني «البُحْتُري». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن كتاب «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه» ص ٤٧ طبعة دار الكتب المصرية. وعما قيل في اسمه انظر الأغاني: ٢/٤ وما بعدها.

(٢) كذا في الأصل والأغاني: ٢/١٠. وفي ديوانه وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٢٨١ «وهي غرٌّ صغيرةٌ». وفي تزيين الأسواق لداود الأنطاكي: «وهي ذات تمائم». والذؤابة: شعر الناصية. والبَهْم: جمع بَهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والأنثى في ذلك سواء.

وفيها توفِّي عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، وقد تقدّم بقيّة نسبه في ترجمة أبيه عمرو بن العاص الأُمَويّ الصحابـيّ؛ وكنيته أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن، القرشيّ السَّهْمي؛ كان من نجباء الصحابة وعلمائهم، وهو من المكثرين لحديث النبـيّ صلى الله عليه وسلم؛ ذكرنا يوم وفاته في دخول مَرْوَان بن الحَكَم إلى مصر عندما أزال عنها عبد الرحمن بن جَحْدَم.

وفيها توفِّي النعمان بن بَشير بن سعد بن ثعلبة أبو عبد الله، ويقال أبو محمد، الأنصاريّ الخزرجـيّ الصحابـيّ، ابن أخت عبد الله بن رَواحة. ولد سنة اثنتين من الهجرة وحفِظ عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم أحـاديث، ووَلِيَ قضاء دِمَشْق لمعاوية بن أبـي سُفْيان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعاً. وفي درر التيجان: خمسة أذرع وستة أصابـع؛ مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

ذكر ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر(١)

هو عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة القرشيّ الأمويّ أمير مصر؛ كنيته أبو الأَصْبَغ؛ مولده بالمدينة، ثم دخل الشام مع أبيه مروان وكانت داره بدِمَشْق، وهي الدار التي للصوفية الآن المعروفةُ بالسُّمَيْساطيّة(٢) ثم كانت لابنه عمر بن عبد العزيز بعده. ووَلِي إمرة مصر لأبيه مَرْوان في غُرة شهر رجب سنة خمس وستين على الصلاة والخراج معاً بعد ما عُهِد له بالخلافة بعد أخيه عبد الملك.

وكان السبب في بيعتهما أنّ عمرو بن سعيد بن العاص لما هزَم مُصْعَب بن الزبير، حين وجّهه أخوه عبد الله إلى فِلَسْطين، رجع إلى مروان وهو بدمشق، فبلغ مروان أنّ عَمْراً يقول: إن الأمر لي بعد مروان، فدعا مروان حسّان بن ثابت فأخبره بما بلغه عن عمرو؛ فقال: أنا أَكْفيك عَمراً؛ فلما ٱجتمع الناس عند مروان عشيّاً قام حسّان فقال: إنه بلغنا أن رجالاً يتمنّوْن أمانيّ، قوموا فبايعوا لعبد الملك ثم لعبد العزيز من بعده، فبايعوا إلى آخرهم(٣). ومات أبوه بعد مدّة يسيرة حسبما تقدّم ذكره، وٱستقرّ أخوه عبد الملك بن مروان في الخلافة من بعده، فأقرّ عبدَ العزيز هذا على عمل مصر على عادته. وقد روى عبد العزيز هذا الحديثَ عن أبيه وعبدِ الله بن الزبير وعقبةَ بنِ عامر وأبي هريرة، وروى عنه ابنه عمرو بن

(١) قارن بولاة مصر للكندي: ٧٠؛ وخطط المقريزي: ٢٠٩/١، ٣٠٢؛ وحسن المحاضرة: ٨/٢، ومعجم زامباور: ١٣٨.

(٢) نسبة إلى سُمَيْساط، كانت قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية. وهذه الدار كانت لأبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السُّلمي السميساطي المتوفى بدمشق سنة ٤٥٣هـ، وقد وقفها على فقراء المسلمين والصوفية وعرفت باسم الخانقاه السميساطية، وتعرف اليوم بالشميساتية. (انظر الأعلام للزركلي: ٣٢٨/٤).

(٣) الكامل لابن الأثير: ١٢/٤.

عبد العزيز والزهريّ وعُلَيّ بن رَباح وجماعة. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. وقال غيره: كان يلحَن في كلامه ثم تعلّم العربية فأحسن تعلُّمها، وكان فصيحاً جواداً ذا مُروءة وكرم؛ وكان أبوه مروان عقد له البيعة بعد عبد الملك ثم ولّاه مصر؛ وهو معدود من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام. وكان عبد العزيز هذا قد حدّه عمرو بن سعيد الأشدق في شراب شرِبه فوَجَد عليه ابنه عمر بن عبد العزيز؛ فلمّا وَلِي عمر المدينة وجد إسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر في بيت خُلَيْدة العَرْجاء، فحدّه عمر حدّ الخمر؛ فقال إسحاق: يا عمر، كل الناس جُلِدوا في الخمر ـ يُعرّض بأبيه عبد العزيز.

ولما أقام عبد العزيز بمصر وقع بها الطاعون في سنة سبعين، فخرج عبد العزيز من مصر ونزل بحُلْوان فأعجبته فاتخذها سكناً، وجعل بها الحرس والأعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمّرها أحسنِ عمارة وغرس نخلها وكَرْمَها. ثم جهّز البَعْث لقتال ابن الزبير في البحر في سنة اثنتين وسبعين. ثم لما طالت أيام عبد الملك في الخلافة بعد قتل عبد الله بن الزبير ثَقُل عليه أمر عبد العزيز هذا وأراد أن يخلعه من ولاية العهد ويجعلَها عبد الملك لولديه الوليد وسليمان من بعده؛ فمنعه قَبِيصة بن ذُؤيب من ذلك، وكان قبيصة على خاتَم عبد الملك، وقال له: لا تفعل ذلك، فإنك باعث على نفسك صوتاً[1]، ولعل الموت يأتيه فتستريحَ منه؛ فكفّ عن ذلك ونفسُه تنازعه، حتى دخل عليه رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ، وكان أجلّ الناس عند عبد الملك، فشاوره في ذلك، فقال رَوْح: لو خلعتَه ما آنتطح فيها عَنْزان؛ فبينما هما على ذلك، وقد نام عبد الملك وروح تلك الليلة عنده، إذ دخل عليهما قَبِيصَة ليلاً، وكان لا يُحْجَب عن عبد الملك، وكانت الأخبار والكتب تأتيه فيقرؤها قبل عبد الملك؛ فقيل له: قد جاء قَبيصة؛ فدخل قَبيصة فقال: آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز. فآسترجع عبد الملك وقال لرَوْح: يا أبا زُرْعة، كفانا الله ما أجمعْنا عليه، فقال له قبيصة: فداك ما أردت ولم تقطع رَحِمَ أبيك،

(١) في ابن الأثير (أحداث سنة ٨٥هـ): «تبعث على نفسك صوت عارم». وفي الطبري: «باعث على نفسك صوت نعَّار».

ولم تأتِ ما تُعاب به، ولم يَظهرْ منك غَدْر. وقيل غير ذلك: وهو أن عبد الملك كتب لأخيه عبد العزيز هذا: يا أخي، إنْ رأيتَ أن تُصيِّر الأمرَ لابن أخيك الوليد فافعل؛ فأبى عبد العزيز؛ فكتب إليه عبد الملك ثانية: فآجعله من بعدك، فإنه أعز الخلق إليَّ؛ فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز (يعني ابنه) ما تراه في الوليد؛ فكتب عبد الملك إليه ثالثة: فآحمِلْ خراج مصر إليّ؛ فكتب إليه عبد العزيز: إني وإيّاك قد بلغنا سِنّاً لم يبلغها أحد من أهلنا، وإنّا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أوّلاً، فإن رأيتَ ألاّ تُغَنِّتَ[1] عليّ بقيّة عمري ولا يأتيني الموت إلا وأنت واصل فآفعل؛ فرقّ له عبد الملك وقال: لا أُغَنِّث[2] عليه بقية عُمْره. وقال لابنيه الوليد وسليمان: إن يُرِد الله أن يعطيكماها لم يقدِر أحد من الخلق على ردّها عنكما، ثم قال لهما: هل قارفتما حراماً قطّ؟ قالا: لا والله؛ فقال عبد الملك: نِلْتُماها وربِّ الكعبة. وقيل: إنّ عبد العزيز لما ردّ كلام عبد الملك، قال عبد الملك: اللهمَّ إنه قد قطعني فآقطعه. فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه، فدعا عليه فآستجيب له فيه.

قلت: وكانت وفاة عبد العزيز في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين من الهجرة، وقيل سنة خمس[3] وثمانين؛ فكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وتولّى مصر من بعده عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

وقال محمد بن الحارث المخزوميّ: دخل رجل على عبد العزيز في ولايته على مصر يشكو إليه صِهْراً له، فقال: إنّ خَتَنِي ظلمني؛ فقال له عبد العزيز: مَن خَتَنَك؟ فقال: الرجل الختّان الذي يَخْتِن الناس؛ فقال عبد العزيز لكاتبه: ما هذا الجواب؟ فقال: أيها الأمير، إنكَ لحنْتَ والرجلُ يعرِف اللحن، وكان ينبغي أن تقول: من ختنُك (بالضم)؛ فقال عبد العزيز: أتُراني أتكلم بكلام لا تعرِفه العرب؟

---

(١) في الأصل: «ألا نغَّصت . وفي ابن الأثير: «ألا تُفسد». وما أثبتناه من الطبري. (أحداث سنة ٨٥هـ).

(٢) كذا في الطبري. وفي الأصل: «لا عتبت عليه».

(٣) كذا في الطبري وابن سعد.

والله لا شاهدتُ الناسَ حتى أعرِف اللحن؛ فأقام في بيتٍ جمعةً لا يظهر ومعه من يعلّمه النحو؛ فصلى بالناس الجُمُعة الأخرى وهو أفصح الناس.

وقال الذهبي في كتابه «تذهيب التهذيب» بعد أن ساق نُبْذة من نسبه وولايته وروايته بنحو ما قلناه إلى أن قال: «روى ابن عجلان عن القَعْقاع بن حَكيم أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى ابن عمر: ارفع إليَّ حاجتك؛ فكتب إليه ابن عمر (يعني عبد الله): إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اليد العُلْيا خير من اليد السُّفْلى. وآبدأ بمن تَعُول»، ولست أسألك شيئاً ولا أردُّ رزقاً رزقنيه الله عز وجل. وقال يزيد بن أبي حبيب عن سُوَيد بن قيس: بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار لابن عمر فجئتُه بها ففرّقها. وقال محمد بن هانىء الطائي عن محمد بن أبي سعيد قال: قال عبد العزيز بن مروان: ما نظرَ إليَّ رجل قطّ فتأمّلني إلا سألته عن حاجته. ثم قال بعد كلام آخر: وكان يقول عبد العزيز بن مروان: واعجباً من مؤمن يُوقِن أن الله يرزقه ويُوقِن أن الله يُخلِف عليه، كيف يدَّخِر مالاً عن عظيمِ أجرٍ أو حُسنِ سماع! قلت: وكان عبد العزيز جَواداً مُمَدَّحاً سَيُوساً حازماً. قال ابن سعد: مات بمصر سنة خمس وثمانين قبل أخيه عبد الملك بسنة. وقال الحافظ ابن يونس: وَلِيَ مصر عشرين سنة. وقال الليث بن سعد: تُوُفِّي في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين، وله حديث وهو: سمِعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شرُّ ما في الرجل شُحٌّ هالـع وجُبن خالـع» انتهى كلام الذهبي باختصار.

قلت: وعبد العزيز هذا هو الذي أشار على أخيه عبد الملك بضرب الدراهم والدنانير، فضربها في سنة ست(١) وسبعين. وعبد الملك أوّل(٢) من أحدث ضربها

---

(١) في «الأوائل» للعسكري «ومآثر الإنافة» للقلقشندي: سنة خمس وسبعين.

(٢) من هنا إلى آخر هذا الفصل ينقل المؤلف عن ابن الأثير في تاريخه الكامل (أخبار سنة ٧٦هـ). وقد ذكر المقريزي في كتاب «النقود الإسلامية» أن ضربَ الدراهم عُرف في ايام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية ثم أيام عبد الله بن الزبير وأخيه مُصعب. (انظر طبعة دار الكتب المصرية للنجوم: ج ١ص ١٧٦ ـ حاشية). وذكر جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي (ج ١ ص ٩٨) أن المرحوم جودت باشا رأى نقوداً ضربها الأمراء والولاة في عهد الخلفاء الراشدين أقدمها ضرب سنة ٢٨هـ. على

في الإسلام فانتفع الناس بذلك. وكان سبب ضربها أنه كتب في صدر كتاب إلى الروم(١): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ؛ فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم(٢) كذا وكذا فآتركوه وإلّا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيّكم ما تكرهون؛ فعظُم ذلك عليه فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فآستشاره فيه، فقال: حرّمْ دنانيرهم وآضربْ للناس سِكّة وفيها ذكر الله تعالى [ولا تُعْفِهم مما يكرهون في الطوامير](٣). ثم آستشار أخاه عبد العزيز فأشار عليه أيضاً بذلك؛ فضرب الدنانير والدراهم. ثم إن الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكرِه الناس ذلك لمكان القرآن، فإنّ الجُنُب والحائض يَمَسّها؛ ونهى أن يضرِب أحد غيره؛ فضرب سُمَير اليهوديّ(٤) فأخذه الحجاج ليقتله، فقال له: عِيار دراهمي أجود من عِيار دراهمك فلِم تقتلني؟ فلَم يتركه، فوضع للناس سِنَجَ(٥) الأوزان ليتركه فلم يفعل(٦)؛ وكان الناس لا يعرِفون الوزن بل يزنون بعضها ببعض،

= أن هذه المسكوكات لم تكن تعتبر رسمية في الدول الإسلامية. ويجمع المؤرخون على أن أول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان فإنه بعث نقوده إلى جميع بلدان الإسلام وفرض التعامل بها وأمر بإبطال التعامل بالنقود الرومية والفارسية. (وانظر حول هذا الموضوع: الأوائل للعسكري: ٣٦٨ وما بعدها؛ وصبح الأعشى للقلقشندي: ٤٨٣/١؛ ومآثر الإنافة للقلقشندي: ٣٤٥/٣؛ ومقدمة ابن خلدون: ص ٤٦٥؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ٢١٨؛ والنظم الإسلامية للشيخ صبحي الصالح: ص ٤٢٢ وما بعدها؛ وفتوح البلدان للبلاذري: ٥٧١ وما بعدها. وإغاثة الأمة بكشف الغمّة للمقريزي: ص ٨٤ ــ ١٠٠).

(١) في ابن الأثير: «في صدور كتب إلى الروم». وفي النقود الإسلامية للمقريزي: «في صدر كتاب إلى ملك الروم».

(٢) في الأصل «أخذتم». وما أثبتناه من الكامل لابن الأثير. وفي الأوائل للعسكري وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «إنكم أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم، فاتركوه وإلا أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون» انظر أيضاً إغاثة الأمة للمقريزي.

(٣) الزيادة من الأوائل وتاريخ الخلفاء.

(٤) ضرب دراهمه السُّميرية من فضة خالصة وجعل فيها ذهباً. (مآثر الإنافة: ٣٤٥/٣). وسُمير هذا من أهل بلدة «تيما» من بلاد العرب، قرب حدود الشام. (إغاثة الأمة للمقريزي: ص ٩١ ــ حاشية).

(٥) جمع سَنْجَة، ويقال أيضاً: صَنْجَة، والجمع صِنَجٌ. والسَّنْجَةُ ما يوزن به كالرَّطل والأوقيّة وغيرها.

(٦) في رواية القلقشندي في مآثر الإنافة: «.. فأمر الحجّاج بقتله فقال: انظر فإن لم تكن أجود من دراهمك فاقتلني، فوجدها أجود منها، فأمر بقتله لجرأته على ضربها فقال له: فإني أعرض عليك أمراً، فإن رأيته أصلح للمسلمين من قتلي فأعفني، قال: هاته، فوضع الأوزان: وَزْنَ ألفٍ، وخمسمائة، وثلاثمائة، =

فلما وضع لهم سُمَيْر السِّنَجَ كفَّ بعضهم عن [غَبْن](١) بعض.

وأوّل من شدّد(٢) في أمر الوزن وخَلّص الفِضّة أبلغ من تخليص مَنْ كان قبله عمر بن هُبَيْرة(٣) أيام يزيد بن عبد الملك وجَوَّد الدراهم؛ ثمّ خالد بن عبد الله القَسْرِي(٤) أيام هشام بن عبد الملك، فآشتدّ فيه أكثر من ابن هُبَيْرة. ثمّ وَلِي يوسف بن عمر(٥) فأفرط في الشدّة؛ وآمتحن يوماً العِيَار فوجد درهماً ينقص حَبّة، فضرب كلَّ صانعٍ ألفَ سوط. وكانوا مائة صانع، فضرب في حبة [واحدة](٦) مائة ألف سوط. وكانت الدراهم الهُبَيرِيّة والخالدية واليوسفية أجودَ نقود بني أمية، ولم يكن أبوجعفر المنصور يقبل في الخراج غيرها، فسمّيت الدراهم الأولى مكروهة(٧). وقيل: إنّ الدراهم المكروهة هي الدراهم التي ضربها الحجاج ونقش

= إلى وزن ربع قيراط، فجعلها حديداً ونقشها، وجاء بها إلى الحجّاج، فأعجبه وعفا عنه؛ وكان الناس قبل ذلك يأخذون الدرهم الوازنَ فيزنون به غيره، وأكثر ذلك يؤخذ عدداً». قارن أيضاً بإغاثة الأمة للمقريزي.

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) في الأصل «شدَّ». وما أثبتناه من ابن الأثير.

(٣) عمر بن هبيرة بن سعد الفزاري، أبو المثنى: أقطعة عبد الملك بن مروان إقطاعاً ببرزة ــ من قرى دمشق ــ ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولّاه الجزيرة واستمر عليها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك فولاه إمارة العراق وخراسان، ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى خالد بن عبد الله القسري. توفي ابن هبيرة سنة ١١٠هـ. (الأعلام: ٥/٦٨).

(٤) ولي مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين ــ الكوفة والبصرة ــ سنة ١٠٥هـ، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه وعذبه، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ. (الأعلام: ٢/٢٩٧).

(٥) ابن عم الحجاج الثقفي. كان من جبابرة الولاة في العصر الأموي. قتل في السجن بأمر من يزيد بن خالد القسري سنة ١٢٧هـ. (وفيات الأعيان: ٧/١٠١ والأعلام: ٨/٢٤٣).

(٦) زيادة للإيضاح. والمراد بالحبّة الواحدة من حبّات الشعير المعتدل، وهي تعادل ٠,٠٥٩ غراماً. وكان الدرهم الواحد يزن: ٢,٩٧٥ غراماً. (انظر النظم الإسلامية: ص ٤٢٧).

(٧) وكانت تسمى أيضاً: الأَحَديَّة لأنه نقش عليها «قُلْ هوَ الله أَحَد». قال القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ: «وقد رأيت درهماً من هذه الدراهم الأحديَّة، أرانيه بعض أعيان حلب، وذكر لي أن فلاحاً أصاب ركازاً لطيفاً بها فأحضره إلى نائب حلب خوفَ عهدته، فاقتسمه هو وأهل مجلسه، وعوّضه من كل درهم أضعافه، فحصل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصل إليه بعده. (صبح الأعشى: ١/٤٨٣).

عليها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكرهها(١) العلماء. وكانت دراهم الأعاجم مختلفة كباراً وصغاراً، فكانوا يضربون منها المثقال وزن عشرين قيراطاً وآثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط [وهي أصناف المثاقيل](٢)، فلما ضربوا الدراهم في الإسلام أُخِذ الوسط من ثلث هذا العدد، وهو أربعة عشر قيراطاً، فصار الدرهم العربيّ أربعة عشر قيراطاً، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل(٣).

السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مَرْوان على مصر

وهي سنة ست وستين:

فيها عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة أميرَها وأرسل عليها عبدَ الله بن مُطِيع؛ وفي أثناء هذا الأمر خرج المختار(٤) الكذّاب من السجن وآلتفّ عليه خلق من الشيعة وقَوِيت شوكته وضَعُف أمر عبد الله بن مطيع معه، ثم إنه توثّب بالكوفة فقاتله طائفة من أهل الكوفة فهزمهم وقتل منهم رِفاعة بن شدّاد وعبدَ الله بن سعد بن قيس وغلَب على الكوفة، وهرب منه عبد الله بن مُطِيع إلى ابن الزبير؛ وجعل المختار يَتتبّع قَتَلة الحسين بن عليّ، فقتل عُمر بن سعد بن أبي وقّاص وشَمِر بن ذي الجَوْشَن قاتل الحسين بن عليّ؛ ثمّ افترى المختار على الله أنه يأتيه جبريل

(١) في الأصل «ذكرهم العلماء». وهو تحريف. وما أثبتناه من ابن الأثير.

(٢) زيادة من ابن الأثير.

(٣) يُفهم مما ذكره الماوردي والبلاذري أن عمر بن الخطاب هو الذي حدَّد مقدار الدرهم الشرعي الإسلامي على النحو المذكور، وأن ما فعله عبد الملك والحجّاج إنما جاء مبنياً على ما قرَّره عمر. (انظر فتوح البلدان: ٥٧١ وما بعدها؛ والنظم الإسلامية: ٤٢٥).

(٤) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي: من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ. من أهل الطائف. نهض بطلب قتلة الحسين بن علي، ودعا إلى إمامة محمد بن الحنفية. وفي أثناء ذلك كانت تجبى إليه الأموال من السواد والجبل وأصبهان والريّ وأذربيجان والجزيرة ثمانية عشر شهراً. وقرّب أبناء العجم وفرض لهم ولأولادهم الأعطيات وقرّب مجالسهم، وباعد العرب وأقصاهم وحرمهم فغضبوا من ذلك. وكان مقتله على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ. (انظر أخباره في الطبري وابن الأثير: أخبار سنة ٦٦ ــ ٦٧هـ؛ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري: ص ٢١٢ ــ ٢٢٤؛ والإصابة: ترجمة ٨٥٣٩؛ والأعلام: ١٩٢/٧؛ وأصدق الأخبار في الأخذ بالثار للسيد محسن الأمين العاملي: ص ٦٧ وما بعدها.

بالوحي، فلهذا قيل عنه: المختار الكذاب. وفيه يقول سُراقة بن مِرْداس: [الوافر]

كفـرتُ بـوحيكم وجعلتُ نَـذْراً علـيَّ هجـاءَكـم[١] حتّى المـمـاتِ
أُرِي عـيـنـيَّ مـا لـم تَـرْأَيـاهُ كِـلانـا عـالـمٌ بـالتُّـرهـاتِ

وفيها أيضاً التقى المختار مع عبيد الله بن زياد فقتل عبيدَ الله بن زياد وقتل معه شُرَحْبِيل بن ذي الكَلاع وحُصَيْن بن نُمَيْر السَّكُونيّ، واصطلم المختار جيشهم وقتل خلقاً كثيراً وطِيف برؤوس هؤلاء؛ وقيل إنّ ذلك في الآتية.

وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير. وكان عامله على المدينة أخاه مُصْعَب بن الزبير، وعامله على البصرة عبد الله بن أبي ربيعة المَخْزُوميّ، وكان بالكوفة المختار متغلّباً عليها، وبخُراسان عبد الله بن خازم.

وفيها تُوفِّي أسماء بن حارثة الأَسْلَمِيّ (وحارثة بالحاء)، وله صحبة وهو من أصحاب الصُّفَّة، وقيل: إنه مات قبل[٢] ذلك.

وفيها توفي جابر بن سَمُرَة، وهو ابن أخت سعد بن أبي وقّاص، على خُلْف[٣] في وفاته.

وفيها توفي أسماء بن خارجة بن حُصَيْن بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريّ، سيدُ قومه في قول.

---

(١) في الطبري وابن الأثير: «قتالكم». وورد هذا البيت في الأخبار الطوال: ص ٢٢١ على النحو التالي:

كفـرت بـدينكم وبـرئت منكم ومـن قتـلاكـم حتى المـمـاتِ

وأورد الطبري بيتين آخرين هما:

ألا أبـلـغ أبـا إسـحـاقَ أني رأيـت الـبُـلْقَ دهـماً مـصـمـتـاتِ
إذا قـالـوا أقـول لهـم كـذبـتـم وإن خـرجـوا لـبـسـت لهـم أداتي

انظر أيضاً: البداية والنهاية لابن كثير: ٨/٢٧٤.

(٢) وقيل: بل مات بالبصرة في إمارة ابن زياد. (ابن الأثير: أخبار سنة ٦٦هـ).

(٣) وقيل: مات في إمارة بشر بن هارون (المصدر السابق).

وفيها كان الطاعون بمصر ومات فيه خلائق عظيمة؛ وهذا خامس طاعون مشهور في الإسلام.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وسبعة أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثانية من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة سبع وستين:

فيها كانت الواقعة بين إبراهيم بن الأشتر النَّخَعِيّ وبين عبيد الله بن زِياد؛ وكان ابن الأشتر من حزب المختار، وكان في ثمانية آلاف من الكوفيّين، وكان عبيد الله بن زِياد في أربعين ألفاً من الشاميّين؛ فأسرع ابن الأشتر إلى أهل الشام قبل أن يدخلوا أرض العراق فسبقهم ودخل المَوْصِل، فالتقَوْا على خمسة فراسخ من الموصل بالخازِر[1]، فانتهز ابن الأشتر وقتله وقتل من أصحابه خلائق ممن ذكرناهم في الماضية وغيرهم. وكان من غرِق منهم في نهر الخازر أكثر ممن قُتِل؛ ودخل ابن الأشتر المَوْصِل واستعمل عليها وعلى نَصِيبِين وسِنْجار العمال، ثمّ بعث برؤوس عبيد الله بن زِياد والحُصَيْن وشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع إلى المختار فأمر بهم المختار فنُصِبوا بمكّة.

قلت: وعُبَيْد الله بن زِياد هذا هو الذي قاتل الحسين بن عليّ حتى قتله.

وفيها عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه مُصْعَب بن الزبير عن العراق وولّاه لابنه

(١) في الأصل «جازر». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير (أخبار سنة ٦٧هـ). ومن معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت، والأخبار الطوال للدينوري. وقال أبو الحسن الأخفش فيما فسّره من الكتاب الكامل: «خازر» هي خازر المدائن، و«جازر» بالجيم هو نهر الموصل (هامش ص ١٧٩ من الجزء الأول من النجوم ــ طبعة دار الكتب).

حمزة بن عبد الله بن الزبير؛ وكان حمزة جواداً مُخَلَّطاً يجود أحياناً حتى لا يدَع شيئاً يَمْلِكُه ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله؛ وظهر منه بالبصرة خِفّة وضعف، فعزله أبوه وأعاد أخاه مُصْعَباً في الثانية.

وفيها وجّه المختار أربعة آلاف فارس عليهم أبوعبد الله الجَدَليّ وعُقْبَة بن طارق، فكلّم الجَدَليّ عبد الله بن الزبير في محمد بن الحنفية، وأخرجوه من الشِّعْب[1] فلم يقدر ابن الزبير على منعهم، وأقاموا في خدمة محمد بن الحنفية ثمانية أشهر حتى قتل المختار وسار محمد بن الحنفية إلى الشام.

وأما ابن الزبير فإنه غضِب من المختار لكونه انتصر لمحمد بن الحنفية وندب لقتاله أخاه مُصْعَب بن الزبير وولّاه جميعَ العراق، فتوجّه مصعب وحصَر المختار في قصر الإمارة بالكوفة حتى قتله طريف[2] وطرّاف (أخوان من بني حَنِيفة) في شهر رمضان وأتيا برأسه إلى مصعب.

وقُتِل في حرب المختار جماعة من الأشراف منهم عُمَر وعبيد الله ابنا عليّ بن أبي طالب، وزائدة بن عمير الثقفيّ ومحمد بن الأشعث بن قيس الكِنْديّ سِبْط أبي بكر الصدّيق.

وفيها توفّي عَديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي؛ أسلم سنة سبع من الهجرة، وكان كبير طيّىء.

وفيها توفي أبوشُرَيح[3] الخُزاعيّ الكعبيّ الصحابيّ واسمه، على الأصح، خويلد بن عمرو؛ أسلم يوم الفتح.

وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير. وكان عامله على الكوفة والبصرة ابنه

(١) سبق للمؤلف ذكره باسم «شعب بني هاشم». وفي الطبري وابن الأثير «شعب عليّ».

(٢) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ خليفة بن خياط. وفي الطبري وابن الأثير وابن كثير: «طرفة وطرّاف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة».

(٣) الأرجح أن وفاته سنة ٦٨هـ، على ما ذكره كل من الطبري وابن الأثير وخليفة والعسقلاني. وسيذكره المؤلف في وفيات سنة ٦٨هـ أيضاً (على عادته في نقل الوفيات عن أكثر من مصدر واحد دون ترجيح إحدى الروايات). وهو هنا ينقل عن الذهبي.

حمزة[١]، وكان على قضاء البصرة عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعلى الكوفة (أعني قاضيها) هشام بن هُبَيْرة[٢]، والخليفةُ بالشام عبد الملك بن مروان أخو صاحب الترجمة، وبخُراسان عبد الله بن خازم.

وفيها توفي الأحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب بن الزبير، وقيل: مات سنة إحدى وسبعين لما سار مصعب لقتال عبد الملك بن مروان.

وفيها توفّي جُنَادة بن أبي أُميّة. أدرك الجاهلية وليست له صحبة.

وفيها قتَلَ مصعبُ بن الزبير عبد الرحمن وعبد الرب[٣] ابني حُجْر بن عديّ وعِمْران بن حُذَيفَة بن اليمان. قتلهم صبراً بعد قتل المختار وأصحابه.

وفيها توفي أبو واقد الليثيّ، له صحبة وأحاديث. ويقال فيها أيضاً توفي زيد بن أرقم، وقيل: إنّ وفاة هؤلاء في السنة الآتية وهو الأصح.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وآثنا عشر إصبعاً؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ثمان وستين:

فيها عزل عبد الله بن الزبير أخاه مُصْعَب بن الزبير عن العراق وولي عليها ابنَه حمزة بن عبد الله بن الزبير، وقد مرّ ذلك في الماضية.

---

(١) في الطبري وابن الأثير: «أخوه مصعب».

(٢) في الطبري وابن الأثير أن هشام بن هبيرة كان على قضاء البصرة، وأن عبد الله بن عتبة كان على قضاء الكوفة.

(٣) في الأصل: «عبد الرحمن بن عبد ربه بن حجر» وفيه تحريف. وما أثبتناه من ابن الأثير في حوادث سنة ٦٧هـ.

وفيها استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود الزُّهْري على المدينة، فأراد جابر أن يبايع سعيدُ بن المُسَيَّب لابن الزبير فامتنع فضربه سبعين[1] سوطاً، قاله خليفة[1] بن خَيّاط.

وفي هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية: لواء ابن الزبير وأصحابه، ولواء ابن الحنفية وأصحابه، ولواء بني أُمَيّة، ولواء النَّجْدة الحُروريّ، ولم يكن بينهم حرب ولا فتنة. وكان العامل على المدينة لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزُّهْري، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مُصْعَب، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم؛ وكان عبد الملك بن مروان مُشاققاً لابن الزبير.

وفيها توفّي عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ القُرَشِيّ، أبو العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء العباسيّين. ولد في شِعْب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين. وكان يسمّى الحِبْر لكثرة علومه، ومات وله سبعون سنة، رضي الله عنه[2].

وفيها توفي عابس بن سعيد الغُطَيْفيّ قاضي مصر؛ وَلِيَ القضاء والشرطة بمصر لمَسْلَمة بن مُخلّد عدّة سنين[3].

وفيها توفي قَيس بن ذَرِيح وقيس مجنون ليلى، وقد تقدّم ذكرهما في سنة خمس وستين.

وفيها توفي ملك الروم قُسْطَنْطين[4].

وفيها توفي عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتَعة.

---

(١) في تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٦٥ «ستين سوطاً» وكذلك في تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٨١/٢.
(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية: ٢٩٨/٨ ـ ٣١٠، والإصابة: ترجمة ٤٧٧٢.
(٣) انظر: ولاة مصر للكندي: ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧١ ـ وحسن المحاضرة: ١١٥/٢ ـ وفتوح مصر: ٢٣٣ ـ ٢٣٥.
(٤) في ابن كثير: قسطنطين بن قسطنطين.

وفيها توفي أبو شُرَيْح الخُزاعِيّ، وأبو واقد الليثيّ، وقد تقدّم ذكرهما في الماضية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعاً. وفي درر التيجان: وأربعة وعشرون إصبعاً؛ مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

* * *

السنة الرابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة تسع وستين:

فيها كان بالبصرة طاعون الجارِف. قال المدائنيّ[١]: حدّثني من أدرك الجارف قال: كان ثلاثةَ أيام مات فيها في كل يوم سبعون ألفاً. وقال خليفة: قال أبو اليَقْظان[٢]: مات لأنس بن مالك ثمانون ولداً ويقال سبعون ولداً[٣]؛ وقيل مات لعبد الرحمن بن أبي بَكْرة في الطاعون المذكور أربعون ولداً. وقلّ الناس بالبصرة جدّاً حتى إنه ماتت أمّ أمير البصرة فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد. ومات لصَدَقة بن عامر العامريّ في يوم واحد سبعة بنين، فقال: اللهم إني مسلم مُسَلِّم. ولما كان يوم الجُمعة خطب الخطيب وليس في المسجد إلا سبعة أنفس وامرأة، فقال الخطيب: ما فَعَلتِ الوجوه؟ فقالت المرأة: تحت التراب. وقيل: إنه توفّي في هذا الطاعون عشرون ألف عروس. وقد آختلف في سنة هذا الطاعون فمنهم من قال في هذه السنة، وقال بعضهم: في سنة سبعين، وقال آخر: في سنة اثنتين

---

(١) هو علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ. وهو من أغزر المؤرخين مادة خاصة في السيرة النبوية والفتوح وأخبار الخلفاء. (انظر نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ٣٨ ــ ٤٩).

(٢) هو أبو اليقظان، سحيم بن حفص المتوفى سنة ١٩٠هـ. أحد شيوخ خليفة الذين اعتمدهم بصورة أساسية في التاريخ والطبقات. وقد اهتم بالأنساب والأخبار وصنف فيهما.

(٣) عبارة خليفة في تاريخه: «قال خليفة: فيها كان طاعون الجارف، مات فيه أولاد لأنس بن مالك كثير عددهم». والظاهر أن المؤلف لم ينقل مباشرة عن خليفة، ولكنه نقل عن الذهبي الذي أخذ بدوره عن خليفة بن خياط. وعبارة أبي المحاسن بنصّها وردت في تاريخ الإسلام: ٢/ ٣٨١.

وسبعين، وقيل غير ذلك. وهذا الطاعون يكون سابع طاعون في الإسلام، فإن الأوّل[١] كان على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، والثاني طاعون عَمَوَاس في عهد عمر رضي الله عنه، والثالث بالكوفة في زمن أبي موسى الأشعريّ، والرابع بالكوفة أيضاً في زمن المُغِيرة بن شُعْبة، والخامس الطاعون الذي مات فيه زِياد، ثم الطاعون بمصر في سنة ست وستين.

وفيها شرع الخليفة عبد الملك بن مروان في عمارة القبّة على صخرة بيت المقدس وعِمارة جامع الأقصى، وقيل: بل كان شروعه في ذلك سنة سبعين.

وفيها عزل عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عن إمرة العراق وأعاد أخاه مصعب بن الزبير. فقدِمها مصعب وتجهّز وخرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان، وخرج عبد الملك أيضاً من الشام يريد مُصْعب بن الزبير، فسار كل منهما إلى آخر ولايته وهجم عليهما الشتاء، فرجَع كل منهما إلى ولايته. قال خليفة: وكانا يفعلان ذلك في كل سنة حتى قُتِل مُصْعب.

وفيها[٢] عَقَدَ عبد العزيز بن مروان صاحبُ الترجمة لحسّان الغسانيّ على غزو إفريقيّة.

وفيها آجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام، فصالح الخليفةُ عبدُ الملك بن مروان [مَلِكَهم][٣] على أن يؤدّي إليه في كلّ جمعة ألفَ دينار خوفاً

(١) قارن بما ذكره ابن قتيبة في المعارف: ص ٣٣١ حول الطواعين في الإسلام ببعض اختلاف عما يأتي هنا.

(٢) الصواب أن حسّان الغساني غزا إفريقية بعد مقتل زهير بن قيس البلوي سنة ٧٦هـ. وهذا الخطأ وقع فيه أيضاً ابن عبد الحكم. (انظر: فتوح مصر: ٢٠٠ ــ ٢٠٣؛ والحلة السيراء: ٣٣١/٢؛ «وفتح العرب للمغرب بين الحقيقة والأسطورة» بحث للدكتور سعد زغلول عبد الحميد في مجلة كلية الآداب بالإسكندرية، سنة ١٩٦٣، ص ٥).

(٣) الزيادة يقتضيها السياق. وملك الروم هذا هو يوستنيانوس الثاني الذي عرف فيما بعد بـ«الأخرم» Ioustinianos Rhinotmetos وهو ابن الملك قسطنطين «الملتحي» Pogonatos. وكان يقطن منطقة جبل اللكام في ذلك الوقت، بين مدينة أنطاكية وسهل قيليقية المحاذي لبلاد الروم، قوم من النّصارى عرفهم العرب باسم «الجراجمة» (نسبة إلى قاعدتهم في بلدة جرجومة) وعرفهم الروم باسم Mardaite أو المردة. ويبدو أن هؤلاء الجراجمة كانوا في الأصل عشائر من برّ الأناضول أو ما يليه شرقاً من بلاد آسيا

منه على المسلمين. هكذا ذكر ابن الأثير هذه الواقعة في هذه السنة، وقال غيره: إنّها في غير السنة.

وفيها توجَّه مُصعب بن الزبير إلى مكّة ومعه أموال كثيرة ودوابّ كثيرة، فقسّم في قومه وغيرهم ونحر بُدُناً كثيرة.

وفيها حَكَّم[1] رجل من الخوارج بِمنًى وسلَّ سيفه، وكانوا جماعة، فأمسك الله بأيديهم فقُتِل ذلك الرجل عند الجَمْرة[2].

وفيها حجّ بالناس مصعب[3] بن الزبير؛ وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيْرة.

وفيها توفي الأحنف بن قيس التَّمِيمِيّ البصريّ أبو بَحْر؛ واسمه الضحّاك بن قيس بن معاوية بن الحُصَيْن، وكان أحنف الرِّجْلَين (والحَنَف: المَيَل)، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم

= الصغرى، جاء بهم الروم إلى جبل اللكام في زمن متأخر ووطنوهم هناك كرديف عسكري للاستعانة بهم في حروبهم ضد الفرس أول الأمر، ثم ضد المسلمين. وهؤلاء الجراجمة استمروا مقيمين في تلك المنطقة بعد الفتح الإسلامي للشام، وبقوا في الوقت ذاته على صلة عسكرية بالروم بعد جلائهم عن البلاد. فتكرّرت غاراتهم على وادي العاصي ولبنان وغير ذلك من الأطراف الشامية في عهد الخلفاء المتقدمين من بني أمية، مما وضع هؤلاء الخلفاء في حرج شديد بسببهم. وتفيد المصادر الإسلامية وتواريخ الروم بأن الجراجمة أو المردة كانوا يخرجون من جبل اللكام إلى الشام، فينضم إليهم الكثيرون من أبناء البلاد من الأنباط والأسرى واللصوص وأباق العبيد ويغيرون معهم على مواقع المسلمين. وقد بلغت هذه الغارات أشدّها في عهد يزيد بن معاوية وابنه معاوية الثاني، ثم في عهد مروان بن الحكم، إلى أن تمَّ الصلح المشار إليه بين عبد الملك ويوستنيانوس الثاني، فأخرج ملك الروم معظم الجراجمة من جبل اللكام وفرّقهم في بلاده. ثم تمكن المسلمون من القضاء على سطوة من تبقى منهم في «جرجومة» وجوارها في عهد الوليد بن عبد الملك فخرّبوا مدينتهم ووزعوهم على مناطق مختلفة من شمال الشام. (انظر منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ٤١ ـ ٤٣؛ وفتوح البلدان: ١٨٩ ـ ١٩٣؛ وابن الأثير: ٤/٩٠).

(١) حكَّم: أي أعلن مذهبه في التحكيم، وهو من قول الخوارج «لا حكم إلا لله». ـ والخبر منقول بنصّه عن ابن الأثير: ٤/٩١. قارن أيضاً بالطبري: ٣/٥١٥.

(٢) الجمرة: موضع رمي الجمار بمنى.

(٣) في الطبري وابن الأثير: «عبد الله بن الزبير».

يره. قلت: وأخبار الأحنف مشهورة تُغْنِي عن الإطناب في ذكره، وقد تقدّم ذكر وفاته، والصحيح في هذه[١] السنة.

وفيها توفي أبو الأسود الدُّؤَلي البَصْريّ الكِناني، واسمه ظالم بن عمرو بن سُفْيان؛ وهو من الطبقة الأولى من تابعي البصرة؛ وهو أوّل من وضع علم النحو، ومات بالطاعون.

وفيها قَتَل عبد الملك بن مروان عَمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد[٢] أبي أُحَيْحة بن العاص بن أميّة الأشدق؛ سمِّي الأشدق لأنه كان خطيباً مُفْلِقاً، وقيل: لاتساعِ شِدْقه. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة.

وفيها توفي قَبِيصة بن جابر بن وَهْب بن مالك، أبو العلاء الأسديّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة؛ وكانت أرضعته هند أمُّ معاوية بن أبي سفيان.

وفيها توفي مالك بن يَخامِر[٣] السَّكْسَكِيّ الألْهاني الحِمْصِيّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وقيل: له صحبة ورواية.

وفيها توفي يزيد[٤] بن ربيعة بن مُفَرِّغ أبو عنان الحِمْيرِيّ البَصْري؛ كان شاعراً مُجِيداً؛ والسيِّد الحمْيرِي من ولده.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) الأشهر بالنسبة لخليفة بن خياط في تاريخه وابن خلكان في وفيات الأعيان: سنة ٦٧هـ؛ وفي تاريخ الإسلام للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير: الأصح وفاته سنة ٧٢هـ.

(٢) كذا في طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل «سعيد بن أبي أحيحة أبو أمية» وهو خطأ ـ حاشية طبعة دار الكتب من النجوم: ١/١٨٤.

(٣) في الأصل «مالك بن يخاصر السكسكي اليماني». وما أثبتناه من الإصابة: ترجمة ٧٦٩٥.

(٤) في بعض المصادر: «يزيد بن مفرِّغ». وهو الذي وضع «سيرة تبَّع وأشعاره» وهو صاحب البيت الشائع:

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

(انظر الأعلام: ٨/١٨٣، وفيه مصادر ترجمته).

الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع؛ مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعاً وستة أصابع.

* * *

السنة الخامسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة سبعين:

فيها كان الوباء بمصر، وقيل فيها كان طاعون[١] الجارِف المقدّم ذِكرُه في لماضية.

وفيها تحوّل عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر إلى حُلْوان[١] حسبما ذكرناه في أوّل ترجمته، واشتراها من القِبْط بعشرة آلاف دينار.

وفيها حجّ بالناس عبد الله بن الزبير.

وفيها كانت مقتلة عُمَيْر بن الحُباب بن جَعْدَة السُّلَمِيّ.

وفيها تحركت الروم على أهل الشام وعجَزَ عبد الملك بن مروان عنهم لاشتغاله بقتال عبد الله بن الزبير، فصالح ملكَ الروم على أن يؤديَ له في كل جُمُعة ألف دينار[٢].

وفيها وفَد مصعب بن الزبير على أخيه عبد الله بن الزبير بأموال العراق.

وفيها بعث عبد الملك بن مروان خالدَ بن عبد الله بن أَسِيد بن أبي العاص بن أُميّة إلى البصرة ليأخذها في غيبة مصعب بن الزبير.

وفيها توفي الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهَمْدانيّ الكوفيّ الأعور، راوية عليّ رضي الله عنه. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. وقيل: توفي سنة ثلاث وستين.

---

(١) قارن بولاة مصر للكندي: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) راجع ص١٨٣ حاشية (٢).

وفيها توفي عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمّه جميلة بنت[١] عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاريّ، وكان اسمها عاصمة[١]، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة. وعاصم هذا هو جدّ عمر بن عبد العزيز الأُمَوِيّ لأمه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وواحد وعشرون إصبعاً. وفي درر التيجان: ثمانية عشر إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين:

فيها حج بالناس أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وعَرَّف[٢] بمصر عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة، وهو أوّل من عَرَّف بها فقام من قِبَل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وعرّف بمصر.

قلت: ومن خلافة مروان بن الحكم إلى هذه الأيام والممالكُ مقسومة بين خليفتين: عبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان: أمّا الحرمان والعراق كلّه فبيد عبد الله بن الزبير؛ والشامُ ومصر وما يليهما بيد عبد الملك بن مروان، والفتن قائمة بينهما والحروب واقعة في كل سنة.

وفيها افتتح الخليفة عبد الملك بن مروان قَيْسارِيَّة الروم في قول الواقديّ.

وفيها نزع عبدُ الله بن الزبير جابر بن الأَسْوَد بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طَلْحَةَ بن عبد الله بن عَوْف، وهو آخر والٍ كان له على المدينة، فدام على

(١) كذا أيضاً في ابن الأثير وابن كثير والذهبي. وفي الطبري وطبقات ابن سعد: «جميلة أخت عاصم بن ثابت» وفي تهذيب الأسماء واللغات للنووي: «جميلة بنت الأفلح، وقيل بنت ثابت. كان اسمها عاصية فسماها رسول الله جميلة». وفي الإصابة «أمه أم جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح».

(٢) أي أقام وقفة في مصر كما تقام وقفة عرفات في الحج.

المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان، فهرَب طلحةُ وأقام طارق بها حتى سار إلى مكة لقتال ابن الزبير.

وفيها توفي شُتَيْر بن شَكَل القيسيّ الكوفي من أصحاب عليّ بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما. (وشتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان، وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام).

وفيها خرج عبد الله بن ثَوْر أحد بني قيس بن ثعلبة من جهة مصعب بن الزبير بالبحر، فأنْتَدَب لقتله عبد الرحمن [بن](١) الإسكاف والتقَوْا [بجُوَاثا](١) فانهزم عبد الرحمن.

وفيها توفي البَرَاء بن عازب بن الحارث بن عَدِيّ، أبو عُمارة؛ وهو من الطبقة الثالثة من الأنصار من الصحابة؛ مات بالكوفة في أيام مُصْعَب بن الزبير.

وفيها توفي عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمِيّ، أبو صالح، أمير خُراسان. صحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه؛ وكان مشهوراً بالشجاعة، وأصله من البصرة. (وخازم بالخاء المعجمة والزاي).

وفيها توفي عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي(٢) الصحابيّ، من الطبقة الثانية من المهاجرين. فأوّل مشهد شهِده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُدَيْبِية ثم خَيْبَر وما بعدها.

وفيها كانت الوقعة(٣) بين عبد الملك بن مروان وبين مصعب بن الزبير، وقُتِل مصعب في المعركة؛ وكان مصعب من أجمل الناس وأشجعهم، وهو من الطبقة

(١) الزيادة من تاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ خليفة بن خياط. وعبد الله بن ثور، أبو فُدَيك، آلت إليه إمرة الخوارج في أيام ابن الزبير، وكانوا متغلبين على البحرين وما والاها. وجُواثا: حصن لعبد القيس بالبحرين، فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق.

(٢) في الأصل «السلمي» وهو تحريف. وما أثبتناه من الطبري وطبقات ابن سعد والإصابة.

(٣) وكانت تلك الوقعة في مَسْكِن، موضع على نهر دُجَيل عند دير الجاثليق.

الثانية من تابعي أهل المدينة، وكنيته أبو عبد الله والمشهور أبو عيسى. وكان مصعب يجالس أبا هريرة؛ ورآه جَمِيلُ بثينة بعرفات فقال: إن هاهنا لشَابًّا أكره أن تراه بثينة (أعني لجماله). ولما قُتِل مصعب بن الزبير أخذ أمرُ أخيه عبد الله بن الزبير في إدباره. وقيل: إنّ قَتْلَة مصعب كانت في سنة اثنتين وسبعين، وهو الأشهر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع؛ مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً. وفي درر التيجان: وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة السابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة اثنتين وسبعين:

فيها بَنَى عبد الملك بن مروان قبّة الصخرة بالقدس والجامع الأقصى، وقد ذكرناه في الماضية، والأصح أنّه في هذه السنة. وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لمّا دَعَا لنفسه بمكّة فكان يخطب في أيام مِنًى وعَرَفَة وينال من عبد الملك ويذكر مَثالب بني أُمَيّة، ويذكر أن جَدّه الحَكَم كان طريدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَعِينَه، فمال أكثر أهل الشأم إلى ابن الزبير؛ فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجّوا، فبَنَى لهم القبّة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم(١) بذلك عن الحج والعُمْرة، فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينَحرون يوم العيد ضحاياهم؛ وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يُعرِّف بالناس بمصر ويقِف بهم يوم عرفة.

وفيها وَلَّى عبد الملك بن مروان طارق بن عمرو مولى عثمان على المدينة،

(١) في الأصل «ليصلحهم» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

فسار إليها وغلَب عليها وأخرج منها طلحة بنَ عبد الله بن عَوْف عامل ابن الزبير، وقد تقدّم ذلك في الماضية.

وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفيّ إلى مكّة لقتال عبد الله بـن الزبير فتوجّه إلى مكة وحاصر ابن الزبير إلى أن قُتِل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين، على ما يأتي ذكره في محله.

وفيها كان العاملُ على المدينة طارقاً لعبد الملك بن مروان، وعلى الكوفة بِشْر بن مروان، وعلى قضائها عُبَيْـد الله بـن عبد الله بن عُتْبَـة، [وعلى البصرة خالد بن عبد الله، وعلى قضائها هشام بن هبيرة](١)، وكان على خُراسان ــ في قول بعضهم ــ بُكَيْر بن وِشاح، [وفي قول بعضهم عبد الله بن خازم](١).

وفيها توفي عَبِيدة بن عمرو السَّلْمانِيّ(٢) المرادي؛ أسلم في حياة النبـي صلى الله عليه وسلم وكان من كبار الفقهاء. أخذَ عن عليّ بن أبـي طالب وعبد الله بن مسعود. (وعَبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحّدة).

وفيها على الصحيـح مقتلة مصعب بـن الزبير: طعنه زائدة الثقفيّ وقتل معه ابنه عيسى وإبراهيم بن الأشتر ومسلم بـن عمرو الباهليّ. وقد مرّ من أخباره في الماضية ما يُغْني عن ذكره هنا ثانية.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وعشرة أصابـع، مبلـغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً. وفي درر التيجان: سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً.

* * *

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير.

(٢) السَّلْماني: بفتح السين وسكون اللام. وهذه النسبة إلى بني سلمان، وهو بطن من مراد. أسلم عبيدة قبل وفاة النبـي بسنتين ولم يره. (النووي: ١/٣١٧).

السنة الثامنة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين:

وفيها قُتِل أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب، أبو بكر، وقيل أبو خُبَيْب، القرشيّ الأسديّ، أوّل[١] مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق، له صحبة ورواية؛ حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بالبيت الحرام أشهراً ونصَب على الكعبة المِنْجَنيق ورمى به على البيت غير مرة حتى قَتَل ابن الزبير وصلبه. قيل: إنّ الحسن البصريّ سئِل عن عبد الملك بن مروان، فقال الحسن: ما أقول في رجل الحجّاج سيّئةٌ من سيّئاته. وقتل مع عبد الله بن الزبير هؤلاء الثلاثة: وهم عبد الله بن صَفْوان[٢] بن أُمَيّة بن خَلَف الجُمَحِيّ، وعبد الله بن مُطِيع[٣] بن الأسود العَدَوي، وعبد الرحمن بن عثمان بن عُبَيد الله التَّيْمِي، فهؤلاء من الأشراف، وأما غيرهم فكثير. ومن يومَ قُتِل عبد الله بن الزبير صار في الإسلام خليفة واحد وهو عبد الملك ابن مروان. قلت: ومناقب عبد الله بن الزبير كثيرة يضيق هذا المحل عن ذكرها.

وفيها توفِّيت أسماء بنت أبي بكر أمّ عبد الله بن الزبير المذكور بعد ابنها عبد الله بمدّة يسيرة.

وفيها غزا محمد بن مروان الرومَ صائفة في أربعة آلاف، فساروا إليه في ستين ألفاً فهزمهم محمد واستباح عسكرهم، وقيل: إنّ هذا كان من ناحية أرمِينِيَة.

وفيها توفي إياس بن قَتادة بن أَوْفَى، من الطبقة الأولى من التابعين، وكان لأبيه قتادة صحبة.

---

(١) وقد فرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً لأن اليهود كانوا يقولون: سحرناهم فلا يولد لهم ولد. وحنّكه رسول الله بتمرة لاكها، وسماه عبد الله، وكنّاه أبا بكر، باسم جده الصديق وكنيته. (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١١).

(٢) قتل وهو متعلق بأستار الكعبة (تاريخ خليفة: ٢٦٩).

(٣) أصابه حجر منجنيق فمات منه. (المصدر السابق).

وفيها توفي سَلْم بن زِياد ابن أبيه أمير خُراسان. وكان جواداً مُمَدَّحاً يُعطي ألف ألف الدرهم. مات بالبصرة.

وفيها توفي مالك بن أَوْس بن الحَدَثان أحد بني نصر بـن معاوية بن هارون. قيل له صحبة، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين.

وفيها استعمل عبد الملك بن مروان أخاه محمداً على الجزيرة وأَرمِينيَة[١]، وكانت [بُحَيْرة الطِّرِّيـخ التي بأرمينية][٢] مباحة لم يتعرّض إليها أحد بل كان يأخذ منها مَنْ شاء، فمَنَـع من صيدها وجعل عليها مَنْ يأخذه [ويبيعه][٢] ويأخذ ثمنه، وصارت بعده لابنه مروان؛ ثم أُخِذَت منه لمّا آنتقلت الدولة الأُمَوِيّة، وهي الآن على ذلك الحَجْر. ومن سنّ سُنّة سيّئة كان عليه وِزْرها ووِزْرُ من عمِـل بها إلى يوم القيامة من غير أن يَنْقُص من أوزارهم شيء. وهذا الطّرّيـخ[٣] من عجائب الدنيا فإنه سمك صغار له كلّ سنة موسِم يخرج من هذه البحيرة في نهر يصبّ إليها كثيراً يؤخذ بالأيدي وغيرها، فإذا انقضى موسمه لا يُوجَد منه شيء.

وفيها عزَل عبد الملك خالدَ بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بِشْراً في قول.

وفيها توفي مالك بن مِسْمَـع بن[٤] غَسّان الرَّبَعـيّ البصريّ، من الطبقة الأولى من التابعين. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) في الأصل «على الجزيرة وبحيرة أرمينية» وما أثبتناه عن ابن الأثير: ٤/ ١٢٩.

(٢) الزيادة عن ابن الأثير.

(٣) في الأصل: «المكان» والتصحيح عن ابن الأثير.

(٤) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي ابن الأثير: «مالك بن مسمع، أبو غسّان البكري» وهو الصواب. وفيه يقول حصين بن المنذر:

حـيـاة أبي غـسّـان خـير لـقـومـه لمن كـان قـد قـاسى الأمـور وجـرَّبـا

(انظر الإصابة: ترجمة ٨٣٥٣ والمعارف لابن قتيبة: ٢٣٧).

الماء القديم سبعة أذرع وتسعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع.

* * *

السنة التاسعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة أربع وسبعين:

فيها سار الحجاج من مكّة، بعدما بنى البيت الحرام، إلى المدينة، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعنّت[١] أهلَها، وبنى بها مسجداً في بني سَلِمَة يُعْرف به، وأخذ بعض الصحابة وختَم[٢] عليهم في أعناقهم. روى الواقديّ عن آبن أبي ذُؤَيْب عمن رأى جابر بن عبد الله مختوماً [في يده ورأى أنس بن مالك مختوماً][٣] في عنقه، يُذلّهما بذلك. قال الواقديّ: وحدّثني شُرَحْبِيل بن أبي عَوْن عن أبيه قال: رأيت الحجّاج أرسل إلى سهل بن سعد الساعِديّ فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قد فعلت؛ قال: كذبت، ثم أمر به فخُتِم في عُنُقه برَصاص.

وفيها توفي بِشْر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمَيّة وهو متولّي البصرة، وكان ولي العراق والكوفة قبل ذلك. وقَحِط الناس أيام بشر فاستسقى فمُطِروا؛ ثم مرّ بشر بُسراقة، وكان سراقة قد عمِل فيها أبياتاً، فرأى سراقة يُحوِّل الماء من داره؛ فقال بشر: ما هذا يا سراقة؟ فقال: هذا ولم ترفع يديك في الدعاء، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان. ومات بِشْر المذكور من البلاذر، فإنه شربه بطُوس فاعتلّ ولزِم الفراش حتى مات.

وفيها توفي رافع بن خَدِيج بن رافع بن عَدي الأنصاريّ الصحابيّ من

---

(١) أي يأخذهم بما يصعب عليهم أداؤه. وفي بعض النسخ: «يتعتّب» وهو خطأ. وفي الطبري: «يتعبّث بأهل المدينة ويتعنتهم».

(٢) ما كان يفعل بأهل الذمّة.

(٣) الزيادة عن الطبري.

الطبقة الثالثة من الأنصار؛ شهد أُحُداً وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو عبد الله، وأمّه حليمة بنت عُرْوة بن مسعود.

وفيها توفي أبو سعيد الخُدْرِيّ؛ وآسمه سعد بن مالك بن سِنان بن ثَعْلبة، الصحابيّ من الطبقة الثالثة من الأنصار، وآستُصغر يوم أُحُد فرُدّ. قال أبو سعيد: فخرجنا نتلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل من أُحُد ببطن قُبَاء، فنظر إليّ، وقال: «سعد بن مالك»؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمي. فدنوتُ منه وقبّلت ركبته، فقال: «آجرك الله في أبيك»، وكان قُتِل يومئذ شهيداً.

وفيها توفّي سلَمَة بن الأكوع، وكنيته أبو مسلم[١]، الصحابيّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين. قال سلمة: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غَزَوات.

وفيها توفي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أبو عبد الرحمن القرشيّ العدويّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمّه زينب بنت مَظْعون بن حبيب، وهو شقيق حَفْصَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم عبد الله قديماً بمكّة قبل البلوغ، وهو من العبادلة الأربعة: وهم عبد الله بن عمر هذا، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين؛ وهو من المكثرين في رواية الحديث.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

* * *

(١) ويكنّى أيضاً بأبي عامر وأبي إياس، كما في طبقات ابن سعد.

السنة العاشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة خمس وسبعين:

فيها حج بالناس الخليفة عبد الملك بن مروان وخطب على مِنْبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظنّها أوّل حِجّته في الخلافة.

وفيها ولّى الخليفة عبد الملك بن مروان الحجاجَ بن يوسف على العراق.

وفيها خرج عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر وافداً على أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان بالشام واستخلف على مصر زِياد بن حنظلة(١) التُّجيبِيّ. وتوفي زياد بعد ذلك بمدّة يسيرة في شوّال؛ وتخلّف على مصر الأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان حتى قدِم أبوه عبد العزيز من الشام.

وفيها ولّى عبد الملك المدينة يحيى بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة.

وفيها خرج ملك الروم بجيوشه ونزل على مَرْعَش من أعمال حلب، فندَب عبد الملك لقتاله أخاه محمد بن مروان فهزم محمد الرومَ وغلبهم.

وفيها ضرب عبد الملك بن مروان على الدينار والدرهم اسمَ الله تعالى. وسببه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بثلاثمائة سنة أو بأربعمائة سنة مكتوب عليها: باسم الأب والابن وروح القدس. قال الزهريّ: كانت الدراهم على ثلاثة أصناف: الوافية وزن الدرهم مثقال، والبَغْلِيّة(٢) وزن الدرهم نصف مثقال، والزياديّة وزن العشرة ستة مثاقيل. فجمع عبد الملك هذه الأصناف وضربها على ما هي الآن عليه.

وفيها توفي تَوْبَة بن الحُمَيِّر بن عُقَيْل بن كعب بن رَبيعة الخفاجيّ: أحد عُشّاق العرب، صاحب ليلى الأخيلِية بنت عبد الله بن الرحّال بن شدّاد بن كعب؛ وكانت أشعر نساء زمانها لا يُقدَّم عليها غير الخنساء. قيل: إن ليلى هذه دخلت

(١) في الكندي: «زياد بن حناطة بن سيف التجيبي».

(٢) في الأصل «التغلبية» وهو تحريف. وقد سميت البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية «نوش خور» أي: كل هنيئاً. (حياة الحيوان الكبرى للدميري: ١/٦٤).

على عبد الملك بن مروان فقال لها: ما رأى منك تَوْبَةُ حتى عشِقك؟ فقالت: ما رأى الناس منك حين جعلوك خليفة!. وقال الشعبيّ: ودخلتْ ليلى[١] الأخيلية على الحجاج وأنا حاضر، فقال: ما الذي أقدمك علينا؟ فقالت: إخلاف النجوم، وقِلّة الغيوم؛ وكَلَب البَرْد، وشدّة الجَهْد، وأنت لنا بعد الله الرِّفْد[٢]؛ فقال لها: صِفِي حال البلاد؛ فقالت: أمّا الفِجاج فمُغْبَرَّة، وأما الأرض فمُقْشَعِرَّة، ثم ذكرت أشياء من هذه المقولة إلى أن قالت: وقد أصابتنا سِنُونَ لم تدع لنا [هُبَعاً، ولا رُبَعاً، ولا عافِطَةً، ولا نافِطَةً][٣]؛ ذهبت الأموال، ونزحت الرجال[٤]. وأما أشعار تَوْبَة المذكور فيها وتشبيبه بها فكثيرة ليس هذا موضع ذكرها.

وفيها توفي أبو ثعلبة الخُشَنِيّ القُضاعِيّ، واسمه جُرْثُوم[٥]؛ قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهّز إلى غزوة حُنَيْن، وقيل: إنه شهِد بيعة الرضوان وحُنيناً ونزل الشام وتوفي بها.

وفيها توفي سُلَيْم بن عِتْر[٦] التُّجِيبِي المصري أبو سَلَمَة عالم مصر وقاضيها، من الطبقة الأولى من التابعين؛ وهو أوّل مَنْ [قصّ][٧] بمصر في سنة تسع وثلاثين وشهِد فتح مصر.

---

(١) انظر خبر ليلى الأخيلية مع الحجاج في كتاب الأمالي في لغة العرب» لأبي علي القالي: ١/٨٦ ـ ٩٠. وقد ورد الخبر أكثر بسطاً وباختلاف في عدد من الألفاظ.

(٢) الرِّفْد بالفتح: المعونة، وبالكسر: العطيَّة. وفي قول أبي عبيدة أن الرِّفد بالكسر هو المعونة (انظر الأمالي للقالي ولسان العرب: مادة رَفَد). وقولها: إخلاف النجوم تريد: أخلفت النجوم التي يكون بها المطر فلم تأتِ بمطر. وكَلَب البرد: شدَّته.

(٣) في الأصل «هباءً ولا رباءً، ولا عاطنة ولا ناطقة» وما أثبتناه من أمالي القالي.

(٤) في الأمالي «أذهبت الأموال، ومزَّقت الرجال، وأهلكت العيال».

(٥) اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً. (انظر الإصابة لابن حجر: ترجمة ١٧٦ من كتاب الكنى).

(٦) في الأصل «عمير». وفي بعض النسخ «عمر». وما أثبتناه من فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص ٢٣١، وولاة مصر: ٣٧. وورد في حسن المحاضرة: ٢/١١٤ «عنز» وهو خطأ.

(٧) في طبعة دار الكتب «قضى»، وهو خطأ. إذ المعروف أن أول من تولى القضاء بمصر كان قيس بن أبي العاص السَّهمي المتوفى سنة ٢٣هـ. ولاه عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطّاب. (انظر فتوح مصر: ٢٢٠، وحسن المحاضرة: ٢/١١٤). أما سليمان بن عتر التجيبي فهو أول من قصّ بمصر، وأول من سجل سجلاً في المواريث، وتولى القضاء عشرين سنة. (ولاة مصر: ٣٧ ـ حاشية، والإصابة: ترجمة ٣٦٩٢).

وفيها توفي شُرَيْح[١] بن الحارث بن قيس بن الجَهْم بن معاوية ابن عامر أبو أميّة قاضي الكوفة، من الطبقة الأولى من التابعين الكوفيين، وقيل إنه صحابي.

وفيها كان وقوع الطاعون بالكوفة.

وفيها توفي صِلَة بن أَشْيَم العَدَوِيّ، أبو الصهباء، من الطبقة الأولى من تابعي الصحابة بالبصرة.

وفيها توفي العِرْباض بن سارية أبو نَجِيح السُّلَميّ، من الطبقة الثالثة من الصحابة المهاجرين.

وفيها توفي عمرو بن ميمون الأَوْدِي (أَوْد[٢] بني صَعْب بن سعد) من الطبقة الأولى من التابعين. أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقَه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وسبعة أصابع. مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ست وسبعين:

فيها خرج صالح بن مُسَرِّح التميمي. وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، لكنّه كان يحُطُّ على الخليفتين عثمان وعليّ رضي الله عنهما كهيئة الخوارج، فوقع له حروب في هذه السنة إلى أن توفي من جُرح أصابه في حروبه بعد مدّة في جمادى الآخرة،

---

(١) في سنة وفاته اختلاف كثير. (انظر طبقات ابن سعد: ٩٩/٦، والإصابة: ترجمة ٣٨٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات: ٢٤٢/١).

(٢) والأود ثلاثة أحياء: حيّ من سعد العشيرة من كهلان من القحطانية، وحي من باهلة من قيس بن عيلان من العدنانية، وحي من همدان من كهلان من القحطانية. (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٤٩/١).

وعهِد لشَبيب بن يزيد؛ فوقع لشبيب المذكور مع الحجّاج بن يوسف حروب ووقائع كثيرة أكثرها لشبيب على الحجّاج حتى دخل شبيب في هذه السنة الكوفةَ ومعه آمرأته غَزالة، وكانت غزالة المذكورة تدخل مع زوجها في الحروب، وربّما قصدت الحجاج فهرَب منها[1].

وفيها وفَد يحيى بن الحكم على الخليفة عبد الملك بن مروان.

وفيها كان الحجاج على العراق وفعل تلك الأفعال القبيحة، وكان على خُراسان أُميّة بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة زُرارة بـن أَوْفى.

وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية مَلَطِيّة.

وفيها توفي حَبّة بن جُوَيْن العُرَنِيّ صاحب عليّ (وحبة بالحاء المهملة والباء الموحدة) وهو منسوب إلى عُرَنَة[2] (بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنوّن).

وفيها حجّ بالناس أبانُ بن عثمان بن عفّان أميرُ المدينة بعد أن ولّاه عبد الملك إمْرَتها في أوّل السنة.

وفيها وُلد مَرْوان بن محمد الجَعْدي المعروف بالحِمار، آخر خلفاء بني أميّة الآتي ذكره في محلّه.

---

(١) وقال عمران بن حطّان السدوسِي يؤنب الحجّاج ويذكر غزالة زوجة شبيب:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ ... فَتْخاءُ تجفلُ من صفير الصافرِ
هلّا برزتَ إلى غزالة في الوَغى ... بل كان قلبك في جوانح طائرِ
صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مناظره كأمس الدابرِ

وصالح بن مسرح التميمي هذا كانت تعظمه الخوارج، وهو أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد العبادي، وعند قبره يحلق الخوارج رؤوسهم إذا خرجوا. (انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢٧٤، والكامل لابن الأثير: ١٥١/٤ وما بعدها، والأغاني: ١٢١/١٨ طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان: ١١١/٤ «عُرَنَة: بوزن هُمَزَة وضُحَكَة. وبطن عُرَنة: وادٍ بحذاء عرفات. وقيل: هو مسجد عرفة والمسيل كله».

وفيها آستشهد زُهَير بن قيس البَلَوِيّ المصريّ، أبو شدّاد، في واقعة الروم، وقد تقدّم ذكره في واقعة إفريقيّة مـع كُسَيْلة وغيره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربعة أصابـع. مبلـغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وسبعة أصابـع.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة سبـع وسبعين:

فيها قُتِل شَبيب بن يزيد بن نُعَيْم بعد أن وقـع له وقائـع مـع الحجّاج وعمّاله؛ وهو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمـرو بن الصَّلْت الشَّيْبانيّ الخارجـيّ. خرج بالمَوْصل فبعث إليه الحجاج خمسة قوّاد فقتلهم واحداً بعد واحد، ثم قاتل الحجّاج وحاصَره وكسره غير مرّة. وكانت آمرأة شبيب غزالة من الشجعان الفُرسان حتى إنها قصدت الحجّاج فهرَب منها، فعيّره بعض الناس بقوله: [الكامل]

أَسَـدٌ عليَّ وفي الحـروب نعـامـةٌ فَتْخـاءُ تَنْفِـرُ من صفيـر الصـافِـرِ
هلاّ بَرَزْتَ إلى غزالةَ في الـوغَـى بل كان قلبُكَ في جَناحَـيْ طائِرِ[١]

وفيها خرج مُطَرِّف بن المُغيرَة بن شُعبة على الحجّاج، وخلَـع عبدَ الملك بن مروان من الخلافة وحارب الحجاج إلى أن قُتِل.

وفيها عبرَ أُمَيّة[٢] نهر بَلْـخ للغزو فحُوصِر حتى جُهِد هو وأصحابه ثم نَجَوْا بعدما أشرفوا على الهلاك ورجعوا إلى مَرْو.

---

(١) راجـع الصفحة السابقة، حاشية (١).
(٢) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد. ولي خراسان لعبد الملك بن مروان وتوفي سنة ٨٧هـ (ابن الأثير: ٤/١٨٥، ٢٤٥).

وفيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفّان وهو أمير المدينة. وكان على البصرة والكوفة الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، وعلى خُراسان أميّة المذكور.

وفيها غزا الصائفةَ[1] الوليدُ بن عبد الملك بن مروان.

وفيها توفّي جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري في قول.

وفيها[2] توفي عُبَيد بن عُمَير بن قَتادة اللّيثيّ المكيّ أبو عاصم، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل مكة. قال عَطاء: دخلتُ أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت: من هذا؟ فقال: أنا عُبَيد بن عُمَير، قالت: أفَمِن أهل مكّة؟ قال: نعم، قالت: خفّف فإنّ الذكر ثقيل. قال مجاهد: كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس، وقاضِينا عُبَيْد بن عُمَيْر.

وفيها توفي قَطَرِيّ بن الفُجاءَة المازِني، وقيل التمِيميّ؛ كان أحدَ رؤوس الخوارج[3]؛ حارب المُهلَّب بن أبي صُفْرة سنين، وسُلِّم عليه بأمير المؤمنين.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرة أصابع. مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ثمان وسبعين:

فيها وُلِّي المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة خُراسان نيابة عن الحجاج وهو يوم ذاك أمير البصرة والكوفة وخُراسان وكَرْمان.

---

(١) أي غزا في الصيف، والجمع: صوافي.

(٢) قال ابن حبّان في الثقات: مات سنة ٦٨هـ. انظر ذكر أسماء التابعين للدارقطني: ٢/١٦٢. والإصابة: ترجمة ٦٢٣٨.

(٣) من الخوارج الأزارقة، أتباع نافع بن الأزرق. انظر خبر مقتله في ابن الاثير: ٤/١٨٤.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن عبد[١] القاريّ، وله ثمان وسبعون سنة، ومسح النبي صلى الله عليه وسلم برأسه (والقاريّ: بالياء المشدّدة).

وفيها غزا مُحرِز بن أبي مُحرِز أرض الروم وفتح أَرْقَلة[٢]. فلما رجع بعسكره، أصابهم مطر شديد من وراء درب الحدث[٣] فأصيب منه ناس كثيرة.

وفيها وَلِي إمْرَة الغرب[٤] كلّها موسى بن نُصَيْر اللَّخْمِيّ، فسار إليه وقدِم إلى طَنْجَة وقدّم على مقدّمته طارق بن زياد الصدَفيّ مولاهم الذي افتتح الأندلس، وأصاب فيها المائدة التي يزعم أهل الكتاب أنها مائدة[٥] سليمان عليه السلام.

وفيها حجّ بالناس الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقيل[٦] أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة.

وفيها فرغ الحجاج بن يوسف من بناء «واسِط». وإنما سمِّيت «واسِط» لأنها بناء واسط بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخاً وإلى البصرة كذلك.

وفيها عزل عبد الملك عامل[٧] خُراسان وضمَّ ولايتها وولاية سِجِسْتان إلى الحجاج، فسار الحجاج إلى البصرة وآستخلف عليها المُغيرة بن عبد الله بن [أبي][٨] عقيل.

---

(١) كذا أيضاً في طبقات ابن سعد، وتهذيب التهذيب، وتاريخ خليفة (وفيه أن وفاته سنة ٨٠هـ). وفي ابن الأثير: عبد الرحمن بن عبد الله القاريّ. وفي بعض نسخ النجوم: عبد الرحمن بن عوف القاري، وهو تحريف.

(٢) كذا في الأصل. والخبر ينقله أبو المحاسن بنصّه عن خليفة بن خياط، وفيه «وفتح أزقلة» بالزاي المعجمة. وفي معجم البلدان لياقوت: ٩٨/٣ ورد: «أرقدة حصن على سبع مراحل من القسطنطينية».

(٣) كذا أيضاً في خليفة بن خياط.

(٤) إن اصطلاح «الغرب» في النجوم يعني في أكثر الأحيان المغرب الأقصى وأيضاً الأندلس. (انظر: المؤرخ ابن تغري بردي، مجموعة أبحاث عن الهيئة المصرية العامة، ص ١٤٥ وما بعدها).

(٥) قارن بابن عبد الحكم: ص ٢٠٣ ــ ٢٠٦، والحلة السيراء لابن الأبار: ٣٣١/٢.

(٦) في رواية الطبري وخليفة: الوليد بن عبد الملك، وفي رواية ابن الأثير: أبان بن عثمان.

(٧) وهو أمية بن عبد الله بن خالد.

(٨) الزيادة من الطبري وابن الأثير.

وفيها قدِم المُهلَّب على الحجاج فأجلسه معه على سريره وأعطى أصحابه الأموال وقال: هؤلاء حُماة الثغور.

وفيها توفّي جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاريّ الصحابي، أبو عبد الله؛ وهو من الطبقة الأولى من الأنصار؛ شهِد العقبة الثانية مع الأنصار وكان أصغرهم سنّاً، وأسلم قبل العقبة الأولى بعام، وأراد أن يشهَد بَدْراً فخلّفه أبوه على إخوته.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن غَنْم بن كُرَيْب الأشعري؛ اختلفوا في صحبته؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أنصار أهل الشام بعد الصحابة؛ وقيل: هو تابعيّ ثقة؛ وقيل: إنّه أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقه. قال ابن الأثير: أدركَ الجاهلية وليست له صحبة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة تسع وسبعين:

فيها استولى الحجاج بن يوسف على البحرين واستعمل عليها محمد بن صعصعة الكلابيّ وضمّ إليه عُمَان، فخرج عليه الريّان البكري[١] فهرب محمد وركِب البحر حتى قدِم على الحجاج.

وفيها غزا الوليد بن عبد الملك بن مروان مَلَطِية فغنِم وسبَى وعاد إلى أبيه عبد الملك.

---

(١) في خليفة بن خياط: «النكري» بالنون الموحدة فوق. وفي حاشية الأصل: «نسبة إلى نكرة بن عبد القيس».

وفيها كان الطاعون العظيم بالشام.

وفيها حجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة.

وفيها قتَل الخليفةُ عبد الملك بن مروان الحارثَ بن عبد الرحمن بن سعد الدمشقي الذي ادّعى النبوة، وكان آنضم عليه جماعة كبيرة.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهُذَليّ؛ كان من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة؛ روَى عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود.

وفيها أصاب الناس طاعون شديد حتى كادوا يفنَوْن فلم يغزُ أحد تلك السنة فيما قيل[1].

وفيها أصاب الرومُ أهلَ أَنْطاكِيَة وظفِروا بهم.

وفيها آستعفى شُرَيْح بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج واستعمل على القضاء أبا بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري.

وفيها توفي النابغة الجَعْدي؛ واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَيْس، وقيل عبد الله بن قيس، وقيل حسّان بن قيس؛ وكنيته أبو لَيْلَى؛ وكان من شعراء الجاهليّة، ولحق الأخْطَلَ ونازعه بالشعر؛ وله صحبة ووِفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الذهبيّ: وقال يَعلَى بن الأشدق ـ وليس بثقة ـ: سمعت النابغة يقول[2]: أنشدتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم: [الطويل]

بَلَغْنا السماءَ مَجدُنا وجُدودُنا وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال: «أين المَظْهَرُ يا أبا لَيْلَى»؟ فقلت: الجَنّة، قال: «أجَلْ إن شاء الله» ثم قلت أيضاً:

ولا خيرَ في حِلْم إذا لم تكنْ لهُ بَوادِرُ تَحْمِي صفوَه أنْ يُكَدَّرا

(١) هذا الخبر مكرّر.

(٢) انظر هذا الخبر وبقية أخبار النابغة الجعدي في: الأغاني: ٥/٥ ـ ٣٨، طبعة دار الكتب العلمية، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ١٣٠ ـ ١٣٣.

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا مـا أورَد الأمـرَ أصـدرَا

فقال النبـي صلى الله عليه وسلم: «لا يَفْضُضِ الله فاك» مرتين. ومات النابغة بأَصْبَهان وله مائة وعشرون سنة، وقيل مائة وستون سنة، وقيل مائتا سنة.

وفيها توفي محمود بـن الربيـع، وكنيته أبو إبراهيم؛ ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ثمانين:

فيها كان سَيْل الجُحاف[1] بمكّة وهلك فيه خلق كثير من الحجاج، فكان يَحْمِل الإِبِل وعليها الأحمال والرجال والنساء ما لأحد منهم حيلة. وغرِقت بيوت مكّة وبلـغ السيل الرُّكن، فسُمّي ذلك العام عام الجُحاف.

وفيها كان طاعون الجارِف بالبصرة في قول بعضهم[2].

وفيها خرج عبد الواحد بن أبـي الكنود من الإسكندرية وركب البحر وغزا الفرنـج حتى وصل إلى قُبْرس.

وفيها هلك أَلْيُون عظيم الروم ومَلِكُها.

وفيها صلب عبد الملك سعيد بن عبد الله بن عُلَيْم الجهني على إنكـاره القَدَر. قاله سعيد بن عُفَيْر.

---

(١) لأنه جَحفَ كل شيء مرَّ به.

(٢) هذا في قول الواقدي، ورواه الطبري.

وفيها توفي جُبَيْر بن نُفَيْر بن مالك، أبو عبد الله اليَحْصُبيّ الحَضْرمِيّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام؛ أسلم في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه.

وفيها توفّي جُنادة بن أبي أميّة الأزْدي، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام.

وفيها توفّي حسّان بن النعمان الغسَّاني من أولاد ملوك غسّان، ويقال: إنه ابن المنذر، صاحب الفتوحات بالمغرب. ولّاه معاوية[١] بن أبي سفيان إفريقية.

وفيها توفي زيد[٢] بن وَهْب بن خالد أبو سليمان الجهنيّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة.

وفيها توفي السائب بن يزيد بن سعيد الكِنْدِي، أبو يزيد، من الطبقة الخامسة من المخضرمين؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حَدَث الأسنان.

وفيها توفّي شُرَيح بن هانىء بن يزيد بن نَهيك[٣] بن دريد بن الحارث بن كعب، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. كان من أصحاب عليّ رضي الله عنه وشهِد معه مشاهده؛ وكان قاضي الكوفة وبه يُضْرب المثل. قال الذهبي: إنه مات سنة ثمان[٤] وسبعين.

وفيها حج بالناس أمير المدينة أبان بن عثمان. وكان على العراق والشرق الحجاج.

وفيها قُتِل مَعْبَد بن عبد الله بن عُلَيْم الذي يروي حديث الدِّباغ[٥]، وهو أوّل من قال بالقَدَر في البصرة. قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك الخليفة بدِمَشْق.

---

(١) الصواب أن الذي ولّاه إفريقية هو عبد الملك بن مروان سنة٧٣هـ وذلك بعد مقتل زهير بن قيس البلوي. راجع ص ١٩٥ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) في الأصل: «يزيد بن وهب» وهو تحريف. والتصحيح من طبقات ابن سعد، والإصابة (وفيه أن وفاته سنة ٩٦هـ) وتاريخ خليفة (وفيه توفي سنة٨٢هـ).

(٣) في الأصل «يزيد بن سهل» وهو تحريف. وفي طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب «نَهْبك». وما أثبتناه من الإصابة: ترجمة ٣٩٦٧ ــ انظر أيضاً: ذكر أسماء التابعين للدارقطني: ١١٤/٢، حاشية.

(٤) كذلك أيضاً في الإصابة وخليفة.

(٥) وهو حديث: «لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب». انظر البداية والنهاية: ٣٦/٩.

وفيها توفي شَقيق بن سَلَمة الأَزْدي، أبو وائل. أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره؛ وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

وفيها توفي أبو إدريس الخَوْلانيّ؛ واسمه عائذ الله بن عبد الله، وقيل عبد الله بن إدريس بن عائذ الله، قاضي دِمَشْق في أيّام معاوية وغيره. وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام.

وفيها توفّي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو جعفر وقيل أبو محمد؛ وأمّه أسماء بنت عُمَيْس. ولدته بالحبشة في الهجرة؛ وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بالحبشة؛ وهو من الطبقة الخامسة؛ توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حَدَث الأسنان؛ وقيل إنه كان له يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين.

وفيها توفي عبيد الله بن أبي بَكْرَة الثقفي، وكنيته أبو حاتم، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة؛ وأمّه هَوْلَة بنت غُلَيْظ من بني عِجْل؛ وهو أوّل من قرأ القرآن بالألحان(١)؛ ووَلِيَ قضاء البصرة، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك فسأله أن يولّي الحجاج خُراسان وسِجِسْتان.

وفيها توفي العلاء بن زياد بن مَطَر بن شُرَيْح العَدَويّ؛ وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان من العبّاد الخائفين.

---

(١) قال ابن قتيبة في المعارف: ص ٢٩٦ «كان أول من قرأ بالألحان عبيد الله بن أبي بكرة، وكانت قراءته حزناً، ليست على شيء من ألحان الغناء ولا الحداء، فورث ذلك عنه ابن ابنه عبد الله بن عمر، وهو الذي يقال له: قراءة ابن عمر. وكان القراء كلهم: الهيثم وأبان وابن أعين وغيرهم يدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية: فمنهم من كان يدسّ الشيء من ذلك دساً رقيقاً، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه (والمقصود بذلك الترتيل من صاحب الصوت الحسن كما نسمعه اليوم) فمن ذلك قراءة الهيثم: «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر» سلخه من صوت الغناء كهيئة:

أم القطاة فإني سوف أنعتها ... نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

وفي تاريخ الإسلام للذهبي أن وفاته سنة ٧٩هـ، وفي تاريخ خليفة سنة ٧٨هـ.

وفيها توفي معاوية بن قُرّة بن إياس بن هلال المُزَنِيّ، أبو إياس، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة. كان زاهداً عابداً وَرِعاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة إحدى وثمانين:

فيها حجّ بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان وحجت معه أمّ الدرداء [الصغرى][١].

وفيها خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج بن يوسف وخلع[٢] عبدَ الملك بن مروان من الخلافة، ووقع له بسبب ذلك مع الحجاج حروب، ووافقه جماعة كثيرة على ذلك وكاد أمره أن يتمّ.

وفيها غزا عبد الله[٣] بن عبيد الله بلاد الروم ووصل إلى قَالِيقَلا ففتحها. ويقال: إن أصل الفرات من عندها يجتمع.

---

(١) الزيادة من ابن الأثير. وهي هجيمة بنت حيي الوصابيّة فقيهة محدّثة تابعية. أما أم الدرداء الكبرى فهي خيرة بنت أبي حدرد المتوفاة سنة ٣٠هـ. وكلتاهما كانتا عند أبي الدرداء (عويمر بن مالك).

(٢) كذلك أشار إلى خلع عبد الملك كل من الطبري وابن الأثير. ونقل خليفة بن خياط، بروايته عن أبي الحسن وأبي اليقظان، قال: ولا يذكرون خلع عبد الملك.

(٣) في الطبري وابن الأثير أن الذي غزا قاليقلا وفتحها في هذه السنة هو عبيد الله بن عبد الملك بن مروان. وقاليقلا: مدينة مشهورة بأرمينية العظمى من نواحي خلاط. قال البلاذري في فتوح البلدان: ٢٣٤ «قالوا: وقد كانت أمور الروم تشتّتت في بعض الأزمنة وصاروا كملوك الطوائف، فملك أرْمَنْياقُس رجلٌ منهم، ثم مات فملكتها بعده امرأته وكانت تسمى «قالي» فبنت مدينة قاليقَلا وسمتها «قاليقاله» ومعنى ذلك: إحسان قالي. ثم أعربت العرب قاليقاله، فقالوا: «قاليقلا». وقاليقلا هذه كان مكانها في العصور القديمة المدينة البوزنطية «تيودوسيو بوليس» والتي أطلق عليها الأرمن اسم «كَرين» وعرفها العرب باسم «قاليقلا» وعرفت فيا بعد باسم «أرزن الروم» أو «أرضروم» (انظر دائرة المعارف الإسلامية: مادة أرزن وأرزنَ الروم).

وفيها توفي محمد بن علي بن أبـي طالب المعروف بابن الحنفية، والحنفية اسم أمّه، ولها اسم آخر: خَوْلَة بنت جعفر بن قيس؛ ومحمد هذا من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكنيته أبو القاسم؛ ولد في خلافة أبـي بكر، وقيل لثلاث سنين أو لسنتين بَقِين من خلافة عمر، وهي السنة التي ولد فيها سعيد بن المُسَيَّب؛ وكان ديناً عابداً صاحب رأي وقوّة شديدة إلى الغاية.

وفيها كانت مقتلة بُحَيْر بن وَرْقاء الصَّريمي.

وفيها كان دخول الديلم قَزْوين؛ وسببه أنّ العساكر كانت لا تبرح مرابطة بها، فلما كان في هذه السنة كان من جملة مَنْ رابط بها محمد بن أبـي سَبْرَة الجُعْفي، وكان فارساً شجاعاً، فلما قدِم قزوين رأى الناس لا ينامون الليل، فقال لهم: أتخافون أن يدخل عليكم العدوّ؟ قالوا: نعم، قال: لقد أنصفوكم إن فعلوا، افتحوا الأبواب، ففتحوها؛ وبلـغ ذلك الديلم فبيّتوهم وهجموا [على] البلد وتصايـح الناس، فقال محمد بن أبـي سَبْرة: أغلقوا الأبواب فقد أنصفونا، فأغلقوا الأبواب التي للمدينة فقاتلوهم. وأبلى محمد بلاءً حسناً حتى ظفِر بهم المسلمون ولم يفلِت من الديلم أحد، ولم يعد الديلم بعدها؛ فصار محمد فارس ذلك الثغر، وكان يُدْمِن شرب الخمر؛ وبقي كذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر بتسييره إلى زُرَارة[١]، وهي دار الفُسّاق بالكوفة، فسُيِّر إليها، فأغارت الديلم بعده على قزوين ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده حتى طُلِب ثانية وأعيد إلى قزوين.

وفيها[٢] توفي سُوَيْد بن غَفَلة، وكنيته أبو أُمَيّة، كناه بها عمر بن الخطاب؛ وهو من الطبقة الأولى من تابعـي أهل الكوفة؛ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفَد عليه فوجده قد قُبِض، وأدرك دفنه وهم يَنْفُضون أيديهم من التراب.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) في طبعة دار الكتب «داره». والصواب ما أثبتناه عن ابن الأثير. وهذه الدار منسوبة إلى زُرَارة بن يزيد بن عمرو بن عُدَس من بني البكار، وكان زرارة هذا على شرطة سعيد بن العاص إذ كان بالكوفة. (انظر معجم البلدان: ٣/١٣٥)

(٢) في خليفة بن خياط: سنة ٨٢هـ.

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابـع.

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة اثنتين وثمانين:

فيها كانت وقعة الزاوية بين محمد بن الأشعث وبين الحجاج بالبصرة؛ وكان لابن الأشعث مـع الحجاج في السنة الماضية وفي هذه السنة عدّة وقائـع منها: وقعة دُجَيْل يوم عيد الأضحـى، وهي وقعة دير الجماجم، ثم وقعة الأهواز، ويقال: إنّه خرج مـع ابن الأشعث ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجِل، فيهم علماء وفقهاء وصالحون. وقيل: إنه كان بينهما أربـع وثمانون وقعة في مائة يوم، فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له، فعندما آنكسر آبن الأشعث خرج إلى المَلك زنبيل[(١)] وآلتجأ إليه حتى مات بعد ذلك في سنة أربـع وثمانين، وفي موته أقوال كثيرة[(٢)].

وفيها عزل الخليفة عبدُ الملك بن مروان أبانَ بن عثمان بن عفّان عن المدينة في جُمادى الآخرة وآستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي، فعزل هشامُ [نَوْفَل][(٣)] بنَ مُساحق [العامري][(٣)] عن القضاء بالمدينة وولّى عوضه عمرو بن خالد الزُّرَقيّ.

وفيها غزا محمد بن مروان بن الحكم أخو الخليفة عبد الملك أَرْمَينِيَة، فهزم أهلها فسألوه الصلـح فصالحهم، وولّى عليهم أبا شيـخ بن عبد الله فغدروا به وقتلوه[(٤)]. وقيل بل قتِل سنة ثلاث وثمانين.

---

(١) في الطبري وابن الأثير وخليفة: «رُتبيل». وذكر الطبري أن كليهما صحيـح.

(٢) انظر الطبري وابن الأثير: حوادث سنة ٨٤هـ. وقارن بخليفة: أحداث سنة ٨٢هـ. وقد سمّى القرّاء الذين خرجوا مـع ابن الأشعث.

(٣) الزيادة عن ابن الأثير وخليفة.

(٤) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي خليفة بن خياط(سنة ٨٣هـ): استعمل عليهم أبا شيـخ بن عبد الله الغنوي وعمرو بن الصدي الغنوي، فغدروا بهما فقتلوهما.

وفيها توفي أسماء بن خارجة بن مالك الفزاريّ الكوفيّ، أحد الأجواد. وفَد على الخليفة عبد الملك فقال له عبد الملك: بلغني عنك خصال شريفة فأخبرني بها؛ قال أسماء: ما سألني أحد حاجة إلّا وقضيتها، ولا أكل رجل من طعامي إلا رأيت له الفضل عليّ، ولا أقبل عليّ رجل بحديث إلا وأقبلت عليه بسمعي وبصري؛ فقال له عبد الملك: حق لك أن تَشْرُف وتسود.

وفيها توفّي أبو الشعثاء سُلَيم[1] بن أسود بن حنظلة المُحاربي، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. وقيل: إنّ وفاة أبي الشعثاء في غير هذه السنة والأصح فيها.

وفيها توفي عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النَّخَعِي، أبو بكر، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. كان يسجُد على كُوَر عمامته، قد حالت بين جَبْهته والأرض.

وفيها توفي المُغِيرة بن المُهلب بن أبي صُفْرَة؛ واسم أبي صُفرة ظالم بن سُراقة، وكنيته أبو خِداش، كان خليفة أبيه على مَرْو فمات في شهر رجب؛ وكان المغيرة جواداً سيّداً شجاعاً. ولمّا وصل الخبر إلى أبيه وَجَد عليه وَجْداً عظيماً أثّر فيه ذلك، ثم استناب ابنَه يزيدَ بن المُهلّب على مَرْو.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة ثلاث وثمانين:

فيها حج بالناس أمير المدينة هِشام بن إسماعيل المخزومي.

---

(١) في بعض النسخ «مسيلم» وهو تحريف. (انظر الطبري والدارقطني).

وفيها توفي أبو الجوزاء[1] أَوْس بن خالد الرَّبْعِي البصري، وقيل خالد بن سُمَيْر، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة.

وفيها توفي رَوْح بن زِنْباع، أبو زَرْعة الجُذاميّ الشاميّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام؛ وكان متميّزاً عند الناس فخاف منه معاوية فعزم على قتله ثم خلّى عنه؛ وكان عظيمَ دولة عبد الملك بن مروان، وهو الذي قدَّم الحجاج بن يوسف الثقفي عند عبد الملك حتى صار من أمره ما صار. وقصته مع الحجاج المذكور مشهورة من قتل عَبِيده وإحراق خيامه عندما وُلّي الحجاج حرب مصعب بن الزبير. وروح هذا هو زوج هند بنت النعمان بن بشير، وكانت تكرهه، وهي القائلة: [الطويل]

وما هندُ إلّا مُهْرَةٌ عَرَبيّةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تجلَّلها[2] بغلُ
فإنْ نُتجَت مُهْراً كريماً فبالْحَرَى ... وإن يَكُ إقْرافٌ فمن قِبَل الفحلِ[3]

وقد شاع ذلك في زمانها حتى قال بعض الشعراء في صاحبٍ سأّلة[4]: [البسيط]

لي صاحبٌ مِثْلُ داء البطن صُحْبَتُهُ ... يَوَدُّني كَوِداد الذِّيب للرَّاعِي
يُثْنِي عليَّ جزاه الله صالحةً ... ثناءَ هِنْدٍ على رَوْحِ بنِ زِنْباعِ

وفيها توفي زاذان الكوفيّ، أبو عبد الله[5] مولى كِنْدة، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة. وكان صالحاً صاحب نُسُك وعِبادة وكان بزَّازاً.

---

(١) في الأصل «أبو الجعد». وما أثبتناه من طبقات ابن سعد وتاريخ خليفة، وفيه وفاته سنة ٨٢هـ في وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج.

(٢) في الأصل «تخلَّلها» وما أثبتناه عن العقد الفريد: ١٢٤/٧ ولسان العرب.

(٣) كذا ورد عجز البيت الثاني أيضاً في لسان العرب؛ وفي الشعر إقواء بسبب اختلاف حركة الرويّ. وأورد صاحب العقد الفريد البيت الثاني على النحو التالي:

فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالْحَرَى ... وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

(٤) السَّأّل والسَّأّلة: كثير السؤال.

(٥) ذكره الدارقطني في أسماء التابعين بكنية أبي عمر. قال خليفة: مات سنة ٨٢هـ.

وفيها توفي عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث[١] بن عبد المطّلب، أبو محمد الهاشميّ، من الطبقة الأولى من التابعين، وأمّه هند بنت أبي سُفْيان؛ ولد في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت به أمّه إلى أختها أمّ حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فقال: «مَنْ هذا»؟ فقالت: ابن عمك وابن أختي، فتَفَل في فيه ودعا له.

وفيها توفي عبد الله بن شدّاد بن الهاد[٢]، واسم الهاد عمرو الليثي، وسمّي الهاد لأنه كان يوقِد ناره للأضياف ليلاً ولمن سلَك الطريق. وهو من الطبقة الأولى من تابعي المدينة، وأمّه سَلْمَى بنت عُمَيْس الخَثْعَمِيّة أخت أسماء.

وفيها توفي عبد الرحمن بن يسار، أو بلال أبي ليلى. صحب أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهِد معه أُحُداً وما بعدها. وأمّا عبد الرحمن هذا فإنه تابعيّ من أهل الكوفة، من الطبقة الأولى، وكان عالماً زاهداً، خرج على الحجاج بن يوسف؛ قُتِل بدُجَيْل وقيل بل غَرِق في نهر دجيل مع ابن الأشعث.

وفيها توفي مَعْبَد الجهنيّ، من أهل البصرة وهو أوّل من تكلم في القَدَر، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة، وحضر التحكيم بدُومَة الجَنْدَل.

وفيها توفي المُهَلّب بن أبي صُفْرَة. اسمه ظالم بن سُراق بن صبح الأزدي العَتَكيّ[٣] البصري؛ وفي اسم المهلب أقوال كثيرة، قيل: اسمه سارق بن ظالم، وقيل بالعكس، وقيل طارق بن سارق، وقيل قاطع بن سارق وقيل الذي ذكرناه أوّلاً؛ الأمير أبو سعيد، أحد أشراف أهل البصرة ووجوههم وفُرْسانهم؛ ولد عام الفتح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووُلّي الأعمال الجليلة، وله مواقف مع الروم وغيرها إلى أن توفي.

---

(١) في الأصل «بن حارثة». وما أثبتناه من طبقات ابن سعد والإصابة.
(٢) في بعض النسخ «بن الهادي». وكان من القرّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث (خليفة).
(٣) في الأصل «العكي». وما أثبتناه من طبقات ابن سعد.

السنة التاسعة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة أربع وثمانين.

فيها فتحت المَصِّيصَة(١) على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

وفيها افتتح موسى بن نُصَيْر مُلْكَ دَرْنَة(٢) من بلاد المغرب، فقتَلَ وسبى حتى قيل: إنّ السَّبي بلغ خمسين(٣) ألفاً.

وفيها غزا محمد بن مروان أَرْمِينِيَة فهزمهم وحرق كنائسهم، وتُسمى سنةَ الحرق.

وفيها قتل الحجاج أيوبَ بن القِرِّيَّة؛ وكان من فصحاء العرب وبلغائهم وأجوادهم. كان خرج أيضاً مع محمد بن الأشعث؛ واسمه أيّوب بن زيد بن قيس أبو سليمان الهلاليّ، ثم ندِم الحجاج على قتله. وابن القِرِّيّة هذا له حكايات كثيرة في الجود والكرم والفصاحة، منها: أنّه لما أحضره الحجاج ليقتله، فقال له ابن القرِّية: أَقلني عَثْرتي، وآسقني ريقي فإنه «ليس جواد إلاّ له كَبْوة، ولا شجاع إلاّ له هَبْوَةَ، ولا صارم إلا له نَبْوة»؛ فقال الحجاج: كلا! والله لأزيرنّك(٤) جهنّم؛ قال: فأرحني فإني أجِد حرّها. فأمر به فضُربت عنقه، فلما رآه قتيلاً قال: لو تركناه حتى نسمع من كلامه!.

وفيها وَلِي إمرة الإسكندرية عِياضُ بن غَنْم التُّجِيبِيّ.

وفيها بعث عبد الملك بن مروان بالشّعْبيّ إلى أخيه عبد العزيز صاحب

---

(١) مدينة من الثغور الشامية بين أنطاكية وبلاد الروم.

(٢) بين باجَة وطَبْرَقَة (الروض المعطار: ٧٥، ٢٨٤) وفي فتوح مصر لابن عبد الحكم: «دَرْنَة من طَبرقة من أرض أنطابلس».

(٣) قال ابن عبد الحكم: «حدَّثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السَّبي مائة ألف، وبعث ابن أخيه في جيش آخر فأصاب مائة ألف. فقيل لليث بن سعد: من هم؟ فقال: البربر».

(٤) كذا في ابن الأثير. وفي الأصل «لأرينّك» وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٧٨/١ «كلا، والله حتى أوردك جهنمَّ. ألستَ القائل برستَقْباذ: تغدَّوا الجدْيَ قبل أن يتعشّاكم».

الترجمة إلى مصر بسبب البيعة للوليد بن عبد الملك حسبما ذكرناه في صدر ترجمة عبد العزيز.

وفيها حجّ بالناس هشام بن إسماعيل.

وفيها ظفِر الحجاج برأس محمد بن الأشعث وطيف بها في الأقاليم.

وفيها قتل الحجاج حُطَيْطاً الزيات الكوفيّ؛ كان عابداً زاهداً يَصْدَع بالحقّ؛ قتله الحجاج لتشيُّعه ولمَيْله لابن الأشعث. قيل: إنه لما أحضره بين يديه قال له الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أقول فيهما خيراً، قال: ما تقول في عثمان؟ قال: ما وُلِدْتُ في زمانه، فقال له الحجاج: يا ابن اللَّخْنَاء[1]، وُلِدتَ في زمان أبي بكر وعمر ولم تُولَد في زمن عثمان! فقال له حُطَيْط: يا ابن اللَّخناء، إني وَجَدْتُ الناس اجتمعوا في أبي بكر وعمر فقلتُ بقولهم، ووجدت الناس اختلفوا في عثمان فوسِعني السكوت، فقال مَعَدّ لعنه الله (معدّ صاحب عذاب الحجاج): إني أريد أن تدفعه إليَّ، فوالله لأسمعنّك صياحه، فسلّمه إليه، فجعل يعذّبه ليلته كلّها وهو ساكت. فلما كان وقت الصبح كسر ساقَ حطيط، ثم دخل عليه الحجّاج لعنه الله فقال له: ما فعلت بأسيرك، فقال: إن رأى الأمير أن يأخذه منّي، فقد أفسد عليَّ أهل سجني، فقال له الحجاج: عليَّ به، فعذّبه بأنواع العذاب وهو صابر، فكان يأتي بالمَسَالّ فيَغرِزها في جسمه وهو صابر، ثم لفّه في باريَّة[2] وألقاه حتى مات.

وفيها توفّي أبو عمرِو سعد بن إياس الشيبانيّ صاحب العربية وأيام الناس؛ كان إماماً فيهما؛ وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة؛ شهِد القادسيّة وروى عن عمر وعليّ وابن مسعود وغيرهم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع ونصف. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وواحد وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) لخِنَ السِّقاء وغيره: أنتن. ولخِنَ الرجل والمرأة: أنتنت أرفاغهما، فهو لخِنٌ وألخنُ، وهي لخِنةٌ ولخْناء. ولخِنَ الرجلُ: قبح كلامه.

(٢) الباريَّة والباريّ والبارياء: الحصير (فارسي معرب).

السنة العشرون من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر

وهي سنة خمس وثمانين:

فيها كانت وفاة عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة، حسبما تقدّم ذكره، في الطاعون العظيم الذي كان في هذه السنة بمصر وأعمالها، وهو ثامن طاعون كان في الإسلام على قول بعضهم؛ وقد ذكرنا ذلك فيما مضى في حوادث سنة ست وستين.

وفيها غزا محمد بن مروان إرمينيَة فأقام بها سنة وولّى عليها عبد العزيز بن حاتم بن النُّعْمان الباهليّ، فبنى مدينة أَرْدَبِيل ومدينة بَرْذَعَة.

وفيها جهّز عبد الله بن عبد الملك بن مروان يزيدَ بن حُنَيْن في جيش فَلقِيه الروم في جيش كثير فأصيب الناس، وقُتِل سيمون الجُرْجاني[١] في ألف نفس من أهل أَنْطاكِيَة.

وفيها عُزِل يزيد بن المُهَلّب بن أبي صُفْرَة عن خُراسان، ووُلِّيَ الفضلُ أخوه مدّة يسيرة ثم عُزِل أيضاً، ووُلِّيَ قُتَيْبة بن مسلم.

وفيها قُتِل موسى بن عبد الله بن خازِم[٢] السُّلَمِيّ، وكان بطلاً شجاعاً وسيداً مُطاعاً؛ كان غلب على تِرْمِذ وما وراء النهر مدّة سنين وحارب العرب من هذه الجهة والتركَ من تلك الجهة، وجرت له وقعات عظيمة. وآخر الأمر أنه خرج ليلة في هذه السنة بعساكره ليُغِير على جيش فعثر به فرسُه فابتدره ناس من ذلك الجيش وقتلوه[٣].

وفيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزوميّ.

وفيها توفّي عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بني عَديّ، وكان له لما مات النبيّ ﷺ أربعُ سنين.

---

(١) في خليفة بن خياط «ميمون الجُرجاني».

(٢) في الأصل «حازم» بالمهملة. والتصحيح من الطبري وابن الأثير.

(٣) انظر تفصيل هذا الخبر في الطبري وابن الأثير: حوادث سنة ٨٥هـ.

وفيها توفي واثلة بن الأَسْقَع بن عبد العُزَّى بن عبد يَالِيل، من الطبقة الثالثة من المهاجرين. وكان ينزل ناحية المدينة، فأتى رسولَ الله ﷺ فصلّى معه الصبح وبايعه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وواحد وعشرون إصبعاً.

ذكر ولاية عبد الله بن عبد الملك على مصر(١)

هو عبد الله ابن الخليفة عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شمس، القرشيّ الأُمَوِيّ الأمير أبو[عمر](٢). ولد في حدود سنة ستين ونشأ بدِمَشْق تحت كَنَف والده عبد الملك؛ ونَدَبه أبوه في خلافته إلى عِدّة غزوات، وافتتح المَصِّيصَة في سنة أربع وثمانين وقتل وسبى وغنِم؛ ثم ولّاه أبوه إمرة مصر بعد موت عمه عبد العزيز بن مروان في سنة خمس وثمانين، فتوجّه إليها ودخلها في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وثمانين، وقيل من سنة ست(٣) وثمانين. ودخل مصر ابنَ سبع وعشرين سنة؛ وكان أبوه عبد الملك أمره أن يُعَفِّي آثار عبد العزيز؛ فأوّل ما دخل عبد الله المذكور استبدل العمّال بعمّال غيرهم والأصحاب بأصحاب أُخَر، واستعمل على شرطة مصر عبدَ الأعلى(٤)، ومنع من لُبْس البرانس؛ وكان فيه شدّة بأس. فلم يكن إلا أشهر وتوفّي أبوه عبد الملك بن مروان ووَلِيَ الخلافة من بعده أخوه الوليد بن عبد الملك، فأقرّه الوليد على إمرة مصر على عادته؛ فأمر عبد الله المذكور أن تنسخ دواوين مصر بالعربية، وكانت تُكتب بالقبطيّة(٥)، ففُعِل ذلك. ثم وقع في سنة سبع وثمانين

(١) انظر: ولاة مصر للكندي: ص ٧٩ ــ ٨٤؛ ومعجم زامباور: ٣٨؛ وخطط المقريزي: ١/٣٠٢؛ وحسن المحاضرة: ٨/٢ وفتوح مصر: ١٢٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩. وقد أشار ابن عبد الحكم إلى أن عبد الملك أمّر بعد وفاة أخيه عبد العزيز عمر بن مروان فأقام شهراً إلا ليلة ثم صُرِف.

(٢) بياض بالأصل. والزيادة من الكندي.

(٣) كذا في الكندي والمقريزي.

(٤) هو عبد الأعلى بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي. وفي الكندي: وأراد عبد الله بن عبد الملك عزل عبد الرحمن بن معاوية بن حديج عن الشرط، فلم يجد عليه مقالاً ولا متعلقاً، فولاه مرابطة الإسكندرية؛ وجعل على الشرط عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، وجمع له القضاء والشرط. . . . ثم سخط عبد الله بن عبد الملك على عمران فصرفه عن القضاء والشرط وسجنه، وذلك في سنة ٨٩هـ وجعل مكانه عبد الأعلى بن خالد بن ثابت الفهمي».

(٥) وكان منه أن صرف عن الديوان «أثيناس القبطي» وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص.

الشَّراقي[١] بمصر وغلت الأسعار[٢] بها إلى الغاية، حتى قيل: إن أهل مصر لم يروا في عمرهم مثل تلك الأيام. وقاست أهل مصر شدائد بسبب الغلاء، فاستشأمت الناسُ بكعبه. هذا مع ما كان عليه من الجَوْر؛ فإنه كان يرتشي ويأخذ الأموال من الخراج وغيره[٣]. ولما شاع ذلك عنه طلبه أخوه الوليد من مصر، فخرج[٤] عبد الله من مصر إليه بدِمَشْق في صفر سنة ثمان وثمانين، واستخلف على مصر عبد الرحمن بن عمرو بن مخزوم الخَوْلانِيّ. هذا وأهل مصر في شدّة عظيمة من عِظَم الغلاء؛ فأقام عند الوليد مدّة يسيرة ثم عاد إلى مصر حتى عزله أخوه الوليد بن عبد الملك عن إمرة مصر في سنة تسعين، ووَلَّى عِوَضه على مصر قُرّة بن شَرِيك الآتي ذكره. فكانت ولاية عبد الله هذا على مصر ثلاث سنين وعشرة أشهر.

وبعد عزله توجّه إلى دمشق عند أخيه الوليد. وخرج من مصر بجميع أمواله واستصحب معه الهدايا والتحف إلى أخيه الوليد. فلمّا وصل إلى الأردُنّ أحيط به من قِبَل أخيه الوليد فأُخِذ جميع ما كان معه، وحُمِل عبد الله المذكور إلى أخيه الوليد.

وعبد الله هذا أمّه أمّ ولد لأن أكبر إخوته الوليد ثم سليمان ثم مروان الأكبر ـ دَرَج[٥] ـ وعائشة؛ وأمّهم وَلّادَة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن خُزَيْمة[٦]؛ ثم يزيد ومروان الأصغر ومعاوية وأمّ كُلْثوم، وأمّهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سُفْيان؛ ثم هشام وأمّه أمّ هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة المخزوميّة واسمها عائشة؛ ثم أبو بكر، وكان يعرف ببَكّار، وأمّه عائشة بنت

---

(١) أي الجفاف.

(٢) قال المقريزي في إغاثة الأمة: وهو أول غلاء وقع بمصر في الإسلام.

(٣) قال الكندي «وزعم الناس أنه ارتشى، وكثّروا عليه، وسمّوه مكّيساً» أي إنه كان يبالغ في أخذ الضرائب والمكوس.

(٤) وفي هذا قال زرعة بن سعد الله الخُشني:

إذا سار عبد الله من مصر خارجاً ... فلا رجعت تلك البغال الخوارجُ
أتى مصر والمكيال وافٍ مغربَلٌ ... فما سار حتى سار والمدُّ فالجُ

(٥) في الأصل: «زوج عائشة ثم عائشة» وهو خطأ. وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير (حوادث سنة٨٦هـ).

(٦) كذا في الأصل. والصواب «جذيمة» كما في الطبري وابن الأثير وخليفة.

موسى بن طلحة بن عبيد الله؛ ثم الحكَم وأمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان؛ ثم فاطمة وأمّها أمّ المُغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ثم عبد الله هذا صاحب الترجمة، ومَسْلَمَة والمُنْذر وعَنْبَسَة ومحمد وسعيد الخَيْر والحجّاج لأمّهات الأولاد.

* * *

السنة الأولى من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

وهي سنة ست وثمانين.

فيها كان طاعون القَيْنات[١]؛ سمّي بذلك لأنه بدأ في النساء، وكان بالشام وواسِط والبصرة.

وفيها سار قُتَيْبة بن مسلم متوجهاً إلى ولايته فدخل خُراسان وتلقّاه دَهَاقِينُ بَلْخ وساروا معه، وأتاه أيضاً أهل صاغان[٢] بهدايا ومِفْتاح من ذهب وسلموا له بلادهم بالأمان.

وفيها افتتح مَسْلَمةُ بن عبد الملك حصن بولق[٣] وحصن الأخرم.

وفيها توفي الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب، أمير المؤمنين أبو الوليد، القرشيّ الأُمَوِي، والد عبد الله هذا صاحب الترجمة. بويع بالخلافة بعهد من أبيه مروان بن الحكم، وكان ذلك بعد أن دعا عبدُ الله بن الزبير لنفسه بالخلافة. وتمّ أمر عبد الملك المذكور في الخلافة وبَقِي على مصر والشام، وآبن الزبير على باقي البلاد، مدّة سبع سنين والحروب ثائرة بينهم. ثم غلب عبد الملك على العراق وما والاها بعد قتل مُصْعَب بن الزبير؛ ثم وَلّى الحجاج بن يوسف الثقفيّ العراق

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: «طاعون الفتيات».

(٢) في خليفة «وأتاه ملك الصغانين». وفي ابن الأثير: «ملك الصغانيان».

(٣) في الأصل «براق». وفي خليفة «تولق». وما أثبتناه من الطبري، وابن الأثير، وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

ومحاربة عبد الله بن الزبير حتى قتله؛ وٱستوثق الأمرُ بقتل عبد الله بن الزبير لعبد الملك، ودام في الخلافة حتى توفي بدِمَشْق في شوّال. وخلافته المجمع عليها (أعني بعد قتل عبد الله بن الزبير) من وسط سنة ثلاث وسبعين.

وقال الشعبيّ: خطَب عبد الملك فقال: «اللهم إنّ ذنوبي عِظام، وإنها صغارٌ في جَنْب عفوك، فٱغفرها لي يا كريم».

وكان مولد عبد الملك سنة ست وعشرين من الهجرة؛ وكان عابداً ناسكاً قبل الخلافة؛ فلما أتته الخلافة تغيّر عن ذلك كلّه ووَلّى الحجاجَ على العراق. قيل: إنّ الحسن البصريّ سئل عن عبد الملك هذا فقال: ما أقول في رجلٍ الحجاج سيِّئة من سيِّئاته!.

وفيها هلك ملك الروم الأخرم[1] بورى قبل عبد الملك بن مروان بشهر.

وفيها حج بالناس هشام بن إسماعيل المخزومي.

وفيها توفي بِشْر بن عَقْربة الجُهَنيّ أبو اليَمَان. قال الواقديّ: قُتِل أبوه عَقْربة يوم أُحُد، قال بشر: فلقيني رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال: «يا حبيبُ ما يُبْكيك» فقلت: قُتِل أبي، قال: «ما ترضى أن أكون أباك وعائشة أمّك» ومسح على رأسي بيده، فكان أَثَر يده من رأسي أسود وسائره أبيض.

وفيها توفي عبد الله بن أبي أَوْفَى الأسلميّ، من الطبقة الثالثة من المهاجرين؛ وكان ممن بايع تحت الشجرة وشهِد مع النبيّ ﷺ غزوة بني النَّضِير والخندق والقُرَيْظَة.

وفيها توفي أبو أمامة[2] صُدَيُّ بن عَجْلان الباهليّ، من الطبقة الرابعة من الصحابة.

---

(١) كذا في الأصل. والمراد به: يوستنيانوس الثاني الذي عرف بالأخرم؛ وهو ابن الملك قسطنطين الملتحي. والأخرم هذا عاصر عبد الملك بن مروان وكانت بينهما صلات. (راجع ص ٢٣٦ من هذا الجزء حاشية (٣).

(٢) في الأصل «أبو أسامة عدي» وفي بعض النسخ: «أسامة صدي» وكلاهما تحريف. وما أثبتناه من طبقات ابن سعد والإصابة.

وفيها حبس الحجاجُ يزيدَ بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة وعزل حبيب بن المهلّب عن كَرْمان، وعزل عبد الملك عن شرطته؛ وكان الحجاج أمير العراق كله والشرق في هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة ثلاثة[١] عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

وهي سنة سبع وثمانين.

فيها افتتح قُتَيْبَة بن مسلم أميرُ خُراسان بِيكَنْدَ[٢].

وفيها شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان في بناء جامع دِمَشْق الأُمَوِيّ؛ وكان نصفه كنيسة النصارى، وعلى ذلك صالحهم أبو عُبَيْدة بن الجرَّاح؛ فقال لهم الوليد: إنا قد أخذنا كنيسة مريم عَنْوَة فأنا أهدمها، فرَضُوا بهدم هذه الكنيسة وإبقاء كنيسة مريم؛ والمحراب الكبير هو مكان باب الكنيسة[٣]. ثم كتب الوليد إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان وهو أمير المدينة ببناء مسجد النبي ﷺ. وكانت ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة في أوائل هذه السنة أيضاً وله من العمر خمس وعشرون سنة بعد أن صُرِف عنها هشام بن إسماعيل

(١) يسجّل مقياس النيل في هذه السنة أيام الفيضان (١٣ ذراعاً و ١٨ إصبعاً) انخفاضاً بارزاً يشكل خطراً كبيراً على المزروعات وأزمة في الريّ والسقي. ولا يعتبر النهر قد أوفى ووصل الفيضان إلى المعدّل المطلوب إلا إذا بلغ منسوب المياه خمسة عشر ذراعاً وإصبعاً واحداً على الأقل؛ وعندئذٍ يكسر الخليج، ولكسره يوم مشهود، هو يوم وفاء النيل، وكان بمثابة عيد شعبي ورسمي في البلاد المصرية. (انظر خطط المقريزي: ١/٥٧، وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢/٢٥٦ ــ ٢٦٢).

(٢) بلدة بين بخارى وجيحون. انظر ابن الأثير والطبري في حوادث سنة ٨٧هـ. وخليفة بن خياط: ص ٣٠٠.

(٣) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: م ١ ج ٢ ص ١٩.

المخزوميّ؛ ودام عمر بن عبد العزيز على إمرة المدينة إلى أن عزله الوليد أيضاً بأبـي بكر بن [عمرو بن][١] حزم.

وفيها حَـجّ بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة؛ وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عمرو بن حزم.

وفيها توفّي أميّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد.

وفيها قدِم نيزَك طَرْخان على قُتَيْبة بن مسلم فصالحه وأطلق ما في يده من أسارى المسلمين[٢].

وفيها غزا قتيبة المذكور نواحي بُخارا فكانت مَلْحَمة عظيمة هزَم الله فيها المشركين.

وفيها غزا مَسْلمة بن عبد الملك فٱفتتح قمقم[٣] وبحيرة الفُرسان، فقتل وسبى، ويسّر الله تعالى في هذا العام بفتوحات كِبار على الإسلام.

وفيها توفي قَبِيصَة بن ذُؤَيْب بن حَلْحَلَة بن عمرو الخُزاعِيّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة والثانية من أهل الشام؛ ولد على عهد رسول الله ﷺ عام الفتح، وكان على خاتم الخليفة عبدِ الملك بن مروان وصاحِبَ أمره وأقربَ الناس إليه[٤].

وفيها توفّي مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب، أبو عبد الله الحَرَشِيّ، من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة؛ وكان له فضل وورع ورواية، وكان بعيداً من الفتن.

---

(١) الزيادة من ابن الأثير.

(٢) خليفة بن خياط: ص ٣٠٠.

(٣) في الأصل، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «قميقم». وفي تاريخ خليفة: «فيعم». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير.

(٤) ذكر خليفة أنه كان على الخاتم وبيوت الأموال والخزائن. ولما مات قبيصة ولي الأمر عمر بن الحارث. (تاريخ خليفة: ٢٩٩).

وفيها توفّي أبو الأبيض العَنْسِيّ، وهو من التابعين. كان كثير الغزو والجهاد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وستة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

وهي سنة ثمان وثمانين.

فيها جمع الروم جمعاً عظيماً وأقبلوا فالتقاهم قُتَيْبة بن مسلم ومعه العباس ابن الخليفة الوليد، فهزم الله الروم وقُتِل منهم خلق كثير، وافتتح المسلمون سُوسَنة(١) وطُوَانة.

وفيها غزا قتيبة أيضاً الترك فزحفوا إليه ومعهم أهل فَرّغانة وعليهم ابن أخت ملك الصين، ويقال: بلغ جمعهم مائتي ألف، فكسرهم قُتَيْبة، وكانت ملحمة عظيمة أيضاً(٢).

وفيها توفّي عبد الله بن أبي قَتادة بن رِبْعِيّ الأنصاريّ الخَزْرجيّ، من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة.

وفيها كان فتح طُوانة من أرض الروم على يد مَسْلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك.

وفيها حج بالناس أمير المدينة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعةً من قريش، وساق معه بُدْناً وأحرم من ذي الحُلَيْفة(٣). فلما كان بالتَّنْعِيم(٤) أُخبِر أن مكّة قليلة

---

(١) في خليفة بن خياط: «جرثومة وطوانة».

(٢) قارن بخليفة بن خياط: ص ٣٠١.

(٣) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة (معجم البلدان: ٢/٢٩٥).

(٤) موضع بمكة في الحلّ، وهو بين مكة وسرِف. (معجم البلدان: ٢/٤٩).

الماء وأنهم يخافون على الحاجّ العطش، فقال عمر: تعالَوْا ندعُ الله تعالى، فدعا ودعا الناس معه، فما وصلوا إلى البيت إلا مع المطر. وسال الوادي فخاف أهل مكّة من شدّته، ومُطِرت عَرَفة ومكة وكثُر الخِصْب.

وفيها كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بإدخال حُجَر أزواج النبيّ ﷺ في المسجد وأن يشتري ما بنواحيه، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع وأن يقدّم القِبْلة، ففعل عمر ذلك.

وفيها توفّي عبد الله بن بُسْر المازِنيّ (مازن بن منصور) وكان ممن صلّى إلى القِبْلتين، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وواحد وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان على مصر

وهي سنة تسع وثمانين.

فيها افتتح موسى بن نُصَير جزيرتي مَيُرْقَه ومِنُرْقَة(١)، وهما جزيرتان في البحر بين جزيرة صِقِلِّيَة وجزيرة الأندلس؛ وتسمى هذه الغزوة غزوة الأشراف لكثرة الأشراف التي كانوا بها (أعني أشراف العرب).

وفيها غزا قتيبة «وَرْدان خُذاه» ملك بُخارا فلم يطقهم ورجع.

(١) كذا ضبطها بروفنسال في صفة جزيرة الأندلس عن الروض المعطار للحميري. ويقال أيضاً: مَيُورقة ومِنُورقة. وضبطها أبو الفداء في تقويم البلدان: «مايُرْقَة ومَنُرْقة». والجزيرتان تقابلان برشلونة، وبجانبها ثالثة تدعى: يابسة. (انظر الروض المعطار للحميري: ٥٤٩، ٥٦٧، ٦١٦ ــ وصفة جزيرة الأندلس: ١٨٥، ١٨٨، ١٩٨).

وفيها غزا مَسْلمة بن عبد الملك عَمُّورِيَّة فلقِي جمعاً من الروم فهزمهم الله.

وفيها وَلي خالد بن عبد الله القَسْرِيّ مكّة وهي أوّل ولايته.

وفيها غزا مَسْلمة أيضاً والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم، فافتتح مسلمة حصن سُورِية وافتتح العباس مدينة أذروليّة.

وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز.

وفيها توفي ظَلِيم مولى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بإفريقيّة.

وفيها عُزِل عِمْران بن عبد الرحمن عن قضاء مصر بعبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيجْ وله خمس وعشرون سنة.

وفيها توفي عِمْران بن حِطّان[1] السَّدُوسيّ الخارجيّ. كان شاعر الخوارج؛ وروى عن أبي موسى وعائشة رضي الله عنهما؛ وكان عمران فصيحاً قبيح الشكل، وكانت زوجته جميلة، فدخل عليها يوماً وهي بزينتها فأعجبته وعلِمت منه ذلك، فقالت: أبْشِر فإني وإيّاك في الجنة؛ قال: ومن أين عَلِمْتِ؟ قالت: لأنّك أُعْطِيت مثلي فشكرتَ، وأنا آبتليتُ بمثلك فصبَرتُ، والصابر والشاكر في الجنة. ومن شعره في عبد الرحمن بن مُلْجَم وقومه: [البسيط]

يا ضَرْبَةً من تقِيٍّ ما أراد بها إلا لِيَبْلُغَ مِنْ ذي العرشِ رِضْوَانَا
إنِّي لَأَذْكُرُهُ يوماً فأحْسَبُهُ أَوْفَى البَرِيَّة عند الله مِيزَانا
أَكْرِمْ بقومٍ بُطونُ الطير أَقْبُرهُم لم يَخْلِطوا دينَهم بَغياً وعُدْوانا

قلت: وهذا مذهب الخوارج، فإنهم يُكَفّرون بالمعصية.

وفيها توفي يحيى بن يَعْمُر أبو سليمان الليثي البصريّ. وكان عالماً بالقراءات

(١) في الأصل «عمران بن قحطان» وهو تحريف.

والعربية. وهو أوّل(١) من نقّط المصاحف. وكان ولّاه الحجاج من برّه قضاءَ مَرْو، وكان يقضي بالشاهد واليمين.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً.

(١) اختلف العلماء قديماً في أول من نقط القرآن، وترددت في هذا الموضوع أسماء رجال ثلاثة هم: أبو الأسود الدؤلي وهو الأشهر، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي. وزاد السيوطي في الإتقان اسم الحسن البصري. انظر حول هذا الموضوع: قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية للشيخ صبحي الصالـح: ص ٢٢ ـ ٢٤ وفيه ثبت بالمصادر التي تكلمت على هذا الموضوع. وصبح الأعشى للقلقشندي: ٣/١٤٩، ١٥٤ طبعة دار الكتب العلمية.

ذكر ولاية قُرَّة بن شَرِيك على مصر[١]

هو قُرَّة بن شَرِيك بن مَرْثَد بن حازم[٢] بن الحارث بن حَبَش بن سُفْيان بن عبد الله بن ناشِب بن هِدْم بن عَوْذ بن غالِب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطْفَان بن أَعْصُر[٣] بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان العَبْسيّ، أميرُ مصر.

وَلِي مصر بعد عزل عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قِبَل الوليد بن عبد الملك بن مروان على صلاة مصر وخراجها، ودخلها يوم الاثنين ثالث[٤] شهر ربيع الأول سنة تسعين.

قال العلامة شمس الدين يوسف بن قزأُوغْلي في تاريخه «مرآة الزمان»: كان قُرّة من أمراء بني أُميّة وولّاه الوليد مصر. وكان سيىء التدبير خبيثاً ظالماً غَشوماً فاسقاً منهمكاً، وهو من أهل قِنَّسْرِين؛ قدِم مصر سنة تسع وثمانين أو سنة تسعين؛ وكان الوليد عزل أخاه عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وولّى قرّة وأمره ببناء جامع مصر والزيادة فيه سنة اثنتين وتسعين، فأقام في بنائه سنتين. قلت: وقد قدّمنا في ترجمة عمرو بن العاص عند ذكر بنائه جامعه نبذة من ذلك.

قال: وكان الناس يصلّون الجُمُعة في قيساريّة العسل حتى فرغ قرّة من بنائه. وكان الصنّاع إذا آنصرفوا من البناء دعا بالخمور والزمور والطبول فيشرَب الخمر في المسجد طول الليل، ويقول: لنا الليل ولهم النهار؛ وكان أشرَّ خلق الله؛ وتحالفت

---

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١، وولاة مصر للكندي: ٨٤، وحسن المحاضرة: ٩/٢، وفتوح مصر: ١٣١، ٢٣٨، ٢٣٩ ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) ساقط من الكندي والمقريزي.

(٣) ساقط من الكندي.

(٤) في الكندي: «لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول».

الأزارقة على قتله فعلِم فقتلهم(١)؛ وكان عمر بن عبد العزيز يَعْتِب على الوليد لتوليته مصر. ومات قرّة في سنة خمس وتسعين بمصر.

وورد على الوليد البريدُ في يوم واحد بموت الحجاج بن يوسف وموت قرّة، فصعد المنبر وهو حاسِرٌ شَعْثانُ الرأس فنعاهما إلى الناس، وقال: والله لأشفعنّ لهما شفاعة تنفعهما؛ فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو ابن عمّ الوليد المذكور: انظروا إلى هذا الخبيث، لا أناله الله شفاعةَ محمد ﷺ وألحقه بهما. فاستجاب الله دعاءه وأهلك الوليد بعدهما بثمانية أشهر أو أقل. انتهى كلام صاحب «مرآة الزمان» بعد ما ساق وفاته في سنة خمس وتسعين؛ والأصحّ ما سنذكره في وفاته من قول الذهبيّ وغيره من المؤرّخين.

وأمّا قوله: إنّ الوليد مات بعد وفاة قُرّة بثمانية أشهر، فليس كذلك؛ لأن وفاة قرّة في ليلة الخميس لستٍّ بَقِينَ من شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين؛ ووفاة الوليد في نصف جُمادى الآخرة، قاله خليفة بن خَيّاط.

وقيل(٢): إنّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ذُكِر عنده ظلم الحجاج وغيرِه من وُلاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك، فقال: الحجاج بالعراق! والوليد بالشأم! وقرّة بن شَريك بمصر! وعثمان [بن حيّان](٣) بالمدينة! وخالد بمكة! اللهم قد آمتلأت الدنيا ظلماً وجَوْراً فأرِح الناس!. فلم يمض غيرُ قليل حتى تُوُفّي الحجاج وقرّة بن شريك في شهر واحد، ثم تبِعهم الوليد، وعُزِل عثمان وخالد، فاستجاب الله لعمر.

قال آبن الأثير: وما أشبه هذه القصة بقصة آبن عمر مع زِياد ابن أبيه حيث كتب إلى معاوية يقول: قد ضبطتُ العراق بشمالي؛ ويميني فارغة ـ يُعرِّض بذلك أنّ شماله للعراق وتكون يمينه بإمارة الحجاز ـ فقال آبن عمر لمّا بلغه ذلك: اللهم أرِحْنا من يمين زياد وأرحْ أهل العراق من شماله، فكان أوّلَ خبر جاءه موتُ زياد.

---

(١) هذا الخبر مفصّل في ولاة مصر للكندي: ص ٨٥.
(٢) الرواية عن ابن الأثير.
(٣) الزيادة للتوضيح، وهي عن حسن المحاضرة للسيوطي نقلاً عن أبي نعيم في الحلية.

ولما كان قرّة على مصر أمره الوليد بهدم ما بناه عمه عبد العزيز بن مروان لما كان أمير مصر ففعل قرّة ذلك؛ ثم أخذ بِركة الحَبَش[١] وأحياها وغرس بها القصب، فقيل لها «إسطبل قرّة».

وقال الحافظ أبو سعيد بن يونس[٢]، بعدما ذكر نسبه بنحو مما ذكرناه: كان أميرَ مصر للوليد بن عبد الملك، وكان خليعاً. رَوى عن سعيد بن المُسَيَّب حديثاً واحداً، رواه عنه حُكَيْم بن عبد الله بن قيس. وتوفي قُرّة بمصر وهو والٍ عليها في شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين؛ وكان الوليد بن عبد الملك ولّى قرَّةَ مصرَ وعزل عنها أخاه عبد الله بن عبد الملك؛ فقال رجل من أهل[٣] مصر شعراً وكتب به إلى الوليد بن عبد الملك: [مخلّع البسيط]

عجباً ما عجبتُ حين أتانا أنْ قد آمَّرْتَ قرَّةَ بن شريكْ
وعزلتَ الفتى المبارك[٤] عنّا ثم فَيَّلْتَ[٥] فيه رأيَ أبيكْ

ثم قال ابن يونس: حدّثني أبو أحمد بن يونس بن عبد الأعلى وكَهْمَس بن مَعْمَر وعيسى بن أحمد الصَّدَفِيّ وغيرهم، قالوا: حدّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن قيس عن قرّة بن شريك أنه سأل ابن المسيَّب عن الرجل يُنْكِح عبدَه وليدَته ثم يريد أن يفرّق بينهما؛ قال: ليس له أن يفرّق بينهما. قال ابن يونس: ليس لقرّة بن شريك غير هذا الحديث الواحد. انتهى كلام ابن يونس.

---

(١) هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر، وبركة حمير، وإصطبل قرّة، وإصطبل القامش (أي القصب) ثم سميت ببركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي ممن شهدوا فتح مصر. وكانت في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل. (انظر خطط المقريزي: ١٥٢/٢، والانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق: ٥٥/٤).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (نسبة إلى قبيلة الصدف). مؤرخ محدّث توفي سنة ٣٤٧هـ. له كتابان في التاريخ: «أخبار مصر ورجالها»، والثاني صغير في «ذكر الغرباء الواردين على مصر» ــ (وفيات الأعيان: ١٣٧/٣).

(٣) في الكندي: «رجل من قريش».

(٤) يعني بالمبارك ها هنا: المشؤوم (ولاة مصر: ص ٨٤).

(٥) في الأصل «ثم سلبت» وهو تحريف. وما أثبتناه من حسن المحاضرة وولاة مصر. وفيّل رأيه: أي قبّحه وخطّأه.

قلت: وكانت ولاية قرّة على مصر ست سنين إلا أياماً(١).

وتولى إمرة مصر بعده عبدُ الملك بن رِفاعة الآتي ذكره؛ وكان من عظماء أمراء الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد عند أهل الشأم من أفضل خلفائهم، بنى المساجد: مسجدَ دِمشق ومسجد المدينة، ووضع المنابر، وأعطَى المُجَذَّمين أموالاً ومنعهم من سؤال الناس، وأعطى كل مُقْعَد خادماً، وكل ضرير قائداً؛ وفتح في ولايته فتوحات عظاماً: منها الأندلس وكَاشْغَر والهند؛ وكان يمر بالبقّال فيقِف عليه ويأخذ منه حُزْمة بَقْل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفَلْس، فيقول: زد فيها. وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضِّياع، فكان الناس يلتَقُون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء. وكان سليمان بن عبد الملك صاحب طعام ونكاح، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام. وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عِبادة، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً في أيامه: ما وِرْدُك الليلةَ، وكم تحفظ من القرآن، وما تصوم من الشهر؟

قلت: ولم أذكر هذا كله إلا لما قدّمناه من الحط على الوليد من أقوال المؤرّخين، فأردت أن أذكر من محاسنه أيضاً ما نقله غيرهم.

* * *

السنة الأولى من ولاية قرّة بن شريك على مصر

وهي سنة تسعين.

فيها غزا قُتَيْبَة بن مسلم «وَرْدان خُذاه» الغزوة الثانية، فاستصرخ وَرْدان خُذاه على قتيبة بالترك، فالتقاهم قتيبة وهزمهم الله تعالى وفضّ جمعهم. ثم غزا قتيبة أيضاً في السنة أهل الطالقَان بخُراسان فقتل منهم مقتلة عظيمة.

(١) كذا أيضاً في الكندي. وفي المقريزي: ست سنين وأياماً.

وفيها غزا العباس ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان فبلغ إلى أَرْزَن[١] ثم رجع.

وفيها توفي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفْيان، أبو هاشم الأُمَويّ الدمشقيّ، أخو معاوية الرجلِ الصالح وعبدِ الله. قيل: إن خالداً هذا بويع بالخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد بن معاوية فلم يتم أمرُه، ووثب مروان بن الحكم على الأمر وخلع خالداً هذا وتزوّج بأمه، وقد مرّ ذكر قتلها له في ترجمة مروان. وكان خالد المذكور موصوفاً بالعلم والعقل والشجاعة، وكان مُولَعاً بالكيمياء. وقيل: إنه هو الذي وضع حديث السُّفيانيّ[٢] «إنه يأتي في آخر الزمان...» لمّا سمع بحديث المهديّ. انتهى.

وفيها توفي عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نَوْفل بن أُهَيْب بن عبد مناف. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، وكان فقيهاً شاعراً.

وفيها توفي أبو الخير مَرْثَد[٣] بن عبد الله اليَزَنيّ.

وفيها فُتحت بُخَارا على يد قُتَيبة. ثم صالح قتيبةُ أهلَ الصُّغْد ورجع بهم ملكُهم طَرْخون إلى بلاده.

وفيها غزا مَسْلَمة بن عبد الملك أرض الروم وافتتح الحصون الخمسة [التي بسورية][٤]. وفيها أسرت الروم خالد بن كَيْسان صاحب البحر، فأهداه ملكهم إلى الوليد.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) أرزن هذه مدينة في أرمينية على منتصف الطريق بين سِعِرْد (سُعُرت) في الشرق وميافارقين في الغرب؛ وهي غير أرزن الروم أو أرضروم. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: مادة أرزن وأرزن الروم ــ ومعجم البلدان: ١/ ١٥٠).

(٢) في حاشية طبعة دار الكتب: «السفياني هو عروة بن محمد السفياني. راجع حديثه وحديث المهدي في مختصر تذكرة القرطبي».

(٣) في بعض النسخ «أبو الخير يزيد» وهو خطأ.

(٤) الزيادة من ابن الأثير. وفي خليفة: «غزا مسلمة بن عبد الملك سورية ففتح الحصون الخمسة التي بها».

الماء القديم ذراعان وتسعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية قُرّة بن شَرِيك على مصر

وهي سنة إحدى وتسعين.

فيها سار قتيبة بن مسلم إلى أن وصل إلى الفارِياب[١] فخرج إليه مِلكُها سامعاً مطيعاً، فاستعمل عليها قُتيبةُ عامرَ[٢] بن مالك ورجع.

وفيها عزل الوليد عمَّه محمد بن مروان عن الجزيرة وأَذْرَبِيجان وولّاها أخاه مَسلمة بن عبد الملك بن مروان؛ فقدِم مسلمة وآنتدَب إلى الغزو فغزا إلى أن وصل في هذه السنة إلى الباب[٣] من بحر أذربيجان، فافتتح مدائن وحصوناً كثيرة.

وفيها آفتتح قتيبة بن مسلم أمير خُراسان شُومَان وكَشّ ونَسَف، وآمتنع عليه أهل فارِياب فأحرقها. وجهّز أخاه عبدَ الرحمن بن مسلم إلى طَرْخون مِلِك تلك البلاد، فجرت له معه حروب ومواقف. ثم صالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون أموالاً، وتقهقر إلى أخيه قتيبة إلى بُخارا، فآنصرفوا حتى قدِموا مَرْو؛ فقالت الصُّغْد لطرخون ملِكِهم: إنك رضِيتَ بالذلّ والجزية وأنت شيخ كبير لا حاجة لنا فيك، وعزلوه عنهم[٤].

---

(١) في الأصول: «فريان» و«فرغانة» وكلاهما خطأ. وما أثبتناه من ابن الأثير. والفارياب مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ، وقد درست.

(٢) في ابن الأثير: «واستعمل عليها رجلاً من أهله». وفي الطبري: «رجلاً من باهلة».

(٣) أو باب الأبواب. وفي النصوص القديمة: الباب والأبواب. وكثيراً ما يشار إليه باسم «الباب» فحسب، وهو الاسم العربي الذي يطلق على ممر وحصن في الطرف الشرقي من القوقاز، ويقال له «دربند» في الفارسية، وقد تحول الاسم تحت التأثير التركي إلى «الباب الحديدي»، والصيغة الحديثة: دربند. (دائرة المعارف الإسلامية: ٥/٥١٢).

(٤) قارن بفتوح البلدان للبلاذري: ص ٥١٧ ــ ٥١٨.

وفيها غزا موسى بن نُصَيْر طُلَيْطِلَةَ (مدينة بالأندلس من بلاد الغرب) بعدما آستولى على الجزيرة وآفتتح حصونها. ودخل طليطلة عَنْوَةً، فوجد في دار المملكة مائدة سليمان بن داود عليهما السلام؛ وهي من خَلِيطَيْن ذهب وفضة وعليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ وجوهر. وقال الهيثم: افتتحها طارق في سنة اثنتين[1] وتسعين. وقيل غير ذلك.

وفيها أيضاً قتل قتيبة طَرْخانَ مِلك الترك وبعث برأسه إلى الحجاج بن يوسف الثقفيّ.

وفيها قدم محمد بن يوسف الثقفيّ أخو الحجاج من اليمن بهدايا عظيمة، فأرسلت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجةُ الوليد وبنت عمه تطلبها منه؛ فقال محمد أخو الحجاج: حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت. ثم رآها الوليد وبعث بها إلى أمّ البنين فلم تقبلها، وقالت: قد غصبها من أموال الناس؛ فسأله الوليد؛ فقال: معاذَ الله! فأحلفه الوليد بين الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما ظلم أحداً ولا غصَبه حتى قبِلتها أمّ البنين. وكان محمد هذا عاملَ صنعاء، وكان يسبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر؛ ولهذا كان يقول عمر بن عبد العزيز: «الحجاج بالعراق! وأخوه محمد باليمن! وعثمان بن حيّانَ بالحجاز! والوليد بالشأم! وقُرّة بن شريك بمصر! امتلأت بلاد الله جَوْراً!».

وفيها حج بالناس الوليد بن عبد الملك، فلما دخل إلى المدينة غدَا إلى المسجد ينظر إلى بنائه وأخرج الناسُ منه ولم يبق غيرُ سعيد بن المُسَيَّب، فلم يَجسُر أحد من الحَرَس أن يخرجه، فقيل له: لو قمتَ! فقال: لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي أقوم فيه؛ قيل: فلو سلّمت على أمير المؤمنين! قال: والله لا أقوم إليه؛ قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدِل بالوليد في ناحية المسجد لئلا يراه، فآلتفتَ الوليد إلى القِبلة فقال: مَنْ ذلك الشيخ؟ أهو سعيد؟ قال عمر: نعم، ومِنْ حاله كذا

---

(١) وهو الصحيح. انظر: فجر الأندلس لحسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٩ قارن أيضاً برواية ابن عبد الحكم في فتوح مصر: ٢٠٤ ــ ٢٠٧، وفيه خبر مائدة سليمان بن داود.

وكذا، ولو علم بمكانك لقام فسلّم عليك وهو ضعيف البصر؛ فقال الوليد: قد علِمنا حاله ونحن نأتيه، فدار في المسجد ثم أتاه، فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ ـ فوالله ما تحرّك سعيد ـ فقال: بخير والحمد لله، فكيف أميرُ المؤمنين وكيف حالُه؟ فآنصرف الوليد وهو يقول: هذا بقيّة الناس. وصلّى الوليد الجُمُعة بالمدينة فخطب الناس الخطبة الأولى جالساً، ثم قام فخطب الثانية قائماً.

قال إسحاق بن يحيى: فقلت لرَجاء بن حَيْوة وهو معه: أهكذا يصنعون؟ قال: هكذا صنع معاوية وهلمّ جرّا؛ قال فقلت: ألا تُكلّمه! قال: أخبرني قَبِيصَةُ بن ذُؤَيْب أنه كلّم عبد الملك فلم يترك القعود وقال: هكذا خطب عثمان؛ قال فقلت: والله ما خطب إلا قائماً؛ قال رجاء: رُوِيَ لهم شيء فأخذوا به.

وفيها توفي أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم[١] بن عَدِيّ بن النجّار، أبو حمزة الأنصاريّ النجّاريّ الخَزْرَجِيّ، خادم رسول الله ﷺ وآخرهم موتاً؛ وهو من المكثرين، مات في هذه السنة؛ قاله الإمام أحمد، وكذا قال الهيثم بن عَديّ وسعيد بن عُفَير وأبو عبيد. وقال الواقديّ: سنة اثنتين وتسعين، وتابعه مَعْن بن عيسى عن آبنٍ لأنس بن مالك. وقال سعيد بن عامر وإسماعيل بن عُلَيّة وأبو نُعَيْم والمدائني والفَلّاس وخَليفة وقَعْنَب وغيرُهم: سنة ثلاث وتسعين. وقال محمد بن عبد الله الأنصاريّ: آختلف علينا مَشْيَختُنا في سنّ أنس: فقال بعضهم: بلغ مائة وثلاث سنين، وقال بعضهم: بلغ مائة وسبعَ سنين، وقال يحيى بن بُكَيْر: توفي أنس وهو آبن مائة وسنة، ومات له في الطاعون الجارف ثمانون ولداً.

قلت: وهذا بدعاء النبي ﷺ، فإنه دعا له: «اللهم آرزقه مالاً وولداً وبارك له فيه». قال أنس: فإني لَمِنْ أكثر الأنصار مالاً، وحدّثتني آبنتي آسية أنه دفن من صُلْبي إلى مَقْدَم الحجاج البصرة تسعة وعشرون ومائة.

---

(١) هكذا في جميع المصادر. وفي الأصول «تميم» وهو خطأ.

وفيها توفي محمد بن يوسف الثقفيّ، أخو الحجاج، عامل صنعاء باليمن. وقد تقدّم ذكر هديته إلى الوليد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع واثنا عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر

وهي سنة اثنتين وتسعين.

فيها حج بالناس الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز.

وفيها غزا عمر بن الوليد ومَسْلَمةُ بن عبد الملك بلادَ الروم وفتح مسلمة حصوناً كثيرة، يقال: إنه بلغ إلى الخليج وفتح سُوسَنَة.

وفيها توفّي إبراهيم بن يزيد بن شريك من تَيْم الرِّباب(١)، أبو أسماء، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة. وكان يقُصّ على الناس.

وفيها توفّي بلال بن أبي الدَّرْداء، أبو محمد الأنصاريّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشأم؛ كان قاضياً على دِمَشق في زمان يزيد بن معاوية وبعده إلى أن عزله عبد الملك بن مروان بأبي إدْريسَ الخَوْلانِيّ.

وفيها توفي عبد الرحمن بن يزيد بن جارية(٢) بن عامر بن مجمِّع، أبو(٣) محمد الأنصاريُّ، من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة؛ وأمّه جَميلة بنت ثابت بن أبي الأَقْلَح؛ وأخوه لأمّه عاصم بن عمر بن الخطاب؛ ووُلد على عهد رسول الله ﷺ.

---

(١) في الأصل: «ابن تيم الزيات» وهو تحريف. وما أثبتناه من طبقات ابن سعد وأسماء التابعين للدارقطني.
وفي خليفة: «مات سنة ٩٣هـ بواسط في حبس الحجاج. ويقال: سنة٩٤هـ».

(٢) في الأصل: «حارثة». وهو تحريف. وما أثبتناه من طبقات ابن سعد والدارقطني والإصابة.

(٣) في الأصل «ابن محمد» وهو تحريف.

وفيها توفي طُوَيس[1] المغنّي صاحب الألحان؛ وهو أوّل من غنّى بالألحان في الإسلام، وهو تصغير طاوُس.

وفيها فتحت جزيرة الأندلس على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نُصَيْر.

وفيها فُتحت جزيرة سَرْدانِيَة على يد جيش موسى بن نصير. وهذه الجزيرة في بحر الروم، وهي من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صِقِلِّيَّة وأَقْرِيطِش، وهي كثيرة الفواكه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع.

* * *

السنة الرابعة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر

وهي سنة ثلاث وتسعين.

فيها آفتتح قُتَيبةُ خُوَارَزْمَ وسَمَرْقند، وكان ساكنها الصُّغْد، وبنى بها مسجداً وخطب بنفسه فيه، وأخذ من أهلها عن رقبتهم ستة آلاف ألفٍ وثلاثين ألفاً[2]؛ ووجد في سمرقند جارية من ولد يَزْدَجِرْد فبعث بها إلى الحجاج فأرسلها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيدَ بن الوليد.

وفيها غزا مَسْلَمةُ بن عبد الملك بلادَ الروم وفتح حصن الحديد وقلعة غزالة[3].

---

(١) طُوَيس: لقب غلب عليه؛ واسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المنعم، وغيَّرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعيم. وهو أول من غنى بالعربية بالمدينة. (انظر أخباره في الأغاني: ٢٨/٣ وما بعدها ــ طبعة دار الكتب العلمية بيروت).

(٢) لا تتفق المصادر على هذه الأرقام. قارن بالطبري: ١٢/٤، وابن الأثير: ٢٧٦/٤، والبداية والنهاية: ٩١/٩، وخليفة: ٣٠٥.

(٣) في البداية والنهاية: «حصن الحديد وغزالة وماسة وغيرها» وفي ابن الأثير «حصن الحديد وغزالة وماسيسة» وفي الطبري «ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية» وفي خليفة: «افتتح بابَي الحصن الحديد من ناحية ملطية».

وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سُمَيساط[١] وطَرَسُوس والمَرْزُبان[٢].

وفيها عزل الوليدُ عمرَ بن عبد العزيز عن المدينة بسبب أنّ عمر كتب إلى الوليد يخبره بظلم الحجاج وسفكه الدماء وما يفعل بأهل العراق وخوّفه عواقبه.

وفيها توفّي وضّاح اليمن؛ وآسمه عبد الله بن إسماعيل بن عبد كُلَال. كان من أهل صنعاء من الأنبار[٣]، وقيل: اسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال؛ ووضّاح اليمن لَقَبٌ له لجمال وجهه، وهو صاحب القصة مع أمّ البنين زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان التي ذكرها آبن خلّكان في تاريخه[٤].

وفيها فتحت طُلَيطِلةُ. قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غضِب موسى بن نُصَيْر على مولاه طارق، فسار إليه في رجب منها، وآستخلف على إفريقيّة ابنه عبدَ الله بن موسى. وعَبَر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فتلقّاه طارق وترضّاه فرضي عنه وقبل عذره وسيّره إلى طليطلة، وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قُرْطُبة على خمسة[٥] أيام، ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وفيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به.

وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سُمَيساط والمرزبان[٦].

---

(١) في الطبري وابن كثير: «سمسطية». وفي ابن الأثير: «سبسطية». والصواب ما هو مثبت هنا، إذ إن «سبسطية مدينة في فلسطين قرب نابلس، أما سميساط فهي مدينة على شاطىء الفرات الأيمن ومكانها في تركيا اليوم.

(٢) في الطبري وابن الأثير وخليفة: «المرزبانين».

(٣) كذا بالأصل. والصواب «من الأبناء» أي أبناء الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وكانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، وباليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة. (انظر الأغاني: ٦/٢٢٢ ـ ٢٥٥ طبعة دار الكتب العلمية؛ وفوات الوفيات: ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٥).

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/٤٥ ـ والقصة مذكورة في المصدرين السابقين.

(٥) في ابن الأثير «على عشرين يوماً». ولعلّ الصواب ما ذكره الحميري في الروض المعطار: «منها إلى قرطبة تسع مراحل» أي ما يعادل مسير تسعة أيام.

(٦) هذا الخبر مكرّر.

وفيها حج بالناس عبد العزيز بن الوليد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية قُرّة بن شريك على مصر

وهي سنة أربع وتسعين.

فيها غزا قُتيبة بن مسلم بلد كابُل فحصرها حتى فتحها؛ ثم آفتتح أيضاً فَرْغانة بعد أن حصرها وأخذها عَنْوة، وبعث جيشاً فافتتحوا الشاش.

وفيها قتل محمد [بن القاسم][1] الثقفيّ صصّةَ بن ذاهر. قيل: إنّ صصّة هذا هو الذي آقترح الشِّطْرَنْج.

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سَنْدَرة[2] من أرض الروم.

وفيها غزا العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وآفتتح أنطاكية[3].

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفيّ أرض الهند.

وفيها حج بالناس مسلمة بن عبد الملك.

وفي أيام الوليد بن عبد الملك فتح الله على الإسلام فتوحاً عظيمة، وعاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر رضي الله عنه.

وفيها كانت بالشأم زلازل عظيمة دامت في غالب البلاد أربعين يوماً. وكان أوّلها من عشرين من آذار فهدمت الأبنية ووقع معظم أنطاكية.

---

(١) الزيادة من خليفة.

(٢) كذا أيضاً في خليفة بن خياط. وجعلها ابن الأثير من فتوحات سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠هـ.

(٣) كذا أيضاً في ابن الأثير وخليفة. ولعل الصواب «أنطالية» فإن أنطاكية فتحت زمن عمر بن الخطاب.

وفيها هرب يزيد بن المُهَلَّب وإخوته من حبس الحجاج إلى الشأم.

وفيها غزا قتيبة ما وراء النهر وفتح فرغانة وخُجَنْدَة.

وفيها توفي الحسن(١) بن محمد بن الحنفية. وأمّه جمال بنت قيس بن مَخْرَمة، وكنيته أبو محمد، وهو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة؛ وكان من ظرفاء بني هاشم؛ وكان يُقدَّم على أخيه أبي هاشم عبد الله بن محمد في الفضل والهيبة.

وفيها قتل الحجاج سعيد بن جُبَيْر مولى بني والِبة، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة. كان من كبار العلماء الزهّاد، وكان ابن عباس يُعظِّمه، وكان خرج مع محمد بن الأشعث على الحجاج، ثم آنحاز بعد قتل آبن الأشعث إلى أصْبَهان. وكان عامل أصبهان ديّناً، فأمر سعيداً بالخروج من بلده بما ألحّ عليه الحجاج في طلبه، فخرج إلى أذْرَبِيجان مدّة ثم توجّه إلى مكة مستجيراً بالله وملتجئاً إلى حرم الله، فبعث به خالد القَسْريّ إلى الحجاج. وكان الحجاج كتب إلى الوليد أنّ جماعة من التابعين قدالتجؤوا إلى مكة، فكتب الوليد إلى عامل مكة خالد القسريّ: احملهم إلى الحجاج، وكانوا خمسة: سعيد بن جُبَيْر وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وطَلْق بن حبيب. فأمّا عمرو وعطاء فأُطْلِقا، وأمّا طلق فمات في الطريق، وأما مجاهد فحبس حتى مات الحجاج، لا عفا الله عنه، وأما سعيد بن جبير فقتل. وقصة قتْلته طويلة وهي أشهر من أن تذكر(٢).

وفيها توفي سعيد بن المُسَيَّب بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمْران بن مخزوم؛ وأمّه أمّ سعيد بنت عثمان بن حكيم السُّلَمِيّ، وكنيته أبو محمد ــ أعني آبن المسيَّب ــ وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة. وكان يقال له فقيه الفقهاء وعالم العلماء، وهو أحد الفقهاء السبعة. وقد نظمهم بعض الشعراء: [الطويل]

(١) في البداية والنهاية عن أبي عبيد: توفي سنة ٩٥هـ. وقال خليفة: توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.
(٢) انظر في هذه القصة: الطبري: ٤/٢٣، وابن الأثير: ٤/٢٨٠ والبداية والنهاية: ٩/١٠٣.

أَلا كُـلّ مَن لا يَقْتَـدِي بـأئمّـةٍ فقِسْمته ضِيزَىٰ عن الحقّ خارجهْ
فخذهم: عُبَيْدُ الله، عُرْوَةُ، قاسمٌ سعيدٌ، سليمانٌ، أبو بكر، خارِجهْ

وفيها توفي عُرْوة بن الزبير بن العوّام، أبو عبد الله الأسديّ؛ هو أيضاً أحد الفقهاء السبعة وهو المشار إليه في ثاني اسم من البيت الثاني. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، وأمه أسماء بنت أبـي بكر الصدّيق، وهو شقيق عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم؛ وبينه وبين عبد الله المذكور عشرون سنة. وكان ابتُلي بالأَكِلَة(١) في رجله فقطعت وهو صائم، فصبرَ على ذلك وحمِد الله عليه، رضي الله عنه؛ وفي سنة وفاته اختلاف(٢) كثير.

وفيها توفي عَطَاء بن يَسَار مولى ميمونة زوج النبـيّ ﷺ، وكنيته أبو محمد، وقيل أبو يسار، وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة.

قال ابن بُكَيْر(٣): كان بالمدينة ثلاثة إخوة لا ندري أيُّهم أفضـل: عطاء وسليمان وعبد الله بنو يسار، وثلاثة إخوة: محمد وأبو بكر وعمر بنو المنذر، وثلاثة إخوة: بُكَيْر ويعقوب وعمر بنو عبد الله الأشـجّ.

وفيها توفي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبـي طالب الملقّب بزين العابدين، وكنيته أبو محمد، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة؛ وأمه أم ولد يقال لها غزالة، وقيل سلامة، وقيل سُلافة، وقيل شاهِ زَنان، وكانت سِنديّة. وكان عليّ هذا بارّاً بها، رضي الله عنه وعن أسلافه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وخمسة عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وإصبـع واحد.

---

(١) الأَكِلَة: الحِكَّة.

(٢) قال ابن كثير: كانت وفاته سنة ٩٤ على المشهور، وقيل سنة ٩٠، وقيل سنة مائة، وقيل ٩١، وقيل إحدى ومائة، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربـع أو خمس وتسعين، وقيل تسـع وتسعين، والله أعلم.

(٣) هو يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي، أبو زكريـا: راوية للأخبار والتاريخ، من حفاظ الحديث. نقل محمد بن يوسف الكندي في ولاة مصر وقضاتها كثيراً مما روى عنه المديني وغيره. (الأعلام: ٨/١٥٤).

السنة السادسة من ولاية قُرّة بن شِريك على مصر

وهي سنة خمس وتسعين.

فيها وفد موسى بن نُصَيْر من بلاد المغرب على الوليد بالشأم ومعه الأموال وثلاثون ألف رأس من الرقيق.

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينةَ الباب من إرمينيَة وخرّبها ثم بناها بعد[١] ذلك مسلمة المذكور.

وفيها وُلد أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس.

وفيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح هِرَقْلة وغيرها.

وفيها حج بالناس بِشْر بن الوليد بن عبد الملك.

وفيها توفّي جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ، وهو أخو عبد الملك بن مروان من الرَّضاعة.

وفيها توفّي الخبيث الحجاج بن يوسف بن الحَكَم بن [أبي][٢] عقيل بن مسعود بن عامر، أبو محمد الثقفيّ.

قال الشعبيّ: كان بين الحجاج وبين الجُلَنْدَا الذي ذكره [الله] في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٣] سبعون جدّاً. وقيل: إنه كان من ولد عبد[٤] من عبيد الطائف لبني ثقيف ولد أبي رِغال دليلِ أَبْرَهة إلى الكعبة.

قلت: هو مشؤوم هو وأجداده، وعليهم اللعنة والخِزْي، فإنه كان مع ظلمه

---

(١) بناها مسلمة بعد تسع سنين (تاريخ خليفة: ٣٠٧).

(٢) الزيادة من وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢٩/٢؛ والمعارف لابن قتيبة: ص ٢٢٢.

(٣) سورة الكهف: ٧٩.

(٤) في الأصل «ولد عبيد بن عبيد الطائف» وهو تحريف. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية.

وإسرافه في القتل مشؤوم الطلعة؛ وكان في أيامه طاعون الأشراف[١]، مات فيه خلائق لا تحصر؛ حتى قيل: لا يكون الطاعون والحجاج! وكان معظم الطاعون بواسط. وقيل: كان اسم الحجاج أوّلاً كُلَيب، ومولده سنة تسع وثلاثين، وقيل سنة أربعين، وقيل سنة إحدى وأربعين، بمصر بدرب السرّاجين[٢]، ثم خرج به أبوه يوسف مع مروان بن الحكم إلى الشأم. ولم أدر ما أذكر من مساوىء هذا الخبيث في هذا المختصر، فإن مساوئه لا تُحْصَر، غير أنني أكتفي فيه بما شاع عنه في الآفاق من قبيح الفِعال، وسوء الخصال.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وسبعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وآثنا عشر إصبعاً.

---

(١) في طبعة دار الكتب «الإسراف» وهو تحريف. وطاعون الأشراف هو نفسه طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى والجواري بالبصرة وبواسط وبالشام والكوفة. (انظر المعارف لابن قتيبة: ٣٣١).

(٢) قال ابن عبد الحكم في تاريخه (فتوح مصر: ١٠٨) في ذكر من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص: «واختطت ثقيف في ركن المسجد الشرقي إلى السرّاجين، وكانت دار أبي عرابة خطة حبيب بن أوس الثقفي الذي كان نزل عليه يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ومعه ابنه الحجاج بن يوسف مقْدَمَ مروان بن الحكم مصر. وذكر ذلك أيضاً ابن دقماق في (الانتصار: ٤/٩). ويُفهم من ذلك أن الحجاج بن يوسف إنما نشأ وتربى بالفسطاط ولكنه لم يولد بها كما ذكر المؤلف.

ذكر ولاية عبد الملك بن رِفاعة الأولى على مصر(١)

هو عبد الملك بن رِفاعة بن خالد بن ثابت(٢) الفَهْميّ المصريّ، أمير مصر؛ وَلِيَ مصر بعد موت قرّة بن شريك من قِبَل الوليد بن عبد الملك بن مروان. وَلِيَها في شهر ربيـع الآخر سنة ست وتسعين على الصلاة، فلم يكن بعد ولايته إلا أيام ومات الوليد بن عبد الملك وتخلّف أخوه سليمان بن عبد الملك، فأقرّ عبدَ الملك هذا على عمل مصر، فدام على ذلك وحسُنت سِيرته، فإنه كان عفيفاً عن الأموال ديّناً، وفيه عدل في الرعية؛ وكان ثقة أميناً فاضلاً؛ رَوَى عنه الليث بن سعد وغيرُه.

قال الليث بن سعد: كان يقول عبد الملك بن رفاعة: «إذا دخلت الهديّة من الباب خرجت الأمانة من الطاق» يعني بهذا الكلام في حقّ كل عامل على بلد. قلت: وهذا أيضاً في حقّ كل حاكم كائن مَن كان. وفي الجملة [فقد كان بينه](٣) وبين قرّة بن شريك زحام. وكان المتولِّي في أيام عبد الملك بن رفاعة على خراج مصر أُسامةَ بن زيد التَّنُوخِيّ، وعلى الشُّرطة أخاه الوليد بن رفاعة.

قال الكِنْديّ: كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أُسامة: «احلُبِ الدَّرَّ حتى ينقطـع، واحلُب الدمَ حتى ينصرم». قال: فذلك أوّل شدّة دخلت على أهل مصـر. وقال يـوماً سليمـان بن عبد الملك ــ وقـد أعجبه فعـل أسامـة بن زيـد المذكور ــ : هذا أسامة لا يرتشي ديناراً ولا درهماً؛ فقال له ابن عمـه عمرُ بن عبد العزيز بن مروان: أنا أدُلّك على من هـو شرّ من أسـامة ولا يـرتشي ديناراً ولا درهماً؛ قال سليمان: ومن هو؟ قال عمر: عدوّ الله إبليس؛ فغضب سليمان وقام من مجلسه.

---

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ وولاة مصر: ٨٧؛ وحسن المحاضرة: ٩/٢ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) وباقي سلسلة نسبه كما أوردها الكندي: ابن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن صبح بن والبة بن نَصر بن صَعْصَعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن القَين بن فَهْم بن عمرو بن سعيد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان.

(٣) زيادة للتوضيح. وفي الأصل: «وفي الجملة فبينه وبين إلخ».

ولما مات سليمان بن عبد الملك وتولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة وجّه في عزل أسامة بن زيد المذكور قبل دفن سليمان، وأقرّ عبدَ الملك بن رفاعة على عمله بمصر مدّة، ثم عزله بأيّوب بن شُرَحْبيل في شهر ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين. وكانت ولايةُ عبد الملك بن رفاعة على مصر في هذه المرّة ثلاثَ سنين تخميناً. وتأتي بقية ترجمته في ولايته الثانية إن شاء الله تعالى.

وفي أيام عبد الملك هذا قُتِل عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر، وكان أبوه استعمله على الأندلس لمّا قدم الشأم. وكان سببه أنه تزوج بآمرأة رُذْريق(١) فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيّته بالسجود له عند الدخول عليه كما كان يُفْعَل لزوجها، فقال: إن ذلك ليس في ديننا. وكان ديّناً فاضلاً، فلم تزل به حتى أمر بفتح باب قصير. فكان أحدهم إذا دخل عليه طأطأ رأسه فيصير كالراكع له، فرضيت به وقالت له: الآن لَحِقْتَ بالملوك، وبقي أن أعمَلَ لك تاجاً مما عندي من الذهب واللؤلؤ فأبى، فلم تزل به حتى فعل، فآنكشف ذلك للمسلمين، فقيل: إنه تنصّر. فثاروا عليه وقتلوه بدسيسة من عند عبد الملك هذا بأمر سليمان بن عبد الملك، فدخلوا عليه، وهو يصلّي الصبح في المِحراب وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة واحتزّوا رأسه وسيّروه إلى سليمان، فعَرَضه سليمان على أبيه فتجلّد للمصيبة وقال: «هنيئاً له الشهادة، فقد قتلتموه والله صوّاماً قوّاماً»(٢). فعدّ الناس ذلك من زَلّات سليمان بن عبد الملك.

---

(١) Rodrigue والعرب تقول: رُذْريق ولُذْريق؛ وهو آخر ملوك القوط بأسبانيا. كان أبوه دوق قرطبة فغضب عليه «غيطشة» ملك البلاد وسمل عينيه فثار لذريق على غيطشة وقاتله وهزمه واستوى على عرش أسبانيا مكانه، فاتفق أولاد غيطشة مع الكونت يليان والي «سبتة» واستنجدوا العرب، وأجاز طارق بن زياد إلى الأندلس وهزم لذريق وجموعه بالقرب من «شريش» وقتل لذريق في المعركة وأخذ العرب رأسه، وقيل بل غاب ولم يدر أين وقع وإنما وجد المسلمون فرسه. (تاريخ غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان: ٢٩). انظر أيضاً: فتوح مصر: ص٢١٢؛ والحلة السيراء: ٢/٣٣٣؛ وابن الأثير: حوادث سنة ٩٢هـ.

(٢) في رواية ابن عبد الحكم: وبعُث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك ــ وذلك في سنة ٩٧هـ ــ فأراه أباه وقال له: أتعرف هذا؟ قال: نعم، أعلمه صوّاماً قوّاماً، فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه».

السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن رِفاعة الأولى على مصر

وهي سنة ست وتسعين.

فيها غزا مَسْلَمَةُ بن عبد الملك الصائفة(١).

وفيها افتتح العباس بن الوليد بن عبد الملك طَرَسُوس(٢).

وفيها عزم الوليد قبل موته بمدّة يسيرة على خلع أخيه سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد؛ وكان الوليد قد شاور الحجاج في ذلك فأشار عليه بخلعه، فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك فامتنع، وكان بفِلَسْطين، فعرض عليه الوليد أموالاً كثيرة، فأبى. فكتب الوليد إلى عُمّاله أن يخلَعوا سليمان ويبايعوا لابنه عبد العزيز بن الوليد، فلم يجبه إلى ذلك سوى الحجاج وقُتيبة بن مسلم. ثم قال لعمر بن عبد العزيز: بايع لابن أختك عبد العزيز، فإنّ عبد العزيز بن الوليد كانت أمّه أخت عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: إنما بايعناك وسليمان في عَقْد واحد، فكيف نخلعه ونتركك! فأخذ الوليد مِنْديلاً وجعله في عُنُق عمر بن عبد العزيز ولواه حتى كاد أن يموت، فصاحت أخته أمّ البَنِين زوجة الوليد حتى أطلقه وحبسه في بيتٍ ثلاثة أيام إلى أن قالت له أمّ البنين: أخرج أخي، فأخرجه وقد كاد أن يموت، وقد التوى عنقه، فقالت أمّ البنين: اللهم لا تبلّغ الوليد في ولد عبد العزيز ما أمّله.

وفيها قُتِل قُتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحُصَيْن بن أَسِيد(٣) بن زيد بن قُضاعة(٤) الباهليّ؛ وهو من التابعين، وكنيته أبو صالح. كان من كبار أمراء بني أمية. ولّاه الحجاج خُراسان، وفتح الفتوحات؛ فلما وَلِيَ سليمان بن عبد الملك

(١) أي أرضَ الروم، في الصيف. وفي الطبري أنه فتح حصناً من حصون الروم يقال له حصن عوف. وذكر خليفة أن الذي أغزاه هذه السنة هو سليمان بن عبد الملك.

(٢) في خليفة: «طبرس والمرزبانين».

(٣) في الأصل «أسد». وما أثبتناه من المعارف لابن قتيبة: ص ٢٢٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٨٦/٤ وفيه: «أسيد الخير».

(٤) في المعارف ووفيات الأعيان: «ابن قضاعي».

الخلافة نقَم عليه لكونه كان خلعه في أيام أخيه الوليد، فبعث إليه من قتله بعد أمور وحروب.

وفيها توفِّي الحَكَم بن أيّوب بن الحكم بن أبي عَقِيل، آبن عمّ الحجاج؛ كان ولّاه الحجاج البصرة وزوّجه أخته زينبَ بنت يوسف.

وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمّه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. كان من الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة.

وفيها آفتتح قتيبة مدينة كَاشْغَر[١].

وفيها حجّ بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وهو أمير المدينة؛ وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد (بفتح الهمزة وكسر السين المهملة)، وكان على حرب العراق وصَلاتها يزيد بن المُهَلَّب، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن، وعلى البصرة سُفيان بن عبد الله الكِنديّ من قِبَل يزيد بن المهلب، وعلى حرب خُراسان وكِيع بن أبي مسعود[٢].

وفيها توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أبو العباس الأُمويّ الدمَشْقيّ، من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشأم؛ وكان الوليد عند أهل الشأم أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع وبنى جامع دمشق ومسجد المدينة؛ وهو أوّل من آتخذ دار الضيافة للقادمين، وبنى البِيمارِستانات[٣] للمرضى، وساق المياه إلى مكة والمدينة، ووضع المنابر في الأمصار؛ غير أنه كان له مَساوىء من كونه كان أقرّ الحجاج على العراق وأشياء غير ذلك؛ وتولى الخلافة من بعده أخوه سليمان بن عبد الملك.

---

(١) في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون. وأوردها ياقوت أيضاً في «كاجغَر» قال: وهي لغة في كاشغر. وأوردها الحميري في الروض المعطار باسم: كاشغرا. قارن أيضاً بتقويم البلدان: ص ٥٠٤.

(٢) زاد ابن الأثير: وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى.

(٣) بيمارستان: وتختصر في كثير من الأحيان فيقال: مارستان، وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية «بيمار» بمعنى مريض، و«إستان» بمعنى مكان، وتدل على المستشفى. والبيمارستان في الاصطلاح الحديث يطلق خاصة على مكان يأوي المجانين. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥٤/٩). وقال المقريزي: وجعل الوليد في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق. (خطط: ٤٠٥/٢).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع واثنا عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر

وهي سنة سبع وتسعين.

فيها غزا يزيد بن المهلَّب جُرْجَانَ. قال المدائنيّ: غزاها ولم تكن يومئذ [مدينة](١) إنما هي جبال محيطة بها.

وفيها حج بالناس الخليفة سليمان بن عبد الملك.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بَرْجَمَةَ وحصنَ ابن عوف وافتتح أيضاً حصنَ الحديد وسردا(٢)، وشتَّى بنواحي الروم.

وفيها بعث سليمانُ بن عبد الملك على الغرب محمدَ بن يزيد مولى قريش فولِيَ سنتين وعدَل. ولكنه عَسَف على موسى بن نُصَيْر وقبض على ابنه عبدِ الله وسجنه، ثم جاء البريد بأن يقتله، فتولَّى قتلَه عبيد الله بن خالد بن صابي(٣)، وكان أخوه عبد العزيز بن موسى على الأندلس. ثم ثاروا عليه فقتلوه في سنة تسع وتسعين لكونه خلع طاعة سليمان؛ قتله وهو في صلاة الفجر حبيب بن أبي عُبيد بن عُقبة بن نافع الفِهْريّ.

---

(١) الزيادة من خليفة بن خياط. والخبر نقله خليفة مشافهة عن أبي الحسن المدائني. وذكر ابن الأثير هذا الخبر في حوادث سنة ٩٨هـ.

(٢) كذا بالأصل. والنصّ في هذا الخبر يطابق ما ورد في تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٣٢٩، غير أنه يذكر «سردانية» بدل «سردا». أما خليفة فقد أورد الخبر بالنصّ التالي: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بَرْجَمة والحصن الذي افتتح الوضّاح وهو حصن ابن عوف، وافتتح أيضاً مسلمة حصن الحديد وسَرْدَوْسَل بضواحي الروم؛ وشتّى عمر بن هبيرة في البحر.

(٣) في الذهبي: خالد بن حنباب.

ذكر وفاة موسى بن نُصَير المذكور

هو صاحب فتوحات الغرب، وكنيته أبو عبد الرحمن. قيل: أصله من عين التمر[١]، وقيل: هو مولى لبني أمية، وقيل: لامرأة من لخم. مات بطريق مكة مع الخليفة سليمان بن عبد الملك. مولده بقرية كَفْرَتُوثا[٢] من قرى الجزيرة في سنة تسع عشرة؛ وولّاه معاوية بن أبي سفيان غزو البحر فغزا قبرسَ وبنى بها حصوناً ثم غزا غيرها؛ وطالت أيامه وفتح الفتوحات العظيمة ببلاد المغرب؛ وكان شجاعاً مِقداماً جواداً.

وفيها جهّز الخليفة سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية وآستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة.

وفيها غزا عمرُ بن هبيرة أرضَ الروم في البحر وشتّى بها.

وفيها عزل سليمانُ داودَ بن طلحة[٣] الحضرميّ عن إمرة مكة، وكان عمله عليها ستة أشهر، وولّى عوضه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد.

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة (معجم البلدان: ٤/١٧٦). وقيل: أصله من وادي القرى بالحجاز (الأعلام: ٧/٣٣٠) ـ وفي الكامل لابن الأثير وتاريخ خليفة (حوادث سنة ١٢هـ) أن خالد بن الوليد لما افتتح عين التمر كان فيها جموع من العرب والعجم فهزمهم وقتل وأسر ووجد في بيعتهم بالحصن أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل فأخذهم فقسمهم في أهل البلاد، فكان منهم: سيرين أبو محمد، ونُصير أبو موسى.

(٢) قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين ودارا. (معجم البلدان: ٤/٤٦٨، وابن خلكان: ٥/١٤٧).

(٣) كذا أيضاً في ابن الأثير وخليفة. وفي الطبري: طلحة بن داود الحضرمي.

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع.

السنة الثالثة من ولاية عبد الملك بن رفاعة على مصر

وهي سنة ثمان وتسعين.

فيها غزا يزيد بن المهلّب بن أبي صُفْرة طَبَرِسْتان، فصالحه صاحبها الأصْبَهْبَذ(١) على سبعمائة ألف، وقيل: خمسمائة ألف في السنة(٢).

وفيها غدر أهل جُرْجان وقتلوا عاملهم وجماعةً من المسلمين. فسار إليهم يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة وقاتلهم شهراً حتى نزلوا على حكمه، فقتل المُقَاتِلة وصلب منهم فرسخين [عن يمين الطريق ويساره](٣) وقاد منهم اثني عشر ألف نفس إلى وادي جُرْجان فقتلهم وأجرى الدماء في الوادي.

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم وفتح حصن المرأة مما يلي مَلَطْيَة.

وفيها عادت الزلازل أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، فهدمت القلاع والأماكن العالية.

وفيها آستعمل سليمانُ عُرْوةَ بن محمد بن عطية السعديّ على اليمن.

وفيها توفّي أيّوب ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان؛ وأم أيوب المذكور أم أبَان بنت سليمان بن الحَكَم، وقيل: بنت خالد بن الحكم، وكان شاباً جليلاً.

---

(١) في الأصل وتاريخ الإسلام للذهبي: «أصفهيد». وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير وخليفة ومعجم البلدان.

(٢) وزاد في الطبري وابن الأثير وخليفة: «... وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين، وأربعمائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وجام فضة وسرقة حرير وكسوة».

(٣) الزيادة من الطبري وابن الأثير ــ قارن أيضاً برواية خليفة: ص ٣١٥.

وفيها توفي عبيد الله بن عبد الله بن عتْبة بن مسعود. وكنيته أبو عبد الله، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، وكان عالماً زاهداً، وهو أحد الفقهاء السبعة المشارُ إليه في الأبيات السابقة[١] بعبيد الله، وكان الزهري يلازمه ويأخذ عنه.

وفيها فتحت مدينة الصقالبة ببلاد المغرب[٢].

وفيها حجّ بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسيد وهو أمير مكة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعاً وستة أصابع.

---

(١) ص ٢٩٣ من هذا الجزء.

(٢) لعل الصحيح ببلاد الروم. وهي مما يلي خليج القسطنطينية. قال خليفة: «وشتّى مسلمة بضواحي الروم. فسار مسلمة من مشتاه حتى سار إلى القسطنطينية في البحر والبر فجاوز الخليج وافتتح مدينة الصقالبة».

ذكر ولاية أيوب بن شُرَحْبِيل على مصر[١]

هو أيّوب بن شُرَحْبيل بن أُكْشُوم[٢] بن أَبْرَهَة بن الصَّبَّاح أميرُ مصر.

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخه: أيوب بن شرحبيل بن أكشوم بن أبرهة بن الصبَّاح بن لَهيعة بن شُرَحْبيل بن مَرْثَد بن الصبّاح بن مَعْدِ يَكرِب بن يَعْفُر بن يَنُوف بن شَرَاحِيل بن أبي شَمِر بن شُرَحْبِيل بن ياشر بن أشغر[٣] بن مَلْكِيكَرِب بن شَرَاحيل بن عُمَيْر[٤] بن أبي كَرِب بن يعفُر بن أسعد بن مَلْكِيكَرِب بن شمير[٥] بن أشغر[٣] بن ينوف بن أصبح الأصبحيّ. وأمه أم أيوب بنت مالك بن نُوَيْرَة بن الصبّاح.

وأيّوب هذا أحد أمراء مصر ولِيَها لعمر بن عبد العزيز. روى عنه أبو قَبِيل وعبد الرحمن بن مِهْران، وتوفّي في رمضان سنة إحدى ومائة.

حدثني موسى بن هارون بن كامل، أخبرنا عبد الله بن محمد البُرْدِي، حدثنا أبي، حدّثنا ابن أبي ذئب، حدّثنا عبد الرحمن بن مِهْران عن أيّوب بن شُرَحْبيل قال: كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامله على مصر: أن خُذْ من المسلمين من كلِّ أربعين ديناراً ديناراً، ومن أهل الكتاب من كلِّ عشرين ديناراً ديناراً إذا قبِلوها في كل عام، فإنه حدّثني مَن سمِعه عمّن سمِعه عن رسول الله ﷺ. انتهى كلام ابن يونس باختصار.

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ ولاة مصر: ٨٩؛ حسن المحاضرة: ٩/٢؛ معجم زامباور: ٣٨.
(٢) في الكندي والمقريزي: «أكسوم» بالسين المهملة.
(٣) في الكندي: «أشعر» بالعين المهملة.
(٤) في الكندي: «بن عميّ».
(٥) في الكندي: «شمر».

قلت: وكانت ولاية أيوب هذا على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة من قِبَل عمر بن عبد العزيز في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين. فلما وُلِّيَ أيّوب هذا مصرَ جعل الفُتْيَا بمصر الى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر، وجعل على الشُّرطة الحسنَ بن يزيد الرُّعَيْني؛ وزِيد في عطايا الناس عامّة، وعُطِّلت حانات الخمر وكُسِرت بإشارة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ونَزَحت[١] القِبْط عن الكُوَر، واستُعْمِلَت [عليها] المسلمون، ونُزِعتْ أيديهم أيضاً عن المواريث واستُعمِلَ عليها المسلمون. وحسُنت أحوال الديار المصرية في أيامه، وأخذ أيوب هذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأمور.

وبينما هو في ذلك قَدِم عليه الخبرُ بموت الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في شهر رجب سنة إحدى ومائة وتولية يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة، وأن يزيدَ أقرّ أيّوبَ بن شُرَحبيل المذكور على عمله بمصر على الصلاة على عادته؛ فلم تطُل مدّة أيوب بعد ذلك، ومات في يوم سابعَ عَشَرَ شهر رمضان من سنة إحدى ومائة المذكورة، وقيل: لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان، فكانت ولايته على مصر سنتين ونصف سنة. وتولى مصر بعده بِشْر بن صفوان الآتي ذكره.

وقال صاحب كتاب «البُغْيَة والاغتباط فيمن ولي الفُسْطاط»: إنه عُزِل (يعني أيوب هذا) في التاريخ المذكور من الشهر والسنة؛ غير أنه خالف ما ذكرناه من موته، وقال: «عُزِل» والله أعلم، ووافقه[٢] غيره على ذلك. والصحيح ما نقلناه أنه توفي.

غير أن يزيد لما وَلِي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز غيّر غالِبَ ما كان قرّره عمر. وسببُه أن عمر لما آحتُضِر قيل له: اكتب إلى يزيد آبن عمك وأوصه بالأمة، قال: بماذا أُوصيه! إنه من بني عبد الملك؛ ثم كتب إليه: «أما بعد، فآتق الله يا يزيد، وآتق الصَّرْعة بعد الغَفْلة حين لا تُقال العَثْرةَ ولا تَقدِر على الرَّجعة، إنك

(١) لعل الصواب ما ذكره الكندي: «ونُزعت موازيت القبط عن الكور، واستعمل المسلمون عليهم». والموازيت هم رؤساء القرى.

(٢) ممن قال إنه نزع عنها: الليث بن سعد وأحمد بن يحيى بن وزير. (ولاة مصر: ٩٠).

تترك ما تترك لمن لا يحمَدُك، وتصيرُ إلى من لا يَعْذِرك، والسلام»[١]. فلما وَلِيَ يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم عن المدينة، واستعمل عبد الرحمن ابن الضحّاك بن قيس الفِهْريّ عليها، فأستقضى عبدَ الرحمن بن سَلَمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزوميّ. وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلاً حتى شكا عثمان بن حَيّان إلى يزيد من ابن حزم أنه ضربه حَدّين وطلب منه أن يُقِيده[٢] منه. ثم عَمَد يزيد إلى كل ما صنعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه، ولم يَخفْ شناعةً عاجلةً ولا إثماً آجلاً. فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان عاملاً على اليمن، فجعل عليهم خراجاً محدّداً، فلما وليَ عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله باليمن يأمره بالاقتصار على العشر ونصف العشر وترك ما حدّده محمد، وقال: لأن يأتيني من اليمن حَفْنة ذُرَة أحبُّ إليَّ من تقرير هذه الوظيفة. فلما وليَ يزيد بعد عمر أمر بردّها، وقال لعامله: خذها منهم ولو صاروا حَرَضاً[٣]، والسلام. ثم عَزَل جماعةً من العمال. فمن قال بعزل أيوب عن مصر فهو يستدلّ بما ذكرناه، والأصح أنه مات في التاريخ المذكور المقدّم ذكره.

السنة الأولى من ولاية أيوب بن شُرَحْبيل على مصر

وهي سنة تسع وتسعين:

فيها أغارت الخَـزَر على إرمينية وأَذْرَبيجـان، وأميرُ تلك البـلاد يومـذاك عبد العزيز بن حاتم الباهليّ. وكان بينهم وقعة قتَل اللّهُ فيها عامة الخَزَر، وكتب عبد العزيز الباهليّ إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك[٤].

وفيها حجّ بالناس أبو بكر بن حزم.

---

(١) أوردها السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٢٤٧ ببعض اختلاف.

(٢) أي يأخذ له منه بالثأر.

(٣) أي مشرفين على الهلاك.

(٤) وزاد خليفة: ٣١٦: «فولّى عمر عَديَّ بن عَديّ أرمينية، فاحتفر عديّ نهراً يقال له إلى اليوم: نهر عديّ».

وفيها استقضى عمر بن عبد العزيز الشَّعْبيَّ على الكوفة.

وفيها قَدِم يزيد بن المهلَّب بن أبي صُفْرة من خُراسان، فما قطع الجسر إلا وهو معزول. وتوجه عديّ بن أَرْطاة والياً من قِبَل عمر بن عبد العزيز على البَصْرة، فأبى يزيد بن المهلّب أن يسلّم عليه، فقبض عليه عديّ بن أرطاة وقيده وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فحبسه عمر بن عبد العزيز حتى مات.

وفيها أسلم ملك الهند.

قال ابن عساكر: كتب ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز: «من ملك الهند والسند، ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك وتحته ابنة ألف ملك، والذي في مملكته نهرانِ يُنبتان العُود والكافور والأكرة التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخاً، والذي في مَرْبَطِه ألف فيل وتحت يده ألف ملك، إلى ملك العرب:

أمّا بعد، فإن الله قد هداني إلى الإسلام فآبعث إليَّ رجلاً يعلّمني الإسلام والقرآن وشرائع الإسلام، وقد أهديت لك هدية من المسك والعَنْبر والنَّد والكافور فآقبلها، فإنما أنا أخوك في الإسلام، والسلام».

وفيها تُوُفّي سعيد بن أبي الحسن أخو الحسن البصري، وكان أصغر من الحسن، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة. وحزن على موته أخوه الحسن حزناً عظيماً وأمسك عن الكلام حتى كُلِّم في ذلك، فقال أوّل ما تكلم: الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب.

وفيها توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان الأمويّ الهاشمي؛ وأمه ولّادة بنت العبّاس، وهي أم الوليد أيضاً، وكنيته أبو أيوب. وَلِيَ الخلافةَ بعد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين. وكان فصيحاً لَسِناً جميلاً حسنَ السِّيرة مفتاحاً للخير، أذهب الله به ظلم الحجّاج، وأطلق من كان في حبس الحجاج، فأنصف المظلومين، وبنى مدينة الرَّملة[١] ومسجدها، ثم ختم أفعاله باستخلافه ابن

---

(١) سميت الرملة لغلبة الرمل عليها؛ وقيل سميت بامرأة اسمها رملة وجدها سليمان بن عبد الملك في بيت شعر حين نزل مكانها يرتاد بناءها فأكرمته وأحسنت ضيافته فسألها عن اسمها فقالت: رملة، فبنى البلدة وسماها باسمها. وقد اختطها سليمان يوم كان والياً على فلسطين في عهد أخيه الوليد بن عبد الملك. (انظر الموسوعة الفلسطينية: ٢/٤٧٤).

عمه عمر بن عبد العزيز على المسلمين قبل أخويه يزيد وهشام. وكان سليمان هذا أكولاً، وحكاياته في كثرة الأكل مشهورة، منها: أنه حجّ مرّة فنزل بالطائف فأكل سبعين رمّانة، ثم جاؤوه بخروف مشويّ وست دجاجات فأكلها، ثم جاؤوه بزبيب فأكل منه شيئاً كثيراً؛ ثم نَعس وانتبه فأتاه الطبّاخ فأخبره أن الطعام آستوى، فقال: آعرضه عليَّ قِدْراً قِدراً، فصار يأكل من كل قدرة[١] اللقمة واللقمتين واللحمة واللحمتين، وكانت ثمانين قدراً؛ ثم مُدّ السِّماطُ فأكل على عادته كأنه ما أكل شيئاً[٢]. وكانت وفاته بدابِق[٣] في صفر سنة تسع وتسعين عن خمس وأربعين سنة. وكانت خلافته دون ثلاث سنين، رحمه الله.

وفيها وَجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسْلَمة وهو بأرض الروم يأمره بالقُفول منها بمن معه من المسلمين، ووجّه لهم خيلاً وطعاماً كثيراً، وحثّ الناسَ على معونتهم.

وفيها أغارت الترك على أذْرَبِيجان فقتلوا من المسلمين جماعة، فوجّه عمر بن عبد العزيز حاتم[٤] بن النعمان الباهليّ فقتل أولئك الترك، ولم يُفلت منهم إلا اليسير.

وفيها توفي سهل بن عبد العزيز بن مروان أخو الخليفة عمر بن عبد العزيز. وكان فاضلاً دَيِّناً زاهداً.

وفيها توفي قيس[٥] بن أبي حازم عوفِ[٦] بن الحارث الأحْمَسِيّ، من الطبقة

---

(١) كذا! والقدر مؤنثة لا تدخل عليها التاء في غير التصغير.

(٢) وفي نَهَم سليمان أخبار كثيرة أخرى (انظر الفخري لابن طباطبا: ١٢٨؛ والبداية والنهاية: ١٨٨/٩؛ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٦). وقال ابن كثير: «هذا وأمثاله من مبالغات الأعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس؛ فقد كان سليمان نحيفاً جميلاً وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه من النَّهَم، والذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها».

(٣) قرية قرب حلب، من أعمال عَزاز.

(٤) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي خليفة بن خياط: «فصار إليهم عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي» وهو الصواب.

(٥) في خليفة والذهبي: توفي سنة ٩٨هـ. وأورد النووي في تهذيب الأسماء واللغات عدة روايات في سنة وفاته.

(٦) ويقال أيضاً: أبو حازم هو عبد عوف بن الحارث. (النووي: ٦١/٢).

الأولى من تابعي أهل الكوفة؛ شهد مع خالد بن الوليد حين صالح أهلَ الحِيرةِ والقادسية.

وفيها توفي القاسم بن مُخَيْمِرة الهَمْداني. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة، وكان يدعو بالموت، فلما نزل به كرهه؛ وكان ثقةً مع علم وزهد وورع.

أمر النيل في هذه السنة ـ الماء القديم ستة أذرع وخمسة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

السنة الثانية من ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر

وهي سنة مائة:

فيها حج بالناس أبو بكر بن حزم.

وفيها غزا الصائفةَ الوليد بن هشام المُعَيْطيّ؛

وفيها خرج شَوْذَب(١) الخارجيّ واسمه بِسْطام من بني يَشْكُر.

وفيها أمر عمر بن عبد العزيز أهلّ طُرَنْدة(٢) بالقفول عنها إلى مَلَطْيَة. وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين، وملطية يومئذ خراب. وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن وَلِيَ عمر بن عبد العزيز فأمرهم بالعود إلى ملطيَة وإخلاء طُرَندة خوفاً على المسلمين [من العدو](٣) وأخرب طرندة.

(١) انظر بسط الخبر في ابن الأثير: ٣١٧/٤.
(٢) موضع من بلاد الروم (تركيا) قريب من ملطية.
(٣) زيادة عن ابن الأثير.

وفيها تزوج محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس الحارثية، فولدت له السفّاح أوّل خلفاء بني العباس الآتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وفيها كانت الزلازل، فكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار وواعدهم يوماً بعينه، ثم خرج هو بنفسه رضي الله عنه في ذلك اليوم وخرج معه الناس، فدعا عمر وتضرّع إلى الله فسكنت الزلازل ببركته.

وقيل: إن في أوّل هذه السنة كانت أوّل دعوة بني العباس بخُراسان لمحمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، فلم يظهر أمره غير أنه شاع ذلك في الأقطار. ثم وقعت أمور إلى أن ظهرت دعوتهم في سنة مائة واثنتين وثلاثين، كما سيأتي ذِكره في محله.

وفيها توفّي خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاريّ؛ وأمه جميلة بنت سعد بن الربيع الخَزْرَجيّ. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، وكذا جميع إخوته. وكنيته أبو زيد، وكان عالماً زاهداً، وهو أحد الفقهاء السبعة.

وفيها توفّي الشاب الصالح الناسك عبد الملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان. مات في خلافة أبيه عمر بن عبد العزيز. قال بعض أهل الشام: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك المذكور هذا. ومات عبد الملك المذكور وله تسع عشرة سنة رحمه الله.

وفيها كان طاعون عديّ بن أرطاة، ومات فيه خلائق.

وفيها توفي أبو رجاء العُطَارِديّ؛ من الطبقة الأولى من تابعي أهل البصرة. واسمه عِمْران بن تَيْم، وقيل: ابن مِلْحان، وقيل: عُطَارِد بن ثور[1].

وفيها توفي أبو طُفَيْل عامر بن واثِلة بن عبد الله بن عمرو الليثيّ الكِنانيّ الصحابيّ، آخر من رأى في الدنيا النبي ﷺ بالإجماع؛ وكان من شيعة عليٍّ. روى عن النبي ﷺ آستلامَه الركن.

(١) في طبقات ابن سعد: «واسم أبي رجاء: عطارد بن برز».

وفيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يُمَلّكهم بلادَهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم؛ وقد كانت سِيرته بَلَغْتهم، فأسلم جيشبة[١] بن ذاهر وعدّه ملوك وتسمَّوا بأسماء العرب. وكان استعمل عمرُ على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة، فغزا عمرو بعضَ الهند وظفِر حتى بقي ملوك السند مسلمين، فبَقُوا على ذلك إلى خلافة هشام، [ثم] ارتدّوا عن الإسلام لأمر وقع من هشام.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثمانية أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وعشرون[٢] إصبعاً.

(١) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي فتوح البلدان للبلاذري: «حليشة بن داهر».
(٢) في بعض النسخ: «واثنان وعشرون إصبعاً».

ذكر ولاية بِشْر بن صفوان على مصر(١)

هو بِشْر بن صفوان بن تَوِيل (بفتح التاء المثناة) بن بشر بن حَنْظَلة بن عَلْقَمة بن شُرَحْبِيل بن عُرَيْن(٢) بن أبي جابر بن زُهَيْر الكلبيّ، أميرُ مصر. ولِيَها من قِبَل يزيد بن عبد الملك بعد موت أيّوب بن شُرَحْبِيل في سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى ومائة.

قال ابن يونس: وحدّث عنه عبد الله بن لَهِيعة، ويَرْوِي عن أبي فِراس. انتهى كلام ابن يونس، ولم يذكر وفاته ولا عزله.

وقال غيره: وفي أيّام بِشْر على مصر نزل الروم تِنِّيسَ وأقام بعد ذلك مدّة. وولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك على إفريقية بالغرب، فخرج إليها من مصر في شوّال سنة اثنتين ومائة واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر، فأقرّه يزيد بن عبد الملك على إمرة مصر عوضاً عن أخيه بشر المذكور.

وقال صاحب كتاب «البغية والاغتباط، فيمن وَلِي الفُسطاط» بعدما ذكر نسبه إلى جدّه، قال: ولّاه يزيد بن عبد الملك، وقَدِمها (يعني مصر) لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة، فجعل على شرطته شُعَيْب بن حُمَيْد بن أبي الرَّبْداء(٣) البَلَويّ. وفي إمرته نزلت الروم تِنِّيسَ؛ وكتب يزيد بمنع الزيادات التي زادها(٤) عمر بن عبد العزيز، ودوّن التدوين الرابع(٥)؛ ثم خرج إلى إفريقية

---

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ وحسن المحاضرة: ٩/٢؛ وولاة مصر: ٩١؛ وابن عبد الحكم: ٢١٥؛ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) في الكندي: «عُدَس».

(٣) في الأصول: «أبي الزيد» و«أبي الرفد». وما أثبتناه من ولاة مصر، مصححة عن تاج العروس.

(٤) أي التي كان عمر بن عبد العزيز أمر لأهل الديوان بها. (الكندي: ٩٢).

(٥) المراد بالتدوين هنا تسجيل القبائل وإحصاؤها وإرجاع كل فرع إلى أصله. قال الكندي: وكان التدوين الأول لعمرو بن العاص، والتدوين الثاني لعمر بن عبد العزيز (والغالب أنه عبد العزيز بن مروان لا ابنه، إذ لم يلِ هذا مصر) والتدوين الثالث لقرّة بن شريك.

بإشارة يزيد بن عبد الملك في شوّال سنة اثنتين ومائة، واستخلف أخاه حَنْظلة.

وسبب عزل بشر بن صفوان وتوجّهه إلى إفريقيّة قتلُ يزيد بن أبي مسلم. وكان الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان استعمل يزيد بن أبي مسلم كاتبَ الحجّاج على إفريقية سنة إحدى ومائة، بعد عزل محمد بن يزيد مولى الأنصار؛ فلمّا وَلِيَ يزيد على إفريقية عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجّاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق؛ فإنّ الحجّاج كان ردّهم إلى قُراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفّار، فأراد يزيد بن أبي مسلم [أن] يفعل بأهل سواد إفريقية كذلك؛ فكلّموه في ذلك فلم يسمع وعزم على ما عزم عليه؛ فلما تحقّقوا ذلك أُجمِع رأيهم على قتله، فوثبوا عليه وقاتلوه وقتلوه[1]، وولَّوْا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد المذكور، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكان عندهم؛ وكتبوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك: إنّا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكنّ يزيد بن أبي مسلم سامَنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا علينا محمد بن يزيد؛ فكتب إليهم يزيد: إني لم أرضَ بما صنع يزيد بن أبي مسلم؛ وأقرَّ محمد بن يزيد على عمله مدّة أيّام، ثم بدا له إرسالُ بشر بن صفوان هذا إلى إفريقية فكتب إليه بالتوجّه، وأقر أخاه حنظلة بن صفوان على إمرة مصر عوضَه برغبة أخيه بِشْر في ذلك. وخرج بشر إلى إفريقية ووقع له بها أمور يطول شرحها إلى أن غزا جزيرة صِقِلِّية في سنة تسع ومائة وغنم منها شيئاً كثيراً. ثم رجع من غَزاته إلى القَيْرَوان فتوفّي بها من سنته. فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السُّلَمِيّ. انتهت ترجمة بشر بن صفوان.

* * *

(١) قارن بتاريخ خليفة: ٣٢٦، والحلة السيراء: ٢/٣٣٦.

السنة الأولى من ولاية بشر بن صفوان على مصر

وهي سنة إحدى ومائة:

فيها آستُخْلِف يزيد بن عبد الملك بعد موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز في شهر رجب.

وفيها ولّى الخليفةُ يزيدُ بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفِهْريّ على المدينة، وعزل عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فحجّ عبد الرحمن بالناس؛ وكان عامل مكّة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكان على الكوفة عبد الحميد[1]، وعلى قضائها الشعبيّ[2]؛ وكانت البصرة قد غلب عليها [آبن] المهلَّب، وكان على خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيْم. وفيها لحِق يزيد بن المهلَّب بن أبي صفرة بالبصرة وغلب عليها وحبس عاملها عَدِيّ بن أَرْطاة الفَزاريّ وخلع يزيد بن عبد الملك من الخلافة وخرج عن طاعته ـ وكان يزيد هذا مَنْ حبسه عمر بن عبد العزيز في أيّام خلافته كما تقدّم ذكره ـ فجهّز الخليفة يزيد بن عبد الملك لحرب يزيد بن المهلَّب الجيوش. ووقع لجيش يزيد بن عبد الملك مع يزيد بن المهلَّب وقائع آلت إلى أن قُتِلَ يزيد بن المهلَّب المذكور.

وفيها توفي أبو صالح السَّمّان وهو المعروف بالزيّات، واسمه ذَكْوان، مولى غَطَفَان، من الطبقة الثانية من الموالي بالمدينة. أسند عن جماعة من الصحابة ورَوَى عنه خلق كثير.

وفيها توفّي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشيّ الأمويّ أبو حفص؛ وَلِي الخلافة بعد موت ابن عمه سليمان بن عبد الملك بعهده إليه بحيلة وضعها سليمان بن عبد الملك حتى بايعه يزيد وهشام ابنا عبد الملك وتمّ أمره. ومولده بالمدينة سنة ستين عامَ توفّي الخليفة معاوية بن أبي سُفيان أو بعدها

(١) هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (خليفة: ٣٣٣).

(٢) هو عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي. كان علامة أهل الكوفة في زمانه.

بسنة؛ وأمّه أم عاصم بن عمر بن الخطاب. فسار عمر بن عبد العزيز في الخلافة سِيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من التقلّل والتقشّف والعدل في الرعيّة والإنصاف، إلى أن توفّي يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب بدَيْر سَمْعان[١] وصلّى عليه ٱبنُ عمّه يزيد بن عبد الملك بن مروان الذي تخلّف بعده؛ ومات عمر بن عبد العزيز وله تسع وثلاثون سنة وستة أشهر.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: عن[٢] يوسف بن ماهَك قال: بينما نحن نسوّي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رقّ من السماء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

قلت: وفي هذه كفاية عن ذكر شيء من مناقبه رحمه الله.

وفيها توفّي عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ الشاعر المشهور، وكنيته أبو الخطّاب؛ ولد في الليلة التي مات فيها الخليفة عمر بن الخطاب. وكان الحسن البصريّ يقول: أيّ حقّ رُفع، وأيّ باطل وُضع. وكانت العرب تقرّ لقريش بالتقدّم عليها في كلّ شيء إلّا في الشعر حتى أتى عمر هذا فأقرّت لها بالشعر. قال ابن خلّكان[٣]: لم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة، وله في ذلك حكايات مشهورة[٤].

---

(١) دير سمعان: من قرى معرة النعمان بسوريا، ويُعرف أيضاً بدير النقيرة، لأن إلى جانبه قرية تسمى النقيرة ـ على وزن كبيرة ـ قال ابن الشِّحنة: وبه قبر عمر بن عبد العزيز في حاير صغبين، وإلى خلف ظهره قبر الشيخ أبي زكريا يحيى بن منصور، وكان أحد أولياء الله. وفي دير سمعان يقول الشريف الرضي:

دير سمعان لا عدتك الغوادي خير ميت من آل مروان ميّتك

(انظر: الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشِّحنة: ٩٩).

(٢) السَّند هنا غير متَّصل: فابن ماهك توفي سنة ١١٣هـ، والحافظ الذهبي سنة ٧٤٨هـ.

(٣) وفيات الأعيان: ٣/٤٣٦.

(٤) انظر أيضاً الأغاني: ١/٦٦ ـ ٢٥٦.

قلت: وتشبيبه بالنساء وحكايته مع فاطمة[١] بنت عبد الملك بن مروان مشهورة. ومن شعره: [الخفيف]

حَيِّ طَيْفاً من الأحبّة زارَا بعدَ ما صرَّع الكرَى السُّمَّارَا
طارقاً في المنام تحتَ دُجى اللّيـ ـلِ ضَنِيناً بأن يزُورَ نهارا
قلتُ ما بالُنا جُفِينا وكنّا قبل ذاك الأسماعَ والأبصارا
قال إنّا كما عهِدْتَ ولكنْ «شَغلَ الحَلْيَ أهلَه أن يُعارا»

وفيها توفّي ذو الرُّمّة الشاعر المشهور، وكنيته أبو الحارث، واسمه غَيْلان بن عُقْبَة، وهو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[٢].

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وآثنان وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية بشر بن صفوان على مصر

وهي سنة اثنتين ومائة.
فيها وقعة كانت بين يزيد بن المُهلَّب بن أبي صفرة وبين مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان قُتِل فيها يزيد بن المهلّب المذكور وكسر جيشه وانهزم آل المهلّب، ثم ظفِر بهم مسلمة فقتل فيهم وبَدَّع وقل من نجا منهم.

وفيها غزا عمر بن هُبَيْرة الروم من ناحية إرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلِيَ العراق، فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً نحو سبعمائة أسير.

وفيها غزا العبّاس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الروم فافتتح دَلْسة[٣].

(١) في الأصل: «مروة». وما أثبتناه من الأغاني.
(٢) ترجمته في طبقات ابن سلام: ٤٦٥، والشعر والشعراء: ٤٣٧ والأغاني: ١٨/١.
(٣) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي خليفة: «دبسة» ولم نعثر على أي منهما.

وفيها حجّ بالناس أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك.

وفيها توفّي محمد بن مروان بن الحكم والد مروان الحمار آخرِ خلفاء بني أميّة الآتي ذكره.

وفيها توفي الضحاك بن مُزَاحِم الهلاليّ، [و] هو من رهط زينب زوج رسول الله ﷺ، وكنيته أبو القاسم، وهو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الكوفة.

وفيها توفّي يزيد بن [أبي][1] مسلم كاتب الحجّاج، وكنيته أبو العلاء؛ وكان على نَمَط الحجّاج في الجبروت وسفك الدماء. ولما مات الحجاج أقرّه الوليد بن عبد الملك على العراق أربعة أشهر؛ فلما مات الوليد ووَلِيَ أخوه سليمان الخلافةَ عزله بيزيد بن المُهلَّب بن أبي صفرة المقدّم ذكره؛ وأمره سليمان بمسكه وإرساله إليه، فأرسله إليه فحبسه إلى أن أخرجه يزيد بن عبد الملك وولّاه إفريقيّة فقتل هناك في هذه السنة. وقد حكينا ترجمته وقِتلته في أوّل ترجمة بشر بن صفوان.

وفيها توفّي عَديّ بن زيد بن الخُمار[2] العِبَاديّ التميميّ الشاعر المشهور؛ وهو جاهليّ نَصْرانِيّ من فحول الشعراء؛ ذكره محمد بن سلّام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية، وقال: وهم أربعة فحول: طَرَفَة بن العبد وعَبِيدُ بن الأَبْرص وعَلْقَمَةُ بن عَبَدَة وعديّ بن زيد بن الخُمار. قال أبو الفرج صاحب الأغاني: الخُمار[2] بخاء معجمة مضمومة. وفي وفاته أقوال: قيل إنه مات قبل الإسلام، وقيل في زمن الخلفاء الراشدين، وقيل غير ذلك. ومن شعره: [الخفيف]

أَيْنَ أهل الديار مِنْ قوم نوحٍ   ثم عادٌ من بعدهم وثَمودُ

---

(١) الزيادة من ابن الأثير وخليفة.

(٢) اختلفت المصادر في ضبط هذا الاسم ورسمه، فورد في أكثرها: حمّاد، وفي البعض: خمار وحماز وحمّار. قال الزركلي في الأعلام: ٢٢١/٤: «وكتب لي المستشرق كرنكو تعليقاً على الطبعة الأولى من الأعلام: الصواب في اسم جده حمار، اسم الدابة المشهورة، وقد كان هذا الأسم منتشراً بين العرب قبل الإسلام؛ وأظن حماداً بالدال، اسماً مولداً في الإسلام. ضبطه قليج بن مغلطاي في نسخة معجم الشعراء بلفظ حمار ووضع فوقه كلمة: صح» انظر أيضاً: الأغاني: ٩٥/٢ الهيئة المصرية حاشية، والنجوم الزاهرة: ٢٤٩/١ طبعة دار الكتب حاشية.

أيــن آبــاؤنَــا وأيــن بَــنُــوهــمْ   أيــن آبــاؤهــم وأيــن الـجــدودُ
سلكــوا مَنْهَـج المنـايـا فبـادُوا   وأرانــا قــد كــان مِــنّــا وُرُودُ
بينمــا هُمْ على الأسِـرَّةِ والأنْــ   ـمَاط أَفْضَتْ إلى التراب الخدودُ
ثم لم يـنقِض الـحــديثُ ولـكِنْ   بعــد ذاك الـوعيـدُ والمــوعــودُ

ومنهــا:

وصحيـحُ أضحَى يعـود مَـريضــاً   هــو أدنَى للمــوت مِمَّنْ يـعــودُ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وآثنان وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً.

ذكر ولاية حَنْظَلة بن صَفْوان الأولى على مصر(١)

وَلِيَ حَنْظَلة إمرةَ مصر باستخلاف أخيه بشر بن صفوان له لمّا ولّاه الخليفة يزيد بن عبد الملك إمرة إفريقية وكتب ليزيد بذلك، فأقرّه يزيد على إمرة مصر وذلك في شوّال سنة اثنتين ومائة. وحنظلة هذا من بني كَلْب. ولمّا وَلِيَ مصر مَهّد أمورها ودام بها إلى سنة ثلاث ومائة [ثم] خرج إلى الإسكندرية واستخلف على مصر(٢) عُقْبَة بن مسلم التُّجِيبيّ؛ ثم ورد عليه كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بكسر الأصنام والتّماثيل، فكُسرت كلّها ومُحِيت التماثيل(٣) من ديار مصر وغيرها في أيّامه.

قال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس: حنظلة بن صفوان الكلبيّ أمير مصر لهشام بن عبد الملك. رَوَى عنه أبو قَبِيل آخر ما عندنا من أخباره. وقدومُه من الغرب سنة سبع وعشرين ومائة، وكان أخرجه عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرِيّ.

قلت: وقوله «أمير مصر» لهشام يعني في ولايته الثانية على مصر.

قال: وكان حنظلة حسَن السيرة في سلطانه(٤). حدّثني مسلمة بن عمرو بن حفص المُرادِيّ وأبو قُرّة محمّد بن حُمَيْد الرُّعَيْنِيّ، حدّثني النَّضْر بن عبد الجبّار، أخبرنا ضِمام بن إسماعيل عن أبي قَبِيل، قال: أرسَل إليّ حنظلة بن صفوان فأتيته في حديث طويل. هذا ما ذكره ابن يونس في ترجمة حنظلة بتمامه وكماله.

قلت: واستمرّ حنظلة على عمله بمصر حتى توفّي يزيد بن عبد الملك واستقرّ

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ وولاة مصر: ٩٣؛ وحسن المحاضرة: ٩/٢؛ وابن عبد الحكم: ٢١٥، ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) المراد بمصر هنا: الفسطاط.

(٣) قال الكندي: وكسر فيها صنم حمّام زبّان بن عبد العزيز الذي يقال له حمّام أبي مرّة.

(٤) في بعض النسخ: أحكامه.

أخوه هشام بن عبد الملك في الخلافة، [فـ] صَرَف حنظلةَ هذا بأخيه محمد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في شوّال سنة خمس ومائة؛ فكانت مدّته على مصر ثلاث سنين. وتأتي بقية ترجمته في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى.

وسبب عزل حنظلة عن مصر أمور، منها: أنّ هشاماً عزله وأراد أن يُوَلِّيَ عُقْفان على مصر عِوضَه ثم ثَنى عزمه عن ذلك ووَلّى عُقْفان الصَّدَقة ووَلّى أخاه محمداً مصر. وعقفان المذكور حَـرُورِيّ [اسمه عقفـان][1]، خرج في أيـام يزيـد بن عبد الملك في ثلاثين[2] رجلاً، فأراد يزيد أن يرسل إليه جنداً يقاتلونه، فقيل له: إن قُتِل عقفان بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة، والرأي أن تبعث لكلّ رجل من أصحابه رجلاً من قومه يكلّمه فيردّه؛ ففعل يزيد ذلك؛ فقال لهم أهلوهم: إنا نخاف أن نُـؤْخذ بكم؛ وأُومِنوا[3] فرجعوا وبقي عقفان وحده، فبعث إليه يزيـد أخاه فاستعطفه وردّه. فلمّا وَلِيَ هشام الخلافة ولّاه أمرَ العُصاة بعد أن أراد أن يُوَلِّيَه إمْرة مصر. ولمّا وَلِيَ عقفانُ أمرَ العصاة وعظُم أمره قِدم ابنه من خُراسان عاصياً، فشدّه وَثاقاً وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه، وقال: لو خاننا عقفان لَكَتم أمر ابنه عنا. فاستعمله على الصَّدَقة، فبقي عقفان على الصدقة إلى أن مات هشام ووَلِيَ الخلافةَ مروانُ الجَعْدِيّ الحِمار.

* * *

السنة الأولى من ولاية حنظلة بن صفوان الكلبيّ على مصر

وهي سنة ثلاث ومائة.

فيها قُتِل أمير الأندلس السَّمح بن مالك الخَوْلانِيّ، قتله الروم يوم التَّروِيَة[4].

---

(١) هذه العبارة زائدة في الأصل، وفي غنى عنها.

(٢) في ابن الأثير، حوادث سنة ١٠٥هـ: «ثمانين».

(٣) لعلّ الصواب: «وأُمِّنوا».

(٤) الخبر هنا يتوافق مع ما جاء في «بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس» لابن عميرة الضبّي. وجاء في كتاب «تاريخ غزوات العرب» للأمير شكيب أرسلان: ٧١ أن السَّمح بن مالك قتل في معركة طلوزة

وفيها أغارت التركُ على اللان(١).

وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسلة(٢).

وفيها جُمِعت مكّة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحّاك.

وفيها وُلِّيَ عبد الواحد بن عبد الله النَّصريّ(٣) الطائفَ بعد عزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه وعن مكّة.

وفيها حجّ بالناس عبد الرحمن بن الضحّاك. وكان أمير العراق في هذه السنة عمرَ بن هُبَيْرة، وعلى خُراسان الحَرَشِيّ(٤).

وفيها توفّي يحيى بن وَثّاب الأَسَدِيّ مولاهم قارىء الكوفة أحد القرّاء؛ أخذ القراءة عَرْضاً عن عَلْقَمة والأسود وعُبَيد ومسروق وغيرهم. قال الأعمش: كان يحيى بن وثاب لا يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم في عَرْض ولا في غيره.

وفيها توفّي أبو الشَّعْثاء جابر بن زيد الأَزْدِيّ، من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة؛ وكان فقيهاً عالماً يُفْتي أهل البصرة في غيبة الحسن البصريّ وفي حضوره.

وفيها توفّي خالد بن مَعْدان بن أبي كُرَيْب(٥)، أبو عبد الله الكُلاعيّ، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشأم. كان عابداً وَرِعاً، وكان يكره الشهرة.

وفيها توفّي سليمان بن يَسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، وقيل: إنه كان مُكَاتَباً لها فأدّى وعتق، ووهبت ميمونة ولاءه لابن عباس. وهو من الطبقة الأولى من

= Toulouse في مواجهة عنيفة بين جيش المسلمين وجيش «أود» دوق أكيتانية من أرض فرنسة. وجاء في الأعلام للزركلي: ٣/١٣٩ أنه استشهد غازياً بأرض الفرنجة في الوقعة المشهورة بوقعة البلاط.

(١) بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب.

(٢) كذا في الأصل والطبري. وفي ابن الأثير: «دلسة» وسبق للمؤلف أن أوردها باسم «دلسة» في أخبار السنة الثانية من ولاية بشر بن صفوان. وأوردها خليفة بن خياط باسم «دبسة».

(٣) في الطبري وابن الأثير: «النضري». وفي الأصول: «النضري» و«البصري». وما أثبتناه من خليفة بن خياط، والدارقطني، وتهذيب التهذيب.

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي. (خليفة ٣٢٨).

(٥) كذا في الأصل وتهذيب التهذيب. وفي ابن الأثير: «كرب». وذكر خليفة وفاته في سنة ١٠٨هـ.

تابعي أهل المدينة، وكنيته أبو أيّوب، وقيل أبو محمد. وهو أحد الفقهاء السبعة، وكانوا يفضلونه على سعيد بن المُسَيِّب.

وفيها توفي أبو بُرْدة بن أبي موسى الأشعريّ؛ واسمه عامر بن عبد الله بن قيس، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة. ووَلِيَ قضاءَ الكوفة بعد شُرَيْح، وكان سعيد بن جُبَيْر قتيلُ الحجّاج كاتبَه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع.

السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر

وهي سنة أربع ومائة.

فيها كانت وقعة نهر أَرَّان[١]، فالتقَى المسلمون والكفّار وكان أمير المسلمين الجرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ، وعلى الكفار ابن الخاقان، وكانت الوقعة بقرب باب الأبواب، ونصر الله المسلمين وركبوا أَقْفِيَة الترك قتلاً وأسراً وسَبْياً.

وفيها عزل الخليفة يزيدُ بن عبد الملك عبدَ الرحمن بن الضحّاك عن المدينة ومكّة وولّى عليهما عبد الواحد النَّصْريّ[٢].

وفيها توفّي أَبان بن عثمان بن عفّان، وأمّه أمّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو، وكنيته أبو سعيد، وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة؛ وكان فقيهاً، ووَلِيَ إمرةَ المدينة لعبد الملك بن مروان.

---

(١) في الأصل: «وقعة النهروان» وهو تحريف. والتصحيح من ابن الأثير، وخليفة والطبري. وأرّان هو الاسم العربي لألبانيا القديمة، ويعتبر جزءاً من أرمينية الكبرى. ولعل نهر أرّان المشار إليه هو نهر «الكُرّ» (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٢/٥٦٧ ـ ٥٧٠).

(٢) في الأصل: «المصري» راجع الصفحة السابقة حاشية (٣).

وفيها توفي الشَّعْبيّ واسمه عامر بن شَرَاحِيل أبو عمرو الشعبيّ، شعب هَمْدان؛ كان علاّمة أهل الكوفة في زمانه؛ ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وروى عن عليّ يسيراً وعن المغيرة بن شُعْبة وعائشة وأبي هريرة وغيرهم. وقال أبو بكر بن عيّاش عن الحسن قال: ما رأيت أفقه من الشّعبيّ؛ قلت: ولا شُرَيْح؟ قال: تريد أن تكذّبني!.

وفيها توفي رِبْعِيُّ(١) بن حِرَاش بن جَحْش الغَطَفانيّ الكوفيّ، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة، وكان لا يكذِب قطّ؛ وكان له ابنان عاصيان على الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، [وقد اختفيا](٢) فقيل للحجّاج: إن أباهما لا يكذِب قط فسَلْه عنهما؛ فأرسل إليه الحجّاج قال: أين ابناك؟ فقال: في البيت، قال الحجّاج: قد عفونا عنهما بصدقك.

وفيها توفّي أبو قِلابَة الجَرْمِيُّ؛ واسمه عبد الله بن زيد، من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة؛ وكان فقيهاً عابداً طُلِب إلى القضاء فهرَب إلى الشأم وأقام به.

وفيها حجّ بالناس عبد الواحد بن عبد الله النَّصْريّ(٣) عامل الطائف؛ وكان عامل العراق كلّه في هذه السنة عمر بن هُبَيْرة مضافاً للمشرق كلّه؛ وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدِيّ، وعلى قضاء البصرة أبو قِلابَةَ الجَرْمِيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء، مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً.

* * *

(١) اختلفت الأقوال في سنة وفاته: ٨٢ أو ١٠٠ أو ١٠٤هـ. (انظر الإصابة: ترجمة ٢٧١٥؛ وذكر أسماء التابعين: ١٣٧ حاشية؛ والأعلام: ١٤/٣؛ وتاريخ خليفة بن خياط: ٢٨٨).

(٢) زيادة للتوضيح.

(٣) راجع ص ٣٢١ من هذا الجزء، حاشية(٣).

السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر

وهي سنة خمس ومائة.

فيها أيضاً زحف الخاقان[١] ملك الترك وخرج من الباب في جمع عظيم من الترك وقصد إرمينية، فسار إليه الجرّاح الحَكَميّ فاقتتلوا أياماً ثم كانت الهزيمة على الكفّار، وكان ذلك في شهر رمضان.

وفيها غزَا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم فقَتل وسبَى.

وفيها غزا الجرّاح الحَكَميّ اللاّن حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون وأصاب غنائم كثيرة.

وفيها غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قُونيَةَ من أرض الروم وكَماخ[٢].

وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فأرسل إلى عطاء: متى أخطب؟ قال: بعد الظهر قبل التَّرْوِية[٣] بيوم، فخطب قبل الظهر وقال: أخبرني رسولي عن عطاء، فقال عطاء: ما أمرته إلا بعد الظهر، فاستحيا إبراهيم.

وفيها توفّي الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، أبو خالد القرشيّ الأُمويّ الدمشقيّ. وَلِيَ الخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان بعهد من أخيه سليمان معقود في تولية عمر بن عبد العزيز؛ ولهذا قلنا في ترجمة عمر بن عبد العزيز: «بحيلة من سليمان»، فإنّ سليمان كان عهِد لعمر بن عبد العزيز بالخلافة فخاف من إخوته ومن الناس، فأخفى ذلك وبايع

(١) واسمه «جابان»، كما ذكر خليفة بن خياط: ٣٣١. قال: والتقوا بموضع يقال له الزمّ بين الكُرّ والرسّ.

(٢) في بعض النسخ «كمخ». وأكد ياقوت إثبات الألف، برواية عن رجل من أهل تلك البلاد. وروى خليفة هذا الخبر: «وفيها غزا مروان بن محمد على الصائفة اليمنى، فافتتح مدينة من أرض الروم من ناحية عنج» وفي رواية البلاذري: ٢١٩ «كَمْخ».

(٣) يوم التروية: يوم قبل يوم عَرَفة، وهو الثامن من ذي الحجّة، سمي به لأن الحجّاج يتروّون فيه من الماء وينهضون إلى منىً ولا ماء بها. (انظر لسان العرب: روي).

الناس لما هو مكتتب». فقالوا: نبايع على أن يكون فيه ولد عبد الملك، فبايعوا فإذا فيه عمر بن عبد العزيز، ثم من بعده ليزيد وهشام، فتمت البيعة؛ وأمّ يزيد هذا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ومولده سنة إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين. ودام في الخلافة إلى أن مات في الخامس والعشرين من شعبان بسواد الأُرْدُن. وكانت خلافته أربع سنين وشهراً؛ وتولى الخلافة بعده أخوه هشام بن عبد الملك.

وكان سبب موته أنه كان يُحبّ جارية من جواريه يقال لها حَبَابَةَ، وكانت مغنية، وكان يزيد صاحب لهو وطرب. فلمّا وَلِي يزيد الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز أقام يسير بسيرة عمر أربعين يوماً وترك اللهوَ والشرب، فقالت حَبَابة المذكورة لِخَصِيٍّ ليزيد، وهو صاحب أمره: ويحك! قرّبني منه حيث يسمع كلامي ولك عشرة آلاف درهم، ففعل. فلما مرّ بها يزيد أنشدتْ: [الطويل]

بَكَيْتُ الصِّبا جُهْدِي فَمَنْ شاء لامنِي ومنْ شاء آسَى في البُكاء وأسعَدَا

وأبياتاً أُخر[1] بالألحان، والشعر للأحوص. فلمّا سمعها يزيد قال: ويحكَ يا خَصِيّ! قل لصاحب الشُّرْطة يصلي بالناس. ودخل إليها وعاد إلى انهماكه ولذّاته. فلما كان بعض الليالي شرِقت حبابة فماتت، فحزِن عليها يزيد حزناً عظيماً. وخلّاها يزيد ثلاثة أيام لم يدفِنها وهو ينظر إليها، ثم دفنها خمسة أيام فلم يُطِق ذلك، فنبشها وأخرجها من القبر وجعل يقلّبها ويبكي؛ فقوِيَ عليه الحزن حتى قتله بعد سبعة عشر يوماً.

وفيها توفّي كُثَيِّر عزّة، واسمه كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود، وهو من الطبقة الثانية من شعراء المدينة، وكان شِيعِيّاً. قال ابن ماكولا: كان يتقلّب في المذاهب.

قلت: ولولا تقلّبه في المذاهب ما قرّبه بنو أُميّة فإنهم كانوا يكرهون الشيعة.

قلت: وهو أحد العشّاق وصاحب عزّة. قيل: إنّ عزة دخلت على أمّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقالت لها أمّ البنين: ما معنى قول كُثيِّر: [الطويل]

---

(١) انظر الأغاني: ٢٤٧/٨ طبعة دار الكتب العلمية.

قَضَى كلُّ ذي دَيْن فَوَفَّى غـريمَهُ وعَـزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غـريمُهـا

ما كان هذا الدَّيْن؟ قالت: وعدتُه بقُبْلة ثم رَجَعْتُ عنها، فقالت: أَنْجزيها وعليَّ إثمها، فأنجزتْه. فأعتقت أمّ البنين أربعين عبداً عند الكعبة، وقالت: اللهم إني أبرأ إليك مما قلته لعزّة.

وفيها توفّي سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. وكنيته أبو عمير، وقيل أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، وأمّه أمّ ولد؛ وكان من خيار قريش وفقهائهم وزهّادهم.

وفيها توفّي محمد بن شُعَيْب بن شابور ـ بالمعجمة ـ القرشيّ؛ وكان جدّه مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان. ومحمد هذا من الطبقة الخامسة، وقيل السادسة من تابعي أهل الشأم، وكان أحد الأئمة؛ وذكره يحيى بن مَعين بالإرْجاء[١]. قاله صاحب المرآة[٢]. والصحيح أنّ مولده سنة ست عشرة ومائة، وتوفّي سنة مائتين، وقيل: سنة ثمان وتسعين ومائة، وقيل غير ذلك.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

(١) المرجئة فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء، بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة؛ ومن أقوالهم: «إنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة».

(٢) مرآة الزمان للحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي.

ذكر ولاية محمد بن عبد الملك على مصر(١)

هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس القرشيّ الأُمويّ أمير مصر. وَلِيها بعد عزل حنظلة بن صفوان من قِبَل أخيه الخليفة هشام بن عبد الملك على الصلاة، ودخل إليها يوم الأحد(٢) لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال من سنة خمس ومائة المقدّم ذكرُها. ومحمد هذا هو أخو سعيد بن عبد الملك لأبويْه، وهو من الطبقة الرابعة من تابعي أهل دِمَشق. وكان ناسكاً كثير العبادة حسنَ السيرة جواداً؛ كان يُكرَه من أخيه هشام وغيره حتى يَلِيَ الأعمال؛ ولما وَلِيَ مصرَ جعل على شُرْطته حفص بن الوليد الحَضْرميّ. وحدّث عن رجل عن أبي هريرة وسمع من المغيرة بن شُعْبة.

وقال أبو حاتم: رَوَى عمّن سمِع معاوية وعن المغيرة مُرْسلاً(٣)، ورَوَى عنه الأوزاعيّ وغيره، وكان ثقة مأموناً. وحين وصوله إلى مصر وقع بها وباء ففرّ منها محمد إلى الصعيد، فلم تَطُل مدّته بالصعيد وعاد بعد أيام إلى مصر. ثم خرج منها بسرعة إلى الأُرْدُن وآستعفى فأُعْفِيَ. وصُرِف عن إمرة مصر بالحُرّ بن يوسف، فكانت ولايته شهراً واحداً؛ وسكن الأردنّ(٤)، ودام في دولة أخيه هشام على ذلك إلى أن حجّ بالناس في سنة ثلاثين ومائة. وعاد من الحجّ فوجد الفتن قائمة بالشأم من جهة بني العباس، فآستمرّ عند ابن عمه مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحِمار إلى أن هُزِم مروان المذكور في وقعة العراق من أبي مسلم الخُراسانيّ. وقبض على

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ وولاة مصر: ٩٤؛ وحسن المحاضرة: ٩/٢؛ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) كذا في الأصل. وفي الكندي: «يوم الأربعاء».

(٣) والمراسيل هي الروايات التي انقطع إسنادها، فرواها الرواة عمن لم يتلقوها عنهم مباشرة؛ وهي نوع من أنواع الروايات المعللة، وأحاديثها عند المحدثين ضعيفة لا يحتجّ بها.

(٤) في قرية يقال لها زَيْتُون.

محمد هذا وعلى أخيه مـع مروان الحِمَار، فقتلهما عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس؛ قتلهما بنهر أبـي فُطْرُس[١]، وقيل: إنّه صاحب الواقعة مع عبد الله بن عليّ العباسيّ يوم هُزِم مروان عند نهر الزّاب. وهو أنّه لما كانت الهزيمة على بني أميّة رأى عبد الله بن عليّ فتى عليه أبّهة الشرف يقاتل مُسْتَقْتِلاً، فناداه عبد الله: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد، فقال الفتى: إن لم أكنه فلستُ بدونه؛ قال: فلك الأمان ولو كنت من كنت، فأطرق مليّاً ثم رفـع رأسه فقال: [المتقارب]

أذُلّ الـحـيـاة وكُـرْه الـمـمـاتِ وكُـلّاً أراه طـعـامـاً وبِـيـلا
فـإن لم يكن غَيْـرُ إحـداهمـا فَسَيْـراً إلى الموت سَيْـراً جميلا

ثم قاتل حتى قتل، فإذا هو محمد[٢] بن عبد الملك، وقيل: آبنٌ لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، عفا الله عنه.

---

(١) على اثني عشر ميلاً من الرملة في سمت الشمال. ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، ويصب في البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي أرسوف ويافا. (انظر معجم البلدان: ٣١٥/٥).

(٢) في ابن الأثير: «فإذا هو مسلمة بن عبد الملك».

ذكر ولاية الحُرّ بن يوسف على مصر(١)

هو الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس القرشيّ الأُمويّ أمير مصر (والحرّ بضم الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة). وَلِيَها بعد عزل محمد بن عبد الملك من قبل هشام بن عبد الملك على الصلاة؛ وكان المتولِّي على خراج مصر في هذه السنين كلِّها عبيد(٢) الله بن الحَبْحاب. فدخل الحرّ بن يوسف هذا إلى مصر لثلاث خَلَوْن من ذي الحجة سنة خمس ومائة وباشر أمورها، وأقرّ حَفْص بن الوليد على شُرْطة مصر على عادته. وفي أيامه انتقضت(٣) القِبْط بمصر في سنة سبع ومائة ووقع له معهم أمور طويلة(٤)؛ ثم خرج من مصر مُرابطاً إلى دِمْياط، فأقام بها ثلاثة أشهر مغازياً؛ ثم عاد إلى مصر وأقام بها أياماً؛ ثم خرج منها ووفَد على الخليفة هشام بن عبد الملك بالشأم، واستخلف حفص بن الوليد على الصلاة بمصر. فأقام عند الخليفة مدّة يسيرة وعاد إلى مصر في ذي القعدة من سنة سبع ومائة وقد انكشف أراضيها من النيل، فأخذ في إصلاح أحوالها وتدبير أمورها. ودام بها إلى ذي القعدة من سنة ثمان ومائة. وصُرِف عنها في ذي القعدة باستعفائه لمغاضبة وقعت بينه وبين عبيد الله بن الحَبْحاب متولي خراج مصر. فكانت ولاية الحُرّ هذا على مصر ثلاث سنين سواء.

---

(١) خطط المقريزي: ٣٠٢/١؛ وولاة مصر: ٩٥؛ وحسن المحاضرة: ٩/٢ ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه يوافق رواية ابن عبد الحكم والكندي وابن الأثير وخليفة.

(٣) في الأصل وطبعة دار الكتاب «تناقض» وما أثبتناه من الكندي.

(٤) قال الكندي: وكان ذلك أول انتقاض القبط بمصر. وسببه أن عبيد الله بن الحبحاب كتب إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطاً فانتقضت كورة نَتُو وتُمَيّ وقُرْبَيْط وطُرابية، وعامة الحوف الشرقي؛ فبعث إليهم الحرّ بأهل الديوان، فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير. ــ قارن أيضاً بخطط المقريزي: ٧٩/١ ــ والمراد بأهل الديوان: الجند من العرب (انظر دراسات في التاريخ الإسلامي للشيّال: ٣٧).

وتولى من بعده على مصر حفص بن الوليد الذي كان استخلفه الحرّ هذا على الصلاة لمّا وفَد على الخليفة هشام.

ولما عُزِل الحرّ عن إمرة مصر ولّاه هشام المَوْصِل؛ وهو الذي بنى «المنقوشة» داراً ليسكنها. وإنما سُمّيت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالسّاج والرخام والفصوص المُلَوّنة وما شاكلها. وهو الذي عمِل النهر الذي كان بالموصل. وسبب ذلك أنه رأى آمرأة تحمِل جَرّة فيها ماء، وهي تحملها ساعة ثم تستريح قليلاً لبُعد [الماء][1]، فلما رأى الحرّ ذلك كتب إلى هشام بذلك فأمره أن يَحْفِر نهراً إلى البلد، فحفره؛ فكان أكثر شرب أهل البلد منه؛ وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر[2]؛ وبقي العمل فيه عدّة سنين. ومات الحرّ هذا في سنة ثلاث عشرة ومائة، وكان أجلَّ أمراء بني أمية شجاعة وكرماً وسُؤْدُداً.

* * *

السنة الأولى من ولاية الحرّ بن يوسف الأُمويّ على مصر

وهي سنة ست ومائة.

فيها عَزَل الخليفة هشامٌ متولّيَ العراق عمرَ بن هُبَيْرة الفزاريّ بخالد بن عبد الله القَسْريّ. فدخل خالد بغتة وبها ابن هبيرة يتهيأ لصلاة الجمعة ويسرِّح لحيته، فقال عمر بن هُبَيْرَة: هكذا تقوم الساعة بغتَةً. فقيّده خالد القسريّ وألبسه مِدْرَعة من صوف وحبسه؛ ثم إن غلمان آبن هبيرة اكْتَرَوْا داراً إلى جانب السجن فنقبوا سرداباً إلى السجن وأخرجوه منه، فهرب إلى الشأم وآستجار بالأمير مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان فأجاره، وكلّم أخاه هشاماً في أمره فعفا عنه. فلم تَطُل أيام عمر بن هبيرة ومات بعد مدّة يسيرة.

(١) الزيادة من ابن الأثير (حوادث سنة ١٠٦هـ).
(٢) في الأصل «بشاطىء النهر» والتصحيح من ابن الأثير.

وفيها غزا مسلم[١] بن سعيد بن أَسْلم فَرْغانة فلَقِيه آبن[٢] خاقان مِلك الترك في جمع كبير، فكانت بينهم وقعة قُتل فيها ابن[٢] خاقان في طائفة كبيرة من الترك.

وفيها حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك.

وفيها آستعمل خالد القسريّ أخاه أسد بن عبد الله على إقليم خراسان نيابةً عنه.

وفيها توفي طاوس بن كَيْسان، أبو عبد الرحمن اليمانيّ الجَنَديّ، أحد الأعلام؛ كان من أبناء الفرس الذين سيّرهم كسرى إلى اليمن، وهو من فقهاء التابعين. قال سفيان الثَّوْرِيّ عن رجل قال: كان من دعاء طاوس: اللهم آحرمني المالَ والولد وآرزقني الإيمانَ والعمل[٣].

وفيها توفّي أبو مِجْلَز لاحِق بن حُمَيْد في قول الذهبيّ[٤].

وفيها[٥] حجّ بالناس الخليفة هشام بن عبد الملك فلقِيه إبراهيم بن محمد بن طلحة في الحِجْر فقال له: أسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذي خرجتَ معظِّماً له إلّا رددْتَ عليّ ظُلامتي. قال هشام: أيّ ظُلامة؟ قال: داري؛ قال: فأين كنتَ من أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: ظلمني، قال: فالوليد وسليمان؟ قال: ظلماني، قال: فعمر؟ قال: [يرحمه الله][٦] ردَّها عليّ، قال: فيزيد بن عبد الملك؛ قال: ظلمني وقبضها مني بعد قبضي لها فهي في يدك؛ فقال هشام: لو كان فيك ضرْبٌ لضربتك! فقال: فيّ والله ضرْبٌ بالسيف والسوط. فآنصرف هشام [والأَبْرَش خلفَه

(١) في الأصل: «مسلمة» وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير وخليفة.
(٢) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وفي خليفة: «ابن أخي خاقان».
(٣) انظر البداية والنهاية: ٢٤٤/٩ وفيه جمع الحافظ ابن كثير أخباراً مسهبة عن طاوس.
(٤) وجعل خليفة وفاته في سنة ١٠٥هـ.
(٥) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي بعض النسخ ورد ذكر هذا الخبر في حوادث سنة ١٠٧هـ.
(٦) زيادة من ابن الأثير.

فقال: أبا مُجَاشـع][١]، كيف سمعتَ هذا اللسان؟ قال: ما أجوده! قال: هي قريشٌ وألسنتُها. ولا يزال في الناس بقايا! ما رأيت مثل هذا!.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع. مبلـغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابـع.

* * *

السنة الثانية من ولاية الحُرّ بن يوسف على مصر

وهي سنة سبع ومائة:

فيها عُزِل الجرّاح الحَكَميّ عن إمرة أذْرِبيجان [وأرمينية][٢] بالأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان، فغزا مسلمة قَيْساريّة الروم وآفتتحها بالسيف.

وفيها غزا أسد بن عبد الله القسريّ متولِّي خراسان بلادَ سِجِسْتان، فانكسر المسلمون وآستشهد طائفةٌ ورجـع الجيش مجهودين[٣].

وفيها كان بالشأم طاعون شديد فخاف الناس كثيراً.

وفيها غزا أسد بن عبد الله القسريّ جبال الطالقَان والغُور[٤]. وكان أهلها خرجوا بأموالهم وأهلهم إلى كهف عظيم في جبل شاهق شامخ ليس فيه طريق مسلوك، فعمِل أسد توابيت وربطها بالسلاسل ودلّاها عليهم، فظفِر بهم وعاد سالماً غانماً.

(١) في الأصل: «فانصرف هشام وهو يقول: كيف سمعت هذا اللسان». والزيادة من الطبري وابن الأثير، وهي ضرورية لاستقامة المعنى.

(٢) زيادة من ابن الأثير وخليفة.

(٣) هذا الخبر أورده الطبري وابن الأثير برواية مختلفة. ولخليفة بن خياط رواية ثالثة. انظر أيضاً: معجم البلدان: ١٩٣/٤.

(٤) ضبطها في طبعة دار الكتب «الغَوْر» وهو خطأ. والغُور: ولاية بين هراة وغزنة. وجبال الغُور هي جبال هراة. (انظر معجم البلدان: ٢١٨/٤، وابن الأثير: ٣٧٨/٤) قارن أيضاً بخليفة: ٣٣٨ وقد أورد هذا الخبر في حوادث سنة ١٠٨هـ.

فنزل بَلْخَ وبنى مدينتها وولّاها بَرْمك أبا خالد البرمكيّ ونقل إليها الجند والأمراء.

وفيها[١] غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلي الجزيرة ففتح قَيْساريّة وهي مدينة مشهورة.

وفيها غزا معاوية بن هشام الخليفة ومعه أهل الشأم وصحبتُه ميمون بن مهْران فقطعوا البحر إلى قبرس.

وفيها حَجّ بالناس إبراهيم بن هشام[٢] وهو على المدينة ومكة والطائف.

وفيها توفّي موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ببلاد الروم غازياً، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة، قاله ابن الأثير؛ والأصحّ أنه مات في القابِلة[٣].

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الحرّ بن يوسف على مصر

وهي سنة ثمان ومائة:

في ذي الحجة منها حكم بمصر حفص بن الوليد.

وفيها غزا ولد الخليفة معاويةُ بن هشام أرضَ الروم وجهّز بين يديه البطّال[٤] إلى جَنْجَرة[٤] فافتتحها.

---

(١) هذا الخبر مكرر انظر: بداية أخبار هذه السنة.

(٢) ابراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي المتوفى سنة ١١٥هـ. وهو خال هشام بن عبد الملك.

(٣) في الطبعة التي بين أيدينا لكتاب ابن الأثير «الكامل» أنه توفي سنة ١٠٨هـ؛ وفيه أن عمره كان سبعاً وسبعين سنة وليس سبعاً وعشرين كما يذكر المؤلف.

(٤) في الأصل «بين يديه الأبطال إلى حنجر» وفي تاريخ خليفة: «بين يديه البطّال إلى خنجرة» ــ بلفظ تأنيث الخنجر ــ وهو ما أكدّه ياقوت في معجم البلدان إذ أورد أن «حنجر» موضع بالجزيرة، و «جنجرة» مدينة قرب حضرموت، و «خنجرة» ناحية من بلاد الروم. وقد اخترنا إثبات رواية ابن كثير في «البداية والنهاية» لأنها الأقربُ إلى اللفظ الرومي للمدينة أو الناحية وهو «كَنكَره» في بافلاغونيا (انظر دائرة المعارف

وفيها غزا أخو الخليفة مسلمةُ بن عبد الملك بلاد الروم فافتتح قيساريّة(١).

وفيها وقع حريق عظيم بدابِق، احترقت المواشي والدوابّ والرجال(٢).

وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي.

وفيها توفّي موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو عيسى الهاشمي. وهو أخو السفّاح والمنصور لأبيهما وأخو إبراهيم لأمه وأبيه. مات في حياة أبيه محمد غازياً في بلاد الروم وله ثمان(٣) عشرةَ سنة.

وفيها توفّي نُصَيْب بن رَبَاح، أبو مِحْجَن، الشاعر المشهور، مولى عبد العزيز بن مروان؛ وأُمُّه نُوبيّة فجاءت به أسود فباعه عمّه. وكان من العرب من بني الحَافِ بن قُضَاعة، وقيل: إنه هرب فدخل على عبد العزيز ومدحه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: أنا عبد، فقال عبد العزيز للمقوِّمين: قوِّموه(٤)، فقالوا: عبد أسود ليس له قيمة؛ قيمته مائة دينار. قال أبو مِحْجن عن نفسه: إنه راعي إبل يُحسن القيام عليها، قالوا: مائتا دينار، قال: إنه يبري النبل ويَرِيشها، قالوا: وثلاثمائة دينار، قال: إنه يَرمي ويُصيب، قالوا: أربعمائة دينار، قال: إنه راوية الأشعار، قالوا: خمسمائة دينار، قال: أصلح الله الأمير، أين جائزتي؟ فأعطاه ألف دينار، فاشترى أُمّه وأهله وأعتقهم. وذكره محمد بن سلّام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام.

= الإسلامية: ٣١٦/٧) أما البطّال فاسمه عبد الله، وهو غازٍ مشهور في العصر الأموي، اختلطت سيرته بكثير من الأخبار الشعبية المختلفة، وهي أخبار شبه تاريخية. ولدينا عنه قصة «سيرة ذات الهمّة والبطّال» العربية، وتتصل بها قصة تركية هي «سيّد بطّال». انظر حول البطّال: دائرة المعارف الإسلامية مادة «البطّال» و«ذات الهمة» و«سيّد بطّال». وقد لخص ابن كثير في البداية والنهاية سيرة البطّال نقلاً عن ابن عساكر (ابن كثير: ٣٤٥/٩).

(١) في تاريخ خليفة أن مسلمة افتتحها في السنة السابقة.

(٢) في ابن الأثير: «احترق المرعى والدواب والرحال» بالحاء المهملة. وفي الطبري: «احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال». ودابق: قرية قرب حلب من أعمال عَزَاز.

(٣) في ابن الأثير: «وكان عمره سبعاً وسبعين سنة».

(٤) قارن برواية الأغاني: ٣٤٤/١ ـ طبعة الهيئة المصرية؛ وهي بتوسّع وباختلاف عما هنا. انظر أيضاً الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٩٧.

وفيها توفّي عطاء بن يَسار، أبو محمد المدنيّ الفقيه، مولى ميمونة أمّ المؤمنين؛ وعطاء أخو سليمان وعبد الله وعبد الملك؛ وكان قاصّاً واعظاً ثِقةً جليل القدر؛ وقال الذهبي: إنه مات في الماضية(١).

وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام المقدّم ذكره.

وفيها توفّي عِكْرِمَة البَرْبريّ ثم المدَنيّ(٢)، أبو عبد الله، مولى ابن عباس: أحد العلماء الربّانيين. روى عن ابن عباس وعائشة وعليّ بن أبي طالب وغيرهم؛ قال الهيْثَم بن عَدِيّ وغيره: مات سنة ست ومائة. وقال أبو نُعَيْم وأبو بكر بن أبي شَيْبة وجماعة: سنة سبع ومائة؛ وقال يحيى بن معين والمدائنيّ: سنة خمس عشرة ومائة، وقال غيرهم: في هذه السنة(٣).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

---

(١) ذكره كل من ابن الأثير وخليفة بن خياط في وفيات سنة ١٠٣هـ. وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات عدة سنين منها سنة ٩٤هـ ثم قال: وهي الأصحّ.

(٢) ذلك أن أصله بربري من أهل المغرب ثم صار مولى لابن عباس الهاشمي المدني. (انظر النووي في تهذيب الأسماء واللغات).

(٣) وقال النووي: توفي سنة أربع ومائة، وقيل خمس، وقيل ست، وقيل سبع. وذكره خليفة في وفيات سنة ١٠٥هـ.

ذكر ولاية حَفْص بن الوليد الأولى على مصر[١]

هو حفص بن الوليد بن سيف[٢] بن عبد الله بن الحارث بن جبل بن كُلَيب بن عوف بن مُعاهر[٣] بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن حجر بن قَيْس بن كعب بن سهل بن زيد بن حَضْرَمَوْت، الأمير أبو بكر الحَضْرَميّ القاريّ[٤]، أمير مصر. ولِيَها بعد عزل الحُرّ بن يوسف من قِبَل هشام بن عبد الملك على الصلاة مُكرهاً على ذلك. وكان حفص وجيهاً عند بني أميّة ومن أكابر أمرائهم، وكان فاضلاً ثقةً. رَوى عن الزهريّ وغيره، وروى عنه الليث بن سعد وجماعة أُخَر. ولم تُطل مدّته على ولاية مصر في هذه المرّة وعُزِل بعد جمعتين يوم عيد الأضحى وقيل آخر ذي الحجة سنة ثمان ومائة.

قلت: وعلى القولين لم تطل ولايته بل ولا وصلت إلى أربعين يوماً؛ وكان سببُ عَزْله عن إمرة مصر بسرعةٍ شكوى عبيد الله بن الحَبْحاب صاحب خراج مصر عليه للخليفة هشام بن عبد الملك، وشكوى جماعة أُخَر من أوباش المصريين. فعزله هشام عن مصر بعبد الملك بن رِفاعة. ثم ندم أهل مصر على عزله وطلبوا منه إعادته عليهم ــ يأتي ذكر ذلك كله في ولايته الثانية على مصر، فإنه ولِيَها بعد ذلك ثانياً وثالثاً حتى قتله الحَوْثَرة في سنة ثمان وعشرين ومائة.

وكان حفص شريفاً مطاعاً محبَّباً للناس ولديه معرفة وفضيلة. وآستقدمه هشام

---

(١) ولاة مصر: ٩٦، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي لزامباور: ٣٨ ــ ٣٩.

(٢) كذا في أكثر المصادر. وفي بعض نسخ النجوم وولاة مصر: يوسف. وقد اعتمد زامباور «يوسف» بدلاً من «سيف».

(٣) في بعض النسخ «معاهد» بالدال.

(٤) نسبة إلى قبيلة قارة من كنانة. (انظر لسان العرب: مادة قور).

بعد عزله عن مصر وأراد أن يولّيه خُراسانَ عِوَضاً عن أَسَد بن عبد الله القَسْريّ، فامتنـع حفص من ذلك. وكان سببُ عزل أسد عن خراسان أنه خطَبهم يوماً فقال: قبّـح الله هذه الوجوه، وجوهَ أهل الشّقاق والنّفاق والشَّغْب والفساد؛ اللهم فرّق بيني وبينهم وأخرجني إلى مُهَاجِري ووطني؛ فبلغ قولُه هشاماً، فكتب إلى خالد بن عبد الله القسريّ: اعزل أخاك، فعزله. وأراد هشام أن يولّيَ حفصاً فامتنع، فولّى خراسانَ الحَكَم بن عَوانة الكَلْبـيّ، ثم عزله هشام وآستعمل عليها أَشْرَس بن عبد الله وأمره أن يكاتب خالداً؛ وكان الأشرس فاضلاً خيّراً؛ كانوا يسمّونه الكامل لفضله، فلما قدِم خراسانَ فرِحوا. وقد خرجنا عن المقصود استطراداً.

ذكر ولاية عبد الملك بن رِفاعة الثانية على مصر(١)

قلت: تقدّم التعريف بعبد الملك هذا في أوّل وِلايته على مصر بعد موت قُرّة بن شَريك سنة ست وتسعين. وكانت ولاية عبد الملك أيضاً على الصلاة لا غير، والخراجُ عليه عبيد الله بن الحَبْحاب على عادته. فقَدِم عبد الملك المذكور من الشأم إلى مصر عليلاً في أوّل المحرّم، وقيل: آثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة تسع ومائة والأول أصح ـ(٢) وكان أخوه الوليد بن رفاعة يَخلُفه على الصلاة بمصر من أوّل المحرّم السنة المذكورة (أعني من أوّل يوم ولايته). فلما دخل عبد الملك إلى مصر لم يُطِق الصلاةَ بالناس لشدّة(٣) مرضه، فآستمرّ أخوه الوليد بن رفاعة يصلّي بالناس وعبدُ الملك ملازم الفراش إلى أن توفي نصفَ المحرّم من السنة المذكورة، فكانت ولايتُه هذه الثانية على مصر خمسَ عشرة ليلة على أنه دخل مصر في أوّل المحرّم.

وتولّى مصر بعده أخوه الوليد بن رفاعة.

(١) ولاة مصر: ٩٧، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٨.
(٢) وهو ما أثبته الكندي.
(٣) في الأصول: «فتم». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب.

ذكر ولاية الوليد بن رفاعة على مصر[١]

هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت [بن ظاعن][٢] الفَهْميّ المصريّ، أمير مصر. ولِيَها باستخلاف أخيه عبد الملك إليه فأقره الخليفةُ هشامُ بن عبد الملك على إمْرة مصر وعلى الصلاة. وجعل الوليدُ هذا على شرطة مصر عبدَ الله بن [أبـي][٢] سُمَيْر الفهميّ ثم عزله وولّى خالدَ[٣] بن عبد الرحمن الفَهْميّ؛ وآستمرّ على إمرة مصر وطالت أيامه ووقـع له بها أمور وقعت في أيامه حوادث. وفي أيامه نُقِلت قَيْس إلى مصر ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك. وفي أيامه أيضاً خرج وُهَيْب اليَحْصُبـيّ من مصر في سنة سبـع عشرة ومائة من أجل أنّ الوليد هذا أذِن للنصارى في عمارة كنيسة يوحنا[٤] بالحمراء. فلم يكن بعد أيام قليلة إلا ومَرِض الوليد ولزم الفراش حتى مات في يوم الثلاثاء في مستَهَلّ جُمادى الآخرة سنة سبـع عشرة ومائة، وآستَخْلَف عبدَ الرحمن بن خالد على الصلاة بمصر. وكانت إمْرتُه على مصر تسـع سنين وخمسة أشهر؛ ووليَ مصرَ بعده عبدُ الرحمن بـن خالد المذكور. ولـم تطل مدّة الوليد هذا على مصر إلا لخروج عبيد الله بن الحَبْحَاب المتولي على خراج مصر منها؛ وقد تقدّم عزل جماعة كبيرة من العمال بمصر بسبب عبيد الله المذكور، فدبَّر عليه الوليدُ هذا حتى أخرجه هشامٌ من مصر وآستعمله على إفريقية، فسار إليها عبيد الله بن الحبحاب وآشتغل بها عن خراج مصر. فإنه في أوّل خروجه سيّر جيشاً إلى صِقِلّية، فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالاً شديداً وآنهزم الروم، وكانوا قد أسروا

---

(١) ولاة مصر: ٩٨، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٨.

(٢) زيادة عن ولاة مصر للكندي.

(٣) في ولاة مصر: وولّى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي ـ وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبد الرحمن بن خالد.

(٤) قال الكندي: «.. وذلك أن الوليد بن رفاعة أذن للنصارى في ابتناء كنيسة بالحمراء، تُعرف اليوم بأبي مينا». وأبو مينا: بين القاهرة ومصر القديمة. وقد ذكر الكندي خبر وهيب بتفصيل أكثر.

جماعةً من المسلمين فيهم عبد الرحمن(١) بن زياد فبقي أسيراً إلى سنة إحدى وعشرين ومائة.

ثم آستعمل عبيدُ الله بن الحَبْحَاب عُقْبَةَ بن الحجّاج العَبْسيّ على الأندلس فسار إليها وملَكها(٢).

ثم سيّر عبيد الله جيشاً(٣) إلى السُّوس وأرض السودان فغنِموا وظفِروا وعادوا.

ولما خرج عبيد الله بن الحبحاب من مصر جمع له الخليفةُ خراجَ مصر وصلاتَها وعظُم أمره ومهّد البلاد وساس الناس ومالت إليه الرعية. ثم عُزل عن الخراج أيضاً واستقلّ بصلاة مصر على عادته أوّلاً إلى أن مات في التاريخ المقدِّم ذكره.

* * *

السنة التي حكم في مُحُرَّمها عبدُ الملك بن رفاعة على مصر ثم في باقيها الوليدُ بن رفاعة

وهي سنة تسع ومائة.

فيها غزا أسد بن عبد الله القَسْريّ الترك فهزم خاقان وآفتتح قزوين(٤).

---

(١) في طبعة دار الكتب: «عبد الله بن زياد». والتصحيح من ابن الأثير وخليفة بن خياط (أحداث سنة ١١٦هـ). قال خليفة: أغزى ابن الحبحاب عثمان بن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقفل، فلقيته مراكب الروم في البحر فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين، وأسروا ابني عثمان: عمراً وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأخا المغيرة بن زياد، فلم يزالوا بأيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب ففدى ابني عمه وناساً من أسارى المسلمين وعبد الرحمن بن زياد.

(٢) انظر: الحلة السيراء لابن الأبّار: ٢/٣٣٦.

(٣) كان هذا الجيش بقيادة عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن نافع. قال خليفة: فظفر وأصاب ذهباً كثيراً.

(٤) في الطبري: «غورين» ــ وذكر ياقوت في معجم البلدان أن الذي افتتح قزوين هو البراء بن عازب من قبل عثمان بن عفان. وفي خليفة (حوادث سنة ١٠٨هـ) أن أسداً غزا «غور»؛ وهي ولاية بين هراة وغزنة.

وفيها غزا معاوية ابن الخليفة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك الروم وفتح حصناً يقال له: الطينة[١].

وفيها توفّي لاحِق[٢] بن حُمَيْد بن سعيد السَّدوسيّ البصريّ، في قول الفَلَّاس؛ وهو أبو مِجْلَز المقدّم ذكره؛ وهو من الطبقة الثانية؛ وكان بمَرْو لما قُتِل قتيبةُ بن مُسلم، فولّاه أهلُ مرو أمرَهم حتى قدِم وَكِيع بن أبي سود[٣]. وكان لاحقٌ هذا يركب مع قتيبة في موكبه فيسبِّح الله اثنتي عشرة ألف تسبيحة يعدّها على أصابعه لا يعلم به أحد.

وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام وهو عامل مكة والمدينة والطائف، وخطب الناسَ وقال: سَلُوني [فأنا ابن الوحيد][٤] فإنكم لا تسألون أحداً أعلم مني؛ فسأله رجل من أهل العراق [عن][٤] الأُضْحِيّة [أ][٤] واجبةٌ هي؟ فما دَرَى ولا أجاب ونزل ولم يتكلّم.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة عشر ومائة.
فيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الخَزَر، وتسمّى هذه الغزوة غزوة

---

(١) في الطبري وابن الأثير: «طيبة». وفي خليفة بن خياط: «افتتح حصناً يقال له: الغطاسين».
(٢) ذكره خليفة في وفيات سنة ١٠٥هـ.
(٣) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير (أحداث سنة ٩٦هـ) وخليفة بن خياط (أحداث سنة ٩٩هـ). وفي بعض النسخ: «ابن ابي الأسود» وهو تحريف.
(٤) زيادة عن الطبري وابن الأثير.

الطِّين[١]؛ والتقى مسلمة مع ملك الخَزَر واقتتلوا أياماً وكانت مَلْحَمَة عظيمة هزَم الله فيها الكفّار في سابع جُمادى الآخرة.

وفيها افتتح معاوية ابن الخليفة هشام بن عبد الملك حصنين[٢] كبيرين من أرض الروم.

وفيها توفّي الحسن بن أبي الحسن يَسار، أبو سعيد، المعروف بالحسن البصريّ. كنيتُه أبو سعيد مولَى زيد بن ثابت، ويقال: مولى حُمَيْد بن قَحْطَبة[٣]. وكان الحسنُ إمام أهل البصرة، وهو من الطبقة الثانية من تابِعي أهل البصرة؛ قال الذهبيّ: بل كان إمام أهل العصر. ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر. وكانت أُمُّه[٤] مولاةً لأم سَلَمَة أُم المؤمنين، فكانت تذهب أمّه لأم سلمة في الحاجة فتشاغله أم سلمة بثَدْيها فربما دَرّ عليه. قال: وقد سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يومَ الدّار[٥]، ورأى طَلْحَةَ وعليّاً، وروى عن عمران بن حُصَيْن والمُغيرة بن شُعْبة وعبد الرحمن بن سَمُرة وأبي بَكْرة والنُّعمان بن بَشِير وخلقٍ كثير من الصحابة وغيرهم؛ ومناقبُ الحسن كثيرة ومحاسنُه غزيرة وعلومه مشهورة.

وفيها توفي محمد بن سِيرِينَ، أبو بكر الأنصاريّ البصريّ الإمام الربّانيّ، من الطبقة الثانية من تابِعي أهلِ البصرة، مولى أَنَس بن مالك، وهو صاحب «التعبير»[٦]. وكان أبوه سيرين من سَبْي جَرْجَرايا[٧]، فكاتب أَنَساً على مال جزيل

(١) سميت بذلك لأنهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة، وتوحّل فيها خلق كثير (انظر البداية والنهاية: ٢٧١/٩) قارن أيضاً بابن الأثير وخليفة (أحداث سنة ١١٠هـ).

(٢) ذكرهما خليفة باسمي: صملة والبوّة. واقتصر ابن الأثير على ذكر «صملة»؛ وسماه الطبري باسم «صمالة».

(٣) وقيل: مولى جابر بن عبد الله، وقيل غير ذلك (البداية والنهاية: ٢٧١/٩).

(٤) واسمها: خيرة.

(٥) وهو يوم حصر الخليفة عثمان بن عفان في داره.

(٦) وهو كتاب «تعبير الرؤيا» ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٤٣٩. والمراد بتعبير الرؤيا: تفسير الأحلام (انظر في ذلك: كشف الظنون لحاجي خليفة: ٤١٦/١؛ ومقدمة ابن خلدون: ٨٨٢).

(٧) في البداية والنهاية وتاريخ خليفة: «من سبي عين التمر». أسره خالد بن الوليد في جملة السبي، فاشتراه أنس ثم كاتبه. قال ابن كثير: ثم ولد له من الأولاد الأخيار: محمد هذا، وأنس بن سيرين، ومعبد ويحيى وحفصة وكريمة، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء.

فوفّاه له؛ ومولِدُه لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه.

وفيها جمع خالد القَسْريّ الصلاةَ والأحداث[١] والشُّرْطة والقضاءَ بالبصرة لِبلال بن أبي بُرْدة وعزَل ثُمامةَ عن القضاء.

وفيها حَجّ بالناس إبراهيم بن هشام[٢].

وفيها تُوُفّي الفَرَزدق مقدَّم شعراء عصره؛ وكنيته أبو فِراس، وآسمُه هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجِيَة التَّمِيمي البصري. روى عن عليّ بن أبي طالب وغيره، وكان يُرْسِل[٣]؛ وروى عن أبي هريرة وعن جماعة، وكان يقال: الفرزدق أشعرُ الناس عامّة وجرير أشعر الناس خاصّة.

قال محمد بن سلّام: أتى الفرزدقُ إلى الحسن البصريّ فقال: إني قد هجوتُ إبليس فآسمَعْ، قال: لا حاجة لَنا بما تقول، قال: لَتَسمعنّ أو لأخرجنّ فلأقولنّ للناس إنّ الحسن يَنْهَى عن هِجاء إبليس، قال: فآسكُتْ فإنك عن لسانه تنطِق. وللفرزدق هذا مع زوجته النَّوار حكايات ظريفة. ومن شعره: [الكامل].

إنّ المَهَالبةَ الكرامَ تحمَّلوا ... دَفْعَ المكارِهِ عن ذوي المكروهِ
زانوا قديمَهمُ بحسن حديثهم ... وكريم أخلاق بحسن وجوهِ

وفيها توفي جرير [بن] الخَطَفَي؛ وهو جرير بن عَطيّة بن حُذَيْفة بن بَدْر بن سلمة، أبو حَزْرة التميميّ البصريّ الشاعر المشهور؛ هو من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام. مدح يزيد بن معاوية ومَنْ بعده من الأمويّين.

---

(١) الأحداث: هي الشرطة غير الرسمية. (انظر صبح الأعشى: ١٦/١٠، ٢٢، ٣٠٨ وصحاح الجوهري ــ مادة حدث).

(٢) ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي، أمير المدينة المنورة وخال هشام بن عبد الملك. توفي سنة ١١٥هـ.

(٣) المشهور في تعريف الحديث المرسَل أنه ما سقط منه الصحابي، كقول نافع: قال رسول الله (ص) كذا، أو فعل كذا. وسبب ضعفه فقد الاتصال في السند. وإنما سمي مرسلاً لأن راويه أرسله وأطلقه، فلم يقيدّه بالصحابي الذي تحمله من رسول الله (انظر: علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الصالح: ١٦٦).

قال محمد بن سلّام: ذاكرتُ مروانَ بن أبي حَفْصَة فقال: [الكامل]

ذهب الفرزدق بالفخَار وإنما حُلو القريض ومُرُّه لجريرِ

وعن هشام بن [محمد](١) الكلبيّ عن أبيه: أن أعرابياً مدح عبد الملك بن مروان فأحسن فقال له عبد الملك: [هل](١) تعرف أَهْجَى بيتٍ في الإسلام؟ قال: نعم، قول جرير: [الوافر]

فغُضَّ الطرف إنك من نُمَيْر فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

قال: أصبتَ، فهل تعرف أَرَقَّ بيت قيل في الإسلام؟ قال: نعم، قول جرير: [البسيط]

إن العيون التي في طَرْفها مَرَضٌ(٢) قَتَلْننا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به وهنّ أضعف خلقِ الله إنسانا(٣)

قال: أحسنتَ، فهل تعرف جريراً؟ قال: لا والله، وإني إلى رؤيته لمشتاقٌ.

قال: فهذا جرير وهذا الأخطل وهذا الفرزدق، فأنشأ الأعرابيّ يقول: [المتقارب]

فحيّا الإلهُ أبا حَزْرةٍ وأرغم أنفك يا أَخْطَلُ
وجَدُّ الفرزدق أتْعِسْ به وَدقّ خياشيمَه الجَنْدَلُ

فأنشأ الفرزدق يقول: [البسيط]

بل أرغم اللّهُ أنْفاً أنت حامِلُه يا ذا الخنا ومقالِ الزّورِ والخَطَلِ
ما أنت بالحَكَم التُّرْضَى حكومتُه ولا الأصيلِ ولا ذي الرأي والجَدَلِ

---

(١) زيادة عن البداية والنهاية لابن كثير.
(٢) ويروى: «حَوَرٌ».
(٣) وفي بعض الروايات: «أركانا».

فغضِب جرير وقال أبياتاً[١]، ثم وثَب وقبَّل رأس الأعرابيّ وقال: يا أمير المؤمنين جائزتي له، وكانت كلّ سنة خمسة عشر ألفاً، فقال له عبد الملك: وله مثلُها منّي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة إحدى عشرة ومائة:

فيها عزل الخليفة هشام بن عبد الملك أَشْرَس بن عبد الله السُّلَمِيّ عن خُراسان وولاها الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن[٢] المُرّي؛ وسبب عزل أشرس لما فعله بالمدينة وكيف انتقضت عليه السُّغْد، وتخلّف أهلُ بُخارا وآستجاشوا عليه بخاقان ملكِ الترك، وفتح على المسلمين باباً واسعاً ذهبت فيه الأموالُ وضعُفت العساكر من سوء تدبيره.

وفيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام الصائفة ووغلَ في بلاد الروم. وغزا أيضاً أخوه سعيدُ بن هشام فوصل إلى قَيْساريّة.

---

(١) روى ابن كثير أن الأخطل غضب من قول الأعرابي وأنشأ يقول:

يا شرّ من حملت ساقٌ على قدمٍ ... ما مثل قولك في الأقوام يُحتملُ
إن الحكومة ليست في أبيك ولا ... في معشرٍ أنت منهم إنهم سَفَلُ

فقام جرير مغضباً وقال:

أتشتمانِ سفاهاً خيركم حسباً ... ففيكما ـ وإلهي ـ الزورُ والخَطَلُ
شتمتماه على رفعي ووضعكما ... لا زلتما في سَفَالٍ أيها السَّفَلُ

وانظر في تفاصيل هذا الخبر وسائر أخبار الأخطل وأشعاره: الأغاني، أول المجلد الثامن.

(٢) في الأصول: «الجنيد بن عبد الله المزني» وهو تحريف. وما أثبتناه من الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١١١هـ) وخليفة (حوادث ١١٢هـ).

وفيها ولّى هشامُ الجَرّاحَ بن عبد الله الحَكَمِيّ على أَرمِينية[١].

وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام.

وفيها توفّي يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير[٢]، أبو العلاء من الطبقة الثانية من تابِعي أهل البصرة؛ وكان من كلامه يقول: «لأن أُعافَى فأَشْكُر، أحبّ من أن أُبتَلَى فأَصْبِر».

وفيها غزا في البحر عبد الله بن أبي مريم.

وفيها سارت الترك إلى أَذْرَبِيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم بعد قتال كثير وآستباح عسكرهم[٣].

وفيها عزل عبيدةُ بن عبد الرحمن عامل إفريقية عثمانَ بن أبي نَسْعَة عن الأندلس وآستعمل عليها الهيثَم بن عبد الله[٤] الكناني.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة اثنتا عشرة ومائة:

فيها زحف الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ بالمسلمين من بَرْذَعة[٥] إلى آبن

(١) وهي ولاية الحكمي الثانية على أرمينية. وفي خليفة: «ولاه على أرمينية وأذربيجان».

(٢) ذكره خليفة في وفيات سنة ١٠٨هـ.

(٣) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير (أحداث ١١١هـ). أما خليفة بن خياط فقد ذكر هذه الواقعة في أحداث سنة ١٠٨هـ. قال: وفيها قتل الحارث بن عمرو ــ وكان قائد الترك في تلك الوقعة: ماريتك بن خاقان.

(٤) في ابن الأثير «الهيثم بن عبيد الكناني».

(٥) برذعة هي بارتاف Paratav الأرمنية أو بَرْدة Barda الحديثة، بلدة جنوب جبال القوقاز؛ كانت فيما سبق قصبة أرّان، وهي ألبانيا القديمة. (دائرة المعارف الإسلامية: مادة برذعة).

خاقان ليدفعه عن أَرْدَبِيل(١)، فالتقى الجَمْعان وعظُم القتال وآشتدّ البلاء وآنكسر المسلمون وقُتل منهم خلق، منهم أمير الجيش الجَرّاح بن عبد الله الحكميّ المذكور، وكان أحدَ الأبطال. وغلبت الخَزَرُ على أذْرَبِيجان وحصل وهْنٌ عظيم على الإسلام(٢).

وفيها توفّي رجاء بن حَيْوَة، أبو المقدام الكِنْديّ الأزدِيّ؛ كان ثقةً فاضلاً كثيرَ الحديث وكان سيّد أهل زمانه؛ قال ابنُ عَوْن: ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقَوْا فَتَوَاصوا: اِبنُ سِيرين بالعراق، والقاسمُ بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حَيْوة بالشأم. وكان رجاء عظيماً عند بني أميّة لا سيما عند عمر بن عبد العزيز؛ كان إذا قُدِّمت لعمر بن عبد العزيز حُلَلٌ يعزِل منها حُلّة ويقول: هذه لخليلي رجاء بن حيوة.

وفيها توفّي شَهْر بن حَوْشَب أبو عبد الله الأشعريّ وقيل أبو الجَعْد(٣)، من الطبقة الثانية من تابِعي أهل الشأم؛ قرأ القرآن على عبد الله بن عباس سبع مرات.

وفيها توفّي طَلْحَةُ بن مصرِّف بن عمرو، أبو عبد الله، وقيل أبو محمد، الكوفيّ(٤) الهَمْدَانيّ، من الطبقة الثالثة من تابِعي أهل الكوفة. كان قارِىءَ أهل الكوفة يقرأون عليه. فلما كثروا عليه كأنه كرِه ذلك، فمشى إلى الأعمش وقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش وتركوه.

وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفةَ فآفتتح مدينة خَرْشَنة(٥).

---

(١) أردبيل: وبالأرمنية «أرتقيت» ثم أصبحت فيها بعد «أرتقيل»، وهي أقصى بلاد آذربيجان شرقاً، على بعد أربعين كيلومتراً من حدود بلاد الروس (المرجع السابق).

(٢) قارن بخليفة بن خياط: ٣٤٢، وابن الأثير: ٣٩٣/٤.

(٣) ويقال: أبو سعد، وأبو عبد الرحمن. (أسماء التابعين للدارقطني: ١١٦/٢ حاشية).

(٤) في خليفة «الأيامي». وصوابه «اليامي» نسبة إلى «يام» اسم قبيلة من اليمن. (معجم البلدان: ٤٢٦/٥). كان أقرأ أهل الكوفة في عصره، وكان يسمى «سيدّ القراء». (الأعلام: ٢٣٠/٣).

(٥) قرب ملطية من بلاد الروم. ذكرها المتنبي وغيره في شعره، وأسر فيها أبو فراس الحمداني أيام سيف الدولة، وفي ذلك يقول:

إن زرت خرشنةً أسيرا فلكم حللت بها مغيرا

وفيها حجّ بالناس إبراهيم بن هشام[١] المخزوميّ، وقيل: سليمان بن هشام بن عبد الملك، أعني آبن الخليفة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة من ولاية الوليد بن رِفاعة على مصر

وهي سنة ثلاث عشرة ومائة.

وفيها غزا الجُنَيْد المرّيّ ناحية طَخارستانَ، فجاشت الترك بسَمَرْقَنْد فالتقاهم الجنيد بقرب سمرقند فاقتتلوا قتالاً شديداً فكتب الجنيد من البحر إلى سَوْرة الدّارميّ[٢] بنجدة على سمرقند فخرج سَوْرة في جنده، فَلقِيته الترك على غِرّة فقتلته. فعاد الجنيد أيضاً لقتال الترك بعد قتل سورة ثانياً وقاتلهم حتى هزمَهم ودخل سمرقند.

وفيها توفّي مَكْحُول الشاميّ، أبو عبد الله، من الطبقة الثانية[٣] من تابِعي أهل الشأم. قال: كنت مولًى لعمرو بن سعيد بن العاص فوهَبني لرجل من هُذَيل، فأنعم عليَّ بها. فما خرجتُ من مصر حتى ظننتُ أنه ليس بها علمٌ إلا سمِعتهُ. ثم أتيتُ المدينة، وقال كما قال أوّلاً. ثم أتيت الشَّعْبِـيَّ ولم أر مثله.

---

(١) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وفي خليفة «ابراهيم بن إسماعيل المخزومي».

(٢) وكان واليه على سمرقند (خليفة: ٣٤٤).

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة. وجعل النووي في تهذيب الأسماء واللغات ــ وفاته في سنة ١٠٨هـ.

وفيها حجّ بالناس الخليفة هشام[١] بن عبد الملك.

وفيها دخل جماعة من دُعاة بني العباس إلى خُراسان فأخذهم الجنيد ومَثَّل بهم وقتلهم[٢].

وفيها توفي أبو محمد[٣] البَطّال وقيل: أبو يحيى[٤]، واسمُه عبد الله، أحد الموصوفين بالشجاعة والإقدام، ومَنْ سارت بذكره الرُّكبان. كان أحدَ أمراء بني أميّة، وكان على طلائع مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان في غزواته، وكان ينزل بأنطَاكِيَة. شهِد عدّة حروب وأوطأ الرومَ خوفاً وذلاًّ.

قلت: والعامّة تكذِب على أبي محمد هذا بأقوال كثيرة، ويسمونه البطّال، في سير كثيرة لا صحّة لها.

وفيها حجّ بالناس سليمان بن [هشام بن][٥] عبد الملك وقيل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ.

وفيها توفّي حرام بن سعد بن مُحَيِّصة، أبو سعيد، وعمره سبعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً سواء.

* * *

(١) في خليفة بن خياط: «سليمان بن هشام بن عبد الملك». وفي الطبري وابن الأثير: «سليمان بن هشام بن عبد الملك».
وقيل: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي».

(٢) في الطبري وابن الأثير وابن كثير أن الجنيد أخذ رجلاً واحداً منهم فقتله وتوعد الآخرين.

(٣) في ابن الأثير «أبو الحسين». وقد ذكر ابن الأثير والطبري مقتله في سنة ١٢٢هـ. وفي خليفة بن خياط أنه قتل بأرض الروم سنة ١٢١هـ.

(٤) قال في دائرة المعارف الإسلامية: ٣١٨/٧ «وكان البطّال يكنى أحياناً أبا محمد، وأحياناً أبا يحيى، وأحياناً أبا الحسين. وكان اسم أبيه أبا الحسين أوعمرو» راجع أيضاً ص ٣٣٣ من هذا الجزء: حاشية (٤).

(٥) الزيادة عن الطبري وابن الأثير وخليفة؛ وهي ضرورية.

السنة السادسة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة أربع عشرة ومائة:

فيها عزل الخليفةُ هشامٌ أخاه مَسْلمة بن عبد الملك عن إمرة أذْرَبِيجان والجزيرة بآبن عمه مروان بن محمد المعروف بالحِمار آخر خلفاء بني أمية الآتي ذكره، فسار مروان بن محمد المذكور بجيشه حتى جاوز الروم(١) فقتل وسبَى من الترك.

وفيها غزا الجنيدُ بلادَ الصَّغَانِيَان(٢) من الترك فرجع ولم يَلْق كيداً.

وفيها وليَ إمرةَ المغرب عبيدُ الله بن الحَبْحَاب السَّكُونِيّ(٣) صاحبُ خراج مصر، فتوجّه إليها وبَقِيَ عليها تسع سنين.

وفيها توفِّي عَطاء بن أبي رَبَاح المكّي، أبو محمد بن أسلم مولى قريش، أحدُ أعلام التابعين؛ وُلِد في خلافة عثمان، وسمِع من كبار الصحابة.

وفيها توفِّي محمد الباقر، وكنيته أبو جعفر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الهاشميّ العَلَويّ، سيّدُ بني هاشم في زمانه. روى عن آبن عباس وغيره. وهو أحد [الأئمة] الاثني عشر الذين تعتقد الرافضةُ(٤) عصمتهم. مولده

---

(١) في خليفة بن خياط: «حتى جاوز نهر الرمّ فقتل وسبى وأغار على الصقالبة» أي الروس.

(٢) ولاية ومدينة عظيمة بما وراء النهر.

(٣) في بعض النسخ «السلولي» وهو الأصوب، إذ كان مولى لبني سلول. نشأ كاتباً ثم أصبح أميراً كبيراً. تحدَّث ذات يوم بالقيروان فقال: «إنما كنت كويتباً، ثم صرت كاتباً، ثم صرت أميراً، ثم أنا اليوم أمير كبير والحمد لله» انظر: الحلة السيراء لابن الأبّار: ٣٣٧/٢، وفيه أن هشام بن عبد الملك أمره بالمسير إلى إفريقية وولاه إياها في شهر ربيع الآخر من سنة ١١٦هـ (وابن الأبار ينقل ذلك عن ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب: ص ٢١٧) والواقع أن ولاية عبيدالله بن الحبحاب لم تقتصر على المغرب فقط بل شملت مصر أيضاً بعض الوقت، وشملت الأندلس كله، ولا نعرف والياً شملت ولايته هذه البلاد كلها إلا ابن الحبحاب.

(٤) المراد هنا بالرافضة: الشيعة الإمامية الاثني عشرية، الجعفرية. ومحمد الباقر هو الإمام الخامس من أئمة الشيعة الإمامية الاثني عشرية. وهذه الفرقة هي الوحيدة التي تعتقد بعصمة الأئمة الاثني عشر من نسل الحسين بن علي.

في سنة ست وخمسين. ولمحمد هذا إخوةٌ أربعة[١]، وهم: • زيد الذي صُلب، وعمر، وحسين، وعبد الله، الجميع بنو زين العابدين، رضي الله عنهم.

وفيها عزَل الخليفةُ هشامُ بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن إمْرة المدينة وولّاها خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص؛ وإبراهيم المعزول هو خال الخليفة هشام بن عبد الملك.

وفيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام بن عبد الملك الصائفةَ اليسرى فأصاب شيئاً كثيراً، وأن عبد الله البطّال ٱلتقى هو وقسطنطين في جمع فهزمهم البطّال وأُسِر قسطنطينُ.

وفيها غزا سليمانُ ابن الخليفة هشامٍ الصائفةَ اليمنى فبلغ قيساريّة.

وفي هذه[٢] السنة عزل هشام إبراهيمَ بن هشام بن إسماعيل المخزومي عن إمرة المدينة وٱستعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم في ربيع الأوّل، وكانت إمرة إبراهيم على المدينة ثمان سنين. وعزل إبراهيم أيضاً عن مكة وعن الطائف، وٱستعمل عليها محمد بن هشام المخزوميّ.

وفيها وقع الطاعون بواسِط.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) ذكر له ابن قتيبة في المعارف ستة أولاد وأربع بنات، وسمّاهم؛ وذكر له المفيد في الإرشاد، وابن الصبّاغ في الفصول المهمة خمسة عشر ذكراً وأربع بنات وسمياهم. وفي الطبقات الكبير لمحمد بن سعد عدّ له عشرة ذكور وسبع بنات. (انظر: المعارف ص ١٢٥، وأعيان الشيعة: ١/ ٦٢٩).

(٢) تقدّم هذا الخبر قبل أسطر.

السنة السابعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة خمس عشرة ومائة:

فيها خرج الحارث بن شريح[١] عن طاعة الخليفة وتغلّب على مَرو وجوُزَجَان[٢]، فسار إليه أسدُ بن عبد الله القَسْريّ، فالْتَقْوا فانهزم الحارث، وأسر أسدٌ عدّةً من أصحاب الحارث وبدّع فيهم[٣].

وفيها وقع بخراسان قَحْط شديد ومجاعة عظيمة.

وفيها توفّي عمرو بن مروان بن الحكم، الأمير أبو حفص. وأمه زينب بنت عمر بن أبي سَلَمة المخزوميّ؛ كان عمرو من خيار بني أميّة، ولم يكن بمصر في أيام بني أميّة أفضل منه.

وفيها غزا معاوية ابنُ الخليفة هشام أرضَ الروم وافتتح حصوناً[٤].

وفيها وقع الطاعون بالشأم.

وفيها حجّ بالناس محمد بن هشام المخزوميّ. وكان الأمير بخراسان الجُنَيْد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) كذا في الأصل، وخليفة بن خياط. وفي الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١١٦): «سريج» بالسين المهملة والجيم.

(٢) في الأصل: «جرجان» والتصحيح من الطبري وابن الأثير وخليفة. الجوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ (معجم البلدان لياقوت).

(٣) قارن بابن الأثير والطبري (أحداث سنة ١١٦هـ) وخليفة (أحداث سنة ١١٥هـ) باختلاف في التفاصيل وبعض الأسماء. أما قوله «وبدّع فيهم» فالمراد به أنه قتلهم ونكّل بهم (وهو ما يناسب عبارة خليفة: فقتل بعضهم وقطع أيدي بعضهم). وعبارة «بدّع فيهم» غير مستقيمة لغوياً، واستعمالها هنا أقرب إلى الاستعمال العامي ــ والوارد في كتب اللغة: أبدع فلان بفلان أي قطع به وخذله؛ وأبدع به أي ضربه.

(٤) في خليفة: «غزا في شهر رمضان حتى انتهى إلى أفلاجونية». وسمّاها في معجم البلدان: أفلاغونية، من نواحي أرمينية.

السنة الثامنة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة ست عشرة ومائة.

فيها بعث عبيد الله بن الحَبْحاب أمير إفريقية ببلاد المغرب جيشاً إلى بلاد السودان فغنموا وسَبَوْا(١).

وفيها غزا المسلمون في البحر مما يَلي صِقِلِّية فأصيبوا(٢).

وفيها تزوّج الجنيد فاضلة بنت المهلّب بن أبي صُفْرة. وبلغ [ذلك] الخليفةَ هشاماً فغضب وعزَل الجنيدَ عن خراسان وولّاها عاصمَ بن عبد الله بن يزيد الهلاليّ، وقال له: إن أدركتَه حيّاً فأزْهِق نفسه؛ فقدِم عاصمُ خراسانَ وقد مات الجنيد؛ وكان بالجنيد مرض البطن.

وفيها توفّيت حَفْصة بنت سِيرين أخت محمد بن سيرين؛ وكانت زاهدةً عابدة. قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة وماتت وهي بنت تسعين سنة.

وفيها توفي نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب. وهو من الطبقة الثالثة من التابعين؛ وكان عبد الله بن جعفر أعطى آبنَ عمر فيه آثني عشر ألف درهم فأبى وأعتقه؛ وكان نافع عند عبد الله بن عمر كبعض ولَدِه؛ وكان نافع ثقة كثير الحديث.

وفيها غزا معاويةُ بن هشام بن عبد الملك أرضَ الروم الصائفَة.

وفيها كان الطاعون بالعراق وكان أشدّه بمدينة واسط وسواحلها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً ونصف إصبع.

* * *

(١) في خليفة بن خياط أنه بعث عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع إلى السوس وأرض السودان فظفر وأصاب ذهباً كثيراً.

(٢) تفصيل هذا الخبر في تاريخ خليفة: ص ٣٤٧ ـ راجع ص ٣٤٠ من هذا الجزء، حاشية (١).

السنة التاسعة من ولاية الوليد بن رفاعة على مصر

وهي سنة سبع عشرة ومائة.

فيها جاشت الترك بخراسان، ومعهم الحارث بن شُريح[١] الخارجيّ، وعليهم الخاقان الكبير، فعاثوا وأفسدوا ووصلوا إلى بلد مَرْو الرُّوذ. فسار إليهم أسد القسريّ فآلتقاهم وقاتلهم حتى هزمهم؛ وكانت وقعة هائلة قُتل فيها من الترك خلائق.

وفيها آفتتح مروان بن محمد المعروف بالحمار متولي أذْرَبِيجان[٢] ثلاثة حصون، وأسر تُومانشاه وبعث به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فمَنّ عليه وأعاده[٣] إلى مملكته.

وفيها غزا عبيد الله بن الحبحاب أميرُ إفريقيّة عدّة بلاد من المغرب فغَنِم وسلم.

وفيها توفّيت سُكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب. واسمها آمنة[٤]، وأمّها الرَّباب بنت آمرىء القيس بن عَدِيّ؛ وكانت من أجمل نساء عصرها.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج مولى محمد بن ربيعة؛ وكنيته أبو داود؛ من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة.

وذكر الذهبيّ في هذه السنة وفاة جماعة أُخَر، قال: وتوفّي سعيد بن يَسار، وقد ذكره عبد الله بن أبي زكريا الخزاعيّ، وتوفي شريح بن صفوان بمصر، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكة، وعائشة بنت سعد، وعمر بن الحكم بن ثَوْبان،

---

(١) راجع ص ٣٥٢ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) في خليفة «متولي أرمينية وأذربيجان».

(٣) في نفس المصدر: «فبعث به مروان إلى هشام بن عبد الملك، فردّه هشام إلى مروان، فأعاده مروان على مملكته».

(٤) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٣٩٧/٢ «.. وقيل اسمها آمنة، وقيل أمينة، وقيل أميمة. وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنة امرىء القيس بن عدي. وقال محمد بن السائب الكلبي النسّابة: سألني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عن اسم سكينة فقلت: أميمة، فقال: أصبت».

وفاطمة بنت عليّ بن أبـي طالب، وقتادةُ بن دِعامة المفَسِّر وقيل بعدها، ومحمد بن كعب القُرَظِيّ في قول الواقديّ، وتوفّي موسى بن وَرْدَان القاضي بمصر، وميمون بن مِهران أو في عام أوّل.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً ونصف إصبـع.

ذكر ولاية عبد الرحمن بن خالد على مصر(١)

هو عبد الرحمن بن خالد بن مُسافر [بن خالد بن ثابت بن ظاعن](٢) الأمير أبو خالد، وقيل أبو الوليد، الفَهْميّ المصريّ، أمير مصر لهشام بن عبد الملك بن مروان؛ وكان استخلفه الوليد بن رفاعة قبل موته على صلاة مصر؛ وكان قبل ذلك أيضاً وليَ شُرْطتها مدّة سنين، فلما مات الوليد بن رفاعة أقرّه الخليفة هشام على إمرة مصر عِوضاً عن الوليد بن رفاعة على الصلاة، وكان ذلك في جُمادى الآخرة من سنة سبع عشرة ومائة. ولما تمّ أمره جعل على شرطته عبد الله بن بشّار(٣) الفَهْميّ. وكان في عبد الرحمن هذا لِينٌ. وفي ولايته على مصر نزلت الرومُ بنواحي(٤) مصر وأسروا منها خلقاً كثيراً، فلما بلغ هشاماً ذلك عزَله عن إمرة مصر وأعاد حَنْظَلة بن صَفوان ثانياً على مصر، وذلك في سنة ثمان عشرة ومائة، فكانت مدّة ولايته على مصر سبعة أشهر وخمسة أيام. وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في كتابه «تذهيب التهذيب» بعد ما قال: أمير مصر لهشام، والليث بن سعد أحد مواليه، قال: رَوى عن الزهري ورَوَى عنه اللّيث بن سعد ويحيى بن أيوب. قال ابن مَعِين: كان عنده عن الزهريّ كتاب فيه مائتا حديث أو ثلاثمائة حديث كان الليث يحدّث بها عنه. وقال النَّسائيّ: ليس به بأس. وقال ابن يونس: ولي مصر سنة ثمان عشرة ومائة وعُزِل سنة تسع عشرة ومائة. قلت: والذي ذكرناه في تاريخ ولايته وعزْله هو الأشْهر. قال: وكان ثَبَتاً في الحديث، وتوفّي سنة سبع وعشرين ومائة.

---

(١) ولاة مصر: ١٠١، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) زيادة عن الكندي.

(٣) في الكندي: يسار.

(٤) نزلوا على قرية ترّوجة. (الكندي: ١٠٢) وموضعها اليوم كوم ترّوجة الواقع بحوض ترّوجة، بأراضي ناحية زاوية صقر، بمركز أبي المطامير من مديرية البحيرة. انظر تفاصيل نزول الروم بنواحي مصر واستياء هشام بن عبد الملك من موقف عبد الرحمن. في ولاة مصر للكندي.

وقيل: إنّ سبب عزله عن مصر أنّ دُعاة بني العباس أرسلوا إليه سرّاً، فأكرمهم ووعدهم، فبلغ ذلك هشاماً فعزله. وكان من أمر دعاة بني العباس أنه وجّه بُكَيْرُ بن ماهان عمّارَ بن زيد[١] إلى خراسان والياً عليها على شيعة بني العباس، فنزل مرو وغيّر اسمه وتسمّى بخِداش، ودعَا الناس إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس. فتسارع الناس إليه وأطاعوه. ثم غيّر ما دعاهم إليه وأظهر دينَ الخُرَّمِيّة[٢] ورخّص لبعضهم في نساء بعض، وقال: إنه لا صومَ ولا صلاة ولا حجّ، وإن تأويل الصوم أن يُصام عن ذكر الإمام فلا يُباح بآسمه، والصلاة: الدعاء له، والحجّ: القصدُ إليه؛ وكان يتأوّل من القرآن قولَه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما ٱتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾[٣]، فنفر من كان أطاعه عنه. وكان خِداش[٤] المذكور نصرانياً بالكوفة وأسلم ولحق بخراسان. وكان ممّن آتّبعه على مقالته مالك بن الهَيْثم والحُرَيْش بن سُلَيم الأعجميّ وغيرهما وأخبرهم أنّ محمد بن عليّ أمره بذلك. فبلغ خبرُه أسدَ بن عبد الله القَسْرِيّ فظفِر به، فأغلظ القولَ لأسد فقطعَ لسانه وسمَل عينيه بعد أن سأله عمّن وافقه، فذكر جماعةً، منهم أمير مصر عبد الرحمن هذا، وليس ذلك بصحيح. ثم أمر أسد بيحيى بن نُعَيْم الشّيبانيّ فصُلِب. ثم أُتِيَ أسدٌ بجَزَوَّر[٥] مولى المُهاجر بن دارةَ الضّبيّ فضرب عنقه بشاطىء النهر.

* * *

(١) في ابن الأثير (حوادث سنة ١١٨هـ): «عمار بن يزيد».

(٢) الخُرَّمية طائفة دينية أسسها «مزدَك» في أيام «قُباذ» أبي كسرى أنوشروان. وقد نشأ من طائفة الخرّمية المزدكية (وهي الخرّمية الأولى) طائفة الخرّمية البابكية (الخرّمية الثانية) التي تنسب إلى بَابَكك الخرّمي الذي ادعى الألوهية وعكر صفو الدولة العباسية في أيام المأمون، وأخذ أمره يتفاقم إلى أيام المعتصم. والخرّمية يعتقدون بالتناسخ والحلول والإباحة. ومن مبادئهم الأساسية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس والمجوس. (انظر: تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن: ١٠٨/٢؛ والسيادة العربية لفان فلوتن: ص ٩٧ ـ ١٠٣).

(٣) سورة المائدة: ٩٣.

(٤) من خدش: بمعنى مزّق بأظفاره. وإنما سمي بذلك الاسم كناية عن تمزيقه الدين. وكان خداش يشتغل بصناعة الخزف بالحيرة. وكان مسيحياً ثم أسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضمّ إلى الدعوة العباسية. (السيادة العربية: ٩٩).

(٥) هكذا في الأصل وابن الأثير. وفي الطبري «حزوّر» بالحاء المهملة.

ذكر السنة التي حكم في أوّلها عبد الرحمن بن خالد ثم في باقيها حنظلة بن صفوان

وهي سنة ثمان عشرة ومائة.

فيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض الروم وقتل وسَبَى.

وفيها غزا مروانُ الحمار ناحيةَ وَرْتَنِيس(١) وظفِر بملكهم وقتل وسبى.

وفيها حجّ بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل وهو أمير المدينة، وقيل: كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبد الملك.

وفيها توفّي علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو محمد الهاشميّ المدنيّ العباسيّ المعروف بالسّجّاد؛ كان يصلّي كل يوم ألف ركعة، وهو والد الخلفاء العباسيّة، وكانت كنيته أبا الحسن، فكنّاه عبدُ الملك بن مروان أبا محمد، وقال: لا أحتمل لك الاسم والكنية جميعاً. وكان لعليّ هذا أولاد كثيرة وهم: محمد والد الخلفاء، وعيسى وداود وسليمان وإسماعيل وعبد الصمد وصالح وعبد الله. ووُلد عليّ هذا في أيام قَتْل عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فسمّي باسمه.

وفيها توفي عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم أبو عِمران اليَحْصُبيّ، مقرىء أهل الشأم. قيل: إنه قرأ القرآن على أبي الدرداء، وتولى قضاء دِمَشق بعد أبي إدريس الخَوْلانيّ، ومات يوم عاشُوراء وله سبع وتسعون سنة.

(١) يفهم من عبارة الأصل هذه أن «ورتنيس» بلد. ويؤكد ذلك ما قاله ياقوت في معجم البلدان أن ورتنيس حصن في بلاد سميساط. غير أن عبارة كل من ابن الأثير وخليفة تشير إلى أن «ورتنيس» هو ملك من ملوك تلك النواحي. قال خليفة: «غزا مروان بن محمد من أرمينية فدخل أرض ورتنيس من ثلاثة أبواب، فهرب ورتنيس إلى الخزر وترك القلعة» ومثله روى ابن الأثير بلفظ «ورنيس» بدلاً من ورتنيس.

وفيها عزَل الخليفةُ هشام بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله القسريّ عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام.

وفيها توفي ثابت بن أَسْلَم البُنانيّ؛ وبُنانة اسم امرأة كانت تحت سعد بن لُـؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وهو من الطبقة الثالثة (أعني ثابتاً) من أهل البصرة؛ وكان ثابت من أَعْبَد أهل زمانه، وبه يضرب المثل في العبادة.

قال أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ : «إن لكل شيء مفتاحاً وإن ثابتاً من مفاتيـح الخير» وكانت عيناه تُشبه عينيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال له أنس بن مالك: ما أشبه عينيك بعينيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم! فما زال يبكي حتى عَمِشت.

وذكر الذهبيّ وفاةَ جماعة أخر، قال: وتوفّي في هذه السنة أبـو صَخْرة جامـع بن شدّاد، وحكيم بن عبد الله بن قيس، وأبو عُشّانَة حَيّ بن يُـؤْمِن المَعافِريّ، وعُبادة بن نُسَيّ الكِنْديّ، وعبد الله بن عامر مقرىء الشأم.

قلت: هو الذي ذكرناه آنفاً. قال: وعبد الرحمن بن جُبير بن نُفير الحَضْرميّ، وعبـد الرحمن بن سـابط الجُمَحِيّ (بضم الجيم نسبة لبني جُمَـح) وعثمـان بن عبد الله بن سُراقة المدنيّ، وعليّ بن عبد الله بن العباس الهاشميّ. قلت: وقد تقدّم ذكره في غير هذه السنة. قال: ومعاذ بن عبد الله الجُهَنِيّ، ومعبد بن خالد الجَدَليّ الكوفيّ، وأبو جعفر محمد بن عليّ الباقر في قول آبن مَعِين. قلت: وقد تقدّم ذكره في غير هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وستة أصابـع. مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

ذكر ولاية حنظلة بن صفوان الثانية على مصر(١)

قلت: تقدّم التعريف به في ولايته الأولى على مصر في سنة آثنتين ومائة؛ وكان سبب ولايته هذه على مصر ثانياً أنه لما ضَعُفَ أمر عبد الرحمن بن خالد أمير مصر المقدَّم ذكره شكا منه أهلُ مصر إلى هشام بن عبد الملك، وكان شكواهم من لينه لا لسوء سيرته، فعزله الخليفة هشام لهذا المقتضى وغيَّره وولّى حنظلةَ بن صفوان هذا ثانياً على إمرة مصر على صَلاتها؛ فقدِمها حنظلة في خامس المحرّم سنة تسع عشرة ومائة، وتمّ أمره ورتّب أمور الديار المصرية ودام بها إلى سنة إحدى وعشرين ومائة؛ [و] فيها آنتقَض(٢) عليه قبط مصر، فحاربهم حنظلة المذكور حتى هزَمهم. ثم في سنة اثنتين وعشرين ومائة قدم(٣) عليه بمصر رأسُ زيد بن عليّ زين العابدين فأمر حنظلة بتعليقها وَطِيف بها؛ ثم آستمرّ على إمرة مصر إلى أن عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك وولّاه إفريقيّة، فاستخلف حنظلة على صلاة مصر حفصَ بن الوليد الحَضْرميّ المعزول عن إمرة مصر قبل تاريخه. وخرج حنظلة من مصر [إلى إفريقية يوم الاثنين](٤) لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فكانت ولايته على مصر في هذه المرّة الثانية خمس سنين وثمانية(٥) أشهر.

---

(١) ولاة مصر: ١٠٣، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) لا يذكر ابن تغري بردي ولا الكندي في ولاة مصر سبب هذه الفتنة؛ غير أن المقريزي قد ذكر أن حنظلة عندما أتى مصر والياً للمرة الثانية تشدّد على النصارى وزاد في الخراج وأحصى الناس والبهائم، وجعل على كل نصراني وسماً ــ صورة أسد ــ وتتبعهم، فمن وجده بغير وسم قطع يده. وقد تكون هذه السياسة هي السبب في انتقاض القبط هذا.

(٣) ذكر الكندي أن الذي قدم عليه برأس زيد بن علي هو أبو الحكم بن أبي الأبيض العَبْسي. وفي خطط المقريزي: ٤٣٦/٢: «القيسي».

(٤) زيادة عن الكندي.

(٥) في الكندي والمقريزي: «وثلاثة أشهر» وهو الصواب، لأنه تولى في المحرّم.

وذكر صاحب كتاب «البغية والاغتباط، فيمن ولي الفسطاط» قال بعد ما سمّاه: وُلّي ثانياً من قِبَل هشام على الصلاة، فقدم يوم الجمعة لخمس خلون من المحرّم سنة تسع عشرة ومائة، وجعل على شُرْطته عِياضَ بن خترمة(١) بن سعد الكلبيّ. ثم ذكر نحواً مما ذكرناه من عزْله وخروجه إلى إفريقيّة.

ولما وُلّي حنظلةُ إفريقيّة أمره الخليفةُ هشام بتولية أبي الخطّار حسام بن ضرار الكلبيّ إمرةَ الأندلس، فولّاه في شهر رجب(٢). وكان أبو الخطّار لما تتابع وُلاة الأندلس من قَيْس قال شعراً وعرّض فيه بيوم مَرْج(٣) راهِط، وما كان من بلاء كَلْب فيه مع مروان بن الحكم، وقيام القيسيّة مع الضّحاك بن قيس الفِهْريّ على مروان. فلما بلغ شعرُه هشامَ بن عبد الملك سأل عنه فأُعلم أنه رجل من كلب. فأمر هشام بن عبد الملك حنظلةَ أن يولّي أبا الخطّار الأندلسَ فولّاه وسيّره إليها، فدخل قُرْطُبَةَ فرأى ثعلبة بن سَلامة(٤) أميرها قد أحضر الألف الأسارى من البربر ليقتلهم، فلما دخل أبو الخطّار دفع الأسارى إليه، فكانت ولايتُه سبباً لحياتهم. ومهّد أبو الخطّار بلادَ الأندلس. وفي ولايته خرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عُبَيدة بن عُقْبة بن نافع بالأندلس، فأرسل إليه حنظلة رسالة يدعوه إلى مراجعة الطاعة

---

(١) في الكندي: «عياض بن حريبة بن سعيد بن الأصبغ الكلبي».

(٢) من سنة ١٢٥هـ (الحلة السيراء لابن الأبّار).

(٣) وقعة مرج راهط بالشام بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس حين أراد مروان الخلافة، قتل فيها الضحّاك. (خليفة: ٢٥٩) وقد أورد ابن الأبّار هذا الشعر المشار إليه:

أفـاتُم بني مـروانَ قيساً دماءَنـا ... وفي الله ــ إن لم تُنصفوا ــ حَكَمٌ عَدْلُ
كـأنكمُ لم تشهـدوا مـرجَ راهطٍ ... ولم تعلموا من كان ثَمَّ له الفَضْلُ
وقينـاكمُ حـرَّ القَنـا بنحورنـا ... وليس لكم خيل سوانا ولا رَجْلُ
فلمـا بلغتُمْ نَيْـلَ مـا قـد أردتُمُ ... وطاب لكم منا المشارب والأكلُ
تـعـاميتُم عـنـا بعيـن جليَّةٍ ... وأنتم كذا ما قـد علمنا لها فُعْلُ
فلا تأمنوا إن دارت الحربُ دورةً ... وزلّت عن المرقاة بـالقدم النعْـلُ
فينتقضُ الحبـلُ الـذي قـد فَتَلتمُ ... ألا ربمـا يُلوى فينتقض الحبـلُ

قال ابن الأبّار: قال أبو الخطّار هذا الشعر لأن هشام بن عبد الملك ولى عبيدة بن عبد الرحمن إفريقية، وصرف بشر بن حنظلة الكلبي، فوجدت لذلك اليمانية. (الحلة السيراء: ١/٦٤).

(٤) في الأصل «سلام» وما أثبتناه من ابن الأثير.

فقبضهم وأخذهم معه إلى القَيْروان، وقال: إن رُمِيَ أحد من أهل القَيْرَوان بحجر قتلت مَنْ عندي أجمعين، فلم يقاتله أحد، وآستفحل أمره. وكان حنظلة لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجيّ. فلما قوِي أمر عبد الرحمن خرج[١] حنظلة إلى الشأم ودعا على عبد الرحمن وأهل إفريقية فآستُجيب له، فوقع الوباء والطاعون ببلادهم سبع سنين لم يفارقهم إلا في أوقات متفرّقة. وثار على عبد الرحمن هذا جماعة من العرب والبربر ثم قُتل بعد ذلك. هذا بعد أن وقع له مع أبي الخطّار حروب ووقائع. وكان ممن خرج على عبد الرحمن عُرْوة بن الوليد الصَّدَفيّ وآستولى على تونس، وثابت الصنهاجيّ بناحية أخرى، وأما حنظلة فإنه آستمرّ بالشأم إلى أن مات.

السنة الأولى من ولاية حنظلة الثانية على مصر

وهي سنة تسع عشرة ومائة.

فيها حجّ بالناس مَسْلَمة بن عبد الملك أخو الخليفة هشام.

وفيها غزا مروان بن محمد المعروف بالحمار غزوة السابحة[٢] فدخل بجيشه من باب اللاّن، فلم يزل حتى خرج من بلاد الخَزَرِ، ثم انتهى إلى البيضاء مدينةِ الخاقان.

---

(١) كان عبد الرحمن بن حبيب مغامراً كبيراً قضى عمره كله في طلب الولاية والفتن والقلاقل في الأندلس والمغرب. وقد حاول عبد الرحمن هذا الوصول إلى سلطان الأندلس ففشل، فعاد إلى إفريقية في جمادى الأولى سنة ١٢٧هـ وجمع نفراً من أنصار بيته ــ بيت عقبة بن نافع ــ وسار لمقاتلة حنظلة بن صفوان الذي تولى أمر إفريقية سنة ١٢٤هـ. وقد رأى حنظلة من سوء فعل عبد الرحمن وقلة تورّعه عن أي عمل للوصول إلى السلطان ما جعله يملّ العمل في إفريقية فتركها في جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ وانفرد بأمرها عبد الرحمن بن حبيب؛ وثار عليه معظم رؤسائها فخاض معهم حروباً طويلة انتصر فيها، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمراً بإقامته والياً على إفريقية والأندلس. ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل في طاعة أبي عبد الله السفاح ثم انقلب عليه. وكان يعينه في ذلك كله إخوته إلياس وعمران وعبد الوارث. ثم اختلف مع أخويه إلياس وعبد الوارث فدبرا اغتياله وإعادة الدعوة لبني العباس، وتمكنا من قتله. وكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب عشر سنين وأشهراً. (الحلّة السيراء: ٨٢/١ ــ حاشية).

(٢) كذا في الأصل. وفي خليفة بن خياط «السائحة من أرمينية» والخبر في تاريخ خليفة يختلف عما هو هنا ببعض التفاصيل المهمة، فلينظر (ص ٣٤٩).

وفيها جهّز عبيد الله بن الحَبْحَاب أميرُ إفريقية جيشاً، عليهم قُثَم بن عَوانَة، فأخذوا قلعة سَرْدَانِيَة من بلاد المغرب ورجعوا، فغرِق قثم بن عوانة وجماعتُه[١] في البحر.

وفيها توفّي عبد الله بن كَثِير، مقرىء أهل مكة، أبو مَعْبد، مولى عمرو بن عَلْقَمة الكِنَانيّ؛ أصله فارسيّ، ويقال له: الداريّ (والداريّ: العطار، نسبة إلى عِطْر دَارِين)، وقال البخاريّ: هو مولى قريش من بني عبد الدار، وقال أبو بكر بن أبي داود: الدار: بطن من لَخْم، منهم تميم الداريّ؛ قرأ القرآن على مُجاهد وغيره، وقيل: إن وفاته سنة عشرين، وهو الأصحّ.

وفيها قصد خاقانُ أسدَ بن عبد الله القسريّ بجموع الترك، فالتقاهم أسدُ بن عبد الله وواقعهم فقُتل خاقان وأصحابه. وغنم أسد أموالاً عظيمة وفتح بلاداً لم يصل إليها غيره[٢].

وفيها خرج المُغيرة بن سعيد بالكوفة، وكان ساحراً متشيّعاً، فحكى عنه الأعمش أنه كان يقول: لو أراد عليّ[٣] بن أبي طالب أن يُحيي عاداً وثموداً[٤] وقروناً بين ذلك كثيراً لفعل. وبلغ خالدَ بن عبد الله القسريّ خبرُه، فأرسل إليه فجيء به وأمر خالد بالنار والنِّفْط وأحرقه ومن كان معه.

وفيها غزا أسدُ بن عبد الله الخُتَّلَ[٥] وقتل ملكها بدير[٦] طرخان.

وفيها توفّي حبيبُ بن محمد العَجَميّ، ويُعرف بالفارسيّ، البصريُّ، من الطبقة الرابعة من تابِعي أهل البصرة. وهو أحد الزهّاد الذي يضرب بزهده المثل.

---

(١) في خليفة: «وغرق قثم في مراكب من المسلمين وسلم بعضهم».

(٢) الخبر مفصل تفصيلاً وافياً في الطبري وابن الأثير (أحداث سنة ١١٩هـ).

(٣) في الطبري وابن الأثير ــ برواية الأعمش أيضاً: «لو أردتُ أن أحييَ.. إلخ».

(٤) يجوز فيه الصرف وعدم الصرف.

(٥) الخُتَّل (بضم أوله وتشديد ثانيه وفتحه) كورة واسعة كثيرة المدن، وهي خلف نهر جيحون على تخوم السند (معجم البلدان: ٢/٣٤٦).

(٦) في الطبري وابن الأثير «بدر طرخان».

وفيها حجّ بالناس مسلمة [بن هشام][1] بن عبد الملك [أبو شاكر][1].

وأما الذين ذكر الذهبيّ وفاتَهم في هذه السنة فهم جماعة كثيرة، قال: وتوفّي إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع، وحبيب بن أبي ثابت في قولٍ، وحمّاد بن أبي سليمان الفقيه في قولٍ، وسليمان بن موسى الفقيه بدمشق، وقيس بن سعد الفقيه بمكة، ومعاوية بن هشام الأمير بأرض الروم.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم خمسة أذرع ونصف. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وستة أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر

وهي سنة عشرين ومائة.

فيها عُزل خالد بن عبد الله القسريّ عن إمرة العراق بيوسف بن عمر الثَّقفيّ؛ وكانت مدّة ولاية خالد على العراق أربع عشرة سنة. فلما آستُخلِف الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعد موت عمه هشام بن عبد الملك بعث بخالد إلى يوسف هذا فقتله.

وفيها توفّي أسد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز بن عامر البَجَليّ القَسْريّ، وهو أخو خالد بن عبد الله القسريّ المقدَّم ذكره أعلاه. وكان أسد هذا ولِي خراسانَ مرّتين، وغزا عدّة غزوات وآفتتح البلاد، وبنى مدينة بَلْخ، وتوفّي قبل عزل أخيه خالد بن عبد الله القسريّ بيسير.

وفيها توفّي حمّاد بن أبي سليمان فقيه أهل الكوفة؛ وقد ذكر الذهبيّ وفاته في الخالية، وهو من الطبقة الثالثة من التابعين. قيل لإبراهيم النَّخَعيّ: من نسأل بعدك؟

(١) هذه الزيادة من الطبري وابن الأثير وخليفة.

قال: حمّاد بن أبـي سليمان. وعنه أخذ أبو حَنيفة العلم، وهو أوّل من حلّق حَلْقة للاشتغال.

وفيها توفّي سليمان بن ثابت الدّارانيّ الدمشقيّ المُحاربـيّ، من الطبقة الثالثة من التابعين؛ كان يقال له: قاضي الخلفاء لأنه أقام قاضياً على دمشق ثلاثين سنة؛ قضَى لتسعة من خلفاء بني أمية، وقيل لسبعة، وهو الأصحّ.

وفيها توفي محمد بن واسـع بن جابر أبو عبد الله الأزْدِيّ، من الطبقة الثالثة من تابِعي أهل البصرة؛ كان لا يُقدّم عليه أحدٌ في زمانه في العبادة والزهد والورع. كان يصوم الدهرَ ويُخفيه. قيل: إنه دخل هو ومالك بن دِينار إلى دار الحسن البصريّ فلم يجداه في الدار، فرأى محمد بن واسـع طعاماً للحسن فأكل منه من غير إذن الحسن، وعزم على مالك فلم يوافقه مالك وقال: حتى يأذن لي صاحبُه. وبينما هما في ذلك دخل الحسن البصريّ فأعجبه فعلُ محمد بن واسـع وقال: هكذا كنا نفعل مـع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جئتنا يا مُوَيْلِك.

وذكر الذهبـيّ جماعةً أُخر، وفيهم من تكرّر ذكره لاختلاف المؤرّخين، قال: وتوفّي أنس بن سِيرين على الصحيـح، وأسد بن عبد الله القسريّ الأمير، والجُلاح أبو[1] كثير القـاضي، والجارُود[2] الهُـذَليّ، وحماد بن أبـي سليمـان في قولٍ، وأبو مَعْشَر زيادُ بن كُلَيب الكوفيّ، وعاصم بن عمر بن قَتادة الظَّفَريّ، وعبد الله بن كَثِير[3] مقرىء أهل مكة، وعبد الرحمن بن ثَرْوان الأَوْديّ[4]، وعديّ بن عَديّ بن عُمَيْرة الكِنْديّ، وعَلْقَمـة بن مَرْثَـد الكوفيّ، وعلي بن مُـدْرِك النَّخعيّ الكوفيّ، وقيس بن مسلم الجَدَليّ الكوفيّ، ومحمد بن إبراهيم التَّيْمي المَدَنيّ الفقيه في قول، ومحمد بن كَعْب القُرَظِيّ في قولٍ، ومَسْلمة بن عبد الملك، وواصِلُ الأحدب،

(١) في بعض النسـخ: «ابن كثير».

(٢) هو الجارود بن أبـي سبرة سالم بن سلمة الهذلي.

(٣) هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد: أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة، وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار «داريًّا» فعرف بالداري. (وفيات الأعيان: ٤١/٣).

(٤) في الأصول: «الأزدي» وما أثبتناه عن تهذيب التهذيب والذهبـي.

ويـزيد بن رُومـان على الصحيـح، وأبو بكـر بن محمد بن عمـرو بن حَزم على الصحيـح.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع سواء. مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعـاً وإصبعان ونصف.

* * *

السنة الثالثة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر

وهي سنة إحدى وعشرين ومائة.

فيها غزا مروان الحمار من إرمينية إلى أن بلـغ قلعة بيت السرير من بلاد الروم فقتل وسبـى. ثم أتى قلعة ثانية فقتل أيضاً وأسَر. ثم دخل الحصن(١) الذي فيه سرير الملك فهرَب منه الملك حتى(٢) صالحوا مروان في السنة على ألف رأس ومائة ألف مُدْيٍ(٣). ثم سار مروان في السنة حتى دخـل أرض أَرْز(٤) وبلاد بطران(٥) فصالحوه ثم صالحه أهل بلاد تُومان. ثم أتى حمزين(٦) فقاتلهم ولازم الحصار عليهم شهرين حتى صالحوه. ثم آفتتـح مروان مسدار وغيرها.

---

(١) في خليفة: «ودخل غَوْمَسْك وهو حصن فيه سرير الملك».

(٢) في خليفة: «حتى أتى حصناً يقال له: خترج، فيه سرير الذهب، فأقام عليه مروان شتوة وصيفة فصالحه.. إلخ».

(٣) المدي (بضم الميم وتسكين الدال) هو مكيال للشام ومصر، وهو غير المدّ، وجمعه: أمداء بالهمزة في آخره. وقدره ابن الأثير بخمسة عشر مكوكاً كل منها صاع ونصف، فهو على التقدير: ٢٢,٥ صاعاً. (القاموس المحيط: باب الياء فصل الميم ــ والنظم الإسلامية لصبحي الصالـح: ٤٢١).

(٤) كذا في الأصل. وفي بعض النسـخ «أزو». وفي ابن الأثير «أزر» بتقديم الزاي على الراء. وفي خليفة: «أرض تومان». قال ياقوت: أرز بليدة من أول جبال طبرستان من ناحية الديلم.

(٥) في الذهبـي: «قطران». وفي خليفة: «زَرُوبُكْزان». وضبطها البلاذري في فتوح البلدان: «زريكران».

(٦) كذا في البلاذري وابن الأثير. وفي الذهبـي: «حمدين». وفي خليفة: «خُمرين». وفي الأصول: «حمرين» بالراء.

وذكر خليفة[١] بن خياط أنّ أبا محمد البطّال قُتل فيها.

وفيها غزا الصائفةَ مَسْلمةُ ابن الخليفة هشام بن عبد الملك فسار حتى أتى مَلَطْيَة. ومات مسلمة هذا في دولة أبيه هشام.

وفيها غزا نَصْر بن سيّار ما وراء النهر وقتل ملك الترك كورصُول؛ وكان كورصُول المذكور ملكاً عظيماً غزا في المسلمين اثنتين وسبعين غزوة، ولما قَبَض عليه نصرٌ أراد أن يفدي نفسه بألف جمل بُخْتيّ وبألف بِرْذَوْن، فلم يقبَل نصرٌ وقتلَه.

وفيها خرج زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم، ووقع له مع جيش الخليفة أمورٌ وحروب وآل أمره إلى أن انكسر وآختفى حتى ظُفِر به وقُتل في سنة اثنتين وعشرين ومائة.

وفيها توفّي الربيع بن أبي راشد أبو عبد الله الزاهد، من الطبقة الثالثة من تابِعي أهل الكوفة. كان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لخشِيت أن يفسد عليّ قلبي.

وفيها توفي عطاء السُّليميّ، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة، وكان من التابعين المجتهدين. أقام أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى ولم يضحك، ورفع رأسه مرّة ففُتِق في بطنه فَتْق؛ وكان إذا أراد أن يتوضّأ آرتعد وبكى، فقيل له في ذلك، فقال: إني أريد أن أُقْدِم على أمر عظيم قبل أن أقوم بين يدي الله تعالى.

وفيها توفّي نُمَيْر بن أَوْس الأَشْعَريّ قاضي دمشق، من الطبقة الرابعة من التابعين؛ ولاّه الخليفة هشام القضاءَ ثم آستعفاه فأعفاه.

وفيها توفّي مُحارب بن دِثار السَّدوسيّ الشّيبانيّ، أبو المطرّف؛ من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الكوفة؛ قال: لما أُكرِهت على القضاء بكيت وبكى عيالي، فلما عُزلت عن القضاء بكيت وبكى عيالي.

---

(١) تاريخ خليفة: ص ٣٥٢.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية حنظلة بن صفوان على مصر

وهي سنة اثنتين وعشرين ومائة.

فيها خرج بالمغرب مَيْسَرة(١) الحقير وعبد الأعلى مولى(٢) موسى بن نُصَيْر متعاضِدَيْن ومعهما خلائق [من الصُّفْرِيّة](٣)، فخرج لقتالهم متولّي إفريقيّة عبيدُ الله بن الحبحاب وقاتلهم وآستظهر عليهم وَالي إفريقيّة، لكن قُتل آبنه إسماعيل. ثم جهّز لهم عبيد الله بن الحبحاب جيشاً ثانياً عليه أبو الأصمّ خالد(٤)، فقُتل أبو الأصمّ المذكور في جماعة من الأشراف في آخر السنة. واستفحل أمر الصُّفْرِيّة وبايعوا الشيخ عبد الواحد بالخلافة، فلم يتم أمره وقُتل بعد حروب كثيرة. وقُتل في هذه الواقعة وغيرها في هذه السنة خلائق كثيرة(٥).

وكان عبيد الله بن الحبحاب قد جهّز جيشاً آخر مع حبيب بن أبي عبيدة بن

(١) هو ميسرة المدغري، رئيس البربر. كان يبيع الماء بالقيروان. (الحلة السيراء: ١/٦٧ حاشية، وتاريخ خليفة: ٣٥٣).

(٢) كذا أيضاً في خليفة بن خياط. وفي نفح الطيب للمقري أن عبد الأعلى هو ابن موسى بن نصير. قال خليفة: كان خروج ميسرة وعبد الأعلى بن حديج على ميعاد للنصف من شهر رمضان سنة ١٢٢هـ. وكان خليفة قد ذكر خروج عبد الأعلى في حوادث سنة ١٦٦هـ.

(٣) زيادة عن الذهبي. والصفرية فرقة من الخوارج، أتباع زياد بن الأصفر.

(٤) خالد بن أبي حبيب، أبو الأصمّ. (تاريخ خليفة: ٣٥٣).

(٥) سميت هذه المعركة بمعركة الأشراف لكثرة ما مات فيها من الأشراف. وممن قتل فيها، كما روى خليفة بن خياط: أبو الأصمّ خالد، وابنه، وعثمان بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، وابنه إبراهيم بن عثمان، وموسى بن عبد الرحمن، وعبد الكريم بن مسحل بن عقبة بن ضرار بن الخطاب، وزرارة بن عمرو من ولد أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير من بني عمير من بني عبد الدار. قال: فلما بلغ ابن الحبحاب مقتلهم وجّه عبد الرحمن بن المغيرة العبدي عاملاً على تلمسين، فجعل يقتل الصفرية فسمّي الجزّار.

عُقْبة الفِهْري إلى جزيرة صِقِلّية فظفر حبيب المذكور ظَفَراً ما سُمِع بمثله. وسار حتى نزل على أكبر مدائن صقلية، وهي مدينة سَرَقوسة(١)، وهابته النصارى وذلّوا لإعطاء الجزية. ووقع بالمغرب في هذه السنة حروب مهولة متداولة.

وفيها توفّي شهيداً زيدُ بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم ــ وصُلِب مدّة طويلة، وقد تقدّم ذكر واقعته في سنة إحدى وعشرين ومائة.

وفيها توفّي إياس بن معاوية بن قُرّة بن إياس المُزَنيّ البصريّ، من الطبقة الثالثة من تابعي أهل البصرة؛ وكنيتُه أبو واثِلة؛ وكان قاضياً على البصرة؛ وكان سيّداً فاضلاً ذكيّاً، له نوادر غريبة. كان يقول: أذكر ليلةَ وُلدت وضعتْ أمي على رأسي جَفْنة. قال إياس: قلتُ لِأمّي: ما شيء سمعتُه عند ولادتي يا أمي؟ فقالت: طَسْتٌ وقع من أعلى الدار ففزِعتُ فولدتُك في تلك الساعة. قلت: وعلى هذا يكون سَماعُه لذلك وهو في بطن أمه، فإنها لما سمعت الضجّة ولدَتْ من الفزع. فيكون سماع إياس لذلك قبل أن ينزل من بطن أمه.

وفيها توفّي بلال بن سعد بن تميم السَّكُوني (بفتح السين المهملة) من الطبقة الرابعة من تابِعي أهل الشأم؛ كان بالشأم مثل الحسن البصري في العراق، وكان إمام جامع دمشق، فكان إذا كبّر سُمع صوتُه مِن الأَوْزاع (قرية على باب الفراديس) ولم يكن البنيان يومئذ متصلاً؛ هكذا نقل أبو المُظَفَّر(٢) في تاريخه «مرآة الزمان».

وفيها توفي الأمير مَسْلَمة ابن الخليفة عبد الملك بن مروان، أبو شاكر(٣)، وقيل: أبو سعيد وقيل: أبو الأصبع(٤). كان شجاعاً صاحب همّةٍ وعزيمة، وله غزوات كثيرة من ولاية أبيه عبد الملك إلى هذه السنة(٥).

---

(١) كذا في ياقوت. وفي الأصول: سرقاقوسة وسرياقوسة.

(٢) هو الحافظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي.

(٣) هكذا في الأصول. وقد وردت هذه الكنية لمسلمة بن هشام بن عبد الملك (راجع ص ٣٦٤ من هذا الجزء).

(٤) في البداية والنهاية لابن كثير: «أبو الأصبغ الدمشقي».

(٥) انظر ترجمته في ابن كثير: ٣٤١/٩.

ذكر ولاية حفص بن الوليد ثانياً على مصر[١]

قلت: تقدّم التعريف بحفص هذا في أوّل ترجمته لما ولي مصر في سنة ثمان ومائة. وكان سبب ولايته هذه الثانية على مصر أن حنظلة بن صفوان ولما وُلّي إفريقيّة أقرّ حفصاً هذا على صلاة مصر وتوجّه إلى إفريقيّة، فأقرّه الخليفة هشام بن عبد الملك على إمْرة مصر على الصلاة، وذلك في سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة. وقال صاحب «البغية»: فأقره هشامٌ (يعني على إمرة مصر)، ثم جمع له بين الصلاة والخراج في ليلة الجمعة لثلاثَ عشرَة ليلة خلت من شعبان[٢] سنة أربع وعشرين ومائة. فجعل على شُرْطته عُقْبَة بن نُعَيْم الرُّعَيْنيّ، وجعل على الديوان يحيى بن عمرو العَسْقَلانيّ، وعلى الزِّمام عيسى بن عمرو؛ ثم صرَفه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن الخراج وولّاه عيسى بن أبي عطاء يوم الثلاثاء لسبع[٣] بَقِين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة، وانفرد بالصلاة. ثم آستعفى مروانَ بن محمد بن مروان فأعفاه، فكانت ولايته هذه ثلاث سنين إلا شهراً[٤]. اهـ. وقال غيره: جمع له هشام بن عبد الملك الصلاة والخراج معاً. وكان لأمراء مصر مدّة سنين [أن] يلي الأميرُ على الصلاة لا غير، فلما جُمع لحفص بين الصلاة والخراج وقع في أيامه شراقيّ وقحطٌ بالديار المصرية، فاستسقى حفصٌ بالناس وخطب ودعا الله سبحانه وتعالى وصلّى، ثم عاد إلى منزله. فلم يكن إلا القليل وورد عليه موتُ الخليفة هشام بن عبد الملك، واستُخلف من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأقرّ[٥] الوليدُ حفصاً هذا على ما كان عليه

(١) ولاة مصر: ١٠٤، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.
(٢) كذا أيضاً في الكندي والمقريزي.
(٣) كذا أيضاً في المقريزي. وفي الكندي: «لتسع».
(٤) في الكندي: «أشهراً».
(٥) رواية أن الوليد أقر حفصاً أولاً ثم صرفه عن الخراج توافق رواية الكندي والمقريزي.

من إمرة مصر على الصلاة والخراج أياماً قليلة، ثم صرفه عن الخراج بعيسى بن أبي عطاء في ثالث عشرين شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد حفص بالصلاة. ثم خرج حفص من مصر إلى الشأم ووفد على الوليد بن يزيد بعد أن آستخلَف على صلاة مصر عُقْبَةَ بن نُعَيْم الرُّعَينيّ. وعند وصول حفص إلى دمشق آختلف الناس على الوليد وخلعوه من الخلافة ثم قتلوه، لسوء سيرته وقبيح أفعاله، كلّ ذلك وحفص بالشأم، وبُويع بالخلافة آبنُ عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. ولما ولي يزيد المذكور الخلافة أقرّ حفصاً هذا على عمله وأمره بالعود إلى مصر وأن يفرض[١] للجند ثلاثين ألفاً. فعاد حفص إلى مصر وفرض الفروض وبعث بَيْعةَ[٢] أهل مصر إلى يزيد بن الوليد. فلم تطُل مدّة أيام يزيد وتوفّي وبويع بالخلافة من بعده إبراهيم بن الوليد، فلم يتمّ عليه أمرُه وتغلّب عليه مروان بن محمد بن مروان الجَعْديّ المعروف بالحمار، ودَعا لنفسه وتم له ذلك؛ فلما بلغ حفصاً ذلك بعث يَستعفِيه من وِلاية مصر فأعفاه مروان وولّى مكانه حسّان بن عَتاهِيَة. اهـ. وكانت ولاية حفص هذه الثانية نحو ثلاث سنين.

وقال الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخه بعدما ذكر نسبه بنحو ما ذكرناه في ولايته الأولى على مصر لكنه زاد فقال: الحَضْرمِيّ، ثم من بني عوف بن مُعَاذ؛ كان أشرفَ حَضْرميّ بمصر في أيامه، ولم يكن خليفة من بعد الوليد إلا وقد آستعمله؛ كان هشام بن عبد الملك قد شرّفه ونوّه بذكره وولّاه مصر بعد الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم نحواً من شهر ثم عزَله. فدخل على هشام فألفاه في التجهيز إلى الترك فولّاه الصائِفةَ فغزا ثم رجع فوُلِّي نحر مصر سنة تسعَ عشرةَ ومائة وسنة عشرين ومائة وسنة إحدى وعشرين ومائة وسنة اثنتين وعشرين ومائة. فلما قُتل كُلثوم بنِ عياض القُشيريّ عامل هشام على إفريقية، وكان قتلُه في

(١) في الكندي «وأمره أن يفرض الثلاثين ألفاً». وفي المقريزي: «أمر حفصاً باللحاق بجنده وأمَّره على ثلاثين ألفاً».

(٢) ذكر الكندي أن الذي خرج ببيعة أهل مصر إلى يزيد: عقبة بن نعيم الرعيني، والربيع بن عون بن خارجة بن حذافة العدوي، وحواش بن حميد الحمصي، وهانىء بن المنذر الكلاعي، وعمرو بن الحارث الفقيه مولى الأنصار.

ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين ومائة، كتب هشام إلى حنظلة بن صفوان الكلبيّ عامله على جند مصر بولايته على إفريقية فشخص إليها. وكتب إلى حفص بن الوليد بولاية جند مصر وأرضها، فوَلي حفصٌ عليها بقيّة خلافة هشام، وخلافة الوليد بن يزيد، وخلافة يزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد إلى سنة ثمان وعشرين ومائة. وحدّث عنه يزيد بن أبـي حبيب، وعمرو بن الحارث، واللّيث بن سعد، وعبد الله بن لَهِيعة وغيرُهم. وكان ممن خَلع مروانَ مع رَجاء بن الأَشْيَم الحميريّ(١) وثابت بن نُعيم بن زيد بن رَوْح بن سلامة الجُذاميّ وزامل بن عمرو الحرّاني(٢) في عدّة من أهل مصر والشام، فقتله حَوْثَرة بن سُهيل الباهِليّ بمصر في شوّال سنة ثمان وعشرين ومائة، وخبرُ مَقْتله يطول.

وقال المِسْوَر الخَوْلانيّ يحذّر ابنَ عمّ له من مروان ويذكر قتل مروانَ حفصَ بن الوليد ورجاءَ بن الأَشْيم ومن قُتل معهما من أشراف أهل مصر: [الطويل]

وإن أميـر الـمـؤمـنـيـن مُـسَـلَّطٌ ... على قتـل أشراف البـلاد فـأعْلمِ
فـإيـاك لا تَجْني من الشـر غَلطةً ... فَتُودِي(٣) كحفصٍ أو رجاءَ بن أَشْـيَمِ
فلا خير في الدنيا ولا العيشِ بعدَهم ... وكيف وقـد أضحَوْا بسَفـح المقـطّم

قال ابن يونس: حدّثنا أحمد بن شعيب، حدثنا عبد الملك بن شعيب بن اللّيث، حدّثني أبـي عن جدّي عن يزيد بن أبـي حبيب عن حفص بن الوليد عن محمد بن مُسلم عن عبيد الله بن عبد الله، حدّثه أن ابن عباس حدّثه: أن شاة ميّتة كانت لمولاة ميمونة من الصَّدَقة فأبصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «انزعوا جِلدَها فانتفِعوا به» قالوا: إنها ميّتة، قال: «إنما حَرُم أكلُها».

قال أبو سعيد بن يونس: أسند حفص غيرَ هذا الحديث: حدّثني أبـي عن جدّي أنه حدّثه ابن وهب حدّثني اللّيث: أن حفص بن الوليد أوّل ولايته بمصر أمر

---

(١) في ولاة مصر: ١١١ «الحضرمي».
(٢) في الطبري (حوادث سنة ١٢٧) : «الجبراني».
(٣) في الأصول: «فتؤذي». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب.

بقَسْم مواريث أهل الذّمّة على قَسْم مواريث المسلمين، وكانوا قبل حفص يَقْسِمون مواريثهم بقَسم أهل دينهم. انتهى كلام آبن يونس. وقد ساق آبنُ يونس ترجمة حفص على سياق واحد ولم يَدَع لولايته الثالثة على مصر شيئاً. ولا بدّ من ذكر ولايته الثالثة هنا لما شَرطناه في كتابنا هذا من ذكر كلّ والٍ في وقته وزمانه، ونذكره إن شاء الله تعالى بزيادات أخر.

* * *

السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر

وهي سنة أربع وعشرين ومائة.

فيها عاثت الصُّفْريّة ببلاد المغرب وحاصروا قابِساً(١) ونصبوا عليها المجانيق. وافترقت الصفرية بعد قتل مَيْسرة فرقتين(٢). ثم ولّى الخليفةُ حنظلَة أميرَ مصر أمرَ إفريقيّة لمّا بلغه قتل كلثوم، كما تقدّم ذكره.

وفيها قدِم جماعة من شِيعة بني العباس من خُراسان إلى الكوفة يريدون أخْذَ البَيْعة لبني العباس فأُخِذوا وحُبسوا ثم أُطلقوا.

وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة والتقاه ملك الروم [أليون](٣) فهزمه سليمان وغنِم.

وفيها قُتل كلثوم(٤) بن عِياض، أمير المغرب، من الطبقة الرابعة من تابِعي أهل الشأم؛ وكان جليلاً نبيلاً فصيحاً له خطب ومواعظُ. قُتل بالمغرب في وقعة كانت بينه وبين مَيْسرة الصُّفْريّ. ثم مات ميسرة أيضاً في آخر السنة.

---

(١) قابس: مدينة بين طرابلس الغرب وسفاقس، على ساحل البحر.

(٢) فرقة عليها خالد بن حميد، وفرقة عليها سالم أبو يوسف الأزدي. (خليفة: ٣٥٤).

(٣) زيادة عن الطبري وابن الأثير.

(٤) راجع ص ٣٧٠ من هذا الجزء ـ حاشية (١).

وفيها توفّي الزُّهْـرِيّ، واسمه محمـد بن مُسْلم بن عبيد الله بن عبـد الله بن شِهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة، الإمام أبو بكر القُرَشيّ الزُّهريّ المدنيّ أحد الأعلام، من تابِعي أهل المدينة من الطبقة الرابعة؛ كان حافظ زمانه. قال اللّيث بن سعد: قال ابن شِهاب: ما صبرَ أحد على العلم صَبْرِي، ولا نشره أحد نشري. وُلِد سنة خمسين، وطلب العلم في أواخر عصر الصحابة، وله نيّف وعشرون سنة. فروى عن آبن عمر حديثين، وروى عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، ورويَ عنه الجَمّ الغفير. اهـ.

وذكر الذهبـيّ جماعة أخر، قال: توفّي عبد الله بن قيّس الجُهَنيّ، وعمرو بن سُلَيْم الزُّرَقِي أبو طلحة، والقاسم بن أبـي بَزّة المكّي، ومحمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة، ومحمد بن مسلم بن شِهاب الزُّهْريّ، وقد تقدّم ذكره، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس، وأبو جمرة (بالجيم والراء) نَصْر بن عِمران الضُّبَعِيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وآثنا عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة[١] عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر

وهي سنة خمس وعشرين ومائة:

فيها كانت فتن كثيرة بالمغرب بين الأمير حنظلة بن صفوان المعزول عن إمرة مصر والمتولّي إفريقيّة وبين عُكاشة[٢] الخارجيّ. فكانت بينهم وقعة لم يُسْمَع بمثلها، وآنهزم عكّاشة وقُتل من البربر ما لا يُحصى؛ ثم آلتقى حنظلة ثانياً مـع عبد الواحد على فرسخ من القَيْرَوان، وجمـع عبد الواحد ثلاثمائة ألف مقاتل، فبذل

(١) في بعض النسخ: «ثمانية عشر».

(٢) عكاشة بن أيوب الفزاري.

حنظلةُ الأموالَ وضجّ الناسُ والنساء والأطفال بالدعاء، وبقي حنظلة يسير بين الصفوف بنفسه ويحرّض على القتال. وكَسَر أصحابُ حنظلة أغمادَ سيوفهم والتحمت الحرب وانكسرت مَيْسَرةُ الإِسلام، وحنظلة على تحريضه حتى تراجعوا، وهزَم اللّهُ عبد الواحد وجيوشَه ثم قُتل؛ وأُتِي حنظلة برأسه؛ وقُتل من البربر مقتلة عظيمة لم يُسمع بمثلها، فكانت هذه مَلْحمة مشهودة؛ ثم أُسِر عكّاشة وأُتِي به إلى حنظلة فقتله وقتل جماعة كثيرة من أصحابه. وقيل: أُحْصِي من قُتل في هذه الوقعة فبلغوا مائة ألف وثمانين ألفاً. وهذه الملحمة أعظمُ ملحمة وقعت في الإِسلام بالمغرب.

وفيها عقد الوليد بن يزيد بن عبد الملك البيْعة لابنيْهِ الحكم وعثمان في شهر رجب بعد أن وَلِي الخلافة بشهر واحد، وكتب بذلك إلى الآفاق.

وفيها توفّي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العبّاسي الهاشمي؛ ومحمدٌ هذا هو والد السفاح، أوّل خلفاء بني العباس، وكنيته أبو عبد الله، وكان أصغر من أبيه علي بأربع عشرة سنة. فلما شابا خضّب أبوه عليّ بالسواد وابنُه محمد هذا بالحِنّاء، فلم يُفرَّق بينهما إلا بالخِضاب لتشابههما. ومولد محمد هذا بالقرب من أرض البَلْقاء سنة ثمان وخمسين وقيل: سنة ستين. وفي الليلة التي مات فيها محمد هذا ولد فيها محمد المهديّ بن أبي جعفر المنصور، فسُمي المهديّ على آسم جدّه محمد المذكور وكُني بكنيته. وكان محمد هذا بويع بالخلافة سِرّاً وفرّق الدعاة في البلاد، فلم يتم أمرُه ومات.

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشيّ الدمشقي أبو الوليد؛ ولد سنة نيّف وسبعين واستُخلف بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك، واستُخلف وعمره أربع وثلاثون سنة، ودام في الخلافة تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياماً؛ وكان جميلَ الصورة يخضب بالسواد، وبعينيه حَوَل مع كَيْس. وأمه فاطمة بنت هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ.

قال مُصْعَب الزُّبَيْري: زعموا أن عبد الملك رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرّات، فدسَّ من يسأل سعيد بن المُسَيِّب عنها، وكان يعبِّر الرؤيا، وعظُمت على عبد الملك، فقال سعيد بن المسيِّب: يملك من ولده لصُلبه أربعةٌ، فكان هشام هذا آخرَهم، لأن أوّلهم الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام.

قال حَماد[1] الراوية: لما وَلِي هشام الخلافة طَلبني فحضَرتُ عنده فوجدته جالساً في فرش قد غَرِق فيه، وبين يديه صحفة من ذهب مملوءة مِسكاً مَذُوباً بماء ورد وهو يقلّبه بيده فتفوح رائحته، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، وقال: يا حماد، إني ذكرت بيتاً من الشعر ما عرفت قائلَه وهو هذا: [الخفيف]

ودَعَوْا[2] بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ في يمينها إبريقُ

فقلت: هو لعَديّ[3] بن زيد، فقال: أنشدني القصيدة، فأنشدته إياها، فقال: سَلْ حاجتك، وكان على رأسه جاريتان كأنهما أقمار، وفي أذن كل واحدة منهما جوهرتان يُضيء منهما المنزل، فقلت: يا أمير المؤمنين، جارية من هاتين، فقال: هما لك، وأمر لي بمائة ألف درهم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً.

السنة الثالثة من ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر

وهي سنة ست وعشرين ومائة.

فيها خرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك على آبن عمه الخليفة الوليد بن

---

(١) هو حمّاد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم. أول من لقّب بالراوية، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. توفي سنة ١٥٥هـ.

(٢) رواه صاحب الأغاني (٥٥/٧ ـ دار الكتب العلمية): «ثمَّ ثاروا إلى الصبوح فقامت» إلخ.

(٣) عدي بن زيد بن حمّاد العبادي التميمي: شاعر من دهاة الجاهليين. توفي سنة ٣٥ق هـ.

يزيد بن عبد الملك لما آنتهك الوليدُ المذكور الحرمات وكثُر فسقُه وسمّته الرعية على قِصَر مدّته. فبُويـع يزيدُ هذا بالمِزّة[1] ووثب على دمشق وجهّز عسكراً لقتال الخليفة الوليد. وكان الوليد بتَدْمُر قد آنهزم إليها عاكفاً على المعاصي بها، فخرج الوليد وقاتل العسكر وانكسر وقُتل بنواحي[2] تَدْمُر، على ما يأتي ذكره؛ وتَمّ أمر يزيد في الخلافة، وسُمّي بالناقص[3]، لكنه لم تطل مدته أيضاً ومات، على ما يأتي ذكره أيضاً.

وفيها توفّي خالد بن عبد الله بن يزيـد بن أسد بن كُـرْز بن عامـر البَجَلِيّ القَسْريّ؛ ولي خالد المذكور أعمالاً جليلة مثل مكّة المشرّفة والعراق وغيرهما. وكانت أمّه نَصرانيّة فكان يُعيَّر بها؛ وكان بخيلاً على الطعـام جدّاً؛ ذكـر عنه أبو المظفَّر أموراً شنيعة من هذا الباب.

وفيها توفّي الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبـي العاص بن أميّة (الهاشميّ)[4] الأمويّ الدمشقيّ المعروف بالفاسق؛ ولد سنة تسعين وقيل سنة اثنتين وتسعين. ولما آحتُضر أبوه يزيد بن عبد الملك لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبـيّ، فعَهِد إلى أخيه هشام بن عبد الملك وجعل آبنه هذا الوليد ولّي العهد من بعد هشام. وأمّ الوليد بنتُ محمد بن يوسف الثقفيّ، فالحّجاج عمّ أمه. ولما مات عمُّه هشام وولي الخلافةَ وصدرت عنه تلك الأمور القبيحة المشهورة عنه: من شُرب الخمر والفجور وتخريق المصحف بالنُّشّاب. وذكر عنه بعضُ أهل التاريـخ أموراً آستبعد وقوعَها، منها: أنه دخل يوماً فوجد ابنته جالسة مـع «دادَتها»[5] فبرك

---

(١) المِزّة (بكر الميم): قرية كبيرة غناء وسط بساتين دمشق. بينها وبين دمشق نصف فرسخ (ياقوت: ١٢٢/٥). والعامـة يلفظونها بفتـح الميم.

(٢) بمكان يدعى «البخـراء» من تدمر على أميال (خليفة: ٣٦٣).

(٣) لقِّب بالناقص لكونه نَقَص الجند من أعطياتهم (تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٥٢).

(٤) كذا في الأصول. وهو خطأ: لأن الوليد هذا من ولد عبـد شمس بن عبد منـاف أخي هاشم بن عبد مناف. ويقال في النسبة إلى عبد شمس: «العبشمي».

(٥) في الأغاني (٧٢/٧): «حاضنتها». والدّادة: لفظ أعجمي بمعنى المربية أو الحاضنة، ما زال مستعملاً حتى اليوم في عدد من البلدان العربية.

عليها وأزالَ بَكَارتها، فقالت له «دادتها»: هذا دينُ المجوس، فأنشد: [مخلّع البسيط]

مَنْ[١] راقَب الناسَ مات غمّاً وفاز باللّذة الجسورُ

قال: وأخذ يوماً المصحف وفتحه، فأوّل ما طلع له ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢]، فقال: أتُوعِدُني! ثم علّقه ولا زال يضربه بالنّشاب حتى خَرقه ومزّقه وهو ينشد: [الوافر]

أتُوعِد[٣] كلَّ جَبَّار عنيد فهأنا ذاك جبّارٌ عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حَشْرٍ فقل يا ربِّ خرّقني الوليد

ولما كثُر فسقه خلَعوه من الخلافة بآبن عمه يزيد بن الوليد وقتلوه في جُمادى الآخرة؛ وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وتوفّي آبن عمّه يزيد المذكور بعده بمدة يسيرة، كما سيأتي ذكره.

وفيها: توفّي سعيد[٤] بن مَسْروق والد سفيان الثَّوْري.

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الهاشميّ[٥] الأمويّ الدمشقيّ أبو خالد، المعروف بيزيد الناقص، لأنه نَقَص الجند من عطائهم لمّا ولِي الخلافةَ. وكان الوليد آبن عمه زاد الجند زيادات كثيرة فنقصها يزيد هذا لمّا وَلِي الخلافة ومشّى الأمور على عاداتها. وثب يزيد على الخلافة لمّا كثُر فسق آبن عمه الوليد، وتمّ أمره بعد قتل الوليد، وبُويع بالخلافة في

(١) علّق أبو الفرج على هذا الخبر بقوله: «وأحسب أن هذا الخبر باطل، لأن هذا الشعر لسَلْم الخاسر، ولم يدرك زمن الوليد». وسلم الخاسر توفي سنة ١٨٦هـ. قيل: سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً.

(٢) سورة إبراهيم: ١٥.

(٣) برواية ابن طباطبا في الفخري (ص ١٣٤): «تهدّدني بجبّار عنيد» ثم «إذا ما جئت ربّك يوم بعث». وبرواية صاحب الأغاني (٧/٦٠): «فقل لله مزّقني الوليد».

(٤) في خليفة أنه توفي سنة ١٢٧هـ. وفي طبقات ابن سعد: سنة ١٠٨هـ.

(٥) انظر ص ٣٧٩ من هذا الجزء، حاشية (٣).

جُمادى الآخرة من سنة ست وعشرين ومائة المذكورة. وأم يزيد هذا شاه فرند[١] بنت فَيْروز بن يَزْدَجْرد؛ حكي أن قُتَيْبة بن مُسْلم ظفِر بما وراء النهر بابنَتيْ فيروز فبعث بهما إلى الحجّاج بن يوسف، فبعث الحجاج بإحداهما، وهي شاه فرند، إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيدَ هذا. وكانت أم فيروز بن يزدجِرْد بنت شِيرَوَيْه بن كسرى، وأم شِيرَوَيْه بنت خاقان، وأمّ أمّ فيروز هي بنت قيصر عظيم الروم، ولهذا كان يزيد يفتخر ويقول: [السريع]

أنا ابن كِسْرَى وجَدّي[٢] مروانْ وقيصرٌ جَدّي وجدّي خاقانْ

قلت: وكان يزيد هذا لا بأس[٣] به، غير أن أيامه لم تطُل. ومات في سابع ذي الحجّة من سنة ست المذكورة.

وذكر الذهبيّ وفاة جماعة كثيرة في هذه السنة مختلَف في وفاتهم، كما هي عادة سياقه، فإنه يذكر الواحد في عدّة أماكن، فنحن نذكر مقالته ولا نتقيّد بها، ومَن وقع لنا ممّن ذكره ترجمناه على عادة كتابنا هذا في محله، قدّمه الذهبي أو أخّره، فقال: توفي جَبَلة بن سُحيْم، وخالد بن عبد الله القَسْريّ الأمير، ودَرّاج أبو السَّمْح، وسعيد بن مسروق والد سفيان الثوريّ، وسليمان بن حبيب المحاربيّ، وقد تكرّر في عدّة سنين، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، والكُمَيْت بن زَيْد الشاعر، وعبيد الله بن أبي يزيد المكّي، وعمرو بن دِينار، والوليد قُتل في جُمادى الآخرة فكانت خلافته خمسة عشر شهراً، ويزيد بن الوليد الناقص مات في ذي الحجة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وستة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثني عشر إصبعاً.

---

(١) كذا أيضاً في ابن الأثير والسيوطي. وفي الطبري: «شاه آفريد» وفي خليفة «وأمه بنت يزدجرد بن كسرى».

(٢) في السيوطي وابن كثير والطبري «وأبي» وهو الصواب، إذ به يستقيم وزن الشعر.

(٣) يروى عنه أخبار تشير إلى صلاحه واستقامته، خاصة خطبته يوم تولى الملك، ونهيه بني أمية عن الغناء وغير ذلك، حتى قيل: «الأشجّ والناقص أعدلا بني أمية» والمراد بالأشجّ: عمر بن عبد العزيز. (انظر في ذلك: تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٥٢، والفخري: ١٣٦، والبداية والنهاية: ١٠/١٨).

ذكر ولاية حسّان بن عَتَاهِيَةَ على مصر(١)

هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسّان بن عتاهية بن خُزَز(٢) بن سعد(٣) بن معاوية التُّجِيبيّ. وقال صاحب «البغية»: حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن. اهـ.

ولّاه مروانُ بن محمد بن المعروف بالحمار على إمْرة مصر وهو بالشأم، فأرسل حسّان من الشأم بكتاب إلى آبن نُعَيم(٤) بآستخلافه على صلاة مصر إلى أن يحضُر من الشأم، فسلّم حفصُ بن الوليد الأمرَ إلى آبن نعيم؛ ثم قَدِم حسّان المذكورُ إلى مصر في ثَانِي عَشَرَ جُمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلاة لا غير. وزاد صاحب «البغية» وقال: قدم في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة. اهـ.

وكان عيسى بن أبي عَطَاء على الخراج، فلما آستقرّ أمر حسّان في إمرة مصر أسقَط الفروضَ التي كان قرّرها حفص بن الوليد في ولايته وقطعَ [فروض](٥) الجند كلها، فوثبوا عليه وقاتلوه وقالوا: لا نرضى إلا بحفصٍ. وركبوا إلى المسجد ودَعَوْا إلى خلع مروان الحمار من الخلافة وحَصَروا حسّانَ في داره، وقالوا له: اخرج عنا، فإننا لا نقيم معك ببلد. ثم أخرجوا عيسى بن أبي عَطاء صاحبَ الخراج من مصر، كل ذلك في آخر جُمادى الآخرة، ثم أخرجوا حفصاً من سجنه وولَّوْه أمرهم. وتوجه حسان هذا إلى الشأم ودام بها من جملة أمراء بني أمية إلى أن زالت دولة بني

(١) ولاة مصر: ١٠٧، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.
(٢) في الكندي «خُذَذ».
(٣) في الكندي «سعيد».
(٤) في الكندي «خير بن نعيم الحضرمي». وفي بعض النسخ: «جبير».
(٥) زيادة يقتضيها السياق.

أميّة وتولّت العباسيّة. قُتل حسّان هذا مع من قُتل بمصر من أعوان بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وكانت ولاية حسّان على مصر ستة عشر يوماً وقيل: إن حسان كان من أعوان بني العباس، والأوّل أشهر؛ وتولّى بعده حفص بن الوليد ثالثاً.

وقال الحافظ أبو سعيد بن يونس: شهد حسان بن عتاهية جدّ عتاهية والد صاحب الترجمة فَتْح مصر وصَحِب عمر بن الخطاب؛ وابنه عبد الرحمن بن حسان بن عتاهيةَ يَروي عنه مُخَيِّس بن ظِبْيان، وفي نسخة: عبد الغني.

وحدّثني أحمد بن علي بن دارح بن رجب الخَوْلاني حدّثني عمي عاصم بن دارح حدّثنا عبيد الله بن سعيد بن كَثِير بن عُفَيْر حدثني أبي حدثني عمرو بن يحيى السُّدّي حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج قال: سألني أبو جعفر المنصور: ما فعل حسان بن عَتَاهِيَة؟ قلت: قتلَه شُعْبة. قال: قتله اللَّهُ. كان لنا جليساً عند عَطَاء بن أبي رَبَاح. قال سعيد بن كثير: شعبة هذا هو ابن عثمان التميمي؛ كان على المصرية[١]، وهو أوّل من قَدِم مصر من قوّاد المُسَوِّدَة[٢]، وكان على مقدّمة عامر بن إسماعيل المُراديّ الجُرجانيّ الذي قَتل مروان بن محمد الحمار.

ضبطُ الأسماء الغريبة في هذه الترجمة: (عتاهية) بفتح العين المهملة والتاء المثناة، و(خزز) بفتح[٣] الخاء المعجمة والزاي الأولى وسكون الزاي الثانية، و(التجيبي) بضم التاء المثناة من فوق وكسر الجيم وياء ساكنة وباء ثانية الحروف.

---

(١) كذا بالأصول. وفي الكندي «المضَريّة».

(٢) المسوِّدة هم خلفاء بني العباس؛ وكان شعارهم السّواد.

(٣) كذا بالأصل. وفي القاموس المحيط للفيروزآبادي: بضم الخاء.

ذكر ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر[١]

ولما ثار أهل مصر على حسّان بن عتاهية وأخرجوه منها لحِق بالخليفة مروان بن محمد بن مروان المعروف بالحمار في الشأم، وذكر له حسان ما وقع له مع أهل مصر؛ واستمرّ حفص بن الوليد على صلاة مصر شهر رجَب وشعبان. وقدم الأمير حنظلة بن صفوان من إفريقية، وقد أخرجه أهلها فنزل بالجيزة غربيّ مدينة مصر، ودام هناك إلى أن قدِم عليه كتاب الخليفة مروان الحمار بولايته على مصر، فامتنع المصريُّون من ولاية حنظلة بن صفوان عليهم، ومنعوه من الدخول إلى مصر وأظهروا الخلاف. ثم أخرجوا حنظلة من الجيزة إلى الوجه الشرقيّ، ومنعوه من المُقَام بالفُسْطاط، وحاربوه فحاربهم فهُزِم، وتم أمر حفص؛ وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة. ثم عُزِلَ حفص في مُستهلّ سنة ثمان وعشرين ومائة ووُلّي عِوَضَه على مصر الحَوْثَرَةُ بن سهَيل أخو عَجْلان الباهليّ. وواقع الحوثرةُ حفصاً وقتله، كما ذكره ابن يونس وغيره في ترجمته الثانية. وكان قتل حفص المذكور في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شوّال سنة ثمان وعشرين ومائة؛ ورثاه صديقه أبو بحر مولى عبد الله بن إسحاق مولى آل الحَضْرميّ من حلفاء عبد شمس بعدّة قصائد، وكان أبو بحر إماماً في النحو واللغة؛ تعلّم ذلك من يحيى بن يَعْمَر، ومات في سنة سبع وعشرين ومائة؛ وكان أبو بحر يَعيب الفرزدَق في شعره وينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدقُ بقوله: [الطويل]

فلو كان عبد اللّه مولًى هجوتُه ولكنّ عبدَ الله مولَى مواليا

فقال له أبو بحر عبد الله المذكور: قد لَحَنْتَ أيضاً يا فرزدق في قولك: مولى مواليا، بل كان ينبغي أن تقول: مولى موالٍ.

* * *

(١) ولاة مصر: ١٠٩، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

السنة الأولى من ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر

وهي سنة سبع وعشرين ومائة ــ على أنّ حَسّان بن عَتَاهِية حكم منها على مصر ستة عشر يوماً في جمادى الآخرة.

فيها وقع بالشأم وغيره عدّة فتن وحروب من قِبَل مروان الحمار وغيره حتى وَلِي الخلافةَ وخلَع إبراهيم بن الوليد الذي كان تخلّف بعد موت أخيه يزيد بن الوليد الناقص ولم يتمّ أمره؛ وكان مروان المذكور متولِّيَ أذْرَبيجان وإرمِينيَة، فلما بلغه موتُ يزيد جمع الأبطال والعساكر وأنفق عليهم الأموال حتى بلغ قصدَه ووَلِيَ الخلافةَ وتمّ أمره؛ وفي آخر السنة المذكورة بايع مروان لابنيه عبيد الله وعبد الله بالعهد من بعده وزوّجهما بآبنتَيْ هشام بن عبد الملك، ولم يدر ما خُبِّىء له في الغيب من زوال دولته ببني العباس.

وفيها حجّ بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأمويّ وهو أمير مكة والمدينة والطائف.

وفيها خلع سليمان بن هشام مروانَ الحمار من الخلافة. وكان سليمان بمدينة الرّصافة، ووقع له مع مروان أمور وحروب.

وفيها توفّي الحَكَم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمويّ؛ وكان الوليد عَقَد له ولأخيه عثمان ولاية العهد بعده، وآستعمَلَ الحكَم هذا على دِمَشْق وعثمانَ على حِمْص حتى عزلهما يزيد بن الوليد الناقص.

وفيها توفّي عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان أبو الأَصْبَع؛ وهو الذي تولّى قتل الوليد بن يزيد فولّاه يزيد الناقص العهدَ بعد أخيه إبراهيم.

وفيها توفّي مالك بن دينار العابد الزاهد أبو يحيى البصريّ، أحد الأعلام الزهّاد، قيل: إن أُدْم مالك المذكور كان في السنة بفَلْسَيْن مِلْحاً، وكان يلبَس إزارَ صوف وعَبَاءة خفيفة وفي الشتاء فروةً؛ وكان ينسخ المصحف في أربعة أشهر؛ وفي شهرته ما يُغني عن الإطناب في ذكره.

وفي هذه السنة أيضاً كان الطاعون بالشأم ومات فيه خلائق لا تُحْصَى، وكان هذا الطاعون يسمى بـ «طاعون غُرَاب».

ذكر الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم على القاعدة المتقدّم ذكرها في سنة ست وعشرين ومائة. قال: وتوفي إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّيّ، وبُكَيْر بن عبد الله بن الأشَجّ على الأصح، وسعد بن إبراهيم في قول، وعبد الرحمن بن خالد بن مُسَافِر الفِهْريّ، وعبد الكريم بن مالك الجَزَريّ، وعبد الله بن دِينار المدنيّ، وعمرو بن عبد الله أبو إسحاق السَّبِيعيّ، وعمير بن هانىء العَنْسيّ، ومالك بن دينار الزاهد في قولٍ، ومحمد بن واسِع في قول خليفةَ، ووَهْب بن كَيْسَان أيضاً.

أمر النيل:

الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وآثنا عشر إصبعاً.

ذكر ولاية حَوْثَرة بن سُهَيْل على مصر[١]

هو حَوْثرة بن سهيل أخو[٢] عَجْلان بن سهيل [بن كعب بن عامر بن عمير بن رِياح بن عبد الله بن عبد قرّاص][٣] الباهليّ أمير مصر؛ ولّاه مروانُ الحمار على إمرة مصر بعد أن عزَل عنها حفصَ بن الوليد المقدّم ذكره، وجهّز صُحْبته العساكرَ لقتال حفص بن الوليد. فخرج حوثرة من الشأم وسار منها بالعساكر حتى وصل إلى مصر في يوم الأربعاء لاثنتي عشرةَ ليلةً خلَت من المحرّم سنة ثمان وعشرين ومائة. وزاد صاحب «البغية» فقال: ومعه سبعة[٤] آلاف فارس، وولّاه مروان على الصلاة وعيسى بن أبـي عَطَاء على الخراج. اهـ. ولما وصل حَوْثرة إلى مصر أجمع جندُ مصر وأهلها على منعه من الدخول إلى مصر فأبـى عليهم حفص بن الوليد ونهاهم عن ذلك، فخافوا حوثرةَ وسألوه الأمان فأمّنهم[٥] ونزل بظاهر الفُسطاط، وقد آطمأنوا إليه. فخرج إليه حفص بن الوليد في وجوه الجند فقبض حوثرة عليهم وقيّدهم وأوسـع الجندَ سبّاً فانهزم الجندُ؛ فقام حوثرة من وقته ودخل إلى مصـر ومعه عيسى بن أبـي عطاء وهو على الخراج على عادته وحوثرة على الصلاة لا غير؛ وبعث حوثرة في طلب رؤساء مصر فجُمِعوا له فضرب أعناقَهم وفيهم رجاء بن الأَشْيَم الحِمْيريّ[٦] من كبار المصريين، ثم أخذ حفصَ بن الوليد فقتله. وأخذ في تمهيد

(١) ولاة مصر: ١١٠، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٠٥.

(٢) في الكندي والمقريزي: «ابن العجلان».

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) ذكر الكندي أن هذا العدد هو عدد الوضّاحية فقط، وكان عليهم عمرو بن الوضّاح؛ هذا بالإضافة إلى العساكر من حمص وعليهم نمير بن يزيد بن حصين بن نمير الكندي، ومن الجزيرة وعليهم موسى بن عبد الله الثعلبـي، ومن قنسرين وعليهم أبو جمل بن عمرو بن قيس الكندي.

(٥) ذكر الكندي أن أهل مصر لما خافوا حوثرة بعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمي فسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا فأجابه الحوثرة إلى ما سأل وكتب لهم كتاباً بعهد وأمان.

(٦) في الكندي: «الحضرمي».

أمور مصر، وتمّ أمره إلى سنة إحدى وثلاثين ومائة [ثم][١] عزله مروان الحمار عن إمرة مصر وبعثه إلى العراق لقتال الخُراسانيّة دُعاةِ بني العباس فقُتل هناك، وكان آستخلف على مصر أبا الجرّاح بشر بن أَوْس[٢]. وكان خروجه من مصر لعشر خلون من شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، فكانت ولايتُه على مصر ثلاث سنين وستة أشهر. ووليِ مصرَ من بعده المُغيرةُ بن عبيد[٣] الله الآتي ذكره.

ولما توجّه حوثرة إلى الشأم ووجّهه مروان الحمار إلى العراق نَجْدةً لابن هُبَيْرة فتوجه إلى العراق ووقع له بها أمور. ولم يزل مع مروان الحمار إلى أن انكسر مروان من أبي مُسْلم الخراسانيّ صاحب دعوة بني العباس، وقيل: فقتل حوثرة هذا مع من قُتل من أعوان بني أمية فإنه كان مولى لبني أميّة ومن كبار أمرائهم. يقال: إنهم طحنوه طحناً لما ظفِروا به حتى مات، فإنه كان شجاعاً مقداماً صاحب رأي وتدبير وقوّة وخبرة بالحروب. اهـ.

وأما أمرُ حوثرة لما توجّه إلى العراق لابن هبيرة فإنه وصل إليه، وفي وصوله له قدم على يزيدَ بنِ هبيرة[٤] آبنُه داود منهزماً، فخرج يزيد بن هبيرة ومعه حوثرة هذا إلى نحو قَحْطبة[٥] في عدد كثير لا يحصى وساروا حتى نزلوا جَلُولاء[٦]. واحتفر آبنُ هبيرة الخندقَ الذي كانت العرب[٧] احتفرته أيام وقعة جَلُولاء، وأقام به. وأقبل قحطبة إلى جهة ابن هبيرة فارتحل ابن هبيرة وحوثرة بمن معهما إلى الكوفة لقحطبة،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الكندي: حسان بن عتاهية. قال: وقال ابن ميسرة: استخلف عليها أبا الجرّاح الحَرَشيّ.

(٣) في الأصل «عبد الله». وما أثبتناه عن الكندي والمقريزي. وفي حسن المحاضرة للسيوطي: المغيرة بن عبيد الفزاري.

(٤) يزيد بن عمر بن هبيرة، كما في الطبري وابن الأثير وخليفة.

(٥) قحطبة بن شبيب. كان قائد جيوش أبي مسلم الخراساني.

(٦) مدينة من سواد بغداد في طريق خراسان. كانت فوق النهر الذي تسير فيه السفن من بعقوبا إلى باجسرا. وبها كانت الواقعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٦هـ، ولذلك تسمى «جلولاء الوقيعة»، تمييزاً لها عن جلولاء المدينة المشهورة بإفريقية على أربعة وعشرين ميلاً من القيروان. (انظر: ياقوت: معجم البلدان: ٢/١٥٦ والمشترك: ١٠٦).

(٧) في بعض النسخ: «العجم»، وهو ما يوافق رواية ابن الأثير في أخبار سنة ١٦هـ.

وقدم حوثرة هذا أمامه في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة، وقيل: إن حوثرة لم يفارق يزيد بن هبيرة؛ وأرسل قحطبة طائفةً من أصحابه إلى الأنْبار وغيرها وأمرهم بإحدار ما فيها من السفن ليعبُر الفُرات فبعثوا إليه كل سفينة كانت هناك. فقطع قحطبة الفرات حتى صار في غربيّه، ثم سار يريد الكوفةَ حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة وحوثرة، وذلك في محرّم سنة اثنتين وثلاثين ومائة لثمان مضين منه. وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من [أرض][1] الفَلُّوجة[2] العليا على ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، وكان قدم عليه أيضاً ابن ضُبارة[3] نجدةً بعد حوثرة بن سهيل الباهليّ المذكور، فقال حوثرة لابن هبيرة: إن قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاْقصد أنت خراسان ودعه ومروان فإنك تكسره وبالْحَرَى أن يتبعك، قال ابن هبيرة: ما كان ليتبعني ويدع الكوفة، ولكن الرأي أن أُبادره إلى الكوفة. فعبَر الدجلة من المدائن يريد الكوفة، واستعمل على مقدّمته حوثرة المذكور وأمره أن يسير إلى الكوفة، والفريقان يسيران على جانبي الفرات، وقد قال قَحطبة لأصحابه: إن الإمام أخبرني أن لي بهذا المكان وقعةً يكون النصر [فيها][4] لنا. ثم عبَر قحطبة من مخاضة وقاتل حوثرة ومحمد بن نُباتة فانهزم حوثرة ومحمد بن نباتة وأخوه ولحِقوا بابن هبيرة، فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم ولحِقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح وغير ذلك. وقيل: إن حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة يزيد بن هبيرة فسار إليه بمن معه. وأما أمْر قحطبة فإنه فُقِد من عسكره بعد هزيمة عساكر آبن هبيرة، فقال أصحاب قحطبة: من عنده عَهْدٌ من قحطبة فليُخْبِر به، فقال مُقاتِل بن مالك العَكيّ[5]: سمعت قحطبة يقول: إن حدَث بي حدَث فالحسن ابني أميرُ الناس. فبايع الناسُ حُمَيدَ بن قحطبة لأخيه الحسن، وكان قد سيّره أبوه قحطبة في سَرِيّة؛ ثم أرسلوا إليه وأحضروه وسلّموا إليه الأمر ثم بعثوا[6] على قحطبة

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) الفلّوجة العليا والفلّوجة السفلى: قريتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر.

(٣) هو عامر بن ضبارة المري، كما في خليفة والطبري وابن الأثير.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) كذا أيضاً في الطبري. وفي ابن الأثير: «العتكي».

(٦) في الأصول: «حثوا». والتصحيح من ابن الأثير.

فوجدوه في جدول هو وحرب بن سالم بن أحْوَز[١] قتيلين، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه. وقيل: إن مَعْن بن زائدة ضرب قحطبة على عاتقه فسقط في الماء فأخرجوه، فقال: شُدّوا يديّ إذا أنا متّ وألقوني في الماء لئلا يعلَم النَاسُ بقتلي ثم كونوا في أمركم، فوقع ذلك حتى انهزم عسكر آبن هبيرة.

* * *

السنة الأولى من ولاية حوثرة بن سُهَيل على مصر

وهي سنة ثمان وعشرين ومائة.

فيها بعث إبراهيم العباسيّ أبا مسلم إلى خراسان وأمّره على أصحابه وكتب إليهم بذلك، فأتاهم فلم يقبلوا منه. وخرج مِن قابِل إلى مكة وأخبره أبو مسلم بذلك، ثم أرسله ثانياً كما سيأتي ذكره.

وفيها توفي إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّي صاحب التفسير والمغازي والسِّيَر؛ كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة؛ وقيل: إنه مات سنة سبع[٢] وعشرين ومائة.

وفيها توفّي جابر بن يزيد الجُعْفِيّ، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل الكوفة. وقد تُكلم فيه وضعّفه بعضهم.

وفيها توفي حُيَيّ بن هانىء المَعَافريّ، أبو قبيل (وأبو قبيل بفتح القاف وكسر الموحدة). غزا أبو قبيل البحرَ مع جُنَادة[٣] والغرب في زمان معاوية. وكان شجاعاً ديّناً متواضعاً، يخرج إلى السوق إلى حاجته بنفسه؛ روَى عنه اللّيثُ بن سعد وغيره ومات بمصر.

---

(١) كذا في الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١٣٢هـ). وفي الأصول: «سلم بن أجوف». وفي خليفة: «سلم بن أحوز».

(٢) هكذا ذكر خليفة.

(٣) هو جنادة بن أبي أمية الأزدي.

وفيها توفّي سعيد بن مَسروق الثَّوْريّ أبو سفيان، من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الكوفة؛ كان عالماً زاهداً.

وفيها توفّي عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة، واعظ البصرة، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة؛ كان من الزهّاد وكان يحضر مجالس مالك بن دينار. قال أبو نعيم: صلّى عبد الواحد الغداةَ بوضوء العَتمة أربعين سنة.

وفيها توفي عثمان بن عاصم بن حَصين[1] [أبو حَصين][2] (بفتح الحاء) الأسدي، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل الكوفة؛ قُرىء القرآنُ عليه بمسجد الكوفة خمسين سنة.

وفيها توفي يزيد بن أبي حبيب، من الطبقة الثالثة. من تابعي أهل مصر؛ وهو أوّل من أظهر بها الحلال والحرام والفقه، وإنما كانوا يتحدّثون بالملاحم والفتن. وكان اللّيث بن سعد يُثني عليه ويقول: ابن أبي حبيب سيّدنا.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان واثنان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وإصبع واحد.

* * *

السنة الثانية من ولاية حوثرة على مصر

وهي سنة تسع وعشرين ومائة.

فيها خرج بحَضْرَموت طالبُ الحق، عبد الله بن يحيى الكنديّ[3] الأعور؛ تغلّب عليها[4] وآجتمع عليه الأباضيةُ. ثم سار إلى صَنْعاء وبها القاسم بن عمر

---

(١) في الأصل «حصيف». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب، عن تقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال.

(٢) زيادة عن المراجع السابقة.

(٣) كذا أيضاً في خليفة. وفي ابن الأثير «الحضرمي».

(٤) وكان عليها: إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي، فأخرج إبراهيم منها من غير قتال. (خليفة: ٣٨٤).

الثقفيّ فوقع بينهم قتال كثير، انتصر فيه طالب الحق وهرب القاسم وقُتل أخوه[١] الصَّلْت، وآستولى طالب الحق على صَنْعاء وأعمالها. ثم جهّز إلى مكة عشرة آلاف[٢] وبها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان فغلبوا على مكة وخرج منها عبد الواحد المذكور.

وفيها كتب آبن هبيرة أمير العراق إلى عامر بن ضُبَارة فسار حتى أتى خراسان، وقد ظهر بها أبو مسلم الخُراساني صاحب دعوة بني العباس في شهر رمضان، وكان قد ظهر هناك عبد الله بن معاوية الهاشمي، فقبَض عليه أبو مسلم وسَجَنه وسجن معه خلقاً من شيعته.

وفيها توفي سالم بن أبي أُميّة، أبو النَّضْر، مولى عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التَّيميّ، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل المدينة. كان يَفِد على عمر بن عبد العزيز ويَعِظُه، فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، عبدٌ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكتَه، وأسكنه جنّته، عصاه مرة واحدة فأخرجه من الجنّة بتلك الخطيئة الواحدة، وأنا وأنتَ نعصي الله كل يوم مراراً، ونتمنّى على الله الجنّة! وكانت وفاته بالمدينة.

ذِكْر مَنْ ذكر الذهبيّ وفاتَه في هذه السنة. قال: فيها توفي أَزْهر بن سعيد الحَرَازِيّ بحِمْص، والحارث بن عبد الرحمن بالمدينة، وخالد بن أبي عِمران التُّجِيبيّ قاضي إفريقيّة، وسالم أبو النَّضْر المدنيّ، وعلي بن زيد بن جُدعان التَّيميّ، وقيس بن الحجاج السُّلَفيّ، ومطر بن طَهْمَان الورّاق، ويحيى بن أبي كَثِير اليمانيّ، وبشر بن حَرب النَّدَبيّ وآخرون.

---

(١) في خليفة: «الصلت بن يوسف بن عمر» وهذا يعني أنه ليس بأخيه.

(٢) في تاريخ خليفة بن خياط (أحداث ١٢٩هـ) أنه وجّه إلى مكة بلج بن المثنى. (وسماه في حوادث ١٣٠هـ) بلج بن عقبة الأزدي. قال: ثم وجه أبا حمزة، المختار بن عوف الأزدي في عشرة آلاف. وفي ابن الأثير: قدم أبو حمزة، بلج بن عقبة الأزدي الخارجي ــ واكتفى الطبري بتسميته: أبا حمزة الخارجي. ــ انظر أيضاً: الأعلام للزركلي: ١٩٢/٧، وفيه عقد مقارنة بين عدة روايات، وعلى أساسها سماه: المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السُّليمي البصري، أبا حمزة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية حوثرة بن سهيل على مصر

وهي سنة ثلاثين ومائة.

فيها اصطلح نصر بن سيّار وجُديع بن عليّ الكِرمانيّ على قتال أبي مُسلم الخراسانيّ، فدس أبو مسلم الخراسانيّ إلى آبن عليّ الكرمانيّ من خدَعه[1]، وآجتمعا وقاتلا نصر بن سيّار، فقوِي جيش أبي مسلم الخراساني وتقهقر نصر بن سيّار بين يديه. فأخذ أبو مسلم أثقاله ثم أخذ مَرْوَ وقتل عاملها شيبان الحَرورِيّ[2]. فأقبلت سعادة بني العباس وأخذ من يومئذ أمر بني أميّة في إدبار. ثم آستولى أبو مسلم في هذه السنة على أكثر مدن خراسان، ثم ظفر بعبد الله بن معاوية الهاشميّ فقتله. ثم كتب نصر بن سيّار إلى آبن هُبيرة نائب العراق يستنجده ويستصرخ به إلى الخليفة مروان الحمار.

وفيها استولى جيشُ طالب الحق على مكة، فكتب عبد الواحد أمير المدينة إلى الخليفة مروان الحمار يخبره بخذلان أهل مكة. ثم جهّز جيشاً إلى مكّة فبرز لحربهم أعوانُ طالب الحق وعليهم أبو حمزة وآلتقى الجمعان بقُدَيْد[3] في صفر فانهزم جيش عبد الواحد، وسار أبو حمزة فآستولى على المدينة أيضاً. وقُتل يوم وقعة القُدَيْد هذه ثلاثمائة نفس من قريش: منهم حمزة بن مُصْعب بن الزبير بن

---

(١) أي دسَّ إليه بأنه معه، فصالح ابن الكرماني أبا مسلم وبايعه، واجتمعا على قتال نصر بن سيار. (خليفة بن خياط: ٣٩٠).

(٢) في الأصول «المخزومي» وهو تحريف. وما أثبتناه من ابن الأثير والطبري وخليفة. وهو شيبان بن مسلمة الحروري، أي الخارجي.

(٣) اسم موضع قرب مكة.

العوّام، وابنه عِمارة، وآبن أخيه مُصْعب(١) حتى قالت بعض النوائح: [مجزوء الكامل]

مـا لـلزمـان ومَـا لِيَـه أفنى قُـدَيْـدُ رجَـالِيـه(٢)

ثم إنّ مروان الحمار بعث جيشاً عليه عبد الملك بن محمد بن عطية [السَّعدي](٣)، فسار ابن عطيّة المذكور وآلتقى مع أبي حمزة مقدّم عساكر طالب الحق فكسره، وقتل أبْرَهة [بن الصباح](٤) الذي كان ولّاه طالب الحق على مكة عند بئر ميمونة. فبلغ طالبَ الحقّ فأقبل من اليمن في ثلاثين ألفاً، فخرج إليه عبد الملك بن محمد المذكور بعساكر مروان فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها طالبُ الحقّ. ثم آلتقوْا ثانياً، وثالثاً قتل فيها طالبُ الحقّ في نحو من ألف حَضْرميّ؛ وبعث عبد الملك بن محمد برأسه إلى الخليفة مروان الحمار.

وفيها كانت زلازل شديدة بالشام وأخربت بيت المقدس وأهلكت أولاد شدّاد(٥) بن أوس فيمن هلك. وخرج أهل الشأم إلى البريّة وأقاموا أربعين يوماً على ذلك، وقيل: كان ذلك في سنة إحدى وثلاثين ومائة.

وفيها توفّي الخليل بن أحمد بن عمرو الفَراهِيدي، أبو عبد الرحمن النحويّ البصريّ.

قال ابن قزأوغلي: ولم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل هذا ولا أجمع؛

---

(١) قال خليفة: «وأبلى يومئذ آل الزبير فاصيب منهم اثنا عشر رجلاً» وذكرهم. وأورد الذهبي في تاريخ الإسلام: ٣٨/٥ أسماء القتلى من آل الزبير مطابقة لما ذكره خليفة. قال ابن الأثير: وكان عدة القتلى من أهل المدينة سبعمائة؛ ومثله ذكر الطبري.

(٢) وذكر خليفة بيتاً ثانياً:

فـلأبـكـينّ سـريـرةً ولأبـكـينّ عـلانِـيَـهْ

وزاد الطبري ثالثاً:

ولأبـكـينّ إذا شَـجَـيْـ ـتُ مع الـكـلاب الـعـاويـه

(٣) زيادة عن الطبري وابن الأثير وخليفة. وذكرهُ خليفة باسم: محمد بن عطية السعدي.

(٤) زيادة عن خليفة.

(٥) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، المتوفى سنة ٥٨هـ (الإصابة: ترجمة ٣٨٤٢).

وكان قد برع في علم الأدب؛ وهو أوّل من صنّف العَروض؛ وكان من أزهد الناس.

قلت: ولعل ابن قزأوغلي واهم في وفاة الخليل هذا، والذي أعرفه أنه كان في عصر أبي حنيفة وغيره. وذكر الذهبيّ وفاته في سنة ستين ومائة، وقال ابن خِلّكان: كانت ولادته، يعني الخليل، في سنة مائة من الهجرة وتوفّي في سنة سبعين ومائة وقيل خمس وسبعين ومائة؛ وقال ابن قانع[1] في تاريخه المرتّب على السنين: إنه توفي سنة ستين ومائة، وقال ابن الجَوْزي في كتابه الذي سماه «شذور العقود»: إنه مات سنة ثلاثين ومائة وهذا غلط قطعاً، والصحيح أنه عاش لبعد الستين ومائة؛ ويقال: إنه كان له ولَدٌ فدخل عليه فوجَده يُقَطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس فقال: إنّ أبي جُنَّ فدخلوا إليه وأخبروه، فقال مخاطباً لابنه: [الكامل]

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَني ... أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتُكا
لكن جهِلتَ مقالتي فعذلتَني ... وعلِمتُ أنك جاهل فعذرتُكا

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع ونصف إصبع.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الحوثرة على مصر ـ إلى شهر رجب، ومن رجب حكمها المغيرة بن عبيد الله الآتي ذكره

وهي سنة إحدى وثلاثين ومائة.

فيها كانت وقعة بين ابن هُبَيرة وبين عامر بن ضُبَارة، فالتقوْا بنواحي أَصبهان في شهر رجب فقُتل ابن ضبارة في المصافّ.

---

(١) وجدنا عبد الباقي بن قانع البغدادي المتوفى سنة ٣٥١هـ. له كتاب «معجم الصحابة» أو «معجم الشيوخ» (انظر: الأعلام: ٢٧٢/٣ وهدية العارفين: ٤٩٥).

وذكر محمد بن جرير الطبريّ: أن عامر بن ضُبَارة كان في مائة ألف. ثم بعث ابن هبيرة إلى مروان الحمار يخبره بقتله عامرَ بن ضُبَارة وطلب منه المدد فأمدّه بأمير مصر صاحب الترجمة حوثرة بن سهيل الباهليّ بعد أن عزله عن إمرة مصر وبعثه في عشرة آلاف من قيس؛ ثم تجمّعت جيوش مروان الحمار بنَهاوند وعليهم مالك بن أدْهَم فضايقهم قَحْطبة أربعة أشهر حتى خرجوا بالأمان في شوّال؛ ثم قَتل قحطبةُ وجوهاً من عسكر أهل مصر. ثم أقبل قحطبة يريد العراق فخرج إليه متولّيها ابن هبيرة وانضم إليه المصريون والمنهزمون حتى صار في ثلاثة وخمسين ألفاً ونزل جَلُولاء، ونزل قحطبة في آخر العام بخانِقِين، فوقع بين الطائفتين عدّة وقائع وبقُوا على ذلك إلى السنة الآتية.

وفيها كان الطاعون العظيم، هلك فيه خلق كثير، حتى قيل: إنه ماتَ في يوم واحد سبعون ألفاً قاله ابن الجَوْزِيّ؛ وكان هذا الطاعون يُسمّى: «طاعونُ أسلم بن قتيبة».

قال المدائنيّ(١): كان بالبصرة في شهر رجب وآشتدّ في رمضان ثم خف في شوّال وبلغ كلَّ يوم ألفَ جنازة. وهذا خامس عشَرَ طاعوناً وقع في الإسلام حسبما تقدّم ذكره في هذا الكتاب. قال المدائنيّ: وهذا كله في دولة بني أميّة. بل نقل بعض المؤرّخين أن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشأم حتى كان خلفاء بني أميّة إذا جاء زمن الطاعون يخرجون إلى الصحراء؛ ومن ثَمَّ اتّخذ هشام بن عبد الملك الرُّصافة(٢) منزلاً، وكانت الرّصافة بلدة قديمة للروم. ثم خفّ الطاعون في الدولة العباسية، فيقال: إن بعض أمراء بني العباس بالشأم خطب فقال: احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعونَ منذ ولِينا عليكم، فقام بعضُ من له جُرأة فقال: إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون. اهـ.

(١) نقل خليفة عن المدائني خبر هذا الطاعون ببعض اختلاف. قال: حدثني علي بن محمد قال: ابتدأ الطاعون في جمادى الآخرة، فكان يموت فيه الجميعة (أي الجمع أو الجماعة) وكذلك رجب واشتد في شعبان؛ وكانت حمته وشدّته في رمضان وشوّال؛ ثم سكن فكان كنحو ما بدأ حتى انقضت السنة.

(٢) المراد بها رصافة الشام، ويقال لها: رصافة هشام بن عبد الملك، غربي الرقّة، بينها أربعة فراسخ على طرف البرّية. والرصافة أحد عشر موضعاً. (انظر ياقوت: معجم البلدان والمشترك).

وفيها تحوّل أبو مسلم الخراسانيّ عن مَرْو ونزل نَيْسابور واستولى على عامة خراسان.

وفيها توفّي واصل بن عَطاء، أبو حُذَيْفة البصريّ، مولى بني مخزوم، وقيل: مولى بني ضَبّة. ولد سنة ثمانين بالمدينة؛ وكان أحد البلغاء لكنه كان يَلْثَغ بالراء يبدلها غيناً؛ وكان لاقتداره على العربية وتوسّعه في الكلام يتجنّب الراء في خطابه؛ وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء: [الكامل]

وجعلت(١) وصلي الراءَ لم تنطق به وقطعتَني حتى كأنك واصِلُ

وواصل هذا هو رأس المعتزلة؛ والخوارجُ لما كفّرت بالكبائر، قال واصل: «بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين»، فلذلك طرده الحسن البصريّ عن مجلسه، فجلس عند واصل عمرو بن عبيد واعتزلا مجلسَ الحسن البصريّ فمن يومئذ قيل لهم: المُعْتزِلة(٢).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة أصابع. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

---

(١) أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان بلفظ «أجعلتني». قاله أحد الشعراء في محبوب له ألثغ. ولواصل بن عطاء خطبة شهيرة منزوعة الراء ارتجلها في مجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق سنة ١٢٦هـ، أولها: «الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوّه، ودنا في علوّه. . الخ». انظر: جمهرة خطب العرب: ٢/٥٠١.

(٢) كتب ابن حجّة في «ثمرات الأوراق» ما موجزه: المعتزلة من فرق الإسلام، يرون أن أفعال الخير من الله، وأفعال الشر من الإنسان، وأن القرآن مخلوق محدَث ليس بقديم، وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب، كشرب الخمر وغيره، يكون في منزلة بين منزلتين، لا مؤمناً ولا كافراً؛ ويرون أن إعجاز القرآن في «الصرفة» لا أنه في نفسه معجز، أي أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه؛ وأن من دخل النار لم يخرج منها. وسموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصري، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقاً، خرج واصل عن الفرقتين وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر، واعتزل مجلس الحسن، وتبعته جماعة فعرفوا بالمعتزلة. وما زال مذهبهم ينمو إلى أيام الرشيد، فوضعه موضع البحث بين العلماء. ولما ولي المأمون ناصر المعتزلة وعاقب مخالفيهم، وتابعه المعتصم ثم الواثق. ولما كانت أيام المتوكل كتب إلى الآفاق بمخالفة القائلين بالاعتزال. وضعف شأن المعتزلة حتى ذهبت بمذهبهم الأيام. (انظر الأعلام: ٨/١٠٨ ــ حاشية للمؤلف).

ذكر ولاية المُغِيرة بن عبيد الله على مصر[١]

هو المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن عبيد[٢] الله بن سعد[٣] بن حكم[٤] [بن مالك][٥] بن حُذَيْفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثَعْلَبة بن [عديّ][٥] بن فَزَارة الفزاريّ.

وقال صاحب «البغية»: المغيرة بن عبيد الله بن مسعدة خالف في الجدّ. ولّاه الخليفة مروان الحمار على مصر بعد عَزْل حوثرة وتـوجّهه إلى العـراق نَجْدةً لابن هبيرة، فقدِم المغيرةُ إلى مصر في سادس عشر[٦] من شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة على الصلاة. وقال صاحب «البغية»: ولّاه مروان بن محمد على الصلاة فقدم يوم الأربعاء لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة فجعل على شرطته ٱبنَه عبد الله. وكان ليّناً محبَّباً للناس.

وقال غيره: ولما دخل مصر أقام بها مدّة يسيرة وخرج إلى الإسكنـدرية وآستخلف على صلاة[٧] مصر أبا الجراح الحَرَشي. ثم عاد بعد مدّة ولم تَطُل مدّته؛ وتوفي يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وآستخلف ابنه الوليد[٨] بن المغيرة على إمرة مصر وصلاتها فلم يُقِرّه الخليفةُ مروان الحمار على

(١) ولاة مصر: ١١٥، وخطط المقريزي: ٣٠٣/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.
(٢) في الكندي «عبد الله».
(٣) في الكندي «مسعدة».
(٤) في الكندي «حكمة».
(٥) زيادة عن الكندي.
(٦) في الكندي والمقريزي «لست بقين من رجب».
(٧) في الكندي: «على الجند والشرط».
(٨) قال الكندي: «ولكن الجند أجمعوا على أن يولوا عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج الشرط، إلى أن يأتي رأي مروان. ثم صُرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة».

ذلك، ووَلّي مصر عبد الملك بن مروان بن موسى، فكانت ولاية المغيرة على مصر عشرة أشهر إلا أياماً ثلاثة[١].

وقال صاحب «البغية»: وتوفّي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى وذكَر السنة، فكانت ولايته عشرة أشهر. فأجمع الجمع[٢] على أن يولّوا عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج على الشرطة إلى أن يأتي أمرُ مروان بن محمد؛ وانصرف الوليد للنصف من جُمادى الآخرة.

وكان المغيرة ديّناً فاضلاً عَدْلاً محبّباً للرعيّة؛ وهو أجَلّ أمراء بني أميّة، ووَلِي لهم الأعمالَ الجليلةَ، وحضَر وقعة شَهْرَزُور، لما وجّه قَحْطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخُراساني ومالك بن طَريف[٣] الخُرَاشي في أربعة آلاف إلى شَهْرزُور وبها عثمان بن سُفْيان، والمغيرة هذا على مقدّمة عبد الله بن مروان بن محمد فنزلوا على فرسخين من شهرزور وقاتلوا عثمان وانهزم عثمان وقُتل؛ وقام أبو عون ببلاد الموصل؛ وقيل إن عثمان لم يُقتل وهرب هو والمغيرة هذا إلى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل من أصحابه مَقْتلة عظيمة؛ ثم سيّر قَحْطبةُ العساكر إلى أبي عون فآجتمع معه ثلاثون ألفاً. ولما بلغ مروانَ الخليفةَ خبرُ أبي عون سار بنفسه بجميع عساكر ممالكه وأقبل نحو أبي عون فوقع له حروب وأمور يطول شرحها.

---

(١) في بعض النسخ: «قليلة».

(٢) في الكندي «الجند» كما مرّ معنا في الحاشية (٨) من الصفحة السابقة

(٣) في الأصول: «طرف». وما أثبتناه من الطبري.

ذكر ولاية عبد الملك بن مروان على مصر[١]

هو عبد الملك بن مروان بن موسى بن نُصير اللَّخْمي أمير مصر؛ ولّاه الخليفة مروان بـن محمد بن مروان المعروف بالحمار على الصلاة والخراج معاً بعد موت المغيرة بـن عبيد الله الفَزاريّ؛ وكان عبد الملك هذا قد ولِي خراجَ مصر قبل أن يَليَ الإمرة والصلاة. فلما مات المغيرة جمع له مروان الخراج والصلاةَ، وذلك في جمادى الآخرة سنة آثنتين وثلاثين ومائة.

ولما تَمّ أمره جعل أخاه معاوية على الشُّرْطة، ثم ولّى عِكْرِمةَ بن عبد الله الخَوْلانيّ. ثم إن عبد الملك المذكور أمر بآتّخاذ المنابر في الجوامع ولم يكن قبل ذلك منبر، وإنما كانت ولاة مصر[٢] يخطُبون على العِصِي إلى جانب القبلة.

ثم خرج عليه قِبْط[٣] مصر بعد ذلك وآجتمعوا على قتاله فحاربهم وقتل كثيراً منهم وآنهزم من بَقِي منهم.

ثم خالف بعد ذلك في أيامه عمرُو بن سُهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان الحمار ودعا لنفسه واجتمع عليه جمع من قَيْس في الحَوْف الشرقي من أعمال مصر، فبعث إليهم عبد الملك هذا بجيش فلم تقع بينهم حرب[٤].

وبينما هم في ذلك إذ قدم عليهم الخليفة مروان الحمار من أرض الشام وقد انهزم من أبي مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس في يوم الثلاثاء لثمانٍ

(١) ولاة مصر: ١١٦، وخطط الترمذي: ٣٠٤/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.
(٢) في الكندي والمقريزي: «وإنما كان ولاة الكور».
(٣) ذكر الكندي أن الذي خرج على رأسهم رجل من القبط يقال له «يُحَنّس» بسَمَنُود. (انظر أيضاً في تواريخ انتقاض القبط وما كان من الأحداث في ذلك: خطط المقريزي: ٧٩/١).
(٤) قارن بالكندي: ١١٦، وفيه تفاصيل أغفلها المؤلف هنا.

بقين من شوّال، وقيل لثلاث بقين من شوّال سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ولما دخل مروان مصر وجد أهل الحوف الشرقي من بلاد مصر وأهل الإسكندرية والصعيد(١) قد صاروا مُسَوِّدة ــ أعني صاروا من أعوان بني العباس ولبسوا السواد ــ فعزم مروان الحمار على تعدية النيل فعدّى إلى الجيزة وأحرق الجسرين والدار المذهّبة(٢) وبعث بجيش إلى الإسكندرية فاقتتلوا مع من كان بها بالكِرْيَوْن(٣)؛ وبينما هو في ذلك خالفت القبط، فبعث إليهم مروان مَنْ قاتلهم أيضاً وهزَمهم؛ ثم بعث جيشاً إلى الصعيد.

وبينما هو في ذلك قدِم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان ومع صالح أبو عون عبد الملك بن يزيد، وكان قدومُ عبد الملك إلى الديار المصرية في يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة المذكورة، فلم يثبُت مروان الحمار لصالح المذكور، وتوجّه إلى بُوصِير بالجيزة ومعه عبد الملك صاحب مصر وغيره من حواشيه وأمرائه وأقاربه من بني أمية. فلحِقه صالح بها فالتقاه مروان الحمار بمن معه وقاتله حتى انهزم وقُتل في يوم الجمعة لتسع(٤) بقين من ذي الحجة. ثم عاد صالح بن علي المذكور ودخل الفسطاط في يوم الأحد لثمان خلون من المحرّم سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وبعث برأس مروان إلى الشام(٥) والعراق وزالت دولةُ بني أمية.

وأما عبد الملك بن مروان أمير مصر صاحب الترجمة فإنه كان لما وَلِي مصرَ أحسن السيرةَ ولم يُفحِش في حق بني العباس فأمّنه صالح وأمّن أخاه معاوية وعفا عنهما، ثم قتل حَوْثَرة بن سُهَيل وحَسّان بن عَتَاهية اللذين كانا كل منهما ولي على مصر قبل عبد الملك؛ وعبد الملك هذا هو آخر أمير ولي مصر من قِبَل بني أمية.

---

(١) وزاد الكندي أهل أسوان.

(٢) وهي دار عبد العزيز بن مروان، كما ذكر الكندي.

(٣) الكريون: موضع قرب الإسكندرية. (الانتصار: ٥/١٠٤، ١١٨).

(٤) في الكندي: «لسبع» ــ وذكر جماعة ممن قتلوا مع مروان بن محمد.

(٥) لعلّ هذا اللفظ زائد. وذكر الكندي العراق فقط. وقال خليفة بن خياط في تاريخه: وحدثني بكر بن عطية عن أبيه قال: كنت بالكوفة، فأتي برأس مروان فنصب على قناة بباب المسجد.

وزالت في هذه السنة بقتل مروان الحمار دولةُ بني أمية، وبُويـع السفّاح عبدُ الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة، وهو أوّل خلفـاء بني العباس.

ولا بد من ذكر كيفية آنفصال دولة بني أمية وآبتداء دولة بني العباس في هذه الترجمة فإن ذلك من أعظم ما يُذكر من الوقائـع وإن كان ذلك غيرَ ما نحن فيه من شَرْط هذا الكتاب فنذكره على سبيل الاستطراد في ترجمة عبد الملك أمير مصر فإنه آخر من ولي من أمراء بني أميّة.

ذكر بَيْعة السفّاح بالخلافة

لما كان المحرّم سنة آثنتين وثلاثين ومائة بلـغ ابنَ هُبَيرة أميرَ العراقين لبني أمية أن قَحْطبة أحدَ دُعاة بني العباس توجّه نحو المَوْصل يريد الكوفة. فرحَل ابن هبيرة بأصحابه نحو الكوفة، وسار كل منهما حتى تواقعا، فجاءت قحطبةَ طعنةٌ فوقـع في الفرات فهلك ولم يعلم به قومُه. وانهزم أيضاً أصحاب ابن هبيرة وغرِق خلق منهم في المخايض.

وقال بَيْهس بن حبيب: [ونادى منادٍ في][1] جمـع الناس بعد أن جاوزنا الفراتَ: من أراد الشام فهَلُمّ؛ فذهب معه جمـع[2] من الناس، ونادى آخرُ: من أراد الجزيرةَ، فتبعه خلق، ونادى آخرُ: من أراد الكوفةَ، فذهب كل جند إلى ناحية. فقلت: من أراد واسِطَ[3] فهَلُمّ؛ فاجتمعنا[4] على ابن هُبَيـرة وسرْنـا حتى دخلنا واسط[3] يوم عاشُوراءَ. وأصبح وأصبحوا المسوِّدة وقد فقدوا قائدهم قحطبة، ثم آستخرجوه من الماء [وفيه طعنةٌ في جبهته فدفنوه][5] وأمّروا عليهم ابنَه الحسن فقصد بهم الكوفة فدخلوها يوم عاشوراء أيضاً وهرب متولّيها من قبل بني أميّة وهو زِيَاد بن صالـح. فاستعمل آبنُ قحطبة على الكوفة أبا سَلَمة الخَلّال ثم قصد واسط فنزلها وخندَق على جيشه. فعَبَّأ آبنُ هبيرة عساكره فالتقوْا فانهزم عسكـر ابن هبيرة وتحصّنوا بواسط؛ وقتل في الوقعة حكيم بن المُسَيّب الجَدَلِي[6].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق. ووضـع مكانها محقق طبعة دار الكتب: «قلت لجمـع» وهي غير مناسبة، لأن الداعـي إلى الشام لم يكن بيهس، بدليل ما سيأتي. وما زدناه يناسب رواية خليفة.

(٢) في بعض النسـخ وخليفة: «عُنُق». والعنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٣) في خليفة: «واسطاً». وفي صرفها وعدم صرفها خلاف. انظر (معجم البلدان: ٣٤٧/٥).

(٤) في خليفة: «ونزلنا جميعاً فم النيل» والمراد به: نهر واسط وليس نيل مصر.

(٥) زيادة عن خليفة يستحسن زيادتها لصالـح السياق.

(٦) من جديلة قيس (خليفة: ٤٠٠) وزاد خليفة: وقتل يزيد بن قحطبة.

ثم وثب أبو مسلم صاحب دعوة بني العباس على ابن الكِرْماني فقتلَه بنَيْسابور وجلس في دَسْت الملك وخطب للسفّاح وأخذ في أسباب بيعة السفّاح بالخلافة؛ فلما كان يوم ثالث[١] شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين وثلاثين ومائة بويع بالخلافة في دار مولاهم الوليد بن سعد ولم يَنْتطِح في ذلك عَنزان[٢].

وبلغ ذلك خليفةَ الوقت مروانَ بن محمد بن مروان الأموي المعروف بالحمار، فسار من الشام في مائة ألف حتى نزل الرأسَ دون الموصل. فجهزَ السفاحُ عمَّه عبد الله بن علي في جيش فالتقى الجمعان على «كُشَاف»[٣] في جُمادى الآخرة فانكسر مروان وتقهقر إلى الجزيرة وقطع وراءه الجسر وقصد الشام ليتقوّى ويلتقي ثانياً بالمسوِّدة. ودَخَلَ عبدُ الله بن علي العبّاسي الجزيرة فاستعمل عليها موسى بن كعب التميمي ثم طلب الشام مُجِدّاً. وأمدّه السفّاح بعمّه الآخر صالح بن علي، فسار عبد الله حتى نزل دمشق فعجز مروان عن ملاقاته، وفرّ إلى غَزّة فحُوصرت دمشقُ مدّة ثم أُخِذت في شهر رمضان؛ وقُتل خَلْق من بني أميّة وجُندهم لا يدخل تحت حصر. فلما بلغ مروان ذلك هرب إلى مصر ثم قُتل في آخر السنة ببُوصِير حسبما ذكرناه؛ وهرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى النُّوبة، ووقع ما ذكرناه في ترجمة عبد الملك أمير مصر من قَتْل حوثرة وحسّان وغير ذلك.

قال محمد بن جرير الطبري[٤]: كان بدءُ أمر بني العباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر عنه، أعلَم العباسَ عمَّه أن الخلافة تؤول إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك [ويتحدَّثون به بينهم][٥]. وعن رشيد[٦] بن كُرَيْب أن

---

(١) في خليفة عن بيهس: «بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الأول».
(٢) أي لم يختلف في ذلك اثنان.
(٣) في معجم البلدان لياقوت: موضع من زاب الموصل. وفي تقويم البلدان لأبي الفداء: قلعة بين الزاب والشط قريبة من مصب الزاب، وهي من إربل على نحو مرحلتين في جهة الغرب.
(٤) تاريخ الطبري (أحداث سنة ١٣٢هـ).
(٥) زيادة عن الطبري.
(٦) كذا في الطبري. وفي الأصول: «رشد». وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن الطبري: «رشدين بن كريب».

أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحَنَفيّة خرج إلى الشام فلقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال: يآبن عمّ، إن عندي عِلماً أريد أن أبديه(١) إليك فلا تُطلِعَنّ عليه أحداً. إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم. قال: قد علمتُه فلا يسمعنّه منك أحد.

وروى المدائني عن جماعة أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: لنا ثلاثة أوقات: موت [الطاغية](٢) يزيد بن معاوية، ورأس المائة، وفَتْقٌ بإفريقيّة، فعند ذلك يدعو لنا دُعاة ثم تُقبِل أنصارُنا من المشرق حتى تَرِد خيولُهم المغربَ [ويستخرجوا ما كنز الجبّارون فيها](٢)؛ فلما قُتل يزيد بن أبي مُسلم بإفريقيّة ونقَضت البربَر، بعث محمد الإمامُ رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعوَ إلى الرِّضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولا يُسمّي أحداً. ثم توجّه أبو مسلم وغيرُه وكتب إلى النُّقَباء فقَبِلوا كتبَه؛ ثم وقع في يد مروانَ الحمارِ كتابُ إبراهيم بن محمد الإمام إلى أبي مسلم، جواب كتاب يأمره بقتل كل من يتكلّم بالعربيّة بخراسان فقبض مروانُ على إبراهيم، وقد كان مروان وُصِف له صِفةُ السّفّاح التي كان يجدها في الكتب. فلما جِيء بإبراهيم قال: ليست هذه الصفة التي وجدتُ. ثم ردّهم وشرع في طلب الموصوف له، فإذا بالسفاح وإخوته وعُمومته قد هربوا إلى العراق، فيقال: إن إبراهيم كان قد نَعَى إليهم نفسَه وأمرهم بالهرب فساروا حتى نزلوا في الحُمَيْمَة(٣) في أرض البَلْقاء. ثم قدِموا الكوفة فأنزلهم أبو سَلَمة الخَلّال دارَ الوليد بن سعد. فبلغ الخبرُ أبا الجَهْم، فآجتمع بموسى بن كعب وعبد الحميد بن رِبْعِيّ وسَلَمة بن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشُرَاحيل [وعبد الله](٤) بن بَسّام وجماعة من كبار شيعتهم، فدخلوا على آل العباس

---

(١) في الطبري: «أنبذه إليك» وهي تفيد المعنى نفسه.

(٢) زيادة عن الطبري.

(٣) كذا في جميع المصادر التي نرجع إليها. وفي الأصل: «خيمة» وهو تحريف. والحميمة: قرية على مرحلة من الشوبك من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام، كانت منزل بني العباس. (معجم البلدان: ٢/٣٠٧).

(٤) زيادة عن الطبري.

فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد بـن الحارثيّة؟ فأشاروا إلى السفاح؛ فسلّموا عليه بالخلافة.

ثم خرج السفاح يوم جمعة على بِرْذَوْن أبلق فصلّى بالناس بالكوفة ثم عاد السفاح إلى المنبر ثانياً وقال:

«الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فشرّفه، وكرّمه وعظّمه، واختاره لنا، وأيّده بنا، وجعلنا أهلَه وكَهْفَه وحِصْنَه، والقُوّامَ به والذابّين عنه. ثم ذكر قَرابتهم في آيات من القرآن الشريف إلى أن قال: فلما قبض الله نبيّه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب وبنو مروان، فجاروا وآستأثروا فأملى الله لهم حيناً حتى آسَفوه فآنتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقّنا، لِيَمُنَّ بنا على الذين آستُضعِفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا؛ وما توفيقنا أهلَ البيت إلا بالله. يا أهلَ الكوفة، أنتم محل محبّتنا، ومنزل مودّتنا؛ أنتم الذين لم تتغيروا[١] عن ذلك ولم يُثْنِكم عنه تحاملُ أهل الجور، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا. وقد زدت في أعْطِياتكم مائة مائة[٢]، فاستعدوا فأنا السفاح المُبِيح والثائر المُبير»[٣].

وكان السفاح مَوْعوكاً فجلس، فقام عمّه داود بن عليّ فخطب وأبلـغ وقال:

«إن أمير المؤمنين نصره اللّهُ نصراً عزيزاً إنما عاد إلى المنبر لأنه كرِه أن يخلِط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن آستتمام الكلام شدّة الوَعْك فادعوا له بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدوّ الرحمن وخليفةِ الشيطان المتّبِع لسلفه المفسدين في الأرض الشابَّ المُتكَهِّل (وسمّاه) فضجّ الناس له بالدعاء.

وأما إبراهيم بن محمـد (أعني أخا السفـاح) الذي وقـع لـه مـع مروان ما ذكرناه، فإن مروان قتله بعد ذلك غِيلة، وقيل: بل مات في السجن بحَرّان بالطاعون. انتهى ما أوردناه من انفصال الدولتين.

* * *

(١) كذا في الطبري. وفي بعض النسخ والسيوطي: «تفتروا».
(٢) كذا في الأصول وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ الخلفاء للسيوطي. وفي الطبري: «مائة درهم».
(٣) هذه الخطبة والتي بعدها أوردهما الطبري بإسهاب، فلينظر.

السنة الأولى من ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى على مصر

وهي سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

فيها كانت وقائع كثيرة بالعراق وغيره قُتل فيها خلائق.

ففي المحرّم كانت الوقعة بين قَحْطَبة وآبن هُبَيرة حسبما تقدّم ذكره في أوّل بيعة السفّاح.

وفيها في ثالث شهر ربيع الأوّل بُويِع السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة، وقد تقدم أيضاً.

وفيها كانت قِتْلة مروان الحمار، وقد تقدّم ذكره أيضاً. وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس آخر خلفاء بني أميّة؛ وكنيته أبو عبد الملك، القائم بحق الله؛ وأُمّه أمُّ ولد كُرْدِيّة. كان يُعرف بالحمار وبالجَعْديّ؛ وتسميتُه بالجَعْدي نسبة لمؤدِّبه جَعْد بن درهم، وبالحمار، يقال: فلان أصبر من حمار في الحروب، ولهذا لقِّب بالحمار، فإنه كان لا يَفْتَرّ عن محاربة الخوارج؛ وقيل: سمّي بالحمار لأن العرب تسمّي كل مائة سنة حِماراً، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان هذا بالحمار، وأخذوا ذلك من قوله تعالى في موت حمار العُزَيْر: ﴿وَٱنْظُرْ إلى حِمَارِكَ... الآية﴾[1]. وكان مولد مروان الحمار سنة اثنتين وسبعين بالجزيرة، وأبوه متَوَلٍّ عليها من قبَل ابن عمه الخليفة عبد الملك بن مروان. فنشأ مروان في دولة أقاربه وولِي الولايات الجليلة، وافتتح عدّة فتوحات، حتى وثب على الأمر بعد إبراهيم بن الوليد، وبُويع بالخلافة سنة سبع وعشرين ومائة، فلم يتَهنّ بالخلافة لكثرة الحروب. وظهرت دعوةُ بني العباس وكان من أمرها ما كان وانقرضت بموته دولة بني أميّة.

وفيها توفّي خلائقُ يطول الشرح في ذكرهم ممّن قُتل في الحروب وأيضاً من أعوان بني أميّة وغيرهم.

---

(١) «وآنظر إلى حمارك ولنجعلك آيةً للناس» ــ سورة البقرة: ٢٥٩.

وفيها توفّي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أخو الخليفة السفاح لأبيه، وقد تقدّم ذكر واقعته مع مروان الحمار في أمر الكتاب؛ وأمه أم ولد بربريّة اسمها أَسْلَم؛ وكان أبوه محمد أوصى إليه بالعهد، فإنه كان بُويع سراً فأدركته المنيّة؛ وكان شِيعتهم يكاتبونه من خراسان حتى وقع له مع مروان ما حكيناه، وحبسه إلى أن مات في هذه السنة، وقيل في الماضية؛ وبعد موته انضمت شِيعته على عبد الله السفّاح.

وفيها قُتل سعيد بن عبد الملك بن مروان أبو محمد، وكان يعرف بسعيد الخير؛ قتل بسيف عبد الله بن عليّ العباسي عَمّ السفّاح؛ وكان ديّناً خيّراً، ولّى لأقاربه خلفاء بني أمية أعمالاً جليلة.

وفيها توفّي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان. كان شجاعاً ديّناً كريماً؛ وكان ولي العراق وحفر بالبصرة نهراً يعرف بنهر ابن عمر.

وفيها توفّي محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، أبو عبد الملك الأنصاري؛ وِلي قضاءَ المدينة.

وفيها توفّي محمد بن عبد الملك، أخو سعيد لِأَبَوَيْه؛ تقدّمت ترجمته في ولايته على مصر سنة خمس ومائة.

وفيها توفي يزيد بن عمر بن هبيرة بن معاوية، الأمير أبو خالد، وقيل أبو عمرو الفزاريّ؛ وِلي الأعمالَ الجليلة وغزا القسطنطينية مع مَسْلَمة بن عبد الملك، وجمع له بين العراقين سنة ثلاث ومائة؛ وكان خطيباً شاعراً شجاعاً؛ وكان السفاح أمّنه، فبعث إليه أبو مسلم الخُراساني وحرَّضه على قتله فأمر بقتله، فقُتل هو وابنه داود؛ وكاتبه عمرُ بن أيوب وعِدَّةٌ من مواليه.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وإصبع واحد.

ذكر ولاية صالح بن عليّ العباسيّ الأولى على مصر[١]

هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشميّ العبّاسيّ، أوّل من ولِي مصر من قِبَل خلفاء بني العباس. مولِدُه بالسَّوَاد، وقيل بالشَّرَاة[٢] من أرض البَلْقاء سنة ست وتسعين من الهجرة. ولِي مصر من قبل ابن أخيه أمير المؤمنين عبد الله السفّاح بعد قتل مروان الحمار في أوّل محرّم سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ وقد تقدّم ذكر قتاله مع مروان في ترجمة عبد الملك بن مروان بن موسى أمير مصر.

ولما ولي صالح مصر ببيعة أهل مصر لأمير المؤمنين عبد الله السفّاح؛ ثم أخذ صالح في إصلاح أمر مصر وقبض على جَمْع كثير من المصريين الأمويّين، منهم عبد الملك بن مروان بن موسى [بن نصير][٣] أمير مصر وأخوه [معاوية][٣]، وقتل كثيراً من شِيعة بني أميّة، وحمَل طائفة منهم إلى العراق، وقُتلوا بقَلَنْسُوَة[٤] من أرض فِلَسْطِينَ؛ وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعِيال، وقَسّم الصدقات على الأيتام والمساكين وأبناء السبيل، وزاد في المسجد زيادة هائلة، وجعل على شرطته ابنَ[٥] هانىء الكِنْدي؛ ثم ورد عليه بعد مدّة طويلة كتاب السفاح بإمارته على فلسطين والاستخلاف على مصر، فاستخلف على مصر أبا عون عبد الملك [بن يزيد][٣]، وخرج منها في شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ وسار معه عبدُ الملك بن مَرْوان بن موسى، الذي كان أمير مصر، مكرماً وعدّةٌ من أهل مصر ـ تأتي بقية

(١) ولاة مصر: ١١٩، وخطط المقريزي: ٣٠٤/١، وحسن المحاضرة: ٩/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) في الأصول بالسين المهملة، وهو تحريف. والشَّراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول.

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) قلعة منفردة كانت قرب الرملة. وقد ذكر ياقوت أسماء الذين قتلوا بها من بني أمية. (معجم البلدان: ٣٩٢/٤، والموسوعة الفلسطينية: ٥٨٦/٣).

(٥) هو محصن بن هانىء الكندي، من أهل جرجان، أخو يزيد بن هانىء. (الكندي: ١١٩).

ترجمة صالح بن علي هذا في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى ـ فكانت ولاية صالح على مصر في هذه المرّة سبعة أشهر وأياماً.

* * *

السنة التي حكم فيها صالح على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

فيها آستعمل الخليفة السفّاحُ على البصرة عمّه سليمان بن علي، وآستعمل على مكة خاله زياد بن عبيد الله، وعلى اليمن ابنَ خاله محمد بن زياد بن عبيد الله(١). وفيها وجّه السفاح على إفريقية محمدَ بن الأشعث(٢).

وفيها خرج ببُخارا شَريك بن شَيْخ المَهْرِيّ(٣)، وكان قد نقَم على أبي مسلم الخراساني تجبّرَه، فجهّز إليه أبو مسلم جيشاً فحاربوه وقتلوه.

وفيها خرج طاغية الروم قسطنطين بجيوشه وأخذ مَلَطْيَة وهدَم السور والجامع(٤).

وفيها قتل عبدُ الله بن علي عمّ السفاح الخليفة خلقاً كثيراً من قوّاد بني أمية.

وفيها توفّي داودُ بن علي بن عبد الله بن العباس عمّ الخليفة السفاح. وكان

---

(١) في تسمية عمال أبي العباس، قارن بخليفة بن خياط: ٤١٢، فهي أكثر بسطاً ووضوحاً.

(٢) كذا أيضاً في الطبري وابن الأثير. وفي فتوح البلدان للبلاذري، والبيان المغرب لابن عذاري أن الذي وجّه محمد بن الأشعث الخزاعي إلى إفريقية هو أبو جعفر المنصور وذلك سنة ١٤٤هـ. قال ابن عذاري في ذكر ولاية محمد بن الأشعث على إفريقية: «لما غلبت الصفريّة على إفريقية بعد أن قتلتْ (ورفجومةُ) من قتلت من قريش وغيرهم، خرج جماعة من عربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر، ويصفون له ما نالهم منهم. فولى أبو جعفر ابن الأشعث مصر، فوجّه أبا الأحوص فهزمته البربر، فكتب أبو جعفر إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألفاً، وذلك سنة ١٤٤هـ.

(انظر: الحلة السيراء: ١/٦٩ حاشية، وفتوح البلدان: ١/٢٧٥).

(٣) كذا في الطبري وابن الأثير. وفي الأصول: «المهدي».

(٤) في خليفة: «... وألحّ قسطنطين بن أليون على المسلمين حتى نزلوا على أمان، فهدم المدينة، ومسجد الجامع ودار الإمارة، ووجّه مع المسلمين خيلاً بلغتهم مأمنهم». قارن أيضاً بابن الأثير: ٥/٨٩.

ولي المدينة ومكّة، وحَجّ بالناس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ وهو أوّل أمير حجّ بالناس من بني العباس؛ وقتَل داودُ هذا أيضاً في ولايته خلقاً من بني أميّة وأعوانهم. ثم مات بعد أشهر واستخلف حين احْتُضر على عمله ولدَه موسى، فاستعمل السفّاح على مكة خاله زياداً المقدّم ذكره، وموسى[1] بن داود على إمرة المدينة لا غير.

وفيها قُتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بن أبي صُفْرة.

وفيها قتل عبد الله بن علي عمّ السفاح ثعلبةَ وعبد الجبار ابني أبي سَلمة بن عبد الرحمن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

(١) في الأصول: «أبا موسى». والتصحيح مما تقدّم.

ذكر ولاية أبي عَوْن الأُولى على مصر[١]

هو أبو عون، واسمه عبد الله، وقيل عبد الملك بن يزيد، الأمير أبو عوْن؛ أصله من أهل جُرْجان. ولِي صلاةَ مصر وخرَاجَها باستخلاف صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس له في مُسْتَهلّ شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة. وآستمرّ أبو عون بمصر إلى أن وقع الوباءُ بها فخرج منها [إلى يَشْكُر][٢] واستخلف على مصر[٣] صاحب شرطته عِكْرِمَةَ بن عبد الله بن عمرو بن قَحْزَم (وقحزم بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وفتح الزاي وبعدها ميم). ثم عاد أبو عون إلى مصر بعد الوباء وأقام بها إلى أن خرج منها ثانياً إلى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة، وآستخلف على مصر عكرمة أيضاً، وجعل على الخَرَاج عَطاء بن شُرَحْبيل.

وفي هذه السنة خرج القبط[٤] عليه بسَمَنُّود بالوجه البحري من أعمال مصر، فبعث إليهم أبو عون جيشاً[٥] فحاربوهم وقتلوهم. وفي أيام أبي عون هذا سكنت أمراء مصر العسكر[٦].

---

(١) ولاة مصر: ١٢٣، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) زيادة عن الكندي. والمراد: جبل يَشْكُر، وهو بين القاهرة ومصر القديمة؛ وبني عليه جامع أحمد بن طولون فيما بعد.

(٣) المراد بذلك الفسطاط.

(٤) وكان عليهم أبو مينا القبطي. (الكندي: ١٢٣).

(٥) وكان على رأس الجيش عبد الرحمن بن عقبة.

(٦) في الأصل: «المعسكر» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقريزي: ٣٠٤/١ و٢٦٥/٢؛ وفتوح مصر لابن عبد الحكم: ١١٨، ١٢٠، ١٥٨؛ والانتصار لابن دقماق: ٣٤/٤. بالإضافة إلى هذه المصادر انظر أيضاً: طبعة دار الكتب من النجوم الزاهرة: ٣٢٦/١، حاشية عن تاريخ ووصف الجامع الطولوني تأليف محمود عكوش أفندي بلجنة الآثار، وفيه تحديد دقيق لموقع العسكر قديماً وحديثاً. وخطط علي مبارك: ٣١٩/٢.

وسببُه أنه لما قَدِم صالح بن علي العبّاسي وأبو عون هذا بجموعهم إلى مصر في طلب مروان الحمار نزلت عساكرهما الصحراء جنبَ جبل يَشْكُر، الذي هو الآن جامع أحمد بن طولون وكان فضاءً. فلما رأى أبو عون ذلك أمر أصحابه بالبناء فيه فبنوا وبنَى هو به أيضاً دار الإمارة ومسجد عوف بجامع(١) العسكر. وعملت الشرطة(٢) أيضاً في العسكر وقيل لها الشرطة العليا؛ وإلى جانبها بنى الأمير أحمد بن طولون جامعَه(٣) الموجود الآن. وسمي من يومئذ ذلك الفضاء العسكر، وصار منزلاً لأمراء مصر من بعد أبي عون، وصار العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة؛ وفيه أيضاً بنى الأمير أحمد بن طولون بيمارِسْتانه(٤)، وكان البِيمارستان المذكور بالقرب من بركة قارون(٥) التي صارت الآن كِيماناً(٦) وبعضها بركة على يسار من مشى من حدرة ابن قميحة(٧) يريد قنطرة السدّ؛ وعلى هذه البركة بنى كافور

---

(١) هذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته إمارة مصر في سنة ١٦٩هـ. (خطط المقريزي: ٢/٢٦٤، وخطط علي مبارك: ١٢٠/٥).

(٢) كذا في الأصول وعبارة المقريزي وعلي مبارك: «وكان إلى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر» ولعل المراد بالشرطة: دار الشرطة.

(٣) هذا الجامع بناه أحمد بن طولون سنة ٢٣٦هـ بعد بناء القطائع، على جبل يشكر المعروف الآن بالكبش، في الجهة الجنوبية من القاهرة، في حي السيدة زينب الآن. وهو أقدم مساجد مصر، بل أقدم آثارها العربية بعد مقياس النيل بجزيرة الروضة. (انظر: خطط المقريزي: ٢/٢٦٥، وخطط علي مبارك: ٤/٩٦، وطبعة دار الكتب من النجوم الزاهرة: ١/٣٢٦).

(٤) البيمارستان أو المارستان هو المستشفى. (راجع صفحة ٢٩٩ من هذا الجزء، حاشية (٣)). وهذا البيمارستان بناه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ، وقيل سنة ٢٦١هـ؛ وقد دثر ولم يبق له أثر. (انظر خطط المقريزي: ٢/٤٠٥).

(٥) في أيام المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، كان موضع هذه البركة فيما بين حدرة ابن قميحة، خلف جامع ابن طولون، وبين الجسر الأعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل. وكانت تعرف ببركة قراجا. وكان عليها عدة عمائر جليلة عندما عمر العسكر والقطائع. (خطط المقريزي: ٢/١٦١) وقال علي باشا مبارك: والآن لم يبق منها إلا شيء قليل، وعن قريب يردم ويزول أثرها بالكلية. وفي زمن دخول الفرنساوية مصر كانت تعرف ببركة الملا، ثم عرفت اليوم ببركة البغالة، وهي قريبة من عمارة الأمير الكبير الشهير حسين باشا حسني، ناظر المطبعة والكاغدخانة المصرية (خطط علي مبارك: ٢/٣١٩).

(٦) كيمان: جمع كوم، وهي التلال المشرفة.

(٧) قال المقريزي: وكانت بالكبش؛ قال علي مبارك: ومحلها الآن ضمن شارع الكبش، يصعد إلى الكبش منها من خلف جامع صرغتمش. (الخطط التوفيقية لعلي مبارك: ٢/٣١٨).

الإِخْشِيدي داراً[١] صرف عليها مائة ألف دينار وسكنها. وزادت العمائر في العسكر إلى أن ولي أحمد بن طولون وقدِم إلى مصر من العراق، فنزل على عادة الأمراء بدار الإمارة بالعسكر. فما زال بها أحمد بن طولون إلى أن بنى القصر والميدان بالقطائع[٢] وتحوّل إليها، ودام بها إلى أن مات وولِي ابنُه خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون وجعل دار الإمارة بالعسكر ديوان الخراج، يأتي ذكر ذلك في ترجمتهما إن شاء الله تعالى.

فلما زالت دولة بني طولون وولي محمد بن سليمان الكاتب الآتي ذكرُه سكن بدار في العسكر عند المصلّى القديمة حيث الكوم المطلّ الآن على قبر القاضي بكّار[٣] بن قُتَيبة. وما زالت الأمراء بعد ذلك تنزل بالعسكر إلى أن قدم القائد جَوْهر المُعِزِّي من المغرب إلى مصر وبنى القاهرة المُعِزِّية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. انتهى أمر العسكر وسبب بُنيانه باختصار، وهذا التعريف بالعسكر مقدّمة لما يأتي بعد ذلك من سَكَن أمراء مصر به.

وأما أبو عون فإنه لما أرسل وحارب القبط وقتلَهم بسمنود عاد إلى مصر. وبينما هو كذلك في أموره ورد عليه كتاب الخليفة أبي العباس عبد الله السفّاح بعزله وولاية صالح بن علي العباسي ثانياً على مصر على الصلاة والخراج، ومع ذلك

(١) كانت تعرف بدار الفيل، ثم اشتراها كافور وبنى فيها داراً. (خطط علي مبارك: ٢/٣٢٠؛ والانتصار لابن دقماق: ٤/١١).

(٢) القطائع عبارة عن عدة قطع من الأرض كانت تسكن فيها عبيد أحمد بن طولون وعساكره وغلمانه، وكل قطيعة لطائفة، فيقال: قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفرّاشين ونحو ذلك، فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة. واتخذ أحمد بن طولون داراً له في تلك القطائع. ولما ضاقت تلك الدار من كثرة العبيد والرجال والآلات، أمر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان. وفي الميدان كان يُضرب بالصوالجة (الكرة). وكان موضع القطائع من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون ــ وهذا أشبه أن يكون طولها ــ وأما عرضها فإنه من أول الرملية تحت القلعة إلى الموضع الذي يعرف بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له زين العابدين. (خطط المقريزي: ١/٣١٣).

(٣) هو بكار بن قتيبة. ولي قضاء مصر سنة ٢٤٦هـ، فبقي بها إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ. (انظر: وفيات الأعيان: ١/٢٧٩؛ وحسن المحاضرة: ٢/١١٩).

ولاية فِلَسطِين أيضاً والغرب[١]؛ ثم وردت الجيوش من قبل السفّاح مع صالح بن علي لغزو المَغْرِب؛ وكانت ولاية أبي عون على مصر في هذه المرة الأولى ثلاث سنين إلا أربعة أشهر. ويأتي بقية ترجمة أبي عون هذا في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية أبي عون على مصر

وهي سنة أربع وثلاثين ومائة.

على أنه حكم مصر أشهراً من سنة ثلاث وثلاثين ومائة التي ذكرناها في حوادث صالح بن علي.

فيها (أعني سنة أربع وثلاثين ومائة) تحوّل الخليفة السفّاح من الحِيرة ونزل الأنبارَ وسكَنها.

وحجّ بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى العبّاسي.

وفيها كانت حروب كثيرة من جهة ملك الصين وغيره كما هي عوائد أوائل الدول، والسفّاح مشغول في تمهيد الممالك في هذه السنة والخالية.

وأما عمّال السفاح في هذه السنة: على الشأم عبد الله بن علي عمّ السفاح، وعلى مصر أبو عون صاحب الترجمة، وعلى الجزيرة وأذْرَبيجان أخو الخليفة السفاح، وعلى ديوان الأموال خالد بن بَرْمك، وعلى خراسان أبو مسلم الخراسانيّ، وعلى البصرة سليمان بن علي عمّ السفاح[٢].

---

(١) المراد: المغرب.

(٢) وزاد الطبري وابن الأثير: وكان على المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله، وعلى اليمن علي بن الربيع الحارثي، وعلى السند موسى بن كعب، وعلى فلسطين صالح بن علي، وعلى الموصل إسماعيل بن علي، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد، وعلى أذربيجان محمد بن صول.

وفيها توفي يزيد بن يزيد[١] بن جابر الأزديّ؛ كان من الزهاد الخائفين البكّائين. أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل ــ رضي الله عنه.

وفيها توفي يونس[٢] بن عبيد، أبو عبد الله، مولى عبد القيس، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة؛ كان يحدّث ثم يقول: أستغفر الله ثلاثاً.

وفيها كان الطاعون بالرَّيّ وأعمالها ومات فيه خلق كثير.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستة أذرع وستة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وعشرة أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية أبي عون على مصر

وهي سنة خمس وثلاثين ومائة.

فيها خلع زياد [بن صالح][٣] طاعةَ الخليفة السفاح بما وراء النهر فتهيأ لحربه أبو مسلم الخراساني، وبعث نصرَ بن راشد إلى تِرْمِذ[٤] ليحصّنها، فقاتلته طائفة من الخوارج[٥]. وسار أبو مسلم وحارب زياد بن صالح المذكور وقبض عليه. وذكر الذهبي هذه الواقعة في سنة خمس وثلاثين ومائة.

وفيها أيضاً كانت حركة ملك الصين؛ وكان زياد بن صالح المذكور متولّيَ سَمَرْقَنْد، فتهيأ لقتاله وكتب إلى أبي مسلم الخراساني بذلك، ووقع لهم معه أمور

(١) في الأصول «يزيد بن أبي يزيد». وما أثبتناه عن تاريخ خليفة وطبقات ابن سعد.

(٢) في خليفة أنه توفي سنة ١٣٩هـ.

(٣) زيادة عن ابن الأثير، للتوضيح.

(٤) مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون، بالقرب من مصبّ نهر سُرخان. وتعرف المدينة رسمياً الآن باسم «تِرْمِز» (دائرة المعارف الإسلامية: ٩/٢٨٦).

(٥) في ابن الأثير: «فخرج عليه ناس من الطالقان مع رجل يكنى أبا اسحاق فقتلوه».

وحروب إلى أن انهزم ملك الصين، كل ذلك قبل خروج زياد بن صالح عن الطاعة.

وفيها توفِّيت رابِعةُ(١) العدويّة البصرية الزاهدة العابدة؛ وكانت مولاة لآل عتيك، وكان سفيان الثوري وأقرانه يتأدّبون معها؛ وكانت رابعة تصلّي الليل كله(٢)، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصَلّاها هجعةً خفيفة حتى يُسْفِر الفجر ثم تَثِب إلى الصلاة وتقول: يا نفس، كم تنامين، وإلى كم لا(٣) تقومين؛ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا بصرخة(٤).

وفيها قُتل سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأمويّ؛ وكان سليمان مُبَايِناً لمروان الحمار والتجأ لبني العباس فأمَّنه السفّاح وصار يجالسه. فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني يقول: قد بقي من الشجرة الملعونة فرع، في كلام طويل، فلم يلتفت السفاح إلى كلامه، فدسَّ أبو مسلم إلى سُدَيْف(٥) الشاعر مالاً وقال له: قل في هذا المعنى شعراً، فأنشد سُدَيف المذكور السفّاحَ وأشار إلى سليمان: [الخفيف]

لا يَغُرَّنْك ما تَرى من رجالٍ إن تحت الضلوع داءً دَوِيًّا
فضَعِ السيفَ وآرفعِ السَّوْطَ حتى لا تَرى فوق ظهرها أُمَوِيًّا

فكان ذلك سبب قتلِه فضرب السفّاحُ عنقَه وعنقَ ولَدَيْه وصلَبهم.

وفيها تُوفِّي عطاء الخراساني البَجَليّ، أبو عثمان بن أبي مسلم مَيْسرة مولى

---

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العَدَوية، أم الخير. ويرجح البعض وفاتها سنة ١٨٥هـ. (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/٢٨٥، والأعلام: ٣/١٠).

(٢) هذا الخبر عنها نقله ابن خلكان عن ابن الجوزي في كتاب: «صفة الصفوة» بإسناد له متصل إلى عبدة بنت أبي شوال.

(٣) لعلّ هذا اللفظ زائد هنا. وهو ساقط من ابن خلكان.

(٤) في ابن خلكان: «لصرخة يوم النشور».

(٥) هو سُدَيْف بن ميمون: مولى بني العباس وشاعرهم. كان شديد التحريض على بني أمية حتى في أيام دولتهم. قتل سنة ١٤٦هـ. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٩٣؛ والأعلام: ٣/٨٠).

المهلَّب بن أبـي صُفْرة، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام. كان عالماً زاهداً فقيه أهل خراسان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابـع.

ذكر ولاية صالح بن عليّ العباسيّ ثانياً على مصر[١]

وليها ثانياً من قِبَل السفاح، فقدم مصر بجيوش كثيرة من فلسطين لغزو بلاد المغرب؛ وكان قدومه إلى مصر في يوم خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة.

ولما دخل مصر أقرّ عكرمة[٢] على شرطته بالفسطاط، وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانىء الكندي، وولّى أبا عون المعزولَ عن إمرة مصر جيوشَ المغرب، وقدّمه صالحُ المذكور أمامه إلى نحو إفريقيّة؛ وكان خروج أبي عون بجيوشه إلى نحو المغرب في جُمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين، وجُهِّزت المراكب من إسكندرية إلى بَرْقة.

وبينما هم في ذلك قدِم الخبر بموت أمير المؤمنين عبد الله السفاح في ذي الحجة وآستخلاف أبي جعفر المنصور. فأقرّ أبو جعفر المنصور عمّه صالح بن علي هذا على عمل مصر على عادته، وكتب إلى أبي عون بالرجوع عن غزو إفريقية. فأرسل صالح إلى أبي عون بالخبر، فأقام أبو عون ببرقة أحد عشر شهراً[٣] ثم عاد إلى مصر بجيشه، فجهّزه صالح هذا إلى فلسطين لحرب الخوارج بها. فسار أبو عون وحاربهم وهزمهم وقتل منهم مَقْتلة عظيمةً، وسيّر إلى مصر منهم ثلاثة آلاف رأس.

ثم خرج صالح بن علي بعد ذلك من مصر إلى فلسطين وآستخلف آبنَه الفضل على صلاة مصر. فسافر حتى بلغ بِلْبِيس[٤] ثم رجع إلى مصر وأقام بها

(١) ولاة مصر: ١٢٣، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) عكرمة بن عبد الله بن قحزم.

(٣) كذا أيضاً في الكندي. وفي خطط المقريزي: «يوماً».

(٤) ويقال أيضاً: بُلْبَيْس، بضم الباء الأولى وفتح الثانية.

إلى أن خرج منها ثانياً لأربع خلون من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومائة، فلقي أبا عون [بالفَرَما](١) فأمّره على صلاة مصر وخراجها معاً ومضى إلى فلسطين.

ودخل أبو عون الفسطاط لأربع بقين من شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين ومائة، وسكن العسكر ودام على إمرة مصر.

وآستمرّ صالح بن علي بفلسطين إلى أن أمَره المنصور بالتوجّه لغزو الروم في سنة ثمان وثلاثين ومائة. فخرج صالح حتى نزل مرج دابق، وأقبلت جيوش الروم مع ملكهم قسطنطين في مائة ألف، فلقيه صالح هذا بالمسلمين ونصره الله تعالى على الروم فقتل منهم وسَبى وغنِم.

ثم حجّ بالناس في سنة إحدى وأربعين ومائة؛ ثم غزا الرومَ والصائفة غير مرة؛ وهو الذي بنى حصن دابق ومات وهو عامل حِمْص بقِنّسرين، وقيل مات بعَيْن أُباغَ(٢)، وقد بلغ ثمانياً وخمسين سنة؛ وآستخلف ابنه الفضل على حِمْص فأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور على ذلك؛ وكان صالح صالحاً فاضلاً، وله رواية؛ أَسْند عن أبيه، وروى عنه ابناه إسماعيل وعبد الملك، وهو عمّ السفاح والمنصور.

* * *

السنة الأولى من ولاية صالح بن علي العبّاسيّ الثانية على مصر

وهي سنة ست وثلاثين ومائة.

على أن أبا عون حكم منها أشهراً على مصر.

فيها بايع أهل دمشق هاشمَ بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لمّا بلغهم موت السفّاح ـ وحكى الذهبي ذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة ـ فتوجّه صالح بن علي من فلسطين بالجيوش إلى الشام. فلما أظلّهم صالح بالجيوش وهربوا ملك صالح الشام بعد أمور صدرت.

---

(١) زيادة عن الكندي.

(٢) عين أُباغ: وادٍ وراء الأنبار، على طريق الفرات إلى الشام. (معجم البلدان: ٤/١٧٥).

وفيها دعا عبد الله بن علي العباسي عمّ السفاح لنفسه وقال: إن السفاح قال: من آنتدَب لمروان الحمار فهو وليّ عهدي من بعدي، وعلى هذا خرجتُ؛ فلما بلغ الخليفةَ أبا جعفر المنصور ذلك قال لأبي مسلم الخراساني: فإنما هو أنا وأنت. فسار أبو مسلم نحو عبد الله بن علي المذكور فوقع له معه وقْعة هائلة كاد أن ينهزم فيها أبو مسلم، ثم كان النصر له وانهزم عبد الله بن علي[١]؛ فلما بلغ المنصورَ ذلك بعث لأبي مسلم الخراساني بولاية مصر والشأم معاً، فأظهر أبو مسلم الغضبَ وقال: يولِّيني مصرَ والشام وأنا لي خراسان! وعزم على الشر، وقيل: بل شتم المنصور لما جاءه من عنده مَنْ يُحصي الغنائمَ، وأجمع على الخلاف ثم طلب خراسان.

وخرج المنصور إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم ليَقْدَمَ عليه في طريقه، فردّ عليه الجواب: «إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدوّ [إلا أمكنه الله منه][٢]، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان[٣] أنه أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدَّهْماء؛ فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفَيتَ. فإن أرضاك ذلك فإنّا أحسن عبيدك[٤]، وإن أبيتَ نقضتُ ما أبرمتُ من عهدك»[٥]. فردّ عليه المنصور الجواب يطمّنه مع جرير بن يزيد البجلي، وكان واحد وقته فخدعه.

وأما عبد الله بن علي وأخوه عبد الصمد، فقصد عبدُ الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمّنه المنصور، وتوجّه عبد الله بن علي إلى أخيه سليمان بن علي متولِّي البصرة فآختفى عنده؛ والصحيح أن هذه الفتنة كان ابتداؤها في أواخر هذه السنة، غير أن الوقعة والهرب كانا في سنة سبع وثلاثين ومائة.

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد بن

---

(١) ذكر كل من خليفة والطبري وابن الأثير هذه الوقعة في أخبار سنة ١٣٧هـ.
(٢) زيادة عن الطبري وابن الأثير.
(٣) في الأصل: «خراسان» وهو تحريف. وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير.
(٤) في الطبري وابن الأثير: «فانا كأحسن عبيدك».
(٥) انظر هذا الخطاب بإسهاب في الطبري وابن الأثير (أحداث ١٣٧هـ).

علي بن عبد الله بن العباس الهاشميّ العبّاسي، أوّل خلفاء بني العباس. مات في ذي الحجة وله ثلاث[١] وثلاثون سنة؛ وكانت خلافته أربع[٢] سنين؛ فإنه ولِي في سنة اثنتين وثلاثين ومائة قبل قتل مروان الحمار، وبه كان انقراض دولة بني أمية؛ وكان أبوه محمد بن علي بُويع بالخلافة قبل موته بسنتين فلم يتمّ أمره، وعهِد عند موته لابنه السفاح[٣] هذا قبل أبي جعفر المنصور، وكان أسنّ من السفّاح. ولما مات السفّاح هذا، ولِي أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة من بعده.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثمانية أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية صالح بن علي العباسي على مصر

وهي سنة سبع وثلاثين ومائة.

فيها قدِم الخليفة أبو جعفر المنصور الكوفةَ وتأخر بعده أبو مسلم الخراساني بأيام؛ وكانا تلك السنة معاً في الحج فأتاهما الخبر بموت السفّاح وبخلافة المنصور. وقد ذكرنا خروجَ عبد الله بن علي العباسيّ على أبي جعفر المنصور في العام الماضي وهو وهم، وإن كان خروجه كان في آخر السنة الماضية فما واقعَه أبو مسلم إلا في هذه السنة.

وفيها حجّ بالناس إسماعيل بن علي وهو أمير الموصل.

(١) في خليفة: «ثمان وعشرون سنة». وفي ابن الأثير: «وكان له يوم مات ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: ثمان وعشرون».

(٢) في خليفة: «أربع سنين وتسعة أشهر». وفي الطبري وابن الأثير: «كانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفي أربع سنين، ومن لدن بويع له بالخلافة، إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر، وقيل وتسعة أشهر».

(٣) كذا في الأصل، وهو خطأ. إذ إن محمد بن علي أوصى لابنه إبراهيم بن محمد الذي قتله مروان بن محمد، وإبراهيم هذا هو الذي أوصى لأخيه السفّاح.

وكان أمير المدينة في هذه السنة زياد بن علي، وأمير مكة العباس بن عبد الله، ومات في آخر السنة، فأضاف أبو جعفر المنصور مكة إلى زياد. وكان على الكوفة عيسى بن موسى العباسي، وعلى البصرة سليمان بن علي عمّ المنصور، وعلى خراسان أبو داود [خالد بن إبراهيم](١)، وعلى مصر صالح صاحب الترجمة، وعلى الجزيرة حُمَيد بن قَحْطبة.

وفيها قتل الخليفة أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني وولّى أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان عِوَضه؛ واسم أبي مسلم عبد الرحمن، وهو صاحب دعوة بني العباس، وأحد من قام بأمرهم حتى تمّ له ذلك ووطًّا لهم البلاد وقتل العباد؛ وقصّة قِتْلته تطول. وكان أبو مسلم شاباً جبّاراً مقداماً شجاعاً عارفاً صاحبَ رأي وتدبير ودهاء ومكر وعقل وحِذق؛ قيل إنه كان يجامع في السنة مرة واحدة مع كثرة جواريه، فقيل له في ذلك، فقال: يكفي الشخص أن يتجنّن(٢) في السنة مرة. ويحكى أن أبا جعفر المنصور لما قتله أدْرَجه في بِساط وطلب جعفر بن حنظلةَ، فقال أبو جعفر المنصور: ما تقول في أمر أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ أخذتَ من رأسه شعرة فأقْتل ثم اقتل، فقال المنصور: وفّقك الله ها هو في البساط، فلما نظر إليه قتيلاً قال: يا أمير المؤمنين، هذا أوّل(٣) خلافتك، فأنشد المنصور: [الطويل]

فألْقَت عصاها وٱستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيْناً بالإياب المسافرُ(٤)

ثم أنشد المنصور ثانياً، وبين يديه وجوه دولته وأعوانُ مملكته وأعيانُها وأقاربُه: [السريع]

زَعمْتَ أنّ الدَّيْن لا يُقْتَضى ... فٱسْتَوفِ بالكَيْل أبا مُجْرِمِ

---

(١) زيادة عن الطبري وابن الأثير.

(٢) أي: يجنّ.

(٣) في الطبري وابن الأثير: «عُدَّ من هذا اليوم خلافتك».

(٤) ينسب هذا البيت لمعقر بن حمار البارقي، وقيل: لعبد ربه السلمي، وقيل لسليم بن ثمامة (انظر لسان العرب: مادة عصا).

اِشربْ بكأس كنتَ تَسقِي بها أمَرّ في الحَلْق من العَلْقمِ(١)

وآخْتُلف في اسم أبي مسلم واسم أبيه، فقيل: اسمه عبد الرحمن بن مسلم بن شقيرون(٢) بن إسفِنديار، وقيل: عبد الرحمن بن عثمان بن يَسار، وقيل: عبد الرحمن بن محمد، وسمّاه أبو بكر الخطيب إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سَدوس بن جودر(٣) من ولَد يَزْدَجِرْد(٤)، وقيل: إنما سماه عبدَ الرحمن الإمامُ إبراهيم بن محمد بن علي العبّاسيّ، وكنّاه: أبا مسلم، وكانت كنيته: أبا إسحاق؛ وكان مولده سنة مائة بأصْبهان.

وفيها توفّي صفوان بن صالح بن صفوان، أبو عبد الملك الدمشقيّ الثقفيّ. ولد سنة ست وسبعين؛ وكان فقيهاً زاهداً عابداً؛ وكان يؤذِّن بجامع دمشق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربعة أذرع وستة أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع.

---

(١) في الطبري وابن الأثير وابن كثير: «سُقيت كأساً كنت تسقي بها».
(٢) في البداية والنهاية لابن كثير: «شيرون».
(٣) في ابن خلكان: ١٤٥/٣ «جودرن» بزيادة النون.
(٤) في ابن خلكان: «بزرجمهر بن البختكان الفارسي».

ذكر ولاية أبـي عون الثانية على مصر(١)

كانت ولايتُه هذه الثانية على مصر من قِبَل صالح بن عليّ العباسيّ لما توجّه إلى فلسطين كما تقدّم ذكره، ثم أقرّه الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمْرة مصر على صلاتها وخراجها معاً؛ وكان يوم دخول أبـي عون المذكور إلى مصر يوم سادس عشرينِ شهر رمضان من سنة سبعٍ وثلاثين ومائة. وجعل على شُرطته عِكْرمة بن عبد الله، وعلى الدواوين عطاءَ بن شُرَحْبيل.

ودام أبو عون على صلاة مصر وخَراجها معاً إلى أن قدم الخليفةُ أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس، فكتب بطلب أبـي عون المذكور إلى عنده ببيت المقدس وأمره بأن يَسْتَخْلِف على مصر. فاستخلف أبو عون المذكور عكرمةَ على الصلاة وعطاءَ بن شرحبيل على الخراج، وخرج من مصر في النصف من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين ومائة. فلما وصل أبو عون إلى المنصور ببيت المقدس عزله عن إمرة مصر وولّى عليها موسى بن كعب، فكانت ولايته هذه الثانية على مصر ثلاث سنين وستة أشهر.

ودام أبو عون في صحبة الخليفة أبـي جعفر المنصور، وحضر وقعة الرّاوَنْديّة مع المنصور. والرّاونديةُ: قوم من أهل خراسان على رأي أبـي مسلم صاحب الدعوة، يأتي ذكرُهم في الحوادث في سنة الواقعةِ مع المنصور.

* * *

(١) ولاة مصر: ١٢٧، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

السنة الأولى من ولاية أبي عون الثانية على مصر

وهي سنة ثمان وثلاثين ومائة.

فيها بعث أبو جعفر المنصور لقتال مُلَبَّد[١] الشَّيْبانيّ خازمَ بن خُزَيمة، فسار خازم في ثمانية آلاف فارس، وكان ملَبَّد هذا قد خرج على المنصور من أوّل خلافته فٱلتقوْا فقُتل ملَبَّد بعد حروب كثيرة.

وفيها غزا صالح بن عليّ الروم على دابق[٢]، وقد تقدّم ذكرُ ذلك في ترجمته، وأخَذ مَلَطْيَة، وكانت الروم أخذوها من مدّة سنين.

وفيها حجّ بالناس الفضلُ بن صالح بن عليّ العباسيّ من الشام من عند أبيه.

وفيها توفّي زيد بن واقِد الدمشقيّ.

وفيها ظهر عبد الله بن علي العباسيّ وبَعث بالبَيْعة مع أخيه سليمان متولّي البصرة إلى أبي جعفر المنصور فأمنه أبو جعفر المذكور وعفا عنه.

وفيها دخل عبد الرحمن بن معاوية الأُمويّ إلى الأندلس وٱستولى عليها وٱمتدّت أيامُه وبقِيَت الأندلُس في يد أولاده إلى بعد الأربعمائة. وكان هرَب من بني العباس إلى المغرب ودخل الأندلسَ، فسُمِّيَ بعبد الرحمن الداخل. يأتي ذكرُه وذكرُ أولاده من بعده في عدّة أماكن من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وذكر الذهبيُّ وفاةَ جماعة كثيرة في هذه السنة، قال: وتوفّي زيد بن واقد القرشيّ بدمشق، وسُهَيل بن أبي صالح في قولٍ، وسليمان بن فَيْرُوز أبو إسحاق الشيبانيّ في قول، والعَلاء بن عبد الرحمن المَدَنيّ، وعبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله المخزومِيّ في قول، وعَلْقَمَة بن أبي علقمة في قول، وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب في قول، وليث بن أبي سُلَيْم في قول، والمِسْور بن رِفاعة القُرَظِيّ المَدَنِيّ.

---

(١) في الطبري وابن الأثير: «ملبَّد بن حرملة الشيباني» وفي خليفة: «ملبَّد بن حرملة، أحد بني ربيعة».
(٢) قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية أبي عون الثانية على مصر

وهي سنة تسع وثلاثين ومائة.

فيها خرج جعفر بن حَنْظلة البَهْراني[1] فأتى مَلَطْيَة وهي خراب فعسكر بها. وأقبل الأمير عبد الواحد فنزل على مَلَطْية فزرع أرضَها وطبَخ كِلْساً لبناء سورها، ثم خرج عنها لأمرٍ آقتضى ذلك، فأرسل طائفة الروم من أحرق الزرع.

وفيها خرج الأمير صالح بن علي المقدّم ذكره والعباس بن محمد فأوْغَلا في بلاد الروم، وغَزَتا معهما أُمُّ عيسى ولُبابةُ أختا الأمير صالح بن علي المذكور وعمّتا المنصور الخليفة، وكانتا نَذَرتَا إن زال ملكُ بني أميّة أن تُجاهدا في سبيل الله؛ وبعد هذا العام لم يكن غزو إلى سنة ست وأربعين ومائة لاشتغال الخليفة المنصور بخروج آبنيْ عبد الله بن الحسن عليه.

وفيها عزل المنصور عمَّه سليمانَ بن عليّ عن البصرة وولّى عليها سفيانَ بن سعيد.

وفيها آختفي عبدُ الله بن عليّ وآبنهُ خوفاً على أنفسهما؛ وعبدُ الله هذا هو الذي كان خرج على المنصور وآختفى عند أخيه سليمان الذي عُزِل عن البصرة في هذا العام ثم ظفر به المنصور وسجَنه.

وفيها حَجّ بالناس العباسُ آبن أخي المنصور.

وفيها في قول صاحب المرآة: وصل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى جزيرة الأندلس وملَكَها؛ ويُسمى عبد الرحمن الداخل؛

---

(١) في الأصول: «المهراني». وما أثبتناه عن خليفة والطبري وابن الأثير.

وكنيتُه أبو المُطَرِّف؛ وأمُّه أمُّ ولدٍ؛ وبُويـع بـالأندلس في هـذه السنة، وهـو أوّل الخلفاء(١) من بني أميّة؛ وأقام عليها ثلاثاً وثلاثين سنة؛ وقد تقدّم ذكر عبد الرحمن هذا في الماضية في قول الذهبـي.

وفيها وسّـع الخليفةُ أبو جعفر المنصور المسجدَ الحرامَ مما يَلي دار النَّدْوة.

وفيها توفّي عثمان بن عبد الأَعْلى بن سُراقة الأَزْديّ، قاضي دمشق في أيام الوليد بن يزيد.

وفيها توفي عمرو بن مُهَاجر بن دينار أبو عُبَيْد، من الطبقة الرابعة من تابِعي أهل الشام.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثة أذرع وأحد عشر إصبعاً. مبلـغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية أبـي عون الثانية على مصر

وهي سنة أربعين ومائة.

فيها بنَى المَصِّيصةَ(٢) جبريلُ بن يحيى وسكَنها الناسُ.

---

(١) يورد ابن تغري بردي هنا رواية ابن قزأوغلي صاحب مرآة الزمان، وهو لا يوافق عليها، بدليل أنه ينقض هذه التسمية (الخليفة) بالنسبة لعبد الرحمن الداخل، في الجزء الثاني من هذا الكتاب: ص ٨٨ فيقول: إنه لم يلقَّب بأمير المؤمنين، وإن جماعة كثيرة ملكوا الأندلس من ذريته وليس فيهم من لقب بأمير المؤمنين ويؤكد ذلك ابن الأبار في الحلة السيراء: ٣٦/١ (ترجمة عبد الرحمن الداخل) فيقول: وقد أفرد نفسه بالدعاء، إلا أنه لم يَعْدُ اسم الإمارة، وسلك الأمراء من ولده سنته في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، فهو الذي تسمَّى بالخلافة بعد سنين من سلطانه، ودعي بأمير المؤمنين.

(٢) عبارة ابن الأثير: «وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبريل بن يحيى. وكان سورها قد تشعّث من الزلازل» وعبارة خليفة: «فيها كتب أمير المؤمنين أبو جعفر إلى صالـح بن علي يأمره ببناء مدينة المصيصة، فوجه جبريل بن يحيى فرابط بها حتى بناها وفرغ منها سنة إحدى وأربعين ومائة». والمصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس (معجم البلدان: ١٤٤/٥).

وفيها ثار جَمْعٌ من جند خراسان على أميرها أبي داود خالد بن إبراهيم ليلاً حتى وصلوا إلى داره، فأشرف عليهم وجعل يُنادي أصحابَه فانكسرت به آجُرّة فوقع من أعلى داره فانكسر ظهرُه ومات من الغد؛ فبعث الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمرة خراسان عِوَضَه عبدَ الجبّار بن عبد الرحمن الأَزْدِيّ. فسار المذكور وقبض على جماعة من أهل خراسان وقتَلهم.

وفيها توجّه الأميرُ عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن محمد العبّاسي، ابن أخي الخليفة أبي جعفر المنصور، إلى مَلَطْية فأقام بها سنة حتى بناها ورَمَّ شَعَثَها وأسكَنها الناسَ.

وفيها حَجّ بالناس الخليفةُ أبو جعفر المنصور. وعاد من الحج فزار بيت المقدس وسلكَ الشأمَ في طريقه ونزل الرَّقّة فقتَل بها منصورَ بن جعفر العامريّ. ثم سار إلى الهاشِميّة وهي مدينة الكوفة، وأمر بالشروع في بناء مدينة بغداد وآختطّها.

[بناء مدينة بغداد]

وذكر الذهبيّ بِناءَ بغداد في سنة خمس وأربعين ومائة قال: وفي هذه السنة أُسِّسَتْ مدينة السلام بغداد، وهي التي تُدعى مدينة المنصور؛ سار المنصور يطلب موضعاً يتّخذه بلداً فبات ليلةً موضِعَ القصر، فطاب له المبيت ولم ير إلا ما يُحِبّ، فقال: ها هنا ابنوا، فإنه طيّب، ويأتيه مادّةُ الفرات ودِجلة والأنهار؛ فخَطَّ بغداد ووضع أوّلَ لَبِنَة بيده وقال: «بسم الله وبالله والحمد لله [والأرض لله، يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين][1] آبنوا على بركة الله»؛ وسأل راهباً هناك عن أمر الأرض وصحّتها وقال: هل تجدون في كتابكم أن تُبْنى ها هنا مدينة؟ قال: نعم؛ يبنيها مِقْلاصٌ، قال: فأنا كنت أُدعى[2] بذلك. وطلب المنصورُ الصُّنّاع والفَعَلة من

(١) أكثر المصادر أوردت هذه الزيادة.

(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان: ٤٥٨/١، وابن طباطبا في الفخري: ١٦٢ أن مقلاص اسم لص، وأن أبا جعفر دعي بهذا الاسم في صباه وغلب عليه ثم ذهب عنه: دعته به مربية له عجوز كان أبو جعفر قد سرق غزلها وباعه لينفق على رفاق له كان استضافهم.

البلاد وأحضر المهندسين والحكماء والعلماء؛ وكان فيمن أُحْضِر حَجّاج بن أرْطاة وأبو حنيفة؛ ورُسِمت له بالرماد[١]: سورُها وأبوابُها وأسواقُها، ثم بُنِيت حتى كَمل المُهِمُّ منها في عام والباقي في أربع سنين؛ وكانت بقعة بغداد مزرعة تُدعى «المباركة» لستين نفساً، فعوَّضهم المنصورُ عنها وأرضاهم؛ وقيل: إنه ليس في الدنيا مدينة مدوّرة[٢] سواها؛ وعمِل في وسطها دار المملكة بحيث إنه إذا كان في قصره كان جميع أطراف البلد إليه سَواء؛ وسكَنها المنصور ونقل إليها خزائنَه. وقيل سَعَتُها مائة وثلاثون جَريباً[٣]. وأنفق عليها مائة[٤] ألف ألف درهم.

وقال بدر المعتضديّ قال لنا أمير المؤمنين: انظروا كم سَعَة مدينة المنصور؟ فحسبنا فإذا هي ميلان مكسران في ميلين، وقيل: مسافة ما بين كل باب وباب ألف[٥] ومائتا ذراع، وكلُّها مبنيّة بالآجر واللَّبِن؛ واللَّبِنة ذراع في ذراع؛ وزنتها مائة

---

(١) فدخلها من أبوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد؛ ثم أمر أن يجعل على الرماد حبّ القطن، ويشعل بالنار ففعلوا، فنظر إليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها، وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم. (ابن الأثير: ١٦٧/٥).

(٢) جاء في دائرة المعارف الإسلامية: ٣٩٢/٧ «ومهما يكن من شيء فإن الخطة المدوّرة ليست من الخطط غير المألوفة في الشرق الأدنى؛ فتخطيط «أرك» يكاد يكون مدوراً، والمعسكرات الحربية الآشورية أحيار مدورة يحيط بها سياج. ويحصي كرزويل Creswell إحدى عشرة مدينة كانت بيضاوية الشكل أو مدوّرة، من بينها حرّان وهَتْرة ودارابجرد. وهناك شبه عجيب بين دارابجرد ومدينة المنصور في تخطيطها. ومن المحتمل أن المهندسين المعماريين للمدينة المدوّرة كانوا يعرفون مثل هذه الخطط. ويشير ابن الفقيه في «البلدان» إلى أن اختيار التخطيط انحصر بين المربع والدائرة، وأن الأخير أقرب إلى الكمال.

(٣) الجريب مقياس في المساحة وفي الكيل. وهو في المساحة يساوي عشرة أقفزة، والجريب هو مضروب الأشَل بنفسه، والأشَل ستون ذراعاً هاشمية أي ثمانون ذراعاً شرعية، وقيل: هو مائة ذراع؛ وعلى الأول تكون مساحة الجريب ١٤٧٤,٥٦ متراً مربعاً، وعلى الثاني ٢٣٠٤ أمتار مربعة.
والجريب في الكيل يختلف باختلاف البلدان، والمعروف أنه أربعة أقفزة، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك ثلاث كيلجات؛ وهو ٢٢٤٢٦/٧ حبّة، والحبّة نصف العشر من الغرام، فيكون الجريب المكيالي على هذا ١١١ كيلوغراماً و٢٦٣ غراماً و ٦٧/٩١ من الغرام. (معجم متن اللغة: جرب؛ وانظر أيضاً: الأحكام السلطانية للماوردي: ١٩٤، والنظم الإسلامية لصبحي الصالح: ٤٢١).

(٤) في معجم البلدان أنه أنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف دينار. وفي رواية أخرى: أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم.

(٥) هناك أخبار متضاربة عن أبعاد مدينة المنصور، فيذهب خبر إلى أن المسافة بين باب خراسان وباب

رطل وسبعة عشر رطلاً. ولها أربعة أبواب[١]؛ بين الباب والباب ثمانية وعشرون برجاً؛ وعليها سُوران؛ ثم بنى الجامعَ والقصر؛ وفي صدر القصر القبّةُ الخضراء؛ آرتفاعها ثمانون ذراعاً؛ ودامت حتى سقط رأسُها في ليلة مطر ورعد في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة؛ وكان لا يدخل هذه المدينةَ أحدٌ راكباً سوى المنصور وابنه محمد المهديّ[٢].

وقال الصُّولي: قال أحمد[٣] بن أبي طاهر: ذَرْع بغداد ـ يعني الجديدة ـ ذَرْع الجانبين ثلاثة[٤] وخمسون ألف جرِيب، وفي نسخة أخرى غير رواية الصّولي: أنها من الجانبين ثلاثة وأربعون ألف جَرِيب وسبعمائة؛ قال الصّولي: وذكر آبن أبي طاهر: أن عدد حَمّاماتها كانت ذلك الوقت ستين[٥] ألفاً، وقال: أقلّ

= الكوفة ثمانمائة ذراع (٤٠٥,١٢ متراً) ومن باب الشام إلى باب البصرة ستمائة ذراع (٣٠٣,١٢ متراً)؛ وفي خبر آخر عن وكيع أن المسافة بين كل بابين ألف ومائتا ذراع (٦٠٨,٢٨ متراً) وفي خبر ثالث أورده رباح، أحد من شيدوا المدينة، أن المسافة بين كل بابين ميل واحد (أو ٤٠٠٠ ذراع مرسلة أو ١٨٤٨ متراً). انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٣٩٣/٧.

(١) قال ياقوت: كان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان، والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة، والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام، والقاصد من فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة.

(٢) في معجم البلدان لياقوت: ٤٦٠/١ «وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من شيء من الأبواب إلا راجلاً، إلا داود بن علي عمه، فإنه كان متفرّساً وكان يحمل في محفّة، وكذلك محمد المهدي ابنه».

(٣) في الأصل: «أحمد بن طاهر». وفي بعض النسخ: «أحمد بن أبي صالح» وكلاهما تحريف. وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب مصححاً على كتاب «بغداد» لأحمد بن أبي طاهر، وسيأتي صحيحاً. واسم أبي طاهر: طيفور. وأحمد بن طيفور، أبو الفضل: مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة. كان مؤدب أطفال، ثم اشتغل في مهنة الورّاقين. له نحو خمسين كتاباً، منها «تاريخ بغداد» و«المنثور والمنظوم». توفي في بغداد سنة ٢٨٠هـ. وكتابه في تاريخ بغداد لم يبقَ منه إلا المجلد السادس، وهو مخطوط فريد في المتحف البريطاني، ويتناول تاريخ بغداد والدولة العباسية من سنة ٢٠٤هـ إلى وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ. (انظر الأعلام: ١٤١/١؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ٢٠٥/١).

(٤) في الروض المعطار ـ عن أحمد بن أبي طاهر ـ «ثلاثة وسبعون ألف جريب، وسبعمائة وسبعون جريباً».

(٥) كان ذلك أيام الموفق بالله العباسي، ولي العهد لأخيه المعتمد على الله؛ وهو لم يلِ الخلافة اسماً، ولكنه تولاها فعلاً. وأخذ عدد الحمامات يتناقص فبلغ ٢٧,٠٠٠ حمام في عهد المقتدر، و ١٧,٠٠٠ حمام في

ما يدير[١] كل حمام خمسة أنفس، وذكر أن بإزاء كل حمّام خمسةَ مساجد[٢].

قال الذهبيّ: وكذا نقلَ الخطيبُ في تاريخه، وما أعتقد أنا هذا قط ولا عُشْر ذلك، ثم قال الخطيب: حدّثني هلال بن المحسِّن[٣] قال: كنت بحضرة جدّي إبراهيم بن هلال الصابي فقال تاجر: يذكر أن ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمّام فقال جَدّي: سبحان الله! هذا سُدُس ما كنّا عددناه وحصرناه زمن الوزير المهلّبيّ، ثم كانت في دولة عَضُد الدولة بن بُوَيْه خمسة آلاف. ونقل آبنُ خِلّكان أن استكمال بغداد كان في سنة تسع وأربعين ومائة، وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربيّ على دجلة. وبغدادُ اليوم هي الجديدة بالجانب الشرقيّ؛ وفيها دار الخلافة. انتهى كلام الذهبيّ وغيرُه باختصار[٤].

وقد خرجنا عن المقصود في هذا الكتاب لكثرة الفوائد.

وفيها توفّي منصور بن جَعْوَنة بن الحارث بن خالد العامريّ. كان ممّن خرج على بني العباس وآمتنع عن بَيْعتهم.

= عهد معز الدولة، وخمسة آلاف في عهد عضد الدولة، وثلاثة آلاف في عهد بهاء الدولة. وقد أحصيت الحمامات عام ٣٨٣هـ فوجد أن عددها ١٥٠٠ حمام. وتؤكد الروايات أن كل حمام كان يكفي حوالى ٢٠٠ بيت؛ وإذا كان متوسط عدد الأفراد في كل بيت خمسة، فإن عدد سكان بغداد يكون وقتذاك قد بلغ حوالى المليون ونصف المليون. (دائرة المعارف الإسلامية: ٣٩٩/٧؛ ورسوم دار الخلافة: ٣٠ وما بعدها).

(١) في الأصول: «يريد» وهو خطأ.

(٢) في بعض التقديرات أن عدد المساجد كان ثلاثمائة ألف مسجد. (دائرة المعارف الإسلامية) وهو رقم مبالغ فيه. وذكر صاحب الروض المعطار (ص ١١١) أن عدد المساجد في أواخر القرن الثالث الهجري كان حوالى ثلاثين ألف مسجد؛ وهو أقرب إلى الصواب والمعقول.

(٣) في الأصل «الحسن» وهو خطأ. والتصحيح عن «رسوم دار الخلافة» لهلال بن المحسن الصابي مقدمة التحقيق.

(٤) ومن المراجع المتوفّرة حول مدينة بغداد، انظر: معجم ما استعجم للبكري (تحقيق مصطفى السقّا، القاهرة ١٩٤٥ ــ ١٩٤٩ أربعة أجزاء) ومعجم البلدان لياقوت (دار صادر بيروت)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (دار الكتب العلمية بيروت)، والروض المعطار للحميري (تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت)، وكتاب بغداد لابن طيفور (القاهرة ١٩٤٩)، وصورة الأرض لابن حوقل (دار مكتبة الحياة بيروت)، والمسالك والممالك للكرخي (تحقيق محمد جابر الحيني ــ القاهرة ١٩٦١) هذا بالإضافة إلى كتب التاريخ الإسلامي العام المعروفة.

وذكر الذهبيّ وفاةَ جماعة في هذه السنة قال: وفيها توفي أيّوب أبو العَلاء القَصّاب[١]، وداود[٢] بن أبي هند في أوّلها، وأبو حازم سلمة بن دينار الأعرج، وسُهَيْل بن أبي صالح، وسعد بن إسحاق بن كعب، وصالح بن كَيْسان، وعُرْوة بن رُوَيْم. وقيل: وفيها توفّي عمارة بن غَزِيَّة الأنصاريّ، وعمرو بن قيس السَّكُونيّ الحِمْصيّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة أصابع. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً ونصف.

---

(١) هو أيوب بن مسكين، كما في تاريخ خليفة: ٤١٩.

(٢) داود بن أبي هند القشيري (تقريب التهذيب). وجعل خليفة وفاته سنة ١٣٩هـ.

ذكر ولاية موسى بن كَعب على مصر(١)

هو موسى بن كعب(٢)، الأمير أبو عُيَيْنة التَّمِيميّ، أحد نقباء بني العباس. ولاه الخليفةُ أبو جعفر المنصور على إمْرة مصر بعد عَزْل أبي عون، فدخل مصرَ لأربع عشرة بقِيَتْ من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائة. وسمّاه صاحبُ «البُغْيَة» موسى بن كعب بن عُيَيْنة.

قلت: ووُلِّيَ على صلاة مصر وخراجها معاً، ونزل العسكرَ المقدّمَ ذكرُه وسكَنه، وجعل على شُرْطته عِكْرِمةَ بن عبد الله [بن قحزم](٣) وباشَر أمْرَ مصر بحُرمة وافرة، ونَهى الجندَ أن يتوجّهوا إليه أو يتكلّموا معه إلا في أمر مُهِمّ، ولا يفعلوا به كما كانوا يفعلون بالأمراء من قبله، فانتهوْا عنه حتى إنه لم يُمَكِّن أحداً أن يجتاز ببابه إلا من له عنده حاجة أو أَذِن له في ذلك.

وموسى هذا هو أوّل من بايع أبا العباس السفّاح بالخلافة في مبدأ أمره وأخرجه إلى الناس، وكان هو القائم بأمر بني العباس مع أبي مسلم الخراسانيّ؛ وكان موسى هذا يسافر إلى البلاد ويدعو الناسَ للقيام مع بني العباس حتى قَبض عليه أسد بن عبد الله القَسْريّ عاملُ خراسان يوم ذاك لبني أمية، فأمر به أسدٌ فأُلْجِم بلجام وكُسِرت أسنانه وعُوقب ثم أُطْلِق بعد شدائد؛ فلما صار الأمر إلى بني العباس أمالوا الدنيا عليه، وكان قاسى الأهوالَ بسبب دعوتهم وعُذِّب وحُبِس كما سيأتي ذكره؛ وكان يقول لما ولِي مصرَ: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان؛ وكان أبو جعفر المنصور يعظِّمه ويُجِلّ مِقداره؛ وكان جعله على

---

(١) ولاة مصر: ١٢٨، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) ونسبه الكامل كما جاء في الكندي: موسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن سريّ بن عائذة بن الحارث بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر.

(٣) زيادة عن الكندي.

شُرْطَته ثم[١] ولّاه مصرَ مُكْرهاً وأضاف له السِّند. فلم تَطُل مدّتُه على إمْرة مصر وعزَله أبو جعفر المنصور في ذي القَعْدة كما سيأتي ذكرُه بمحمد بن الأشعث؛ وكتب إليه المنصور: إني عزلتُك عن غير سخط، ولكن بلغني أنّ عاملاً[٢] يُقْتَل بمصر يقال له موسى، فكرِهت أن تكونه؛ فأخذ موسى كلامَ المنصور لغرض من الأغراض. فقُتل بعد ذلك بسنين موسى بن مُصْعَب، في خلافة محمد المهديّ كما سيأتي ذكره إن شاء الله.

ولما صُرِف موسى بن كعب عن إمْرة مصر آستخلف على الجند خالد بن حبيب وعلى الخراج نَوْفَلَ بن الفُرات. وخرج موسى هذا من مصر لِستٍّ بَقِين من ذي القعدة سنة إحدى وأربعين ومائة، وكانت ولايتُه على مصر سبعة أشهر وأياماً؛ ولما خرج من مصر سار حتى قدِم على الخليفة أبي جعفر المنصور فأكرم الخليفةُ نُزُلَه وولّاه على الشُّرطة ثانياً، ومات بعد مدّة يسيرة؛ وقيل: إنه توجّه مريضاً فمات في أثناء قدومه، ولم يَلِ الشرطةَ ولا غيرَها؛ وعلى القولين فإنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى.

وأما أمرُ موسى هذا مع أسد، وكان ذلك في سنة سبع عشرة ومائة، فإنه كان خرج هو وسليمان بن كَثِير ومالك بن الهَيْثم ولاهِزُ بن قُرَيْظ وخالد بن إبراهيم وطَلْحة بن زُرَيْق فدَعُوا الناسَ لبني العباس، فظهر أمرُهم فقَبَض عليهم أسدُ بن عبد الله وقال لهم: يا فَسَقَة، ألم يقُل الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[٣] فقال له سليمان بن كَثِير: نحن والله كما قال الشاعر: [الرمَل]

لو بغير الماء حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصّانِ بالماء آعتصاري[٤]

صِيدتْ واللّهِ العقارب بيديك.

---

(١) ذكر صاحب الأعلام (٣٢٧/٧) أن المنصور ولاه شرطته وأضاف إليه ولاية الهند ومصر، فأرسل موسى نائبين عنه إلى ذينك القطرين، وأقام مع المنصور. ثم رحل إلى مصر في عام وفاته فأقام سبعة أشهر وأياماً.

(٢) كذا في الكندي، وفي الأصول «غلاماً».

(٣) سورة المائدة /٩٥.

(٤) في الأصول: «بالماء الزلال». وما أثبتناه عن لسان العرب والطبري وابن الأثير. والبيت لعديّ بن زيد.

إنّا أُناس من قومك، وإنّ المُضَريّة رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشدَّ الناس على قُتَيْبة بن مُسْلم فطلبوا بثأرهم. فحبسهم وأطلقَ من كان معهم من أهل اليمن لأنه كان منهم، وأراد قتل من كان من مُضَر، فدعا موسى بن كعب هذا وألْجَمه بلجام حمار وجذَب اللِّجامَ فتحطّمت أسنانُه ودُقّ وجهه وأنفُه؛ ثم دَعا لاهِزَ بن قُرَيْظ وضربه ثلاثمائة سوط[1].

* * *

السنة التي حكم فيها موسى بن كعب على مصر

وهي سنة إحدى وأربعين ومائة.

فيها كان عَزْلُه وولايتُه.

وفيها كانت وقعة الرَّاوَنْدِيّة ببغداد؛ وهم قوم من خراسان على رأي أبـي مسلم الخراساني، يقولون بتناسخ الأرواح، فيزعمون أن روح آدم عليه السلام حلّت في عثمان بن نَهِيك، وأنّ المنصور هو ربهم، وأنّ الهيثم بن معاوية هو جبريل؛ وأَتَوْا قصرَ المنصور وجعلوا يطوفون به[2]، فقبض المنصورُ على مائتين منهم وحَبَسهم فغضِب الباقون، فعمَدوا إلى نَعْش فارغ وحملوه يزعمون أنها جنازة ومرّوا بها على باب السجن، فشدّوا على أهل السجن بالسلاح حتى فتحوا باب السجن، وأخرجوا أصحابهم وقصدوا المنصور. فخرج إليهم المنصور على غفلة فكانت بينهم وقعةٌ كاد المنصور أن يُقتل فيها، وقُتل عثمان بن نَهِيك بسهم ثم وضـع المنصورُ فيهم السيفَ.

وفيها عزل الخليفة أبوجعفر المنصور زياد بن عبيد[3] الله الحارثي عن مكة والمدينة والطائف وولّى محمدَ بن خالد بن عبد الله القَسْريّ المدينةَ، وولى الهيثم بن معاوية مكّةَ والطائف.

---

(١) انظر الخبر مفصلًا في الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١١٧هـ).

(٢) ويقولون: «هذا قصر ربّنا». (الطبري وابن الأثير حوادث سنة ١٤١هـ).

(٣) في الأصل «عبد الله». وما أثبتناه عن خليفة والطبري وابن الأثير.

وفيها توفي موسى بن عقبة بن أبي عَيّاش المَدَنيّ، أبو محمد، صاحب المغازي، مولى آل الزبير بن العوّام؛ ومَغازِيه(١) في مجلد صغير. أدرك سَهْلَ بن سعد وحدّث عن أم خالد بنت خالد وعن عُرْوة وكُرَيْب وأبي سَلَمة بن عبد الرحمن والأعرج وحمزة بن عبد الله بن عمرو الزهري وخَلْقٍ؛ وحدّث عنه ابنُ جُرَيْج والإمامُ مالك وعبد الله بن المبارك وابن عُيَيْنة وغيرهم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وخمسة أصابع. مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية أصابع.

(١) ومغازيه أصح المغازي. قال الإمام ابن حنبل: عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة. وقيل للإمام مالك: عمن نأخذ المغازي فقال: عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة فإنها أصحّ المغازي عندنا. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١١٨/٢، وكشف الظنون: ١٧٤٧/٢، والأعلام: ٣٢٥/٧).

ذكر ولاية محمد بن الأشْعَث على مصر(١)

هو محمد بن الأَشْعَث بن عُقْبة بن أُهْبان(٢) الخُزاعي، أمير مصر. ولِيَها من قِبَل المنصور بعد عزْل موسى بن كعب التميميّ. ولّاه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور على الصلاة والخراج معاً.

وقدِم مصرَ في يوم الاثنين خامس ذي الحجّة من سنة إحدى وأربعين ومائة؛ وولّى على شرطته المُهَاجر بن عثمان الخُزَاعيّ ثم عزَله وجعل عِوَضه محمدَ بن معاوية [بن بَحير بن ريسان](٣) الكلاعيّ مكانه.

ولما آستقرّ محمد بن الأشعث هذا في إمرة مصر، أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور إلى نَوْفل بن الفُرات: أن اعرِضْ(٤) على محمد بن الأشعث ضَمانَ خَراج مصر، فإن ضمِنه فأَشْهِد عليه وأشخص إليَّ الشهادة، وإن أبى فكن أنتَ على الخراج عادتك؛ فعرض نَوْفل على ابن الأشعث هذا الكلامَ فأبى من الضَّمان(٥)، فانتقل نوفلٌ إلى الدواوين(٦) ففقد محمدُ بن الأشعث مَنْ عنده فسأل عنهم، فقيل له: هم عند صاحب الدواوين(٧)، فنَدِم ابنُ الأشعث على ما وقع منه من تَرْك الخراج.

(١) ولاة مصر: ١٣٠، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) انظر بقية نسبه في ولاة مصر للكندي.

(٣) زيادة عن الكندي.

(٤) في الأصل «أن يعرض». وما أثبتناه عن الكندي، وهو المناسب لسياق الجملة، بدليل ما سيأتي بصيغة المخاطب.

(٥) عبارة الكندي: «فعرض عليه ذلك، فاستشار محمد بن الأشعث كاتبه، فأشار عليه أن لا يفعل».

(٦) في الكندي: «فانتقل نوفل بالدواوين إلى دار الرمل».

(٧) في الكندي: «عند صاحب الخراج».

ثم جهّز آبنُ الأشعث جيشاً[١] بعَثَ به إلى المغرب فانهزم الجيشُ؛ وخرج آبنُ الأشعث يوم الأضحى سنة اثنتين وأربعين ومائة وتوجّه إلى الإسكندرية، وآستخلف محمدَ بن معاوية صاحبَ شرطته على الصلاة؛ ولم يكن إلا القليل ووَرَد عليه البريدُ بعزله عن إمرة مصر؛ ووليَ مصرَ عِوضه حُمَيْدُ بن قَحْطَبة وذلك في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة.

وخرج محمد بن الأشعث بعد عزله عن مصر وتوجّه إلى الخليفة المنصور فأكرمه أبو جعفر المنصور وجعله من أكابر أمرائه. ودام عنده حتى وجّهه المنصورُ مع ابنه محمد المهديّ إلى غزو الروم، فتوجّه محمدُ بن الأشعث مع المهديّ هو والحسن بن قَحْطَبة، فمرِض آبن الأشعث في أثناء الطريق ومات، فكانت ولايتُه على مصر سنةً واحدة وشهراً واحداً.

وكان عنده نَبَاهةٌ وشجاعة ومعرفة؛ وهو أحد أكابر أمراء بني العباس؛ وقد تقدّم ذكره في عدّة وقائع، منها واقعة جَهْوَر[٢] بن مَرّار[٣] العِجْليّ. وأمره أنه خلع الخليفة المنصور بالرّيّ. وكان سبب ذلك أن جهوراً لما هزَم سُنباذ حوَى ما كان في عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم الخراساني فلم يوجهها إلى المنصور، ثم خاف من المنصور فخلَعَه من الخلافة، فوجّه إليه أبو جعفر المنصور محمدَ بن الأشعث هذا في جيش عظيم. فسار محمد هذا إلى نحو الرّيّ، ففارقها جهور وسار نحو أصبهان؛ ودخل محمد الريّ وملَك جهور أصبهانَ، فأرسل إليه محمد عسكراً وبقي هو بالرّيّ. فأشار على جهورٍ بعضُ أصحابه أن يسير في نُخْبة من عسكره إلى جهة محمد بن الأشعث فإنه في قلّة، فإن ظَفِر به فلم يكن [لمن][٤] بعده بقيّة، فسار جهور إليه مُجدّاً. وبلغ محمداً خبره فحذِر وآحتاط[٥] وأتاه عسكر من خراسان

---

(١) ذكر الكندي أن ابن الأشعث عقد لأبي الأحوص عمرو بن الأحوص على جيش وبعث به إلى المغرب لقتال أبي الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْح الإباضي مولى المعافر، فلقيه أبو الخطاب بمغمداش (بجوار سرت) فهزم أبا الأحوص وقتل عسكره.

(٢) كذا في الطبري، وفتوح البلدان، ومعجم البلدان. وفي الأصول وابن الأثير: «جمهور».

(٣) في الأصول: «مراد» بالدال. وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير وخليفة.

(٤) زيادة عن ابن الأثير.

(٥) في الأصل: «واحتاطه»، وما أثبتناه من ابن الأثير.

فقوِيَ بهم فالتقوْا بقصر الفيروزان[١] بين الريّ وأصْبِهان فاقتتلوا قتالاً عظيماً، ومع جهور نخبة فرسان العجم، فهُزم جهور وقُتل من أصحابه خَلْقٌ كثير. فهرب جهور ولحِق بأَذْرَبِيجان ثم قُتل بعد ذلك بأسبار[٢]، قتلَه أصحابُه وحملوا رأسَه إلى أبي جعفر المنصور؛ ولمحمد هذا عدّةُ مواقف وأمور يطول شرحها.

* * *

السنة التي حكم فيها محمد بن الأشعث على مصر

وهي سنة آثنتين وأربعين ومائة.

فيها خرج عُيَيْنة بن موسى متولّي السند عن الطاعة، فخرج الخليفةُ أبو جعفر المنصور إلى البصرة، وجهّز عمرو بن حفص العَتَكي على السّند لمحاربة ابن موسى المذكور، فسار وغلَب على الهند والسّند.

وفيها نقض إصْبَهْبَذ طَبَرِسْتان وقتَل من بها من المسلمين. فآنتُدِب لحربه خازم بن خُزَيْمة ورَوْح بن حاتم وأبو الخصيب مرزوق مولى المنصور، فحاصروه حتى ظفِروا بالمدينة وَقتَلوا وسَبَوا؛ فلما رأى إصْبَهْبَذ ذلك مَصّ سُمّاً كان في خاتمه فهلك؛ وكان من جملة السَّبْي شَكْلَة أُمّ إبراهيم ابن المهدي الآتي ذكرُها وذكرُه في الحوادث.

وفيها ولّى الخليفةُ أبو جعفر المنصور أخاه العباس بن محمد على الجزيرة.

وفيها توفّي حُمَيْد بن أبي حُمَيْد الطويل: كان ثقةً كثيرَ الحديث. أَسْنَد عن أنس وغيره، ورَوى عنه الإمامُ مالكٌ وغيرُه.

وذكر الذهبيُّ وفاةَ جماعة في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أَسْلَم المِنْقَريّ، وحبيب بن أبي عَمْرة القَصّاب، والحسن بن عبيد الله، والحسن بن عمرو الفُقَيْمِي،

---

(١) من قرى أصبهان. (معجم البلدان: ٢٨٣/٤).

(٢) في الطبري وابن الأثير: «أسباذروا». وأسبار: قرية على باب جَيّ مدينة أصبهان. ويقال لها: أسبارديس. (معجم البلدان: ١٧١/١).

وأبو هانىء حُمَيْد بن هانىء الخَوْلاني المِصريّ، وحُمَيْد الطويل في قول، وخالد الحَذّاء، وسعد بن إسحاق بن كعب في قول، والأمير سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس، وعاصم بن سليمان الأحول، وعمرو بن عُبَيْد المُعْتزِليّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماءُ القديم ذراعان وإصبع واحد. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً.

ذكر ولاية حُمَيْد بن قَحْطَبة على مصر(١)

هو حميد بن قحطبة بن شَبِيب بن خالد بن مَعْدَان الطائي أمير مصر. ولِيَها من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور بعد عَزْل محمد بن الأشعث في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة. جمع له أبو جعفر المنصور صلاة مصر وخراجها معاً، فدخَل إلى مصر في عشرين ألفاً من الجند يوم الجمعة لخمسٍ خَلَوْن من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة، فجعل على الشرطة محمد بن معاوية بن بَحير؛ وقبل أن تطُول مدّتُه بمصر ورد عليه عسكر آخر(٢) من قِبَل الخليفة لغزو إفريقية؛ وكان قدومُ العسكر المذكور إلى مصر في شوّال من السنة، فجهّز حُميد العساكر وجعل عليهم أبا الأحوص العَبْديّ، وكان العسكر ستة آلاف فارس. فتوجّه أبو الأحوص بمن معه من العساكر حتى التقى مع أبي الخطاب الأَنْماطي بِبَرْقَة فتقاتلا، فانهزم أبو الأحوص بمن معه إلى جهة الديار المصريّة. فخرج حُمَيْد بن قحطبة بنفسه حتى وصل إلى برقة والتقى مع أبي الخطاب المذكور، فقاتله حتى هزَمه وقتل أبا الخطاب المذكور وجماعةً من أصحابه(٣)؛ ثم عاد إلى مصر منصوراً، فأقام بها إلى أن قدِم إلى مصر عليّ بن محمد(٤) بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعيةً لأبيه فدَسّ(٥) إليه حُميد هذا فتغيب، فكتب ذلك لأبي جعفر المنصور فغضِب وصرَفه

---

(١) ولاة مصر: ١٣٢، وخطط المقريزي: ٣٠٦/١، وحسن المحاضرة: ١٠/٢، ومعجم زامباور: ٣٩.

(٢) على رأسهم عامر بن إسماعيل (الكندي: ١٣٢).

(٣) هذا الخبر (من «فجهز» إلى «أصحابه») أورده خليفة في أخبار ١٤٣هـ، وذكر أن الذي وجّه أبا الأحوص هو محمد بن الأشعث.

(٤) وهو المعروف بمحمد النفس الزكيّة. وذكر ابن خلدون في تاريخه: ١٩٠/٣ أن الإمامين مالكاً وأبا حنيفة كانا يريان إمامة النفس الزكية أصح من إمامة المنصور، وعرف المنصور ذلك عنهما فآذاهما.

(٥) كذا في الأصول والمقريزي. والكلام مقتضب غير مفهوم. ولعلّ عبارة الكندي: ١٣٢ أوضح. قال: وقدم إلى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، في إمرة حميد بن قحطبة، داعية لأبيه وعمه، فنزل على عسّامة بن عمرو المعافري. فذكر ذلك صاحب السكّة لحميد بن قحطبة وقال: ابعث

عن إمرة مصر في ذي القعدة بيزيد بن حاتم. فخرج حُمَيْد بن قَحْطَبَة من مصر لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة؛ وكانت ولايتُه على مصر سنة واحدة وشهرين إلا أياماً.

ولما خرج حميد بن قحطبة المذكور من مصر توجّه إلى الخليفة أبي جعفر المنصور فأكرمه الخليفةُ وجعله من جملة أمرائه. ووجّهه بعد ذلك لغزو إرْمِينيّة في سنة ثمان وأربعين ومائة فسار ثم عاد ولم يَلْقَ حرباً؛ ثم أرسله الخليفةُ أبو جعفر المنصور أيضاً في سنة آثنتين وخمسين ومائة لغزو كابُل؛ ثم ولّاه بعد ذلك إقليم خُراسان مدّة؛ ثم نقلَه إلى عمل خُرَاسان فأقام بها مدّة طويلة إلى أن مات في خلافة المهديّ سنة تسع وخمسين ومائة. وكان أميراً شجاعاً مقْداماً عارفاً بأمور الحروب والوقائع؛ وتنقّل في الأعمال الجليلة، مُعَظَّماً عند بني العباس؛ وقد تقدّم ذكرُ ما حضَره حُمَيْد هذا مع أبيه قَحْطَبة من الوقائع في آبتداء دعوة بني العبّاس؛ ثم قام هو وأخوه الحسن بن قحطبة في دعوتهم، وقاتلوا جيوشَ مروان بن محمد إلى أن هزموه وتَمّ أمرُ بني العباس؛ فعَرفوا لِحُمَيْد ذلك، وولّوه الأعمالَ الجليلةَ إلى أن مات في التاريخ المقدّم ذكره.

* * *

السنة الأولى من ولاية حُمَيْدِ بن قَحْطَبة على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعين ومائة.

فيها بلغ المنصورَ أن الدَّيْلم قد أوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم خلائق، فنَدَب أبو جعفر المنصور الناسَ للجهاد.

= إليه فخذه، فقال حميد: هذا كذب، ووسَّ إليه فتغيَّب (وفي خطط المقريزي: ٣٣٨/٢: ودسَّ إليه أن تغيَّب). وأشار ابن الأثير إلى هذا الخبر بشكل مختلف (أخبار سنة ١٤٤هـ)، قال: وكان محمد قد أرسل ابنه علياً إلى مصر يدعو إليه، فبلغ خبره عامل مصر، وقيل له: إنه على الوثوب بك والقيام عليك بمن شايعه، فقبضه وأرسله إلى المنصور.

وفيها عزل المنصور الهَيْثَم [بن معاوية][1] عن إمرة مكة بالسَّريّ ابن عبد الله بن الحارث بن العباس العباسيّ.

وفيها حَجّ بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ الهاشميّ العبّاسيّ أمير الكوفة.

قال الذهبيّ: وفي هذا العصر شرَع علماءُ الإسلام في تدوين الحديث[2]

---

(١) زيادة عن خليفة.

(٢) أكثر الباحثين في تاريخ العلوم وتصنيفها عند العرب لم يعتبروا عصر بني أمية عصر تصنيف، إذ لم توضع فيه كتب جامعة مبوبة مفصلة، وإنما كان هنالك مجموعات تدوّن حسب ورودها واتفاق روايتها (انظر: تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي للشيخ أحمد الاسكندري، ص ٧١ ـ ٧٤، مطبعة السعادة بمصر؛ وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان: ٥٧/٣) أما فيما يتعلق بتدوين الحديث النبوي فلا بد من الحذر من الأخذ برأي الذهبي في اعتبار هذا العصر، أي العصر العباسي، عصر بدء تدوين الحديث، لأن كتابة الحديث بدأت منذ عهد النبي واستمرت بوتائر متفاوتة إلى أن بلغت غايتها مع تأليف المسانيد والكتب الستّة الصحيحة المعروفة على رأس المائة الثانية للهجرة إلى منتصف المائة الثالثة. وقد روى الترمذي أن سعد بن عبادة الأنصاري كان يملك صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث الرسول وسننه (سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب اليمين مع الشاهد) ويروي البخاري أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبي أوفى الذي كان يكتب الأحاديث بيده، وكان الناس يقرؤون عليه ما جمعه بخطه (صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الصبر على القتال). وسمرة بن جندب كان قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها ابنه سليمان ورواها عنه (تهذيب التهذيب: ١٩٨/٤) ومن أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي: الصحيفة الصادقة، التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص من رسول الله، وقد اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير (أسد الغابة: ٢٣٣/٣) وهي أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث في عهد النبي، وقد حفظها لنا الإمام أحمد في مسنده (مسند أحمد بن حنبل: ١٥٨/٢ ـ ٢٦٢) وقد شاعت في عصر الصحابة صحيفة خطيرة الشأن أمر النبي نفسه بكتابتها في السنة الأولى للهجرة، وهي الصحيفة التي دون فيها كتاب رسول الله حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة (الوثائق السياسية والإدارية في العهد النبوي للدكتور محمد حميد الله، وثيقة رقم واحد). وهناك صحيفة جمعها أبو هريرة ورواها عنه تلميذه التابعي همام بن منبّه ثم نسبت إليه فقيل: صحيفة همام، وهي في الحقيقة صحيفة أبي هريرة؛ وقد عرفت هذه الصحيفة باسم: الصحيفة الصحيحة وقد احتوت على ١٣٨ حديثاً. (مسند أحمد: ٣١٢/٢ ـ ٣١٩). ومما يذكر أيضاً أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أمر رسمياً بالشروع في تدوين الحديث حين كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره: «انظر ما كان من حديث رسول الله، أو سنّة ماضية، أو حديث عَمْرَة، فاكتبه، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله» وعمرة المذكورة هي عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، وقد ضمَّ إليها في بعض

والفقه والتفسير؛ وصنّف آبنُ جُرَيجْ[١] التصانيفَ بمكة، وصنّف سعيد بن أبي عَرُوبة[٢] وحمّاد[٣] بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنّف أبو حنيفة الفقهَ والرأيَ بالكوفة، وصنف الأَوْزاعيّ[٤] بالشأم، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة، وصنف آبنُ إسحاق المَغَازِي، وصنف مَعْمَر[٥] باليمن، وصنّف سُفْيان الثَّوْريّ كتابَ «الجامع»[٦]، ثم بعد يسير صنّف هشام[٧] كتبه، وصنّف اللّيثُ بن سعد وعبدُ الله بن لهِيعة، ثم آبنُ المبارك[٨] والقاضي أبو يوسف يعقوب وابنُ وهب؛ وكثُر تبويب العلم وتدوينه، ورُتّبت ودوِّنت كتبُ العربية واللغة والتاريخ وأيّام الناس؛ وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلّمون عن حفظهم ويروُون العلَم عن صحف صحيحة غير مرتّبة؛ فسَهُل ولله الحمد تناولُ العلم فأخذ الحفظُ يتناقص؛ فلله الأمرُ كله. آنتهى كلام الذهبيّ.

وفيها توفّي سليمان بن طَرْخان أبو القاسم التّيميّ، من الطبقة الرابعة من تابعي

= الروايات اسم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. (انظر مفتاح السنّة لمحمد عبد العزيز الخولي: ص ٢٠). وقد عقد الدكتور الشيخ صبحي الصالح فصلاً خاصاً في كتابه: علوم الحديث ومصطلحه، ناقش فيه آراء المستشرقين الذين يذهبون إلى القول بأن الحديث لم يدوّن إلا على رأس المائة الثانية للهجرة، ورأى أنهم يرمون من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، وإلى وصم السنّة بالاختلاف والوضع على ألسنة المدونين لها. (علوم الحديث ومصطلحه: فصل حول تدوين الحديث، ص ١٤ ـ ٤٩).

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج المتوفى ببغداد حوالى سنة ١٥٠هـ. وكان جدّه جريج عبداً رومياً، وأصل اسمه: جريجوريوس. وقد جمع في كتابه: في الآثار وحروف التفسير، أحاديث لمجاهد وعطاء وأصحاب عبد الله بن عباس بمكة. (انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ١٥٢/٣).

(٢) واسم ابيه: مهران. توفي سنة ١٥٦هـ (الأعلام: ٩٨/٣).

(٣) توفي سنة ١٦٧هـ. قال ابن ناصر الدين: هو أول من صنّف التصانيف المرضية. (الأعلام: ٢٧٢/٢).

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، نسبة إلى قبيلة الأوزاع. توفي سنة ١٥٧هـ. (الأعلام: ٣٢٠/٣).

(٥) هو مَعْمَر بن راشد الصنعاني المتوفى سنة ١٥٣هـ. (الأعلام: ٢٧٢/٧).

(٦) ذكر بروكلمان أن هذا المصنَّف من المصنَّفات في المرحلة الأولى، والتي ضاعت.

(٧) لعل الصواب «هُشَيْم». وهو هُشَيم بن بشير بن أبي خازم المتوفى سنة ١٨٣هـ. مفسّر من ثقات المحدثين. له: التفسير، وكتاب السنن، والمغازي. (الأعلام: ٨٩/٨).

(٨) هو عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي المتوفى سنة ١٨١هـ.

أهل البصرة؛ كان من العبّاد المجتهدين، وكان يصلّي الغداةَ بوُضوء العشاء سنين عديدة.

وفيها توفّي يحيى بن سعيد، أبو سعيد الأنصاريّ، القاضي الفقيه، من الطبقة الخامسة من أهل المدينة. قـدِم على الخليفة أبي جعفـر المنصور بـالكوفـة فآستقضاه على الهاشميّة.

أمرُ النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابـع. مبلـغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابـع سواء.

* * *

السنة الثانية من ولاية حُمَيْد بن قَحْطَبة على مصر

وهي سنة أربـع وأربعين ومائة.

فيها غزا محمد بن أبـي العباس السفّاح الدَّيْلَم بجيش الكوفة والبصرة وواسط والجزيرة.

وفيها قدِم محمدُ المهديّ ابنُ الخليفة على أبيه أبـي جعفر المنصور من خُراسان وقد بنى بابنة عمه رَيْطَة بنت السفّاح.

وفيها حـجّ بالناس الخليفةُ أبو جعفر المنصور، وخلّف على العسكر خازم بن خُزَيْمة، فاستعمل على المدينة رِيَاح بن عثمان المُزَنيّ[1] وعزل محمداً القَسْريّ. وكان المنصور قد أهمّه شأنُ محمد وإبراهيم آبني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب، لتخلّفهما عن الحضور إلى عنده مـع الأشراف، وما كفَاه ذلك حتى قيل له: إن محمد بن عبد الله المذكور ذكر أن المنصور لما حَـجّ قبل أن يَلِي الخلافةَ في حياة أخيه السفّاح وكان ممّن بايـع له[2] ليلةَ آشْتَوَر[3] بنو هاشم بمكة

(١) كذا في الأصل. وفي ابن الأثير وخليفة بن خياط: المريّ، وهو الصواب.

(٢) أي ممـن بايـع لمحمد بن عبد الله حين اضطرب أمر مروان بن محمد. (ابن الأثير: ١٣٧/٥).

(٣) أي تشاوروا.

فيمن يعقدون له الخلافة حين[١] آضطرب ملك بني أمية. قلت: لعلّ ذلك كان قبل أن يَلي السفّاحُ الخلافةَ وقبل قتل مروان الحمار. وكان أبو جعفر المنصور سأل زياداً[٢] متولّيَ المدينة عنهما قبل ذلك؛ فقال: ما يهُمّك [من أمرهما][٣] يا أمير المؤمنين، أنا آتيك بهما. فضمّنه إياهما في سنة ست وثلاثين ومائة ولم يفِ زياد بالضّمانة؛ وصار المنصور في أمر عظيم من جهة عبد الله وآبنيه، وطال عليه الأمرُ، وعبدُ الله وولداه في آختفائهم، حتى قَبض المنصورُ على عبد الله المذكور وحبَسه وحبس معه جماعةً كثيرة من بني حسن، وهم حسن وإبراهيم آبنا حسن بن الحسن، وحسن[٤] بن جعفر بن حسن بن الحسن، وسليمان وعبد الله ابنا داود بن حسن بن الحسن، وسهيل وإسحاق ابنا إبراهيم المذكور[٥]، وعيسى[٦] بن حسن بن الحسن، وأخوه عليّ القائم[٧]؛ فقيّد المنصورُ الجميعَ وحبَسهم، [وجَهَر على المنبر بسبّ محمد بن عبد الله وأخيه، فسبَّح الناسُ وعظَّموا ما قال، فقال رياح: ألصق الله بوجوهكم الهوان، لأكتبنّ إلى خليفتكم غشَّكم وقلَّة نصحكم، فقالوا: لا نسمع منك يآبن المحدودة؛ وبادروه يرمونه بالحصى؛ فنزل وآقتحم دار مروان وأغلق الباب، فخفّ بها الناس، فرموه وشتموه ثم إنهم كفّوا؛ ثم إن آل حسن حُملوا في أقيادهم إلى العراق][٨].

---

(١) في الأصول: «حتى» وهو تحريف.

(٢) زياد بن عبد الله الحارثي.

(٣) زيادة عن ابن الأثير.

(٤) كذا أيضاً في الطبري. وفي ابن الأثير: جعفر بن الحسن بن الحسن.

(٥) في الطبري وابن الأثير: محمد وإسماعيل وإسحاق أبناء إبراهيم بن الحسن.

(٦) لم يرد ذكره في الطبري وابن الأثير.

(٧) في الطبري وابن الأثير: «العابد». وذكر الطبري وابن الأثير أسماء آخرين من أولاد الحسن حبسهم المنصور مع هؤلاء. (انظر حوادث سنة ١٤٤هـ).

(٨) العبارة المحصورة ما بين مربعين منقولة عن تاريخ الإسلام للذهبي في ذكر سنة ١٤٤هـ، ويؤيدها ما ورد في الطبري في حوادث هذه السنة. وقد وردت في الأصول هكذا: «ثم جهَّز المنصور علياً بسبب محمد بن عبد الله المذكور وأخيه إبراهيم، فسار وظفر بهما بعد ذلك وحبسهما، على ما يأتي ذكره» ولا يخفى ما في عبارة المؤلف من خطأ وتحريف.

وفيها توفي صالح بن كَيْسان أبو محمد، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان يؤدّب [ولد][1] عمرَ بن عبد العزيز بن مروان وأولادَ الوليد بن عبد الملك، ثم ضمّه عمر بن عبد العزيز إلى نفسه؛ وكان قد جمع بين الفقه والحديث والدين والمروءة.

وفيها توفي عبد الله بن شُبْرُمة الضّبيّ، أبو شُبْرُمة. من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة؛ كان فقيهاً ديّناً حسن الخلق قليل الحديث.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأحد عشر إصبعاً. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

انتهى الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة

ويليه الجزء الثاني

وأوّله ذكر ولاية يزيد بن حاتم على مصر

(١) زيادة عن تهذيب التهذيب.

المصادر والمراجع

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ـ دار الكتب العلمية بيروت.

٢ ـ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ـ دار الفكر الحديث ـ بيروت ١٩٨٨.

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ـ المطبعة الإسلامية ـ طهران ١٢٨٠هـ.

٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥ ـ أصدق الأخبار في الأخذ بالثار للسيد محسن الأمين العاملي ـ دار العالم الإسلامي ـ بيروت ١٩٨١.

٦ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٦.

٧ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي ـ تحقيق حسن الأمين ـ دار التعارف بيروت ١٩٨٦.

٨ ـ إغاثة الأمة في كشف الغمّة (أو تاريخ المجاعات في مصر) للمقريزي ـ منشورات دار ابن الوليد ـ دمشق ١٩٥٦.

٩ ـ إغاثة الأمة في كشف الغمّة للمقريزي ـ منشورات مؤسسة ناصر ـ بيروت ١٩٨٠.

١٠ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة.

١١ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢ ـ الأمالي في لغة العرب لأبي علي القالي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٨.

١٣ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ١٩٨٠.

١٤ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

١٥ ـ أنساب الأشراف للبلاذري ـ الجزء الثالث ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ـ دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٩٧٧.

١٦ ـ الأوائل لأبي هلال العسكري ـ تحقيق محمد المصري ووليد قصّاب ـ وزارة الثقافة ـ دمشق.

١٧ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي ـ الجزء الأول ـ تحقيق محمد مصطفى ـ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢.

١٨ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لابن عميرة الضبّي ـ مطبعة روخس ـ مجريط ١٨٨٤م.

١٩ ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٦.
٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ـ تعريب عبد الحليم النجّار ـ دار المعارف القاهرة.
٢١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي للشيخ أحمد الإسكندري ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة.
٢٢ ـ تاريخ الإسلام للذهبي ـ ٦ أجزاء ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٣٦٩هـ.
٢٣ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم حسن ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢٤ ـ تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٥ ـ تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٦ ـ تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزكين ـ ترجمة محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل ـ الهيئة المصرية للكتاب (المجلد الأول والثاني).
٢٧ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٨ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٦٩.
٢٩ ـ تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق أكرم ضياء العمري ـ دار طيبة ـ الرياض ١٩٨٥.
٣٠ ـ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) ـ نسخة مصورة عن طبعة بولاق.
٣١ ـ تاريخ الدول الإسلامية (الفخري) لابن طباطبا ـ دار صادر ـ بيروت.
٣٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٣ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ دمشق ١٩٥٤.
٣٤ ـ تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ـ مطبعة الهلال ـ ١٩٠٦ القاهرة.
٣٥ ـ تاريخ غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٦ ـ التذكرة الحمدونية لابن حمدون ـ تحقيق إحسان عباس ـ معهد الإنماء العربي بيروت.
٣٧ ـ ترجمة الإمام الحسن (من تاريخ ابن عساكر) ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ـ مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت.
٣٨ ـ التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ـ تحقيق محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٩ ـ تفسير الطبري (جامع البيان من تأويل آي القرآن) ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر.
٤٠ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ـ دار الشآم للتراث ـ بيروت.
٤١ ـ تقويم البلدان لأبي الفداء ـ باريس ١٨٤٠م.
٤٢ ـ تقويم النيل لأمين سامي باشا ـ القاهرة ١٣٣٤ ـ ١٣٥٥هـ المطبعة الأميرية.
٤٣ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ـ حيدر أباد الدكن ـ ١٣٢٧هـ.
٤٥ ـ جمهرة الأمثال للعسكري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ـ منشورات المؤسسة العربية الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٤.
٤٦ ـ جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٧ ـ جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٨ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ـ مطبعة إدارة الوطن ـ القاهرة ١٢٩٩هـ.
٤٩ ـ الحلَّة السيراء لابن الأبار ـ تحقيق حسين مؤنس ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣.
٥٠ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري ـ المكتبة الإسلامية ـ بيروت.
٥١ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة لعلي باشا مبارك ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٢ ـ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار) للمقريزي ـ دار صادر ـ بيروت.
٥٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين (الطبعة العربية) ـ دار الشعب ـ القاهرة.
٥٤ ـ دراسات عن ابن عبد الحكم (لمجموعة من الباحثين) ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٥.
٥٥ ـ دراسات في التاريخ الإسلامي لجمال الدين الشيّال ـ دار الثقافة ـ بيروت.
٥٦ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق محمد سيد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٧.
٥٧ ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق ١٩٨٤.
٥٨ ـ الدعوة إلى الإسلام ـ لتوماس أرنولد ـ ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ـ القاهرة ١٩٥٧.
٥٩ ـ ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني ـ تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٩٨٥.
٦٠ ـ رسوم دار الخلافة لأبي الحسين هلال الصابىء ـ تحقيق ميخائيل عواد ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٤.
٦١ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ـ تحقيق إحسان عباس ـ منشورات مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٤.
٦٢ ـ سنن الترمذي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة.
٦٣ ـ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية لفان فلوتن ـ ترجمه عن الفرنسية حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥.
٦٤ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي ـ مطبعة دار المعارف بمصر (منه ثلاثة أجزاء).
٦٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ـ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٦ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٠هـ.
٦٧ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٢٩هـ.
٦٨ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق مفيد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٩ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٠ـ صحاح الجوهري ـ القاهرة.
٧١ـ صحيح البخاري ـ مطبوعات محمد علي صبيح ـ القاهرة.
٧٢ـ صحيح مسلم ـ دار الطباعة العامرة ـ القاهرة ١٣٢٠هـ.
٧٣ـ صفة جزيرة الأندلس (منتخب من الروض المعطار) ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٧.
٧٤ـ صورة الأرض لابن حوقل ـ مكتبة الحياة ـ بيروت.
٧٥ـ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت.
٧٦ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار بيروت ودار صادر ـ بيروت ١٩٥٨.
٧٧ـ العرب وتاريخ المسألة المسيحية ـ فيكتور سحّاب ـ دار اقرأ بيروت.
٧٨ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ـ تحقيق عبد المجيد الترحيني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٩ـ علوم الحديث ومصطلحه للشيخ الدكتور صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.
٨٠ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ـ تحقيق يوسف علي طويل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨١ـ فتح العرب لمصر ـ ألفرد بتلر ـ ترجمة محمد فريد أبو حديد ـ نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٣م.
٨٢ـ فتح العرب للمغرب للدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٤٧ ـ لجنة الجامعيين لنشر العلم ـ مطبعة مصر.
٨٣ـ فتوح البلدان للبلاذري ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ مكتبة النهضة المصرية.
٨٤ـ فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ـ طبعة ليدن ١٩٢٠م.
٨٥ـ فجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٥٩.
٨٦ـ فضائل مصر لعمر بن محمد بن يوسف الكندي ـ تحقيق إبراهيم أحمد العدوي وعلي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.
٨٧ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر بيروت.
٨٨ـ القاموس المحيط للفيروزابادي ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت.
٨٩ـ القرآن الكريم.

٩٠ـ قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية للدكتور صبحي الصالح ـ الجامعة اللبنانية ـ مجموعة محاضرات.
٩١ـ الكامل في اللغة والأدب للمبرّد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٢ـ كتاب بغداد لابن طيفور ـ القاهرة ١٩٤٩.
٩٣ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ـ دار الفكر ـ بيروت.
٩٤ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت.
٩٥ـ لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده ـ عبد المجيد عابدين ـ مطبعة الشبكشي بالأزهر ـ القاهرة ١٩٦٤.
٩٦ـ مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ عالم الكتب ـ بيروت.
٩٧ـ مجمع الأمثال للميداني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السنّة المحمدية ـ القاهرة.
٩٨ـ مجلة كلية الآداب بالإسكندرية ١٩٦٣ بحث للدكتور سعد زغلول عبد الحميد بعنوان: فتح العرب للمغرب بين الحقيقة والأسطورة.
٩٩ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٠٠ـ المسالك والممالك للكرخي ـ تحقيق محمد جابر اليني ـ القاهرة ١٩٦١.
١٠١ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ القاهرة ١٨٩٥م.
١٠٢ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت الحموي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.
١٠٣ـ المعارف لابن قتيبة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٤ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ـ محمد إسماعيل إبراهيم ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.
١٠٥ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٠٦ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور ـ أخرجه زكي محمد حسن باشا وحسن أحمد محمود ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ١٩٥١.
١٠٧ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحّالة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٠٨ـ معجم ما استعجم للبكري ـ تحقيق مصطفى السقّا ـ عالم الكتب ـ بيروت.
١٠٩ـ مفتاح السنة لمحمد عبد العزيز الخولي ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة.
١١٠ـ مقدمة ابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٧٩.
١١١ـ منطلق تاريخ لبنان ـ كمال الصليبي ـ منشورات كارافان ـ نيويورك ١٩٧٩.
١١٢ـ المؤرخ ابن تغري بردي (مجموعة أبحاث) ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٤.
١١٣ـ الموازنة (صورة تاريخية) ـ كمال الصليبي ـ ملف جريدة النهار البيروتية ـ ١٩٧٠.

١١٤ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ بإشراف محمد شفيق غربال ـ دار الشعب ومؤسسة فرنكلين ـ القاهرة.
١١٥ ـ الموسوعة الفلسطينية ـ بإشراف أحمد المرعشلي وعبد الهادي هاشم وأنيس صايغ ـ دمشق ١٩٨٤.
١١٦ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨ ـ ١٣٧٥هـ ١٢ جزءاً.
١١٧ ـ نشأة علم التاريخ عند العرب ـ عبد العزيز الدوري ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٠.
١١٨ ـ النظم الإسلامية ـ صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.
١١٩ ـ النقود الإسلامية للمقريزي ـ نشره الأب أنستاس ماري الكرملي في كتابه «النقود العربية وعلم النميات» القاهرة ١٩٣٩م.
١٢٠ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
١٢١ ـ نهج البلاغة (ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٣م.
١٢٢ ـ هدية العارفين في أسماء المصنفين والمؤلفين لاسماعيل باشا البغدادي ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٢٣ ـ الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ـ محمد حميد الله ـ دار النفائس ـ بيروت ١٩٨٥.
١٢٤ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت.
١٢٥ ـ ولاة مصر للكندي ـ تحقيق حسين نصار ـ دار صادر ـ بيروت.